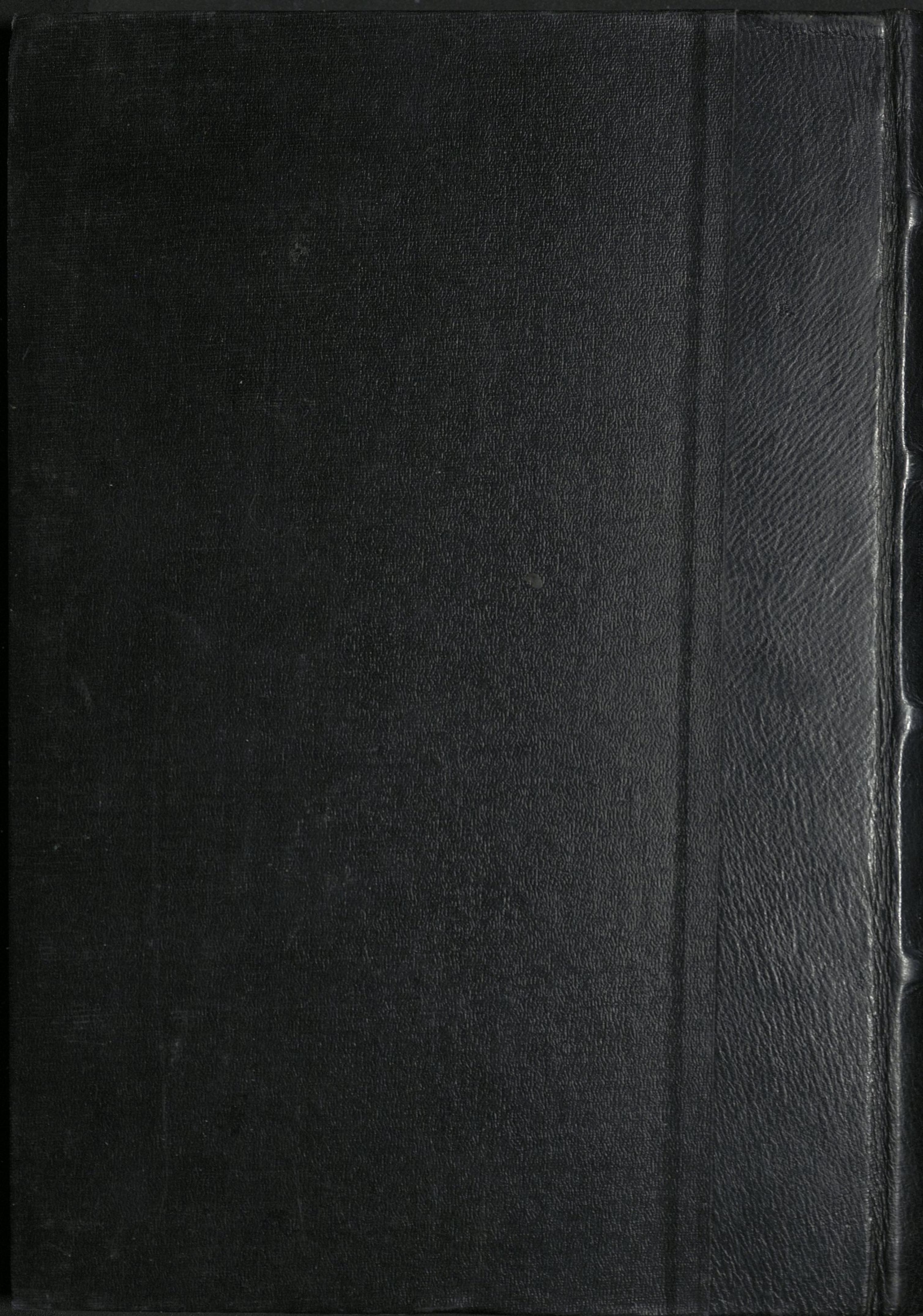
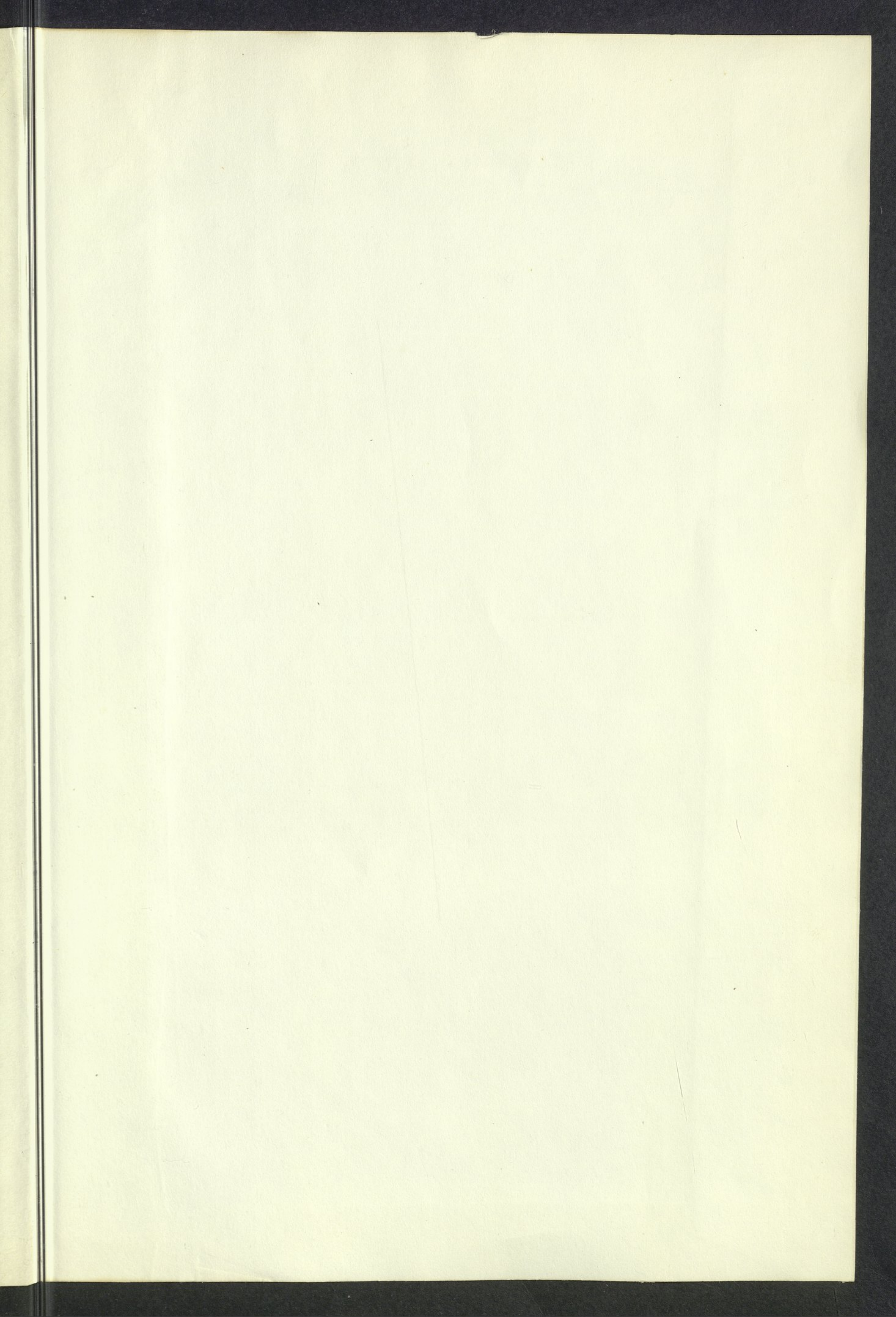
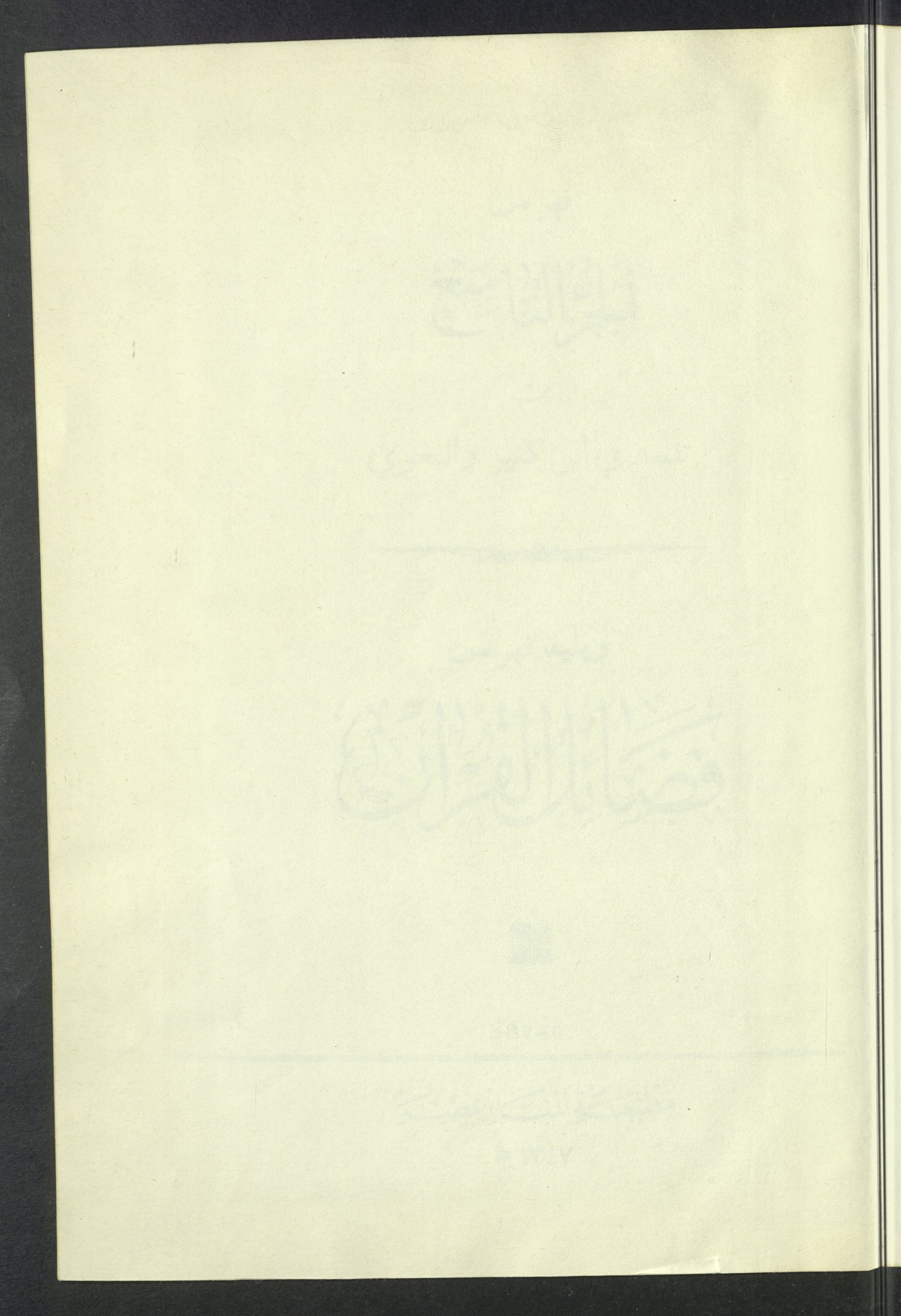
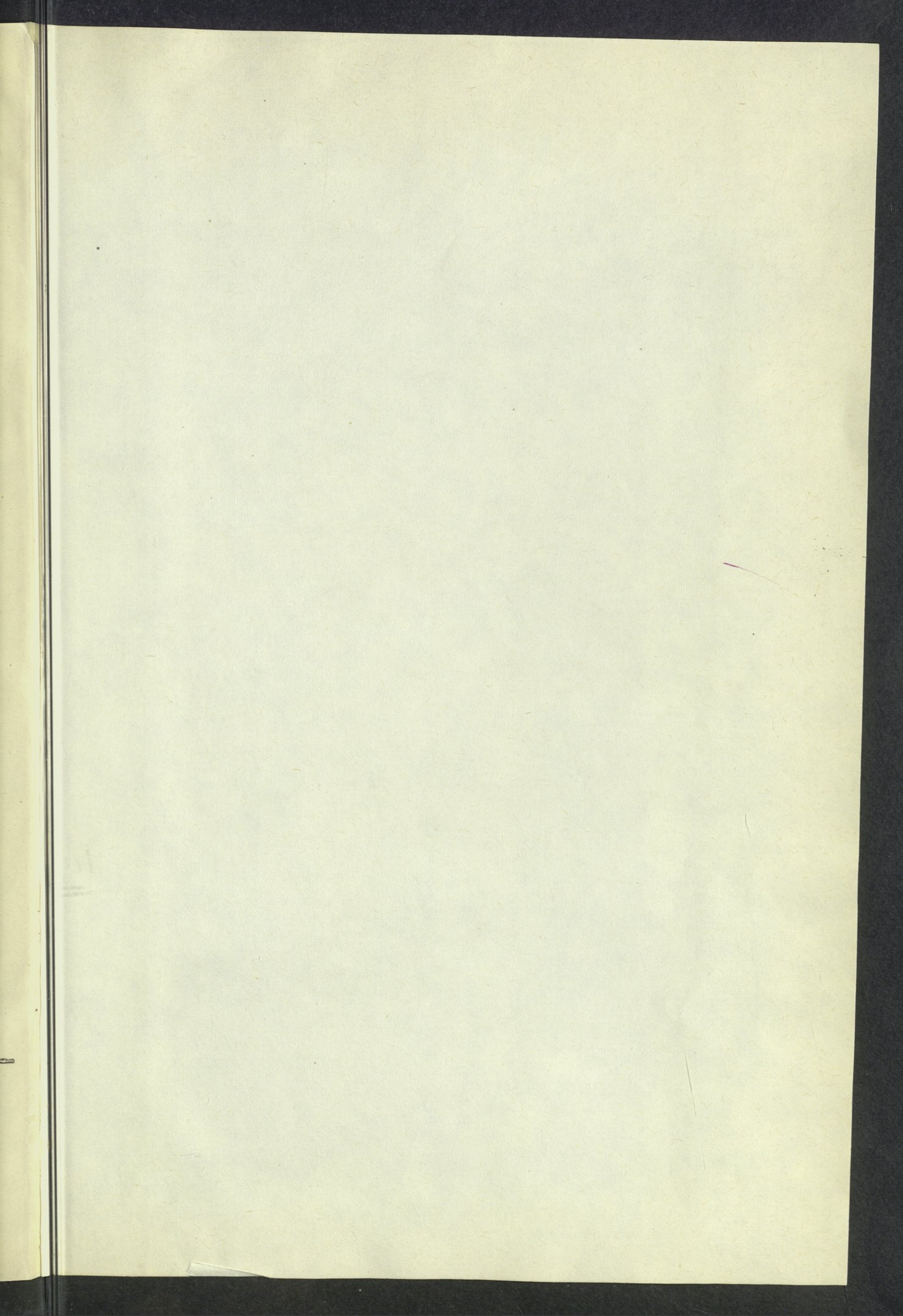










"صفحة العنوان تأتي بعد الفهرس"

فهرس

الجزء التاسع

من

تفسيري ابن كثير والبغوي



ويليه فهرس

فضائل القرآن



مطبعة المنار بمصر

١٣٤٧ هـ

فهرس المسائل المهمة في الجزء التاسع من تفسيري ابن كثير والبغوي

بيان الخطأ المطبعي الواقع بالجزء التاسع من تفسيري ابن كثير والبغوي وصوابه

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٦	٦	(اقرءوا	(فاقرءوا
٦٦	٢٧	قانلوا	قاتلوا
٦٧	١٠	يحي	يحيي
٧٣	٧	اسأت	أسأرت
٨٩	٤	ازوجا	ازواجا
١٣٣	٢١	(مالذي غرك بربك الكريم)	ماالذي غرك بربك الكريم
٢٦٥	١٧	منههين	منهين
٣٠٢	١٤	عزيز	عزيز

فهرس فضائل القرآن

﴿ بيان الخطأ المطبعي الواقع في كتاب فضائل القرآن ﴾

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٧	١١	إن تقرأ	أن تقرأ
٣٢	٢	هوارن	هوازن
٤٥	٨	ولم يجمع	ولم يجمع (١)
٤٦	١٧	الحديث (١)	الحديث
٥١	٢	الذي	الذين
٥٤	٢٤	التصدير	لتصدير
٥٧	١٨	إلا	إلى
٥٨	١٨	حنظ	حنظلة

﴿ استدراك ﴾ الحاشية نمرة (١) الموضوعة سهواً في صفحة (٤٦) هي تعليق على حديث أنس المذكور في صفحة (٤٥) عند ذكر من جمع القرآن على عهد النبي (ص)





الجزء التاسع

من تفسير الحافظ ابن كثير

هو الامام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل

ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤

قال الحافظ الذهبي في المعجم المختص : الامام المفتي المحدث البارع ، فقيه متفنن محدث متقن ، ومفسر ... وله تصانيف مفيدة . وذكر الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة أنه كان من محدثي الفقهاء وقال سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها بعد وفاته

طبع عن نسخة الطبعة الاميرية وصحح مقابلة على نسخة مكتبة الحرم المكي الشريف المصححة على نسخة المؤلف .

ويليه في أدنى الصحائف

معالم التنزيل

تفسير الامام البغوى المتوفى سنة ٥١٦

قال التاج السبكي في طبقات الشافعية : الحسين بن مسعود الفراء الشيخ أبو محمد البغوي صاحب التهذيب الملقب «محيي السنة» من مصنفاته شرح السنة والمصابيح والتفسير المسمى معالم التنزيل . . كان اماماً جليلا ورعا زاهداً فقيهاً محدثاً مفسرا جامعاً بين العلم والعمل ، سالكا سبيل السلف .

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية . ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

مطبعة المنار بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ المجلد التاسع من تفسير الحافظ ابن كثير ﴾

تفسير سورة نوح عليه السلام وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم (١) قال يٰقوم إني لكم نذير مبين (٢) أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون (٣) يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون (٤)

يقول تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام أنه أرسله الى قومه آمراً له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم فان تابوا وأنابوا رفع عنهم ولهذا قال تعالى (أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم قال ياقوم إني لكم نذير مبين) أي بين النذارة ظاهر الامر واضحه (أن اعبدوا الله واتقوه) أي اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه (وأطيعون) فيما آمركم به وأنهاكم عنه (يغفر لكم من ذنوبكم) أي اذا فعلتم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ المجلد التاسع من تفسير ناصر السنة البغوي ﴾

﴿ سورة نوح مكية وهي ثمان وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ إنا أرسلنا نوحا الى قومه أن انذر قومك ﴾ أي بأن أنذر قومك ﴿ من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ﴾ المعنى إنا ارسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا ﴿ قال ياقوم اني لكم نذير مبين ﴾ أنذركم وأبين لكم ﴿ أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ من صلة أي يغفر لكم ذنوبكم ،

ما آمركم به وصدقتم ما أرسلت به اليكم غفر الله لكم ذنوبكم ، ومن ههنا قيل انها زائدة ولكن القول بزيادتها في الاثبات قليل ومنه قول بعض العرب : قد كان من مطر ، وقيل انها بمعنى عن تقديره يصفح لكم عن ذنوبكم واختاره ابن جرير ، وقيل انها للتبعيض أي يغفر لكم الذنوب العظام التي وعدكم على ارتكابكم إياها الانتقام (ويؤخركم إلى أجل مسمى) اي يمد في أعماركم ويدرأ عنكم العذاب الذي إن لم تجتنبوا مانهاكم عنه أوقعه بكم وقد يستدل بهذه الآية من يقول ان الطاعة والبر وصلة الرحم يزاد بها في العمر حقيقة كما ورد به الحديث « صلة الرحم تزيد في العمر »

وقوله تعالى (إن أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعملون) اي بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة فانه اذا أمر تعالى يكون ذلك لا يرد ولا يمانع فانه العظيم الذي قد قهر كل شيء العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات

قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهاراً (٥) فلم يزدهم دعائي الا فراراً (٦) واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً (٧) ثم اني دعوتهم جهاراً (٨) ثم اني أعلنت لهم وأسررت لهم اسراراً (٩) فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً (١٠) يرسل السماء عليكم مدراراً (١١) ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً (١٢) مالكم لا ترجون لله وقاراً؟ (١٣) وقد خلقكم أطواراً (١٤) ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا (١٥) وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجا (١٦) والله أنبتكم من الارض نباتا (١٧) ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا (١٨) والله جعل لكم الارض بساطا (١٩) لتسلكوا منها سبلاً فجاجا (٢٠)

يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام انه اشتكى إلى ربه عز وجل مالقي من قومه وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة الا خمسين عاما وما بين لقومه ووضح لهم ودعاهم إلى الرشد والسبيل الاقوم فقال (رب إني دعوت قومي ليلا ونهاراً) أي لم أترك دعاءهم في ليل

وقيل يعني ماسلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض ذنوبهم ﴿ ويؤخركم الى أجل مسمى ﴾ أي يعافيكم الى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم ﴿ ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ﴾ يقول آمنوا قبل الموت تسلموا من العذاب فان أجل الله اذا جاء لا يؤخر ولا يمكنكم الايمان ﴿ قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهاراً فلم يزدهم دعائي الا فراراً ﴾ نفاراً وإدباراً عن الايمان ﴿ واني كلما

ولا نهار امتثالا لأمرك وابتغاء طاعتك (فلم يزدهم دعائي إلا فراراً) اى كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق فروا منه وحادوا عنه (واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم) أى سدوا آذانهم لئلا يسمعوا ماأدعوهم اليه كما أخبر تعالى عن كفار قريش [وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون] (واستغشوا ثيابهم) قال ابن جرير عن ابن عباس تنكروا له لئلا يعرفهم

وقال سعيد بن جبير والسدي غطوا رءوسهم لئلا يسمعوا مايقول (وأصروا) أي استمروا على ماهم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع (واستكبروا استكبارا) أي واستنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له [ثم إني دعوتهم جهاراً] أي جهرة بين الناس (ثم إني أعلنت لهم) أي كلاما ظاهراً بصوت عال (وأسررت لهم إسراراً) أي فيما بيني وبينهم فنوع عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً) أي ارجعوا اليه وارجعوا عما أنتم فيه ، وتوبوا اليه من قريب فانه من تاب اليه تاب عليه ، ولو كانت ذنوبه مهما كانت في الكفر والشرك ، ولهذا قال (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً) أي متواصلة الامطار ، ولهذا تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية ، وهكذا روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه صعد المنبر ليستسقي فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار ومنها هذه الآية (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً) ثم قال « لقد طلبت الغيث بمجادح السماء التي يستنزل بها المطر ، وقال ابن عباس وغيره يتبع بعضه بعضا

وقوله تعالى (ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً) أي اذا تبتم إلى

دعوتهم ﴾ الى الايمان بك ﴿ لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم ﴾ لئلا يسمعوا دعوتي ﴿ واستغشوا ثيابهم ﴾ غطوا بها وجوههم لئلا يروني ﴿ وأصروا ﴾ على كفرهم ﴿ واستكبروا ﴾ عن الايمان بك ﴿ استكبارا * ثم اني دعوتهم جهارا ﴾ معلنا بالدعاء. قال ابن عباس بأعلى صوتي ﴿ ثم اني أعلنت لهم ﴾ اي كررت الدعاء معلنا ﴿ وأسررت لهم إسراراً ﴾ قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل أكلمه سراً بيني وبينه أدعوه الى عبادتك وتوحيدك ﴿ فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدراراً ﴾ وذلك ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فهلكت أولادهم وأموالهم ومواشيهم فقال لهم نوح استغفروا ربكم من الشرك . اى استدعوا المغفرة بالتوحيد (يرسل السماء عليكم مدراراً)

وروى مطرف عن الشعبي ان عمر (رض) خرج يستسقي بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت ، فقال : طلبت الغيث بمجادح السماء التي يستنزل بها القطر ثم قرأ (استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا) ﴿ ويمددكم بأموال وبنين ﴾ قال عطاء :

الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء وأنبت لكم من بركات الارض وأنبت لكم الزرع وأدر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين أى أعطاكم الاموال والاولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالانهار الجارية بينها ، هذا مقام الدعوة بالترغيب ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال (مالكم لاترجون لله وقاراً ؟) أى عظمة قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك ، وقال ابن عباس لاتعظمون الله حق عظمته أى لا تخافون من بأسه ونقمته (وقد خلقكم أطوارا) قيل معناه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ويحيى بن رافع والسدى وابن زيد

وقوله تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ؟) أى واحدة فوق واحدة وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط ؟ أو هو من الامور المدركة بالحس مما علم من التسيير والكسوفات فان الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضا فأدناها القمر في السماء الدنيا وهو يكسف ما فوقه وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة ، وأما بقية الكواكب وهي الثوابت ففي فلك ثامن يسمونه فلك الثوابت والمتشرعون منهم يقولون هو الكرسي ، والفلك التاسع وهو الاطلس والاثير عندهم الذي حركته على خلاف حركة سائر الافلاك وذلك أن حركته مبدأ الحركات وهي من المغرب إلى المشرق ، وسائر الافلاك عكسه من المشرق إلى المغرب ومعها يدور سائر الكواكب تبعا ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها فانها تسير من المغرب إلى المشرق، وكل يقطع فلكه بحسبه فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة والشمس في كل سنة مرة وزحل في كل ثلاثين سنة مرة وذلك بحسب اتساع أفلاكها وإن كانت حركة الجميع في السرعة متناسبة هذا ملخص مايقولونه في هذا المقام على اختلاف بينهم في مواضع كثيرة لسنا بصدد بيانها وانما المقصود أن الله سبحانه وتعالى (خلق سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجا) أي فاوت بينهما في الاستنارة فجعل كلا منهما أنموذجا على حدة ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها ، وقدر للقمر منازل وبروجا وفاوت نوره فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع في النقص حتى يستتر ليدل على مضي الشهور والاعوام كما قال تعالى

يكثر أموالكم وأولادكم ﴿ ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً * مالكم لاترجون لله وقارا ﴾ قال ابن عباس ومجاهد لاترون لله عظمة وقال سعيد بن جبير مالكم لاتعظمون الله حق عظمته وقال الكلبي لاتخافون الله حق عظمته ، والرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة اسم من التوقير وهو التعظيم ، قال الحسن لاتعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة ، قال ابن كيسان مالكم لاترجون في عبادة الله أن يثيبكم على توقيركم اياه خيرا ﴿ وقد خلقكم أطوارا ﴾ تارات حالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا ﴾ قال الحسن يعني في السماء الدنيا كما يقال أتيت

(هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون)

وقوله تعالى (والله أنبتكم من الارض نباتا) هذا اسم مصدر والاتيان به ههنا أحسن (ثم يعيدكم فيها) أي اذا متم (ويخرجكم إخراجا) أي يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة [والله جعل لكم الارض بساطا] أي بسطها ومهدها وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشامخات (لتسلكوا منها سبلا فجاجا] أي خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وارجائها وأقطارها وكل هذا مما ينبههم به نوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والارض ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والارضية فهو الخالق الرزاق جعل السماء بناء والارض مهاداً وأوسع على خلقه من رزقه فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد لأنه لانظير له ولا عديل له ولا ند ولا كف، ولا صاحبة ولا ولد ولا وزير ولامشير بل هو العلي الكبير

قال نوح ربّ إنهم عَصوْني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الاخسارا (٢١) ومكروا مكراً كُبّارا (٢٢) وقالوا لاتذرُنّ آلهتكم ولا تذرُنّ ودّا ولاسُواعاولا يغوثَ ويعوقَ ونَسراً (٢٣) وقد أضلوا كثيرا ولا تَزد الظّلمين الا ضلالا (٢٤)

يقول تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام أنه أنهى اليه وهو العليم الذى لايعزب عنه شيء انه مع البيان المتقدم ذكره والدعوة المتنوعة المشتملة على الترغيب تارة والترهيب أخرى انهم عصوه وخالفوه وكذبوه واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله ومتع بمال وأولاد وهي في نفس الامر استدراج وانظار لا إكرام ولهذا قال (واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً) قريء وولده بالضم وبالفتح وكلاهما متقارب

بني تميم وانما أتى بعضهم وفلان متوار في دور بني فلان وهو في دار واحدة ، وقال عبد الله بن عمر ان الشمس والقمر وجوههما إلى السموات وضوء الشمس ونور القمر فيهن وأقفيتهما إلى الارض ويروى هذا عن ابن عباس ﴿وجعل الشمس سراجا﴾ مصباحا مضيئا ﴿والله أنبتكم من الارض نباتا﴾ أراد مبدأ خلق أبي البشر آدم خلقه من الارض والناس ولده قوله (نباتا) اسم جعل في موضع المصدر أي إنباتا قال الخليل مجازه فنبتم نباتا ﴿ثم يعيدكم فيها﴾ بعد الموت ﴿ويخرجكم﴾ منها بعد البعث أحياء ﴿اخراجا * والله جعل لكم الارض بساطا﴾ فرشها وبسطها لكم ﴿لتسلكوا منها سبلا فجاجا﴾ طرقا واسعة ﴿قال نوح رب إنهم عصوني﴾ يعني لم يجيبوا دعوتي ﴿واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا﴾ يعني اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين هم لم يزدهم كثرة المال والولد إلا ضلالا

وقوله تعالى (ومكروا مكراً كباراً) قال مجاهد كباراً أي عظيما ، وقال ابن زيد كباراً أي كبيراً والعرب تقول أمر عجيب وعجاب وعجاب ، ورجل حسان وحسان وجمال وجمال بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد ، والمعنى في قوله تعالى (ومكروا مكراً كباراً) أي باتباعهم في تسويلهم لهم أنهم على الحق والهدى كما يقولون لهم يوم القيامة [بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً] ولهذا قال ههنا [ومكروا مكراً كباراً * وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسراً] وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله

قال البخاري حدثنا ابراهيم حدثنا هشام عن ابن جريج ، وقال عطاء عن ابن عباس صارت الاوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عندسبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي كلاع وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت . وكذا روى عن عكرمة والضحاك وقتادة وابن اسحاق نحو هذا ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كانت هذه أصنام تعبد في زمن نوح

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس (ويغوث ويعوق ونسراً) قال كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة اذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة شيث عليه السلام من طريق اسحاق بن بشر قال أخبرني جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال : ولد لآدم عليه السلام أربعون ولداً عشرون غلاما وعشرون جارية فكان ممن عاش منهم هابيل وقابيل وصالح وعبد الرحمن الذي كان سماه عبد الحارث ، وود وكان ود يقال له شيث ويقال له هبة الله وكان اخوته قد سودوه وولد له سواع ويغوث ويعوق ونسر

في الدنيا وعقوبة في الآخرة ﴿ ومكروا مكرا كبارا ﴾ أي كبيرا عظيما ، قال كبير وكبار بالتخفيف وكبار بالتشديد شدد للمبالغة وكلها بمعنى واحد كما يقال أمر عجيب وعجاب وعجاب وبالتشديد أشد في المبالغة واختلفوا في معنى مكرهم ، قال ابن عباس قالوا قولا عظيما ، قال الضحاك افتروا على الله وكذبوا رسله وقيل منع الرؤساء اتباعهم عن الايمان بنوح وحرشوهم على قتله ﴿ وقالوا ﴾ لهم ﴿ لاتذرن آلهتكم ﴾ أي عبادتها ﴿ ولا تذرن ودا ﴾ قرأ أهل المدينة بضم الواو والباقون بفتحها ﴿ ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ هذه أسماء آلهتهم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو عمر الدوري حدثني اسماعيل المؤدب عن عبد الله ابن مسلم بن هرمز عن أبي حرزة عن عروة بن الزبير قال: اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه ود ويغوث ويعوق وسواع ونسر قال وكان ود أكبرهم وأبرهم به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور حدثنا الحسن بن موسى حدثنا يعقوب عن أبي المطهر قال ذكروا عند أبي جعفر وهو قائم يصلي يزيد بن المهلب، قال فلما انفتل من صلاته قال ذكرتم يزيد ابن المهلب أما انه قتل في أول أرض عبد فيها غير الله، قال ثم ذكروا رجلا مسلما وكان محببا في قومه فلما مات اعتكفوا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه فلما رأى إبليس جزعهم عليه تشبه في صورة انسان ثم قال إني أرى جزعكم على هذا الرجل فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه؟ قالوا نعم فصور لهم مثله قال ووضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه، فلما رأى مابهم من ذكره قال هل لكم أن أجعل في منزل كل رجل منكم تمثالا مثله فيكون له في بيته فتذكرونه؟ قالوا نعم، قال فمثل لكل أهل بيت تمثالا مثله فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به، قال وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون مايصنعون به قال وتناسلوا ودرس أمر ذكرهم إياه حتى اتخذه إلها يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم فكان أول ماعبد من دون الله ود الصنم الذي سموه ودا

وقوله تعالى (وقد أضلوا كثيراً) يعني الاصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقا كثيراً فانه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم، وقد قال الخليل عليه السلام في دعائه [واجنبني وبني أن نعبد الاصنام رب انهن أضللن كثيراً من الناس]

قال محمد بن كعب هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا كان لهم أتباع يقتدون بهم ويأخذون بعدهم مأخذهم في العبادة فجاءهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق الى العبادة ففعلوا، ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم فابتداء عبادة الاوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على صور أولئك القوم من المسلمين

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا ابراهيم بن موسى ثنا هشام عن ابن جريج وقال عطاء عن ابن عباس صارت الاوثان التي كانت تعبد في قوم نوح في العرب بعده: أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع وهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوه فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت

وروي عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب أصنام أخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان وجشم

وقوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) دعاء منه على قومه لتمردهم و كفرهم وعنادهم كما دعا موسى على فرعون وملئه في قوله [ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم] وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به

مما خطيئتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا (٢٥) وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكفرين ديارا (٢٦) إنك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا (٢٧) رب اغفرلي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنت ولا تزد الظالمين إلا تبارا (٢٨)

يقول تعالى (مما خطيئاتهم) وقرىء خطاياهم (أغرقوا) أى من كثرة ذنوبهم وعتوهم واصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم (أغرقوا فادخلوا ناراً) أي نقلوا من تيار البحار الى حرارة النار (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) أى لم يكن لهم معين ولا مغيث ولا مجير ينقذهم من عذاب الله كقوله تعالى (لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) (وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) أي لاتترك على وجه الارض منهم أحدا ولا ديارا وهذه من صيغ تأكيد النفي قال الضحاك ديارا واحدا وقال السدى الديار الذى يسكن الدار فاستجاب الله له فاهلك جميع من على وجه الارض من الكافرين حتى ولد نوح لصلبه الذى اعتزل عن أبيه وقال (سآوى الى جبل يعصمني من الماء قال لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين)

وقال ابن أبي حاتم قرأ علي يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني شبيب بن سعيد عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لو رحم الله من قوم نوح أحداً لرحم امرأة لما رأت الماء حملت ولدها ثم صعدت الجبل فلما بلغها الماء صعدت به منكبها فلما بلغ الماء منكبها وضعت

ومناة لقديد وأساف ونائلة وهبل لاهل مكة ﴿ وقد أضلوا كثيرا ﴾ أى ضل بسبب الاصنام كثير من الناس كقوله عز وجل (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) وقال مقاتل اضل كبراؤهم كثيراً من الناس ﴿ ولا تزد الظالمين إلا ضلالا ﴾ هذا دعاء عليهم بعد ما أعلم الله نوحا انهم لا يؤمنون ، وهو قوله إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ﴿ مما خطيئاتهم ﴾ أى من خطيئاتهم وما صلة وقرأ أبو عمرو خطاياهم وكلاهما جمع خطيئة ﴿ أغرقوا ﴾ بالطوفان ﴿ فأدخلوا نارا ﴾ قال الضحاك هي في حالة واحدة في الدنيا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب وقال مقاتل فادخلوا ناراً في الآخرة ﴿ فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا ﴾ لم يجدوا أحداً يمنعهم من عذاب الله الواحد القهار ﴿ وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا ﴾ أحداً يدور في الارض فيذهب ويجيء من الدوران

ولدها على رأسها فلما بلغ الماء رأسها رفعت ولدها بيدها فلو رحم الله منهم أحداً لرحم هذه المرأة »
هذا حديث غريب ورجاله ثقاة ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح عليـه السلام وهم
الذين أمره الله بحملهم معه

وقوله تعالى (إنك ان تذرهم يضلوا عبادك) أي إنك ان ابقيت منهم أحداً أضـلوا عبادك
أي الذين تخلقهم بعدهم (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) أي فاجرا في الاعمال كافر القلب وذلك لخبرته
بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاما ثم قال (رب اغفرلي ولوالدي ولمن دخل بيتي
مؤمنا) قال الضحاك يعني مسجدي ، ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها وهو انه دعا لكل
من دخل منزله وهو مؤمن

وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أنبأنا سالم بن غيلان أن الوليد بن قيس
التجيبي أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أنه سمع رسول الله ﷺ
يقول « لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي » ورواه أبو داود والترمذي من حديث
عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح به ثم قال الترمذي إنما نعرفه من هذا الوجه

وقوله تعالى (وللمؤمنين والمؤمنات) دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات وذلك يعم الاحياء منهم
والاموات ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء اقتداء بنوح عليـه السلام وبما جاء في الآثار والادعية
المشهورة المشروعة . وقوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا تبارا) قال السدي إلا هلاكا وقال مجاهد
إلا خسارا أي في الدنيا والآخرة

﴿ آخر تفسير سورة نوح عليه السلام ولله الحمد ﴾

وقال القتيبي ان أصله من الدار أى نازل دارا ﴿ انك ان تذرهم يضلوا عبادك ﴾ قال ابن عباس والكلبي
ومقاتل كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول احذر هذا فانه كذاب وان أبي حذرنيه ، فيموت الكبير
وينشأ الصغير عليه ﴿ ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ﴾ قال محمد بن كعب ومقاتل والربيع وغيرهم انما
قال نوح هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم وأعقم أرحام نسائهم وأيبس
أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة وقيل وتسعين سنة وأخبر الله نوحا أنهم لا يؤمنون ولا يلدون
مؤمنا فحينئذ دعا عليهم نوح فأجاب الله دعاءه وأهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب لان
الله تعالى قال (وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم) ولم يوجد التكذيب من الاطفال ﴿ رب اغفر لي
ولوالدي ﴾ واسم أبيـه لمك بن متوشلخ واسم أمه سمحاء بنت نوش وكانا مؤمنين ﴿ ولمن دخل
بيتي ﴾ داري ﴿ مؤمنا ﴾ وقال الضحاك والكلبي مسجدي وقيل سفينتي ﴿ وللمؤمنين والمؤمنات ﴾
هذا عام في كل من آمن بالله وملائكته وصدق الرسل ﴿ ولا تزد الظالمين إلا تباراً ﴾ هلاكا ودماراً
فاستجاب الله دعاءه فأهلكهم

تفسير سورة الجن وهى مكية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا (١) يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا (٢) وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا (٣) وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا (٤) وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا (٥) وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا (٦) وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا (٧)

يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له فقال تعالى (قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي الى الرشد) أي الى السداد والنجاح (فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) وهذا المقام شبيه بقوله تعالى (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) وقد قدمنا الاحاديث الواردة في ذلك بما أغنى عن اعادته ههنا

وقوله تعالى (وأنه تعالى جد ربنا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (جد ربنا) أي فعله وأمره وقدرته وقال الضحاك عن ابن عباس جد الله آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه وروي عن مجاهد وعكرمة جلال ربنا وقال قتادة تعالى جلاله وعظمته وأمره، وقال السدي تعالى أمر ربنا وعن أبي الدرداء ومجاهد أيضا وابن جريج تعالى ذكره وقال سعيد بن جبير (تعالى جد ربنا) أي تعالى ربنا ،فاما ماروا ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن سويد الكوفي حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال : الجد أب ولو علمت الجن أن في الانس جدا ماقالوا تعالى جد ربنا فهذا اسناد جيد ولكن لست أفهم مامعنى هذا الكلام ولعله قد سقط شيء والله أعلم

﴿ سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل أوحي إلي انه استمع نفر من الجن ﴾ وكانوا تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة استمعوا قراءة النبي ﷺ ذكرنا خبرهم في سورة الاحقاف ﴿ فقالوا ﴾ لما رجعوا إلى قومهم ﴿ انا سمعنا قرآنا عجبا ﴾ قال ابن عباس بليغا أي قرآنا ذا عجب يعجب منه لبلاغته ﴿ يهدي إلى الرشد ﴾ يدعو إلى الصواب من التوحيد والايمان ﴿ فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً * وأنه تعالى جد ربنا ﴾ قرأ أهل

وقوله تعالى (ما اتخذ صاحبة ولا ولداً) أي تعالى عن اتخاذ الصاحبة والاولاد ، أي قالت الجن تنزه الرب جل جلاله حين أسلموا وآمنوا بالقرآن عن اتخاذ الصاحبة والولد ثم قالوا (وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا) قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي (سفيهنا) يعنون إبليس [شططا] قال السدي عن أبي مالك [شططا] أي جوراً . وقال ابن زيد أي ظلماً كبيراً

ويحتمل أن يكون المراد بقولهم سفيهنا اسم جنس لكل من زعم ان لله صاحبة أو ولداً ولهذا قالوا (وانه كان يقول سفيهنا) أي قبل إسلامه [على الله شططا] أي باطلا وزوراً ولهذا قالوا [وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا] أي ماحسبنا أن الانس والجن يمالؤن على الكذب على الله تعالى في نسبة الصاحبة والولد اليه ، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك

وقوله تعالى [وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا] أي كنا نرى أن لنا فضلا على الانس لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا واديا أو مكانا موحشا من البراري

الشام والكوفة غير أبي بكر عن عاصم وأنه تعالى بفتح الهمزة و كذلك ما بعده إلى قوله (وأنا منا المسلمون) وقرأ الآخرون بكسرهن، وفتح أبو جعفر منها وانه وهو ماكان مردوداً على الوحي و كسر ما كان حكاية عن الجن، والاختيار كسر الكل لانه من قول الجن لقومهم فهو معطوف على قوله (فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً) وقالوا (وأنه تعالى) ومن فتح رد على قوله (فآمنا به) وآمنا بكل ذلك ففتح أن لوقوع الايمان عليه (جد ربنا) جلال ربنا وعظمته ، قاله مجاهد وعكرمة وقتادة يقال جد الرجل أي عظم ، ومنه قول أنس كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أي عظم قدره وقال السدي (جد ربنا) أي أمر ربنا ، وقال الحسن غنى ربنا ومنه قيل للحظ جد ورجل مجدود، قال ابن عباس قدرة ربنا، وقال الضحاك فعله، وقال القرطبي آلاؤه ونعماؤه على خلقه، وقال الاخفش علا ملك ربنا ﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ﴾ قيل تعالى جلاله وعظمته عن أن يتخذ صاحبة وولداً ﴿ وأنه كان يقول سفيهنا ﴾ جاهلنا وقال مجاهد وقتادة هو ابليس ﴿ على الله شططا ﴾ كذبا وعدوانا وهو وصفه بالشريك والولد ﴿وأن ظننا﴾ حسبنا ﴿ أن لن تقول الانس والجن ﴾ قرأ يعقوب تقول بفتح الواو وتشديدها ﴿ على الله كذبا ﴾ أي كنا نظنهم صادقين في قولهم ان لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القرآن

قال الله ﴿ وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن ﴾ وذلك ان الرجل من العرب في الجاهلية كان اذا سافر فأمسى في أرض قفر قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في أمن وجوار منهم حتى يصبح

أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا ابن فنجويه ثنا عبد الله بن يوسف ابن احمد بن مالك ثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن اسحاق المروزي ثنا موسى بن سعيد بن النعمان

وغيرها كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوءهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته ، فلما رأت الجن أن الانس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقا أي خوفا وإرهابا وذعرا حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم كما قال قتادة (فزادوهم رهقا) أي اثما وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة ، وقال الثوري عن منصور عن ابراهيم (فزادوهم رهقا) أي ازدادت الجن عليهم جراءة

وقال السدي : كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الارض فينزلها فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادى من الجن أن أضر أنا فيه أو مالي او ولدي أو ماشيتي ، قال قتادة : فاذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الاذى عند ذلك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي حدثنا الزبير بن حريث عن عكرمة قال كان الجن يفرقون من الانس كما يفرق الانس منهم أو أشد فكان الانس إذا نزلوا واديا هرب الجن فيقول سيد القوم نعوذ بسيد اهل هذا الوادى فقال الجن نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم فدنوا من الانس فأصابوهم بالخبل والجنون فذلك قول الله عز وجل (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) أى اثما . وقال أبو العالية والربيع وزيد بن أسلم (رهقا) أى خوفا . وقال العوفي عن ابن عباس (فزادوهم رهقا) أي اثما وكذا قال قتادة . وقال مجاهد زاد الكفار طغيانا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن المغراء الكندى حدثنا القاسم بن مالك - يعني المزني - عن عبد الرحمن بن اسحاق عن أبيه عن كردم بن أبي السائب الانصاري قال خرجت مع أبي من المدينة في حاجة وذلك أول ماذكر رسول الله ﷺ بمكة فآوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادى جارك ، فنادى مناد لا نراه يقول ياسرحان أرسله . فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة ، وأنزل الله على رسوله بمكة (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) ثم قال وروي عن عبيد بن

ابن بطرسوس ثنا فروة بن أبي المغراء الكندي ثنا القاسم بن مالك عن عبد الرحمن بن اسحاق عن أبيه عن كردم بن أبي السائب الانصاري قال خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة فآوانا المبيت إلى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال ياعامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه يقول ياسرحان أرسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة وأنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ بمكة (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) ﴿فزادوهم﴾ يعني زاد الانس والجن باستعاذتهم بقادتهم ﴿رهقا﴾ قال ابن عباس اثما وقال مجاهد طغيانا وقال مقاتل غيا ، قال الحسن شرا قال ابراهيم عظمة وذلك انهم

عمير ومجاهد وأبي العالية والحسن وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي نحوه . وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل وهو ولد الشاة كان جنيا حتى يرهب الانسي ويخاف منه ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه والله أعلم وقوله تعالى (وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً) أي لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولا . قاله الكلبي وابن جرير

وأنا لمسنا السماء فوجدناها مُلئت حرَسا شديدا وشُهبا (٨) وأنا كنا نقعد منها مقعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رَصدا (٩) وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رَشَدا (١٠)

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمدا ﷺ وأنزل عليه القرآن وكان من حفظه له أن السما ملئت حرسا شديدا وحفظت من سائر أرجائها وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئا من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهنة فيلتبس الامر ويختلط ولا يدرى من الصادق ، وهذا من لطف الله تعالى بخلقه ، ورحمته بعباده ، وحفظه لكتابه العزيز ، ولهذا قال الجن (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) أي من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مرصدا له لا يتخطاه ولا يتعداه بل يمحقه ويهلكه (وأنا لا ندرى أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا) أي ماندري هذا الامر الذي قد حدث في السماء لا ندري أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا، وهذا من أدبهم في العبارة حيث اسندوا الشر الى غير فاعل والخير أضافوه الى الله عز وجل . وقد ورد في الصحيح « والشر ليس اليك » وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك ولكن ليس بكثير بل في الاحيان بعد الاحيان كما في حديث العباس بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ رمي بنجم فاستنار فقال « ما كنتم تقولون في هذا؟ » فقلنا كنا نقول يولد عظيم يموت عظيم فقال « ليس كذلك » ولكن الله اذا قضى الامر في السماء » وذكر تمام الحديث وقد أوردناه في سورة سبأ بتمامه وهذا هو السبب الذي حملهم على تطلب السبب في ذلك فأخذوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ بأصحابه في الصلاة

كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا يقولون سدنا الجن والانس ، والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم ﴿ وأنهم ظنوا ﴾ يقول الله تعالى ان الجن ظنوا ﴿ كما ظننتم ﴾ يامعشر الكفار من الانس ﴿ أن لن يبعث الله أحدا ﴾ بعد موته ﴿ وأنا ﴾ تقول الجن ﴿ لمسنا السماء ﴾ قال الكلبي السماء الدنيا ﴿ فوجدناها ملئت حرسا شديدا ﴾ من الملائكة ﴿ وشهبا ﴾ من النجوم ﴿ وأنا كنا نقعد منها ﴾ من

فعرفوا أن هذا هو الذي حفظت من أجله السماء فآمن من آمن منهم وتمرد في طغيانه من بقي كما تقدم حديث ابن عباس في ذلك عند قوله في سورة الاحقاف [وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن] الآية . ولا شك أنه لما حدث هذا الامر وهو كثرة الشهب في السماء والرمي بها هال ذلك الانس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك وظنوا أن ذلك لخراب العالم كما قال السدي لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الارض نبي أو دين لله ظاهر فكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا يستمعون مايحدث في السماء من أمر فلما بعث الله محمداً ﷺ نبيا رسولا رجموا ليلة من الليالي ففزع لذلك أهل الطائف فقالوا هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويسيبون مواشيهم فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير : ويحكم يامعشر أهل الطائف أمسكوا عن مالكم وانظروا إلى معالم النجوم فان رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء انما هذا من أجل ابن أبي كبشة يعنى محمداً ﷺ وإن نظرتم فلم تروها فقد هلك أهل السماء. فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم وفزعت الشياطين في تلك الليلة فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم فقال ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها فأتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا نبي الله ﷺ قائما يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه ثم أسلموا فأنزل الله تعالى أمرهم على رسوله صلى الله عليه وسلم وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى في أول البعث من (كتاب السيرة) المطولة والله أعلم ولله الحمد والمنة

وأنا منا الصّٰلحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا (١١) وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا (١٢) وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا (١٣) وأنا منا المسلمون ومنا القٰسطون فمن أسلم فأولئك تحرّوا رشداً (١٤) وأما القٰسطون فكانوا لجهنم حطبا (١٥) وأن لو استقٰموا على الطريقة لأسقينٰهم ماء غدقا (١٦) لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا (١٧)

السماء ﴿ مقاعد للسمع ﴾ أى كنا نستمع ﴿ فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصداً ﴾ أرصد له ليرمى به قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث النبي ﷺ ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة وكانوا يسترقون في بعض الاحوال فلما بعث النبي ﷺ منعوا من ذلك أصلا ثم قالوا ﴿ وأنا لاندرى أشر أريد بمن في الارض ﴾ برمي الشهب ﴿ أم أراد بهم ربهم رشدا * وأنا منا

يقول تعالى مخبراً عن الجن انهم قالوا مخبرين عن أنفسهم (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك أي غير ذلك (كنا طرائق قدداً) أي طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة ، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد (كنا طرائق قدداً) أي منا المؤمن ومنا الكافر

وقال أحمد بن سليمان النجاد في أماليه حدثنا الحسن بن أسلم بن سهل بحشل حدثنا علي بن سليمان وهو أبو الشعثاء الحضرمي شيخ مسلم حدثنا ابو معاوية قال سمعت الاعمش يقول تروح الينا جني فقلت له ماأحب الطعام اليكم ؟ فقال الارز قال فأتيناهم به فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحداً فقلت فيكم من هذه الاهواء التي فينا ؟ قال نعم ، فقلت فما الرافضة فيكم ؟ قال شرنا . عرضت هذا الاسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزني فقال هذا اسناد صحيح إلى الاعمش . وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة العباس بن أحمد الدمشقي قال سمعت بعض الجن وأنا في منزل لي بالليل ينشد :

قلوب براها الحب حتى تعلقت مذاهبها في كل غرب وشارق

تهيم بحب الله والله ربها معلقة بالله دون الخلائق

وقوله تعالى (وانا ظننا أن لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا) أي نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا وانا لانعجزه في الارض ولوأمعنا في الهرب فانه علينا قادر لايعجزه أحد منا (وانا لما سمعنا الهدى آمنا به) يفتخرون بذلك وهو مفخر لهم وشرف رفيع وصفة حسنة ، وقولهم (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقا) قال ابن عباس وقتادة وغيرهما فلا يخاف أن ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته كما قال تعالى (فلا يخاف ظلماولاهضما) (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) أي منا المسلم ومنا القاسط وهو الجائر عن الحق الناكب عنه بخلاف المقسط فانه العادل (فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً) أي طلبوا لأنفسهم النجاة وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) أي وقوداً تسعربهم

الصالحون ومنا دون ذلك ﴾ دون الصالحين ﴿ كنا طرائق قددا ﴾ أي جماعات متفرقين واصنافامختلفة والقدة القطعة من الشيء يقال صار القوم قدداً إذا اختلفت حالاتهم وأصلها من القد وهو القطع، قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل اهواء مختلفة ، وقال الحسن والسدي الجن أمثالكم فمنهم قدرية ومرجئة ورافضة ، وقال ابن كيسان شيعا وفرقا لكل فرقة هوى كأهواء الناس، وقال سعيد بن جبير ألوانا شتى ، وقال أبو عبيدة أصنافا ﴿ وأنا ظننا ﴾ علمنا وأيقنا ﴿ أن لن نعجز الله في الارض ﴾ أي لن نفوته ان أراد بنا أمرا ﴿ ولن نعجزه هربا ﴾ ان طلبنا ﴿ وأنا لما سمعنا الهدى ﴾ القرآن وما أتى به محمد ﴿ آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ﴾ نقصانا من عمله وثوابه ﴿ ولا رهقا ﴾ ظلما وقيل مكروها يغشاه ﴿ وأنا منا المسلمون ﴾ وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ ﴿ ومنا القاسطون ﴾ الجائرون العادلون عن الحق ، قال ابن عباس الذين جعلوا لله ندا يقال أقسط الرجل إذاعدل فهو مقسط وقسط إذا جار فهو قاسط ﴿ فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا ﴾ أى قصدوا طريق الحق وتوخوه ﴿ وأما القاسطون ﴾

وقوله تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه) اختلف المفسرون في معنى هذا على قولين (أحدهما) وان لو استقام القاسطون على طريقة الاسلام وعدلوا اليها واستمروا عليها (لأسقيناهم ماء غدقا) أي كثيراً والمراد بذلك سعة الرزق كقوله تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وكقوله تعالى [ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض] وعلى هذا يكون معنى قوله [لنفتنهم فيه] أي لنختبرهم كما قال مالك عن زيد بن أسلم لنفتنهم لنبتليهم من يستمر على الهداية ممن يرتد الى الغواية؟ ذكر من قال بهذا القول، قال العوفي عن ابن عباس [وأن لو استقاموا على الطريقة] يعني بالاستقامة الطاعة، وقال مجاهد [وأن لو استقاموا على الطريقة] قال الاسلام وكذا قال سعيد بن جبير وسعيد ابن المسيب وعطاء والسدي ومحمد بن كعب القرظي، وقال قتادة [وأن لو استقاموا على الطريقة] يقول لو آمنوا كلهم لاوسعنا عليهم من الدنيا. وقال مجاهد [وأن لو استقاموا على الطريقة] أي طريقة الحق وكذا قال الضحاك واستشهد على ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا في قوله [لنفتنهم فيه] أي لنبتليهم به

وقال مقاتل نزلت في كفار قريش حين منعوا المطر سبع سنين، والقول الثاني [وأن لو استقاموا على الطريقة] الضلال [لأسقيناهم ماء غدقا] اي لأوسعنا عليهم الرزق استدراجا كما قال تعالى [فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) وكقوله (أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون؟) وهذا قول أبي مجلز لاحق بن حميد فانه قال في قوله تعالى [وأن لو استقاموا على الطريقة] أي طريقة الضلالة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وحكاه البغوي عن الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبي وابن كيسان وله اتجاه ويتأيد بقوله لنفتنهم فيه

الذين كفروا ﴿فكانوا لجهنم حطبا﴾ كانوا وقود النار يوم القيامة ثم رجع إلى كفار مكة فقال ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ اختلفوا في تأويلها فقال قوم لو استقاموا على طريقة الحق والايمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين ﴿لأسقيناهم ماء غدقا﴾ كثيرا قال مقاتل وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين وقالوا معناه لو آمنوا لوسعنا عليهم في الدنيا وأعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا، وضرب الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله في المطر كما قال [ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم] الاية، وقال [ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء] الاية

وقوله تعالى ﴿لنفتنهم فيه﴾ أى لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا؟ وهذا قول سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والضحاك وقتادة ومقاتل والحسن، وقال آخرون معناها وأن لو استقاموا على

وقوله [ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا] أي عذابا مشقا شديدا موجعا مؤلما قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وابن زيد [عذابا صعدا] أي مشقة لا راحة معها ، وعن ابن عباس جبل في جهنم وعن سعيد بن جبير بئر فيها

وأن المسٰجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا (١٨) وأنه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لِبَدا (١٩) قل انما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا (٢٠) قل اني لا أملك لكم ضرًّا ولا رَشَدا (٢١) قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجدَ من دونه مُلتحدا (٢٢) الا بلٰغا من الله ورسٰلٰته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خٰلدين فيها أبدا (٢٣) حتى اذا رأوا مايوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرًا وأقل عددا (٢٤)

يقول تعالى آمرا عباده أن يوحدوه في محال عبادته ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به كما قال قتادة في قوله [وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا] قال كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فأمر الله نبيه ﷺ أن يوحدوه وحده

وقال ابن أبي حاتم ذكر علي بن الحسين حدثنا اسماعيل بن بنت السدي أخبرنا رجل سماه عن السدي عن أبي مالك أو أبي صالح عن ابن عباس في قوله [وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا] قال لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الارض مجسد الا المسجد الحرام ومسجد ايليا بيت المقدس وقال الاعمش قالت الجن يارسول الله ائذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك فأنزل الله تعالى [وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا] يقول صلوا لا تخالطوا الناس

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا سفيان عن اسماعيل بن أبي خالد عن محمود

طريقة الكفر والضلالة لأعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا حتى يفتتنوا بها فنعذبهم وهذا قول الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبي وابن كيسان كما قال الله [فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء] الاية ﴿ ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه ﴾ قرأ اهل الكوفة ويعقوب يسلكه بالياء وقال الآخرون بالنون أي ندخله ﴿عذابا صعدا﴾ قال ابن عباس شاقا والمعنى ذا صعد اى ذا مشقة ، قال قتادة لا راحة فيه ، وقال مقاتل لا فرح فيه ، قال الحسن لا يزداد إلا شدة والاصل فيه ان الصعود يشق على الانسان ﴿ وأن المساجد لله ﴾ يعني المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله ﴿ فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ قال قتادة كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فأمر الله المؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد وأراد بها

عن سعيد بن جبير [وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا] قال قالت الجن للنبي الله ﷺ كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناؤن ؟ أى بعيدون عنك وكيف نشهد الصلاة ونحن ناؤن عنك فنزلت [وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا]

وقال سفيان عن خصيف عن عكرمة نزلت في المساجد كلها ، وقال سعيد بن جبير نزلت في أعضاء السجود أى هي لله فلا تسجدوا بها لغيره ، وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح من رواية عبدالله ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « أمرت أن أسجد على سبعة أعظم على الجبهة ـ أشار بيده الى أنفه ـ واليدين والركبتين وأطراف القدمين »

وقوله تعالى (وأنه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) قال العوفي عن ابن عباس يقول لما سمعوا النبي ﷺ يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه يتلو القرآن ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه (قل أوحي الي أنه استمع نفر من الجن) يستمعون القرآن هذا قول وهو مروي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه

وقال ابن جرير حدثني محمد بن معمر حدثنا ابو هشام عن ابي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال الجن لقومهم (لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) قال لما رأوه يصلي واصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده قال عجبوا من طواعية أصحابه له

المساجد كلها ، وقال الحسن أراد بها البقاع كلها لان الارض جعلت كلها مسجدا للنبي ﷺ وقال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي ﷺ كيف لنا ان نشهد معك الصلاة ونحن ناؤن فنزلت [وأن المساجد لله] وروى عن سعيد بن جبير أيضا ان المراد بالمساجد الاعضاء التي يسجد عليها الانسان وهي سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان يقول هذه الاعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره

أخبرنا ابو سعيد احمد بن محمد بن العباس الحميدى أنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب حدثنا علي بن الحسن الهلالي والسري بن خزيمة قالا ثنا يعلى بن أسد ثنا وهيب عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ قال « أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء الجبهة ـ وأشار بيده اليها ـ واليدين والركبتين وأطراف القدمين ولا أكف الثوب ولا الشعر » فان جعلت المساجد مواضع الصلاة فواحدها مسجد بكسر الجيم وان جعلتها الاعضاء فواحدها مسجد بفتح الجيم ﴿ وأنه ﴾ قرأ نافع وابو بكر بكسر الهمزة وقرأ الباقون بفتحها ﴿ لما قام عبدالله ﴾ يعني النبي ﷺ ﴿ يدعوه ﴾ يعني يعبده ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلي ببطن نخلة ويقرأ القرآن ﴿ كادوا ﴾ يعني الجن ﴿ يكونون عليه لبـدا ﴾ اي يركب بعضهم بعضا ويزدحمون حرصا على استماع القرآن هذا قول الضحاك ورواية عطية عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير عنه هذا من قول النفر

قال فقالوا لقومهم (لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) وهذا قول ثان وهو مروي عن سعيد بن جبير أيضا

وقال الحسن لما قام رسول الله ﷺ يقول لا إله إلا الله ويدعو الناس الى ربهم كادت العرب تلبد عليه جميعا وقال قتادة في قوله (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) قال تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه وهذا قول ثالث وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقول ابن زيد وهو اختيار ابن جرير وهو الاظهر لقوله بعده (قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا) أى قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليبطلوا ماجاء به من الحق واجتمعوا على عداوته (إنما أدعو ربي) أى إنما أعبد ربي وحده لاشريك له وأستجير به وأتوكل عليه (ولا أشرك به أحدا)

وقوله تعالى (قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) أى إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي وعبد من عباد الله ليس إلي من الامر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم بل المرجع في ذلك كله الى الله عز وجل ثم أخبر عن نفسه أيضا أنه لايجيره من الله أحد أى لو عصيته فانه لايقدر أحد على انقاذى من عذابه (ولن أجد من دونه ملتحدا) قال مجاهد وقتادة والسدي لاملجأ وقال قتادة أيضا (قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا) أي لا نصير ولا ملجأ وفي رواية لاولي ولا موئل

وقوله تعالى (إلا بلاغا من الله ورسالاته) قال بعضهم هو مستثنى من قوله [قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا إلا بلاغا] ويحتمل أن يكون استثناء من قوله [لن يجيرني من الله أحد] أى

الذين رجعوا إلى قومهم من الجن أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي ﷺ واقتدائهم به في الصلاة وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ويطفئوا نور الله فأبى الله إلا ان يتم نوره ويتم هذا الامر وينصره على من ناوأه ، وقرأ هشام عن ابن عامر لبدا بضم اللام وأصل اللبد الجماعات بعضها فوق بعض ومنه سمي اللبد الذي يفرش لتراكمه وتلبد الشعر إذا تراكم ﴿قل إنما أدعو ربي﴾ قرأ أبو جعفر وعاصم وحمزة قل على الامر وقرأ الآخرون قال يعني رسول الله ﷺ إنما أدعو ربي ، قال مقاتل وذلك ان كفار مكة قالوا للنبي ﷺ لقد جئت بأمر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم انما أدعوا ربي ﴿ولا أشرك به احدا * قل إني لا أملك لكم ضرا﴾ لا أقدر ان أدفع عنكم ضرا ﴿ولا رشدا﴾ أي لا أسوق لكم او اليكم رشدا اي خيرا يعني ان الله يملكه ﴿قل إني لن يجيرني من الله احد﴾ لن يمنعني منه احد ان عصيته ﴿وان اجد من دونه ملتحدا﴾ ملجأ اميل اليه ومعنى التحد أي مال ، قال السدي حرزا وقال الكلبي مدخلا في الارض مثل السرب ﴿إلا بلاغا من الله ورسالاته﴾ ففيه الجوار والامن والنجاة قاله الحسن قال مقاتل ذلك الذي يجيرني من عذاب الله يعني التبليغ وقال قتادة

لا يجيرني منه ويخلصني الا ابلاغي الرسالة التي أوجب أداءها علي كما قال تعالى [يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس]

وقوله تعالى [ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا] أى أنا ابلغكم رسالة الله فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم خالدين فيها أبدا أى لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها

وقوله تعالى [حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا؟] أي حتى اذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والانس ما يوعدون يوم القيامة فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرا وأقل عددا هم أم المؤمنون الموحدون لله تعالى؟ أي بل المشركون لا ناصر لهم بالكلية وهم أقل عددا من جنود الله عز وجل

قل ان أدري أقريب ما توعدون؟ أم يجعل له ربي أمدا؟ (٢٥) عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحدا (٢٦) إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا (٢٧) ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا (٢٨)

يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ أن يقول للناس انه لا علم له بوقت الساعة ولا يدرى أقريب وقتها أم بعيد [قل ان ادرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا؟] أى مدة طويلة وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي يتداوله كثير من الجهلة من أنه عليه الصلاة والسلام لا يؤلف تحت الارض كذب لا أصل له ولم نره في شيء من الكتب وقد كان ﷺ يسئل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها ولما تبدى له جبريل في صورة اعرابي كان فيما سأله أن قال يا محمد فاخبرني عن الساعة؟ قال « ما المسؤل عنها بأعلم من السائل » ولما ناداه ذلك الاعرابي بصوت جهورى فقال يا محمد متى الساعة؟ قال « ويحك إنها كائنة فما اعددت لها؟ » قال أما اني لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام ولكني أحب الله ورسوله قال « فانت مع من أحببت » قال أنس فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن مضاء حدثنا محمد بن جبير حدثني أبو بكر بن أبي مريم عن عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال « يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون لآت »

إلا بلاغا من الله فذلك الذى املكه بعون الله وتوفيقه وقيل [لا املك لكم ضرا ولا رشدا] لكن ابلغ بلاغا من الله فانما انا مرسل به لا املك الا ما ملكت ﴿ ومن يعص الله ورسوله ﴾ ولم يؤمن ﴿ فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا * حتى إذا رأوا ما يوعدون ﴾ يعني العذاب يوم القيامة ﴿ فسيعلمون ﴾ عند نزول العذاب ﴿ من اضعف ناصرا واقل عددا ﴾ أهم ام المؤمنون؟ ﴿ قل إن ادرى ﴾ اي ما ادري

وقد قال أبو داود في آخر كتاب الملاحم حدثنا موسى بن سهل حدثنا حجاج بن ابراهيم حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن ابي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله ﷺ « لن تعجز الله هذه الامة من نصف يوم » انفرد به أبو داود ثم قال ابو داود حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا ابو المغيرة حدثني صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال « إني لارجوا أن لاتعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم » قيل لسعد وكم نصف يوم ؟ قال خمسمائة عام انفرد به أبو داود

وقوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول) هذه كقوله تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) وهكذا قال ههنا إنه يعلم الغيب والشهادة وانه لا يطلع أحدا من خلقه على شيء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه ولهذا قال (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا إلا من ارتضى من رسول) وهذا يعم الرسول الملكي والبشري

ثم قال تعالى (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) أي يخصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ويساوقونه على ما معه من وحي الله ولهذا قال (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا)

وقد اختلف المفسرون في الضمير الذي في قوله (ليعلم) إلى من يعود ؟ فقيل انه عائد الى النبي ﷺ . قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد بن جبير في قوله (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) قال أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل (ليعلم) محمد ﷺ (أن قد أبلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) ورواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمي به . وهكذا رواه الضحاك والسدي ويزيد بن أبي حبيب

﴿ اقريب ماتوعدون؟ ﴾ من العذاب وقيل يوم القيامة ﴿ أم يجعل له ربى امدا؟ ﴾ اجلا وغاية تطول مدتها يعني ان علم وقت العذاب غيب لا يعلمه الا الله ﴿ عالم الغيب ﴾ رفع على نعت قوله ربى وقيل هو عالم الغيب ﴿ فلا يظهر ﴾ لا يطلع ﴿ على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ﴾ إلا من يصطفيه لرسالته فيظهره على ما يشاء من الغيب لانه يستدل على نبوته بالآية المعجزة بأن يخبر عن الغيب ﴿ فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ﴾ ذكر بعض الجهات دلالة على جميعها رصداً أي يجعل بين يديه وخلفه حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين أن يسترقوا السمع ومن الجن أن يستمعوا الوحي فيلقوا إلى الكهنة ، قال مقاتل وغيره كان الله إذا بعث رسولا أتاه إبليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصداً من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين ، فاذا جاء شيطان في صورة ملك أخبروه بأنه شيطان فاحذره وإذا جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك ﴿ ليعلم ﴾ قرأ يعقوب

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة [ليعلم أن قد بلغوا رسالات ربهم] قال ليعلم نبي الله أن الرسل قد بلغت عن الله وان الملائكة حفظتها ودفعت عنها ، وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة واختاره ابن جرير ، وقيل غير ذلك كما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله (الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا] قال هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي ﷺ من الشيطان حتى يتبين الذين أرسل اليهم وذلك حين يقول ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم . وكذا قال ابن أبي نجيح عن مجاهد (ليعلم أن قد ابلغوا رسالات ربهم) قال ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم وفي هذا نظر

وقال البغوى قرأ يعقوب ليعلم) بالضم أى ليعلم الناس أن الرسل قد بلغوا، ويحتمل أن يكون الضمير عائدا الى الله عزوجل وهو قول حكاه ابن الجوزي في زاد المسير ، ويكون المعنى في ذلك انه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته ويحفظ ماينزله اليهم من الوحي ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ويكون ذلك كقوله تعالى [وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه] وكقوله تعالى [وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين] الى أمثال ذلك من العلم بأنه تعالى يعلم الاشياء قبل كونها قطعا لا محالة ، ولهذا قال بعد هذا [وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا]

﴿ آخر تفسير سورة الجن ولله الحمد والمنة ﴾

ليعلم بضم الياء أي ليعلم الناس ﴿ أن ﴾ الرسل ﴿ قد أبلغوا ﴾ وقرأ الآخرون بفتح الياء أي ليعلم الرسول أن الملائكة قد أبلغوا ﴿ رسالات ربهم وأحاط بما لديهم ﴾ أي علم الله ما عند الرسل فلم يخف عليه شيء ﴿ وأحصى كل شيء عددا ﴾ قال ابن عباس أحصى ما خلق وعرف عدد ما خلق فلم يفته علم شيء حتى مثاقيل الذر والخردل ونصب عددا على الحال وان شئت على المصدر أي عد عددا



تفسير سورة المزمل عليه السلام وهي مكية

قال الحافظ أبو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا محمد بن موسى القطان الواسطي حدثنا معلي بن عبد الرحمن حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال : اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا سموا هذا الرجل اسما يصد الناس عنه فقالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون ، قالوا ساحر قالوا ليس بساحر ، فتفرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبي ﷺ فتزمل في ثيابه وتدثر فيها ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال (يا أيها المزمل - يا أيها المدثر) ثم قال البزار : معلى بن عبد الرحمن قد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه لكنه تفرد بأحاديث لا يتابع عليها

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

يا أيها المزّمل (١) قم الليل إلا قليلا (٢) نصفه أو انقص منه قليلا (٣) أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا (٤) إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا (٥) إن ناشئة الليل هي أشد وَطْئا وأقوم قيلا (٦) إن لك في النهار سَبْحا طويلا (٧) واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا (٨) رب المشرق والمغرب لا إله الا هو فاتخذه وكيلا (٩)

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يترك التزمل وهو التغطي في الليل وينهض إلى القيام لربه عز وجل كما قال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون) وكذلك كان ﷺ ممتثلا ما أمره الله تعالى به من قيام الليل وقد كان واجبا عليه وحده كما قال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً) وههنا بين له مقدار ما يقوم فقال تعالى (يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلا) قال ابن عباس والضحاك والسدي (يا أيها المزمل) يعني يا أيها

سورة المزمل مكية وهي عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها المزمل ﴾ أى المتلفف بثوبه وأصله المتزمل أدغمت التاء في الزاي ومثله المدثر المتدثر أدغم التاء في الدال يقال تزمل وتدثر بثوبه إذا تغطى به وقال السدي أراد يا أيها النائم قم فصل قال الحكماء كان هذا الخطاب للنبي ﷺ في أول الوحي قبل تبليغ الرسالة ثم خوطب بعد بالنبي والرسول ﴿ قم

النائم . وقال قتادة :المزمل في ثيابه،وقال ابراهيم النخعي :نزلت وهو متزمل بقطيفة ، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس(ياأيها المزمل)قال يامحمد زملت القرآن

وقوله تعالى (نصفه) بدل من الليل (او انقص منه قليلا أو زد عليه) أي أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل لا حرج عليك في ذلك

وقوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) أي اقرأه على تمهل فانه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره ، وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه : قالت عائشة رضي الله عنها كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها

وفي صحيح البخاري عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال كانت مداً ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم

وقال ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت كان يقطع قراءته آية آية (بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) رواه أحمد وأبو داود والترمذي

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن ذر عن عبد الله بن عمرو عن

الليل ﴾ أي للصلاة ﴿ إلا قليلا ﴾ وكان قيام الليل فريضة في الابتداء ثم بين قدره فقال ﴿ نصفه أو انقص منه قليلا ﴾ إلى الثلث ﴿ أو زد عليه ﴾ على النصف الى الثلثين خيره بين هذه المنازل فكان النبي ﷺ وأصحابه يقومون على هذه المقادير وكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل ومتى النصف ومتى الثلثان فكان يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله [فاقرءوا ما تيسر من القرآن * علم أن سيكون منكم مرضى] الآية فكان بين أول السورة وآخرها سنة

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني أنا أبو عوانة يعقوب بن اسحاق الحافظ ثنا الحسن بن علي بن عفان ثنا يحيي بن بشر ثنا سعيد يعني ابن أبي عروبة ثنا قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام قال انطلقت إلى عائشة فقلت ياأم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول ﷺ فقالت ألست تقرأ القرآن ؟ قلت بلى قالت فان خلق نبي الله ﷺ كان القرآن قلت فقيام رسول الله ﷺ ياأم المؤمنين؟ قالت ألست تقرأ ياأيها المزمل ؟ قلت بلى قالت فان الله افترض القيام في أول هذه السورة فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها اثنى عشر شهرا في السماء ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد الفريضة ، قال مقاتل وابن كيسان كان هذا بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ قال ابن عباس بينه بيانا ، قال الحسن اقرأه قراءة

النبي ﷺ قال « يقال لقاري القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها » ورواه ابو داود والترمذي والنسائي من حديث سفيان الثوري به وقال الترمذي حسن صحيح وقد قدمنا في أول التفسير الاحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة كما جاء في الحديث « زينوا القرآن بأصواتكم - وليس منا من لم يتغن بالقرآن - ولقد أوتي هذا هذا مزماراً من مزامير آل داود » يعني أبا موسى ، فقال ابو موسى لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتي لحبرته لك تحبيراً ، وعن ابن مسعود انه قال لاتنثروه نثر الرمل ولا تهذوه هذ الشعر ، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة » رواه البغوي

وقال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة سمعت أبا وائل قال : جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : قرأت المفصل الليلة في ركعة ، فقال هذا كهذ الشعر لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهن فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين في ركعة

بينة ، قال مجاهد ترسل فيه ترسلا ، قال قتادة تثبت فيه تثبتا وعن ابن عباس أيضا اقرأه على هينتك ثلاث آيات أو اربعا او خمسا

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عمرو بن عاصم ثنا هشام عن قتادة قال : سئل أنس كيف كانت قراءة النبي ﷺ ؟ فقال كانت مدا مدا ، ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا آدم ثنا شعبة ثنا عمرو بن مرة قال سمعت أبا وائل قال جاء رجل الى ابن مسعود قال قرأت المفصل الليلة في ركعة فقال هذا كهذ الشعر لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرن بينهن فذكر عشرين سورة من المفصل كل سورتين في ركعة

أخبرنا ابو جعفر احمد بن أبي احمد مثوبة أنا الشريف ابو القاسم علي بن محمد بن علي الحسيني الحراني فيما كتبه إلي أنا ابو بكر محمد بن الحسين الآجري انا ابو بكر عبد الله بن محمد بن حميد الواسطي ثنا زيد بن آجروم ثنا محمد بن الفضل ثنا سعيد بن زيد عن أبي حمزة عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله يعني ابن مسعود قال لا تنثروه نثر الدقل[1] ولاتهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة .

أخبرنا ابو جعفر احمد بن أبي احمد بن مثوبة انا الشريف ابو القاسم علي بن محمد بن علي الحسيني الحراني فيما كتب إلي ثنا ابو بكر محمد بن الحسين الآجري ثنا ابو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ثنا الحسين بن الحسن المروزي ثنا ابن المبارك الحنبلي انا ابو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا ابو طاهر محمد بن احمد بن الحارث انا ابو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله بن محمود

(١) في ابن كثير : الرمل .

وقوله تعالى [انا سنلقي عليك قولا ثقيلا] قال الحسن وقتادة اي العمل به ، وقيل ثقيل وقت نزوله من عظمته كما قال زيد بن ثابت رضي الله عنه أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فكادت ترض فخذي

وقال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قال : سألت النبي ﷺ فقلت يارسول الله هل تحس بالوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك فما من مرة يوحى إلي الا ظننت ان نفسي تقبض » تفرد به احمد

وفي أول صحيح البخاري عن عبد الله بن يوسف عن مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ان الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحي ؟ فقال « أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي مايقول » قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا . هذا لفظه

وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود اخبرنا عبد الرحمن عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرانها

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه ان النبي ﷺ كان اذا أوحي اليه وهو على ناقته وضعت جرانها فما تستطيع ان تحرك حتى يسرى

انا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن عبيدة وهو أخوه عن سهل بن سعد الساعدي قال بينا نحن نقرأ اذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال « الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاخيار الاحمر والاسود والابيض اقرءوا القرآن قبل ان يأتي اقوام يقرءونه يقيمون حروفه كما يقام السهم لايجاوز تراقيهم يتعجلون اجره ولا يتأجلونه »

اخبرنا ابو عثمان الضبي أنا ابو محمد الجراحي ثنا ابو العباس المحبوبي ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا ابو بكر محمد بن نافع البصري ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن اسماعيل بن مسلم العبدي عن أبي المتوكل الناجي عن عائشة رضي الله عنها قالت قام النبي ﷺ بآية من القرآن ليلة ، ورواه أبو ذر قال قام النبي ﷺ حتى اصبح بآية والآية [إن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ﴿ إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما شديدا قال الحسن إن الرجل ليهذ السورة ولكن العمل بها ثقيل قال قتادة ثقيل هو والله فرائضه وحدوده قال مقاتل ثقيل لما فيه من الامر والنهي والحدود قال ابو العالية ثقيل بالوعد والوعيد والحلال والحرام وقال محمد ابن كعب ثقيل على المنافقين ، قال الحسين بن الفضل قولا خفيفا على اللسان ثقيلا في الميزان ،

عنه وهذا مرسل، الجران هو باطن العنق ، واختار ابن جرير انه ثقيل من الوجهين معا كما قال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم كما ثقل في الدنيا ثقل يوم القيامة في الموازين

وقوله تعالى (ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا) قال أبو اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نشأ قام بالحبشية ، وقال عمر وابن عباس وابن الزبير الليل كله ناشئة ، وكذا قال مجاهد وغير واحد ، يقال نشأ اذا قام من الليل ، وفي رواية عن مجاهد بعد العشاء ، وكذا قال أبو مجلز وقتادة وسالم وأبو حازم ومحمد بن المنكدر والغرض أن ناشئة الليل هي ساعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى ناشئة وهي الآنات ، والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على

قال الفراء ثقيلا ليس بالخفيف السفساف لانه كلام ربنا قال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة

اخبرنا ابو الحسن السرخسي انا زاهر بن احمد السرخسي انا ابو اسحاق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة زوج النبي ﷺ ان الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحي؟ قال رسول الله ﷺ « أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهذا أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي مايقول » قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشاتي الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا

قوله عز وجل (ان ناشئة الليل) اي ساعاته كلها وكل ساعة منه ناشئة سميت بذلك لانها تنشأ أي تبدو ومنه نشأت السحابة اذا بدت وكل ما حدث بالليل وبدا فقد نشأ فهو ناشىء والجمع ناشئة وقال ابن ابي مليكة سألت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة ، وقال سعيد بن جبير وابن زيد أى ساعة قام من الليل فقد نشأ وهو بلسان الحبش القيام يقال نشأ فلان أى قام وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم ، وقال ابن كيسان هي القيام من آخر الليل ، وقال عكرمة هي القيام من أول الليل ، يروى عن علي بن الحسين انه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقال الحسن كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهي ناشئة من الليل ، وقال الأزهري ناشئة الليل قيام الليل مصدر جاء على فاعلة كالعافية بمعنى العفو (هي اشد وطأ) قرأ ابن عامر وابو عمرو وطاء بكسر الواو ممدودا بمعنى المواطأة والموافقة يقال واطأت فلانا مواطأة ووطاء اذا وافقته وذلك ان مواطأة القلب والسمع والبصر واللسان بالليل تكون أكثر مما يكون بالنهار، وقرأ الآخرون بفتح الواو وسكون الطاء أى أشد على المصلي وأثقل من صلاة النهار لان الليل للنوم والراحة ، ومنه قوله ﷺ « اللهم اشدد وطأتك على مضر . وقال ابن عباس كانت صلاتهم اول الليل هي اشد وطأ يقول هي أجدر أن تحصوا ما فرض الله عليكم من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لم يدر متى يستيقظ وقال قتادة أثبت في الخير وأحفظ للقراءة وقال الفراء أثبت قياما أى اوطأ للقيام واسهل للمصلي من ساعات النهار لان

التلاوة ولهذا قال تعالى ﴿ هي أشد وطأ وأقوم قيلا ﴾ أي أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار لانه وقت انتشار الناس ولغط الاصوات وأوقات المعاش

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا ابو أسامة حدثنا الاعمش ان أنس بن مالك قرأ هذه الآية (ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قيلا) فقال له رجل انما نقرؤها وأقوم قيلا ، فقال له إن أصوب وأقوم وأهيأ وأشباه هذا واحد ، ولهذا قال تعالى (ان لك في النهار سبحا طويلا) قال ابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبي مسلم الفراغ والنوم ، وقال أبو العالية ومجاهد وابو مالك والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس وسفيان الثوري فراغا طويلا ، وقال قتادة فراغا وبغية ومتقلبا ، وقال السدي (سبحا طويلا) تطوعا كثيراً

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى (إن لك في النهار سبحاً طويلا) قال لحوائجك فافرغ لدينك الليل قال وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ثم ان الله تبارك وتعالى من على عباده فخففها ووضعها وقرأ (قم الليل الا قليلا) الى آخر الآية ثم قال [إن ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه - حتى بلغ - فاقرءوا ماتيسر منه] وقال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً) وهذا الذي قاله كما قاله

والدليل عليه مارواه الامام أحمد في مسنده حيث قال حدثنا يحيى حدثنا سعيد هو ابن أبي عروبة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام أنه طلق امرأته ثم ارتحل الى المدينة ليبيع عقاراً له بها ويجعله في الكراع والسلاح ثم يجاهد الروم حتى يموت ، فلقي رهطا من قومه فحدثوه أن رهطا من قومه أرادوا ذلك على عهد رسول الله ﷺ فقال « أليس لكم في اسوة حسنة ؟ » فنهاهم عن ذلك فأشهدهم على رجعتها ثم رجع الينا فاخبرنا أنه أتى ابن عباس فسأله عن الوتر فقال ألا أنبئك بأعلم أهل الارض بوتر رسول الله ﷺ قال نعم قال ائت عائشة فسلها ثم ارجع إلي فأخبرني بردها عليك قال فأتيت على حكيم بن أفلح فاستلحقته اليها فقال ما أنا بقاربها إني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئا فأبت فيهما إلا مضياً فأقسمت عليه فجاء معي فدخلنا عليها فقالت حكيم وعرفته قال نعم قالت من هذا معك ؟ قال سعيد بن هشام قالت من هشام؟ قال ابن عامر قال فترحمت عليه وقالت نعم المرء كان عامراً قلت يا أم المؤمنين انبئيني عن خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت ألست تقرأ القرآن ؟ قلت بلى قالت فان خلق رسول الله ﷺ كان القرآن فهممت أن أقوم ثم بدا لي قيام رسول الله ﷺ قلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ قالت ألست تقرأ هذه السورة (يا أيها المزمل) قلت بلى قالت فان الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله

النهار خلق لتصرف العباد والليل للخلوة فالعبادة فيه اسهل وقيل اشد نشاطا وقال ابن زيد أفرغ له قلبا من النهار لانه لاتعرض له حوائج وقال الحسن أشد وطأ في الخير وأمنع من الشيطان ﴿ وأقوم

خاتمتها في السماء اثني عشر شهراً ثم انزل الله التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا من بعد فريضة. فهممت أن أقوم ثم بدا لي وتر رسول الله ﷺ فقلت يا أم المؤمنين انبئيني عن وتر رسول الله ﷺ قالت كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ثم يتوضأ ثم يصلي ثمان ركعات لا يجلس فيهن إلا عند الثامنة فيجلس ويذكر ربه تعالى ويدعو ثم ينهض وما يسلم، ثم يقوم ليصلي التاسعة ثم يقعد فيذكر الله وحده ثم يدعوه ثم يسلم تسليما يسمعنا، ثم يصلي ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم فتلك احدى عشرة ركعة يا بني فلما أسن رسول الله ﷺ وأخذ اللحم أوتر بسبع ثم صلى ركعتين وهو جالس بعدما يسلم فتلك تسع يا بني، وكان رسول الله ﷺ اذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها وكان اذا شغله عن قيام الليل نوم أو وجع أو مرض صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة حتى أصبح ولا صام شهرا كاملا غير رمضان. فأتيت ابن عباس فحدثته بحديثها فقال صدقت أما لو كنت أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهني مشافهة هكذا رواه الامام احمد بتمامه وقد اخرجه مسلم في صحيحه من حديث قتادة بنحوه

﴿ طريق اخرى عن عائشة رضي الله عنها في هذا المعنى ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب وحدثنا ابن حميد حدثنا مهران قالا جميعا واللفظ لابن وكيع عن موسى بن عبيدة حدثني محمد بن طحلاء عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيرا يصلي عليه من الليل فتسامع الناس به فاجتمعوا فخرج كالمغضب وكان بهم رحيما فخشي أن يكتب عليهم قيام الليل فقال « أيها الناس اكلفوا من الاعمال ماتطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الاعمال ماديم عليه » ونزل القرآن (ياأيها المزمل قم الليل الا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه) حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق فمكثوا بذلك ثمانية أشهر فرأى الله مايبتغون من رضوانه فرحمهم فردهم الى الفريضة وترك قيام الليل. ورواه ابن أبي حاتم من طريق موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف والحديث في الصحيح بدون زيادة نزول هذه السورة وهذا السياق قد يوهم أن نزول هذه السورة بالمدينة وليس كذلك وانما هي مكية وقوله في هذا السياق أن بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر غريب فقد تقدم في رواية أحمد انه كان بينهما سنة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر عن سماك الحنفي سمعت ابن عباس يقول: أول مانزل أول المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة. وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي أسامة به، وقال الثوري ومحمد بن بشر العبدي كلاهما عن مسعر عن سماك عن ابن عباس كان بينهما سنة، وروى ابن جرير

قيلا ﴾ وأصوب قراءة وأصح قولا لهدأة الناس وسكون الاصوات وقال الكلبي ابين قولا بالقرآن وفي الجملة عبادة الليل اشد نشاطا واتم أخلاصا واكثر بركة وابلغ في الثواب ﴿ إن لك في النهار سبحا طويلا ﴾

عن أبي كريب عن وكيع عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثله

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن قيس بن وهب عن أبي عبد الرحمن قال لما نزلت (يا أيها المزمل) قاموا حولا حتى ورمت اقدامهم وسوقهم حتى نزلت (فاقرءوا ما تيسر منه) قال فاستراح الناس وكذا قال الحسن البصري والسدي

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا معاذ بن هشام حدثنا ابي عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام قال فقلت يعني لعائشة أخبرينا عن قيام رسول الله ﷺ قالت ألست تقرأ (يا أيها المزمل) ؟ قلت بلى قالت فانها كانت قيام رسول الله ﷺ وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم وحبس آخرها في السماء ستة عشر شهرا ثم نزل ، وقال معمر عن قتادة (قم الليل إلا قليلا) قاموا حولا أو حولين حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم فأنزل الله تخفيفها بعد في آخر السورة

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد هو ابن جبير قال لما أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ (يا أيها المزمل) قال مكث النبي ﷺ على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه فأنزل الله تعالى عليه بعد عشر سنين (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك — إلى قوله تعالى — وأقيموا الصلاة) فخفف الله تعالى عنهم بعد عشر سنين ، رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن رافع عن يعقوب القمي به ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا) فشق ذلك على المؤمنين ثم خفف الله تعالى عنهم ورحمهم فأنزل بعد هذا (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله — إلى قوله تعالى — فاقرءوا ما تيسر منه) فوسع الله تعالى وله الحمد ولم يضيق

وقوله تعالى (واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا) أي أكثر من ذكره وانقطع اليه وتفرغ لعبادته اذا فرغت من أشغالك وما تحتاج اليه من أمور دنياك كما قال تعالى (فاذا فرغت فانصب) أي اذا فرغت من أشغالك فانصب في طاعته وعبادته لتكون فارغ البال قاله ابن زيد بمعناه أو قريب

اي تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا في حوائجك واشغالك ، واصل السبح سرعة الذهاب ومنه السباحة في الماء وقيل سبحا طويلا اى فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك فصل من الليل ، وقرأ يحيى ابن يعمر سبخا بالخاء المعجمة أى استراحة وتخفيفا للبدن ومنه قول النبي ﷺ لعائشة وقد دعت على سارق «لا تسبخي عنه بدعائك عليه» اي لا تخففي ﴿ واذكر اسم ربك ﴾ بالتوحيد والتعظيم ﴿ وتبتل اليه تبتيلا ﴾ قال ابن عباس وغيره أخلص اليه إخلاصا ، قال الحسن اجتهد ، وقال ابن زيد تفرغ لعبادته وقال سفيان توكل عليه توكلا وقيل انقطع اليه في العبادة انقطاعا وهو الاصل في الباب يقال تبتلت الشيء أي قطعته وصدقه قولهم أنت بتة بتلة أي مقطوعة عن صاحبها لا سبيل له عليها والتبتيل تفعيل

منه ، قال ابن عباس ومجاهد وأبو صالح وعطية والضحاك والسدي (وتبتل اليه تبتيلا) أي أخلص له العبادة ، وقال الحسن اجتهد وأبتل اليه نفسك

وقال ابن جرير يقال للعابد متبتل ومنه الحديث المروي نهي عن التبتل يعنى الانقطاع إلى العبادة وترك التزوج

وقوله تعالى (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) أي هو المالك المتصرف في المشارق والمغارب الذي لا إله إلا هو وكما أفردته بالعبادة فأفرده بالتوكل فاتخذه وكيلا كما قال تعالى في الآية الاخرى (فاعبده وتوكل عليه) وكقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) وآيات كثيرة في هذا المعنى فيها الامر بافراد العبادة والطاعة لله وتخصيصه بالتوكل عليه

واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا (١٠) وذرني والمكذبين أولي النَّعمة ومَهِّلهم قليلا (١١) ان لدينا أنكالا وجحيما (١٢) وطعاما ذا غُصة وعذابا أليما (١٣) يوم ترجُف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مَهيلا (١٤) انا أرسلنا اليكم رسولا شهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا (١٥) فعصى فرعونُ الرسول فأخذنٰه أخذاً وبيلا (١٦) فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا ؟ (١٧) السماء منفطر به كان وعده مفعولا (١٨)

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه وأن يهجرهم هجراً جميلا وهو الذي لاعتاب معه ثم قال له متهددا لكفار قومه ومتوعداً وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء (وذرني والمكذبين أولي النعمة] أي دعني والمكذبين المترفين أصحاب الاموال فانهم على الطاعة أقدر من غيرهم وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم [ومهلهم قليلا] أي رويداً كما قال تعالى [نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ] ولهذا قال ههنا [إن لدينا أنكالا] وهي القيود قاله

منه يقال بتلته فتبتل ، المعنى بتل اليه نفسك ولذلك قال تبتيلا ، قال ابن زيد التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله تعالى ﴿ رب المشرق والمغرب ﴾ قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وحفص رب برفع الباء على الابتداء. وقرأ الآخرون بالجر على نعت الرب في قوله (واذكر اسم ربك) ﴿لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا ﴾ قيما بأمورك ففوضها اليه ﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلا ﴾ نسختها آية القتال ﴿ وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا ﴾ نزلت في صناديد قريش المستهزئين ، وقال مقاتل بن حيان نزلت في المطعمين ببدر فلم يكن إلا يسيرا حتى قتلوا ببدر ﴿ ان لدينا ﴾ عندنا في الآخرة ﴿ أنكالا ﴾ قيودا عظاما لا تفك أبدا واحدها نكل ، قال الكلبي أغلالا من

ابن عباس وعكرمة وطاوس ومحمد بن كعب وعبدالله بن بريدة وابو عمران الجوني وابو مجلز والضحاك وحماد بن أبي سليمان وقتادة والسدي وابن المبارك والثوري وغير واحد (وجحيما) وهي السعير المضطرمة [وطعاما ذا غصة] قال ابن عباس ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج [وعذابا أليما * يوم ترجف الارض والجبال] أي تزلزل (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) أي تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء ثم انها تنسف نسفا فلا يبقى منها شيء إلا ذهب حتى تصير الارض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا أي واديا ولا أمتا أي رابية ومعناه لاشيء ينخفض ولاشيء يرتفع

ثم قال تعالى مخاطبا لكفار قريش والمراد سائر الناس [إنا أرسلنا اليكم رسولا شاهداً عليكم] أي باعمالكم [كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلا]

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي والثوري [أخذاً وبيلا] أي شديدا أي فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول فيصيبكم ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) وأنتم أولى بالهلاك والدمار ان كذبتم رسولكم لان رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران ويروى عن ابن عباس ومجاهد

وقوله تعالى [فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا] يحتمل أن يكون يوما معمولا لتتقون كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود فكيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به؟ ويحتمل أن يكون معمولا لكفرتم فعلى الاول كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم ان كفرتم ، وعلى الثاني كيف يحصل لكم تقوى ان كفرتم يوم القيامة وجحدتموه ، وكلاهما معنى حسن ولكن الاول أولى والله أعلم ، ومعنى قوله (يوما يجعل الولدان شيبا) أي من شدة أهواله وزلازله وبلابله وذلك حين يقول الله تعالى لآدم ابعث بعث النار فيقول من كم ؟ فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة

قال الطبراني حدثنا يحيى بن أيوب العلاف حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثنا

حديد ﴿ وجحيما وطعاما ذا غصة ﴾ غير سائغة يأخذ بالحلق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع ﴿ وعذابا أليما * يوم ترجف الارض والجبال ﴾ أي تتزلزل وتتحرك ﴿ وكانت الجبال كثيبا مهيلا ﴾ رملا سائلا ، قال الكلبي هو الرمل الذي إذا أخذت منه شيئا تبعك ما بعده يقال أهلت الرمل أهيله هيلا إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه ﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا ﴾ شديدا ثقيلا يعني عاقبناه عقوبة غليظة ، يخوف كفار مكة ﴿ فكيف تتقون إن كفرتم ﴾ أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة اذ كفرتم في الدنيا يعني لا سبيل لكم الى التقوى اذا وافيتم يوم القيامة وقيل معناه كيف تتقون العذاب يوم القيامة ؟ وبأي شيء تتحصنون من عذاب ذلك اليوم ؟ وكيف تنجون منه اذا كفرتم ﴿ يوما يجعل الولدان شيبا ﴾ شمطا من هوله وشدته

عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ (يوما يجعل الولدان شيبا) قال « ذلك يوم القيامة وذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعثا الى النار ، قال من كم يارب ؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وينجو واحد فاشتد ذلك على المسلمين وعرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال حين أبصر ذلك في وجوههم «إن بني آدم كثير ، وان يأجوج ومأجوج من ولد آدم وانه لايموت منهم رجل حتى ينتشر لصلبه ألف رجل ففيهم وفي أشباههم جنة لكم » هذا حديث غريب وقد تقدم في أول سورة الحج ذكر هذه الاحاديث .

وقوله تعالى (السماء منفطر به) قال الحسن وقتادة أي بسببه من شدته وهوله ، ومنهم من يعيد الضمير على الله تعالى ، وروي عن ابن عباس ومجاهد وليس بقوي لانه لم يجر له ذكر ههنا ، وقوله تعالى (كان وعده مفعولا) أي كان وعد هذا اليوم مفعولا أي واقعا لامحالة وكائنا لامحيد عنه

إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا (١٩) إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ماتيسر من القرآن ، علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقتلون في سبيل الله فاقرءوا ماتيسر منه وأقيموا الصلوٰة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا ، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم (٢٠)

يقول تعالى (ان هذه) أي السورة (تذكرة) أى يتذكر بها أولو الالباب ولهذا قال تعالى (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أي فمن شاء الله تعالى هدايته كما قيده في السورة الاخرى [ومانشاؤن الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما] ثم قال تعالى (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك) أي تارة هكذا وتارة هكذا وذلك كله من غير قصد منكم

وذلك حين يقال لآدم: قم فابعث بعث النار من ذريتك . ثم وصف هول ذلك اليوم فقال ﴿ السماء منفطر به ﴾ متشقق لنزول الملائكة به أي بذلك المكان وقيل الهاء ترجع الى الرب أي بأمره وهيبته ﴿ كان وعده مفعولا ﴾ كائنا ﴿ ان هذه ﴾ أي آيات القرآن ﴿ تذكرة ﴾ تذكير وموعظة ﴿ فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ﴾ بالايمان والطاعة ﴿ ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى ﴾ أقل ﴿ من ثلثي الليل ونصفه وثلثه ﴾ قرأ أهل مكة والكوفة نصفه وثلثه بنصب الفاء والثاء واشباع الهاءين ضما أي وتقوم نصفه

ولكن لا تقدرون على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل لأنه يشق عليكم ولهذا قال (والله يقدر الليل والنهار) اي تارة يعتدلان وتارة يأخذ هذا من هذا وهذا من هذا (علم أن لن تحصوه) أي الفرض الذي أوجبه عليكم (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) من غير تحديد بوقت اي ولكن قوموا من الليل ما تيسر ، وعبر عن الصلاة بالقراءة كما قال في سورة سبحان (ولا تجهر بصلاتك) اي بقراءتك (ولا تخافت بها) وقد استدل أصحاب الامام أبي حنيفة رحمه الله بهذه الآية وهي قوله (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) على أنه لا يجب تعين قراءة الفاتحة في الصلاة بل لو قرأ بها او بغيرها من القرآن ولو بآية أجزأه واعتضدوا بحديث المسيء صلاته الذي في الصحيحين « ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن » وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت وهو في الصحيحين أيضا أن رسول الله ﷺ قال « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج فهي خداج فهى خداج غير تمام » وفي صحيح ابن خزيمة عن ابي هريرة مرفوعا « لا تجزيء صلاة من لم يقرأ بأم القرآن »

وثلثه وقرأ الآخرون بجر الفاء والثاء واشباع الهاء بن كسرا عطفا على ثلثي ﴿ وطائفة من الذين معك ﴾ يعني المؤمنين وكانوا يقومون معه ﴿ والله يقدر الليل والنهار ﴾ قال عطاء يريد لا يفوته علم ما تفعلون أي انه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذي تقومون من الليل ﴿ علم أن لن تحصوه ﴾ قال الحسن قاموا حتى انتفخت أقدامهم فنزل (علم أن لن تحصوه) لن تطيقوه

وقال مقاتل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة أن لا يصيب ما أمر به من القيام فقال (علم أن لن تحصوه) لن تطيقوا معرفة ذلك ﴿ فتاب عليكم ﴾ فعاد عليكم بالعفو والتخفيف ﴿ فاقرءوا ما تيسر من القرآن ﴾ يعني في الصلاة قال الحسن يعني في صلاة المغرب والعشاء.

قال قيس بن حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال إن الله عز وجل يقول (فاقرءوا ما تيسر منه)

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا ابو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عثمان بن صالح ثنا ابن لهيعة حدثني حميد بن مخراق عن أنس بن مالك أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « من قرأ خمسين آية في يوم اوفي ليلة لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة، ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر »

أخبرنا اسماعيل بن عبدالقاهر أنا عبدالغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن محمد ثنا مسلم ابن الحجاج حدثنى القاسم بن زكريا بن عبيدالله بن موسى عن شيبان عن يحيي عن محمد بن عبدالرحمن

وقوله تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله) اي علم ان سيكون من هذه الامة ذوو أعذار في ترك قيام الليل من مرضى لايستطيعون ذلك ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجر وآخرين مشغولين بما هو الاهم في حقهم من الغزو في سبيل الله ، وهذه الآية بل السورة كلها مكية ولم يكن القتال شرع بعد فهي من أكبر دلائل النبوة لانه من باب الاخبار بالمغيبات المستقبلة ولهذا قال تعالى (اقرؤا ما تيسر منه) اي قوموا بما تيسر عليكم منه

قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن ابي رجاء محمد قال قلت للحسن ياأبا سعيد ماتقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به انما يصلي المكتوبة ؟ قال يتوسد القرآن لعن الله ذاك قال الله تعالى للعبد الصالح [وانه لذو علم لما علمناه ـ وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم] قلت ياأبا سعيد قال الله تعالى (فاقرءوا ماتيسر من القرآن) قال نعم ولو خمس آيات وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري انه كان يرى حقا واجبا على حملة القرآن ان يقوموا ولو بشيء منه في الليل ولهذا جاء في الحديث ان رسول الله ﷺ سئل عن رجل نام حتى أصبح فقال « ذاك رجل بال الشيطان في أذنه » فقيل معناه نام عن المكتوبة ، وقيل عن قيام الليل . وفي السنن « أوتروا ياأهل القرآن » وفي الحديث الآخر « من لم يوتر فليس منا » وأغرب من هذا ماحكي عن ابي بكر بن عبد العزيز من الحنابلة من إيجابه قيام شهر رمضان فالله أعلم

وقال الطبراني حدثنا أحمد بن سعيد فرقد الجدرد حدثنا أبو أحمد محمد بن يوسف الزبيدي حدثنا عبد الرحمن بن طاوس ولد طاوس عن محمد بن عبد الله عن أبيه عن طاوس عن ابن عباس عن النبي ﷺ (فاقرءوا ما تيسر منه) قال « مائة آية » وهذا حديث غريب جداً لم أره إلا في معجم الطبراني رحمه الله تعالى

مولى بني زهرة عن أبي سلمة عن عبدالله بن عمرو قال : قال لي رسول الله ﷺ « اقرأ القرآن في كل شهر ـ قال قلت إني أجد قوة قال ـ فاقرأه في عشرين ليلة قال قلت اني أجد قوة قال فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك »

قوله عز وجل ﴿ علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله ﴾ يعني المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله ﴿ وآخرون يقاتلون في سبيل الله ﴾ لا يطيقون قيام الليل روى ابراهيم عن ابن مسعود قال أيما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبد الله (وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله) ﴿ فاقرءوا ما تيسر منه ﴾ أي ما تيسر عليكم من القرآن

وقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة ، وهذا يدل لمن قال بأن فرض الزكاة نزل بمكة لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة والله أعلم، وقد قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من السلف ان هذه الآية نسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولا من قيام الليل ، واختلفوا في المدة التي بينهما على أقوال كما تقدم، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لذلك الرجل « خمس صلوات في اليوم والليلة » قال هل علي غيرها ؟ قال « لا إلا أن تطوع »

وقوله تعالى (وأقرضوا الله قرضا حسنا) يعني من الصدقات فان الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره كما قال تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ؟) وقوله تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً) أي جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن الأعمش عن ابراهيم عن الحارث ابن سويد قال قال عبد الله قال رسول الله ﷺ « أيكم ماله أحب اليه من مال وارثه ؟ » قالوا يا رسول الله مامنا من أحد إلا ماله أحب اليه من مال وارثه قال « اعلموا ماتقولون » قالوا ما نعلم إلا ذلك يارسول الله قال « انما مال أحدكم ماقدم ومال وارثه ماأخر » ورواه البخاري من حديث حفص ابن غياث والنسائي من طريق أبي معاوية كلاهما عن الأعمش به

ثم قال تعالى (واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) أي أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها فانه غفور رحيم لمن استغفره

﴿ آخر تفسير سورة المزمل ولله الحمد والمنة ﴾

قال أهل التفسير كان هذا في صدر الاسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس وذلك قوله ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا ﴾ قال ابن عباس يريد سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف ﴿ وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا ﴾ تجدوا ثوابه في الآخرة أفضل مما أعطيتم ﴿ وأعظم أجرا ﴾ من الذي أخرتم ولم تقدموه، ونصب خيرا وأعظم على المفعول الثاني فان الوجود إذا كان بمعنى الرؤية يتعدى إلى مفعولين، وهو فصل في قول البصريين وعماد في قول الكوفيين لا محل له من الاعراب

أخبرنا أبو القاسم يحيى بن علي الكشميهني أنا ابو نصر أحمد بن محمد البخاري بالكوفة أنا ابو القاسم نصر بن أحمد الفقيه بالموصل ثنا ابو يعلى الموصلي ثنا ابو خيثمة ثنا جرير عن الأعمش عن ابراهيم التيمي عن الحارث بن سويد قال قال عبدالله قال رسول الله ﷺ « أيكم ماله أحب اليه من مال وارثه ؟» قالوا يارسول الله مامنا أحد الا ماله أحب اليه من مال وارثه قال « اعلموا ماتقولون » قالوا ما نعلم الا ذلك يارسول الله قال « مامنكم رجل الا مال وارثه أحب اليه من ماله » قالوا كيف يارسول الله قال « انما مال أحدكم ماقدم ومال وارثه ماأخر » ﴿ واستغفروا الله ﴾ لذنوبكم ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾

تفسير سورة المدثر وهى مكية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

يا أيها المدثر (١) قم فأنذر (٢) وربك فكبر (٣) وثيابك فطهر (٤) والرجز فاهجر (٥)

ولا تمنن تستكثر (٦) ولربك فاصبر (٧) فاذا نقر في الناقور (٨) فذلك يومئذ يوم عسير (٩)

على الكفرين غير يسير (١٠)

ثبت في صحيح البخاري من حديث يحى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر أنه كان يقول أول شيء نزل من القرآن (يا أيها المدثر) وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولا قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق) كما سيأتي ذلك هنالك ان شاء الله تعالى

﴿سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يحيى ثنا وكيع عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة بن عبدالرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال (يا أيها المدثر) قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال أبو سلمة سألت جابر ابن عبدالله عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت فقال لي جابر لا أحدثك الا بما حدثنا رسول الله ﷺ قال «جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ونظرت أمامي فلم أر شيئا ونظرت عن خلفي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا - قال - فدثروني وصبوا علي ماء باردا - قال - فنزلت (يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر)

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبدالله بن يوسف ثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب سمعت أبا سلمة قال أخبرني جابر بن عبدالله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي قال «فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه رعبا حتى هويت الى الارض فجئت أهلي فقلت زملوني زملوني فزملوني فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر قم فأنذر - الى قوله - فاهجر) - قال ابو سلمة والرجز الاوثان - ثم حمي الوحي بعد وتتابع»

قال البخاري حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبدالرحمن عن أول مانزل من القرآن فقال (يا أيها المدثر) قلت يقولون (اقرأ باسم ربك الذي خلق) فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبدالله عن ذلك وقلت له مثل ماقلت لي فقال جابر لا أحدثك الا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال « جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أرشيئا ونظرت عن شمالي فلم أرشيئا ونظرت أمامي فلم ار شيئا ونظرت خلفي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا ـ قال ـ فدثروني وصبوا علي ماء باردا قال فنزلت (يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر) » هكذا ساقه من هذا الوجه

وقد رواه مسلم من طريق عقيل عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال أخبرني جابر بن عبدالله انه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه « فبينا أنا أمشي اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري قبل السماء فاذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والارض فجثيت منه حتى هويت الى الارض فجئت الى أهلي فقلت زملوني زملوني فزملوني فأنزل [يا أيها المدثر * قم فأنذر ـ الى ـ فاهجر] ـ قال أبو سلمة والرجز الاوثان ـ ثم حمي الوحي وتتابع » هذا لفظ البخاري ، وهذا السياق هو المحفوظ وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا لقوله « فاذا الملك الذي كان بحراء » وهو جبريل حين اتاه بقوله [اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم] ثم انه حصل بعد هذا فترة ثم نزل الملك بعد هذا . ووجه الجمع ان أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة كما قال الامام احمد حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثنا عقيل عن ابن شهاب قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول اخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « ثم فتر الوحي عني فترة فبينا أنا امشي سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري قبل السماء فاذا الملك الذي جاءني قاعد على كرسي بين السماء والارض فجثيت منه فرقا حتى

قوله عز وجل ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر ﴾ أي انذر كفار مكة ﴿ وربك فكبر ﴾ أى عظمه عما يقول له عبدة الاوثان ﴿ وثيابك فطهر ﴾ قال قتادة ومجاهد نفسك فطهر من الذنب فكنى عن النفس بالثوب وهو قول ابراهيم والضحاك والشعبي والزهرى ، وقال عكرمة سئل ابن عباس عن قوله (وثيابك فطهر) فقال لاتلبسها على معصية ولا على غدر ثم قال أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي

وإني بحمد الله لاثوب فاجر   لبست ولا من غدرة أتقنع

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء أنه طاهر الثياب وتقول لمن غدر انه لدنس الثياب وقال أبي بن كعب لاتلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على إثم البسها وأنت بر طاهر ، وروى ابو روق عن الضحاك معناه وعملك فاصلح قال السدي يقال للرجل اذا كان صالحا انه لطاهر الثياب واذا كان فاجرا انه لخبيث الثياب ، وقال سعيد بن جبير وقلبك ونيتك فطهر

هويت الى الارض فجئت اهلي فقلت لهم زملوني زملوني فزملوني فأنزل الله تعالى [ياأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر] ثم حمي الوحي وتتابع » خرجاه من حديث الزهري به ، وقال الطبراني حدثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار حدثنا الحسن بن بشر البجلي حدثنا المعافي بن عمران عن ابراهيم بن يزيد سمعت ابن ابي مليكة يقول سمعت ابن عباس يقول ان الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما فلما أكلوا منه قال ماتقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم ساحر ، وقال بعضهم ليس بساحر ، وقال بعضهم كاهن ، وقال بعضهم ليس بكاهن ، وقال بعضهم شاعر ، وقال بعضهم ليس بشاعر ، وقال بعضهم بل سحر يؤثر فأجمع رأيهم على انه سحر يؤثر فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحزن وقنع رأسه وتدثر فأنزل الله تعالى (ياأيها المدثر قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر)

وقوله تعالى (قم فأنذر) اي شمر عن ساق العزم وانذر الناس وبهذا حصل الارسال كما حصل بالاول النبوة (وربك فكبر) اي عظم وقوله تعالى (وثيابك فطهر) قال الاجلح الكندي عن عكرمة عن ابن عباس انه أتاه رجل فسأله عن هذه الآية (وثيابك فطهر) قال لاتلبسها على معصية ولا على غدرة ثم قال اماسمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي :

فاني بحمد الله لاثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقنع

وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في هذه الآية (وثيابك فطهر) قال في كلام العرب نقي الثياب وفي رواية بهذا الاسناد فطهر من الذنوب ، وكذا قال ابراهيم والشعبي وعطاء ، وقال الثوري عن رجل عن عطاء عن ابن عباس في هذه الآية (وثيابك فطهر) قال من الاثم ، وكذا قال ابراهيم النخعي وقال مجاهد (وثيابك فطهر) قال نفسك ليس ثيابه ، وفي رواية عنه (وثيابك فطهر) أي عملك فأصلح ، وكذا قال ابو رزين وقال في رواية أخرى (وثيابك فطهر) اي لست بكاهن ولا ساحر فأعرض عما قالوا ، وقال قتادة (وثيابك فطهر) أي طهرها من المعاصي وكانت العرب تسمي الرجل اذا نكث ولم يف بعهد الله انه لدنس الثياب واذا وفى وأصلح انه لمطهر الثياب ، وقال عكرمة والضحاك لاتلبسها على معصية . وقال الشاعر :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وقال العوفي عن ابن عباس (وثيابك فطهر) يعني لاتكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طائل ويقال لاتلبس ثيابك على معصية ، وقال محمد بن سيرين (وثيابك فطهر) أي اغسلها بالماء ، وقال ابن

وقال الحسن والقرظي وخلقك فحسن ، وقال ابن سيرين وابن زيد أمر بتطهير الثياب من النجاسات التي لا تجوز الصلاة معها وذلك ان المشركين كانوا لايتطهرون ولا يطهرون ثيابهم ، وقال طاوس وثيابك

زيد كان المشركون لا يتطهرون فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه وهذا القول اختاره ابن جرير وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب فان العرب تطلق الثياب عليه كما قال امرؤ القيس :

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل   وإن كنت قد أزمعت هجري فأجملي

وان تك قد ساءتك مني خليقة   فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

وقال سعيد بن جبير (وثيابك فطهر) وقلبك ونيتك فطهر ، وقال محمد بن كعب القرظي والحسن البصري وخلقك فحسن

وقوله تعالى (والرجز فاهجر) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والرجز وهو الاصنام فاهجر وكذا قال مجاهد وعكرمة وقتادة والزهري وابن زيد إنها الاوثان ، وقال ابراهيم والضحاك (والرجز فاهجر) أي اترك المعصية ، وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك كقوله تعالى [ياأيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين - وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين]

وقوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) قال ابن عباس لا تعط العطية تلتمس أكثر منها ، وكذا قال عكرمة ومجاهد وعطاء وطاوس وابو الاحوص وابراهيم النخعي والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم وروي عن ابن مسعود انه قرأ (ولا تمنن أن تستكثر) وقال الحسن البصري لا تمنن بعملك على ربك تستكثره وكذا قال الربيع بن أنس واختاره ابن جرير ، وقال خصيف عن مجاهد في قوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) قال لا تضعف ان تستكثر من الخير قال تمنن في كلام العرب تضعف ، وقال

فقصر لان تقصير الثياب طهرة لها ﴿ والرجز فاهجر ﴾ قرأ أبو جعفر وحفص عن عاصم ويعقوب والرجز بضم الراء ، وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان ومعناهما واحد ، قال مجاهد وعكرمة وقتادة والزهري وابن زيد وأبو سلمة المراد بالرجز الاوثان قال فاهجرها ولا تقربها ، وقيل الزاي فيه منقلبة عن السين والعرب تعاقب بين السين والزاي لقرب مخرجهما . ودليل هذا التأويل قوله (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) وروي عن ابن عباس أن معناه اترك المآثم ، وقال أبو العالية والربيع الرجز بضم الراء الصنم وبالكسر النجاسة والمعصية ، قال الضحاك يعني الشرك وقال الكلبي يعني العذاب ومجاز الآية اهجر ما أوجب لك العذاب من الاعمال ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ أي لا تعط مالك مصانعة لتعطى أكثر منه وهذا قول أكثر المفسرين

قال الضحاك ومجاهد كان هذا للنبي ﷺ خاصة ، قال الضحاك هما ربا آن حلال وحرام فأما الحلال فالهدايا وأما الحرام فالربا ، قال قتادة لا تعط شيئا طمعا لمجازاة الدنيا يعني اعط لربك وأرد به الله وقال الحسن معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره ، قال الربيع لا يكثرن عملك في عينك فانه

ابن زيد : لاتمنن بالنبوة على الناس تستكثرهم بها تأخذ عليه عوضا من الدنيا فهذه أربعة أقوال والاظهر القول الاول والله أعلم وقوله تعالى (ولربك فاصبر) اى اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عز وجل قاله مجاهد ، وقال ابراهيم النخعي اصبر عطيتك لله عز وجل

وقوله تعالى (فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) قال ابن عباس ومجاهد والشعبي وزيد بن أسلم والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس والسدي وابن زيد (الناقور) الصور ، قال مجاهد وهو كهيئة القرن

وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا اسباط بن محمد عن مطرف عن عطية العوفي عن ابن عباس (فاذا نقر في الناقور) فقال : قال رسول الله ﷺ « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ؟ » فقال أصحاب رسول الله ﷺ فما تأمرنا يارسول الله ؟ قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وهكذا رواه الامام احمد عن اسباط به ورواه ابن جرير عن ابي كريب عن ابن فضيل وأسباط كلاهما عن مطرف به ، ورواه من طريق أخرى عن العوفي عن ابن عباس به

وقوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير) أي شديد (على الكافرين غير يسير) أي غير سهل عليهم كما قال تعالى (يقول الكافرون هذا يوم عسر)

وقد روينا عن زرارة بن أوفى قاضي البصرة أنه صلى بهم الصبح فقرأ هذه السورة فلما وصل الى قوله تعالى (فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير * على الكافرين غير يسير) شهق شهقة ثم خرميتا رحمه الله تعالى

ذرني ومن خلقت وحيدا (١١) وجعلت له مالا ممدودا (١٢) وبنين شهودا (١٣)

فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل ، وروى خصيف عن مجاهد ولا تضعف أن تستكثر من الخير من قولهم حبل متين إذا كان ضعيفا ، دليله قراءة ابن مسعود (ولا تمنن أن تستكثر من الخير) وقال ابن زيد معناه لا تمنن بالنبوة على الناس فتأخذ عليها أجراً أو عوضا من الدنيا ﴿ ولربك فاصبر ﴾ قيل فاصبر على طاعته وأوامره ونواهيه لاجل ثواب الله ، وقال مجاهد فاصبر لله على ما أوذيت فيه ، وقال ابن زيد معناه حملت أمرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر عليه لله عز وجل ، وقيل فاصبر تحت موارد القضاء لاجل الله ﴿ فاذا نقر في الناقور ﴾ أى نفخ في الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل يعني النفخة الثانية ﴿ فذلك ﴾ أى النفخ في الصور ﴿ يومئذ ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ يوم عسير ﴾ شديد ﴿ على الكافرين ﴾ يعسر فيه الامر عليهم ﴿ غير يسير ﴾ غير هين

قوله عز وجل ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً ﴾ أى خلقته في بطن أمه وحيدا فريدا لا مال له ولا

ومهّدت له تمهيدا (١٤) ثم يطمع أن أزيد (١٥) كلا إنه كان لآيتنا عنيدا (١٦) سأرهقه صعودا (١٧) إنه فكّر وقدّر (١٨) فقتل كيف قدّر (١٩) ثم قتل كيف قدّر (٢٠) ثم نظر (٢١) ثم عبس وبسر (٢٢) ثم أدبر واستكبر (٢٣) فقال انْ هذا إلا سحر يؤثر (٢٤) إن هذا إلا قول البشر (٢٥) سأصليه سقر (٢٦) وما أدراك ما سقر (٢٧) لا تبقي ولا تذر (٢٨) لوّاحة للبشر (٢٩) عليها تسعة عشر (٣٠)

يقول تعالى متوعداً لهذا الخبيث الذي انعم الله عليه بنعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبدلها كفرا وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها وجعلها من قول البشر وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال تعالى (ذرني ومن خلقت وحيدا) أي خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد ثم رزقه الله تعالى (مالا ممدودا) أي واسعا كثيرا قيل ألف دينار وقيل مائة الف دينار وقيل ارضا يستغلها وقيل غير ذلك وجعل له (بنين شهودا) قال مجاهد لا يغيبون أي حضورا عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليهم واجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم، ويتملى بهم وكانوا فيما ذكره السدى وابو مالك وعاصم بن عمر بن قتادة ثلاثة عشر وقال ابن عباس ومجاهد كانوا عشرة وهذا ابلغ في النعمة وهو اقامتهم عنده (ومهدت له تميدا) أي مكنته من صنوف المال والآثاث وغير ذلك (ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدا) أي معاندا وهو الكفر على نعمه بعد العلم قال الله تعالى (سأرهقه صعودا)

ولد نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي كان يسمى الوحيد في قومه ﴿ وجعلت له مالا ممدودا ﴾ أى كثيرا قيل هو ما يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا في مبلغه، قال مجاهد وسعيد بن جبير مائة الف دينار، وقال قتادة اربعة آلاف دينار وقال سفيان الثورى الف الف وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة، وقال مقاتل كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا، وقال عطاء عن ابن عباس كان له بين مكة والطائف إبل وخيل ونعم وكان له عير كثيرة وعبيد وجوار وقيل مالا ممدودا غلة شهر بشهر ﴿ وبنين شهودا ﴾ حضورا بمكة لا يغيبون عنه وكانوا عشرة قاله مجاهد وقتادة وقال مقاتل كانوا سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمار وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمار ﴿ ومهدت له تمهيدا ﴾ أى بسطت له في العيش وطول العمر بسطا وقال الكلبي يعني المال بعضه على بعض كما يمهد الفرش ﴿ ثم يطمع ﴾ يرجو ﴿ أن أزيد ﴾ أى أزيده مالا وولدا وتمهيدا ﴿ كلا ﴾ لا أفعل ولا أزيده وقالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان

قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال « ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره ، والصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفا ثم يهوى به كذلك فيه أبدا » وقد رواه الترمذي عن عبيد ابن حميد عن الحسن بن موسى الاشيب به ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج كذا قال وقد رواه ابن جرير عن يونس عن عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج وفيه غرابة ونكارة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن المعروف بعلان المقري قال حدثنا منجاب أخبرنا شريك عن عمار الدهني عن عطية العوفي عن أبي سعيد عن النبي ﷺ (سأرهقه صعوداً) قال « هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده فاذا وضع يده ذابت ، واذا رفعها عادت فاذا وضع رجله ذابت واذا رفعها عادت » ورواه البزار وابن جرير من حديث شريك به وقال قتادة عن ابن عباس صعودا صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه وقال السدي صعودا صخرة ملساء في جهنم يكلف أن يصعدها وقال مجاهد (سأرهقه صعودا) أي مشقة من العذاب وقال قتادة عذابا لا راحة فيه واختاره ابن جرير

وقوله تعالى (إنه فكر وقدر) أي إنما ارهقناه صعودا أي قربناه من العذاب الشاق لبعده عن

من ماله وولده حتى هلك ﴿ انه كان لآياتنا عنيدا ﴾ معاندا ﴿ سأرهقه صعودا ﴾ سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها ، وروينا عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « الصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي »

أخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا عمر بن الخطاب ثنا عبد الله بن الفضل أنا منجاب بن الحارث أنا شريك عن عمار الدهني عن عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله (سأرهقه صعودا) قال « هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت فاذا وضع رجله ذابت واذا رفعها عادت » وقال الكلبي الصعود صخرة ملساء في النار يكلف أن يصعدها لا يترك ان يتنفس في صعوده ويجذب من أمامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها في أربعين عاما فاذا بلغ ذروتها أحدر إلى اسفلها ثم يكلف أن يصعدها ويجذب من أمامه ويضرب من خلفه فذلك دأبه أبدا ﴿ انه فكر وقدر ﴾ الآيات وذلك ان الله تعالى لما أنزل على النبي ﷺ (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم - الى قوله - المصير) قام النبي ﷺ في المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي ﷺ لاستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية ، فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم فقال: والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه

الايمان لانه فكر وقدر أى تروى ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن ففكر ماذا يختلق من المقال (وقدر) أي تروى (فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر) دعاء عليه [ثم نظر] أي أعاد النظرة والتروي [ثم عبس] أي قبض بين عينيه وقطب [وبسر] أى كلح وكره ومنه قول توبة بن حمير

وقد رابني منها صدود رأيته   واعراضها عن حاجتي وبسورها

وقوله [ثم ادبر واستكبر] أى صرف عن الحق ورجع القهقرى مستكبرا عن الانقياد للقرآن [فقال ان هذا الا سحر يؤثر] أى هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم ولهذا قال [ان هذا الا قول البشر] أى ليس بكلام الله، وهذا المذكور في هذا السياق هو الوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش لعنه الله وكان من خبره في هذا مارواه العوفي عن ابن عباس قال دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن فلما أخبره خرج على قريش فقال ياعجبا لما يقول ابن أبي كبشة فوالله ماهو بشعر ولا بسحر ولا بهذى من الجنون وان قوله لمن كلام الله فلما

لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ومايعلى ثم انصرف إلى منزله، فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم، وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال لهم أبو جهل أنا أكفيكموه فانطلق فقعد إلى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالي أراك حزينا يا ابن أخي؟ قال وما يمنعني أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون أنك زينت كلام محمد وانك تدخل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة لتنال من فضل طعامهم، فغضب الوليد فقال ألم تعلم قريش أني من أكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل؟ ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخنق قط؟ قالوا اللهم لا، قال تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن؟ قالوا اللهم لا، قال تزعمون انه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط؟ قالوا اللهم لا، قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيء من الكذب؟ قالوا لا، وكان رسول الله ﷺ يسمى الامين قبل النبوة من صدقه، فقالت قريش للوليد فما هو؟ فتفكر في نفسه ثم نظر وعبس فقال ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر، فذلك قوله عز وجل إنه فكر في محمد والقرآن وقدر في نفسه ما ذا يمكنه أن يقول في محمد والقرآن ﴿فقتل﴾ لعن وقال الزهري عذب ﴿ كيف قدر ﴾ على طريق التعجب والانكار والتوبيخ ﴿ ثم قتل كيف قدر ﴾ كرره للتأكيد وقيل معناه لعن على أي حال قدر من الكلام كما يقال لاضربنه كيف صنع أي على أي حال صنع ﴿ ثم نظر ﴾ في طلب ما يدفع من القرآن ويرده ﴿ ثم عبس وبسر ﴾ كلح وقطب وجهه فنظر بكراهية شديدة كالمهتم المتفكر في شيء ﴿ ثم أدبر ﴾ عن الايمان ﴿ واستكبر ﴾ تكبر حين دعي اليه ﴿ فقال ان هذا ﴾ ما هذا الذي يقرأه محمد ﴿ الا سحر يؤثر ﴾ يروى ويحكى عن السحرة ﴿ ان هذا الا قول البشر ﴾ يعني يسارا وجبرا فهو يأثره عنهما وقيل يرويه عن مسيلمة صاحب اليمامة

سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا والله لئن صبأ الوليد لتصبوا قريش فلما سمع بذلك أبو جهل ابن هشام قال أنا والله أكفيكم شأنه فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال الوليد ألم تر الى قومك قد جمعوا لك الصدقة فقال ألست أكثرهم مالا وولدا ؟ فقال له أبو جهل يتحدثون أنك انما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه فقال الوليد أقد تحدث به عشيرتي فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة وما قوله الا سحر يؤثر فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم [ذرني ومن خلقت وحيدا — الى قوله — لا تبقي ولا تذر]

وقال قتادة : زعموا انه قال والله لقد نظرت فيما قال الرجل فاذا هو ليس بشعر وان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وانه ليعلو وما يعلى عليه وما أشك أنه سحر فأنزل الله (فقتل كيف قدر) الآية (ثم عبس وبسر) قبض ما بين عينيه وكلح

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عباد بن منصور عن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل ابن هشام فأتاه فقال أي عم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا قال لم؟ قال يعطونكه فانك أتيت محمداً تعرض لما قبله ،قال قد علمت قريش أني أكثرها مالا ، قال فقل فيه قولا يعلم قومك انك منكر لما قال وأنك كاره له ، قال فماذا أقول فيه ؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالاشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله مايشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله ان لقول الذي يقوله لحلاوة ، وانه ليحطم ما تحته وانه ليعلو وما يعلى ، قال والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه ، قال فدعني حتى أتفكر فيه ، فلما فكر قال :إن هذا الا سحر يؤثره عن غيره فنزلت (ذرني ومن خلقت وحيدا - حتى بلغ - تسعة عشر) وقد ذكر محمد بن اسحاق وغير واحد نحوا من هذا

وقد زعم السدي انهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه فقال قائلون شاعر وقال آخرون ساحر وقال آخرون كاهن وقال آخرون مجنون كما قال تعالى [انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا] كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه ففكر وقدر ونظر وعبس وبسر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ان هذا إلا قول البشر قال الله تعالى (سأصليه سقر) أي سأغمره فيها من جميع جهاته

ثم قال تعالى (وما أدراك ما سقر) وهذا تهويل لأمرها وتفخيم ، ثم فسر ذلك بقوله تعالى (لا تبقي ولا تذر) أي تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ثم تبدل غير ذلك وهم في ذلك لايموتون ولا يحيون، قاله ابن بريدة وأبو سنان وغيرهما

قال الله تعالى ﴿ سأصليه ﴾ سأدخله ﴿ سقر ﴾ وسقر اسم من اسماء جهنم ﴿ وما أدراك ماسقر * لا تبقي ولا تذر ﴾ أى لا تبقي ولا تذر فيها شيئا الا أكلته وأهلكته وقال مجاهد لا تميت ولا تحيي

وقوله تعالى (لواحة للبشر) قال مجاهد أي للجلد . وقال ابو رزين : تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل ، وقال زيد بن أسلم : تلوح أجسادهم عليها . وقال قتادة [لواحة للبشر] اي حراقة للجلد وقال ابن عباس : تحرق بشرة الانسان . وقوله تعالى [عليها تسعة عشر] أي من مقدمي الزبانية عظيم خلقهم غليظ خلقهم

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا ابن أبي زائدة أخبرني حارث عن عامر عن البراء في قوله تعالى (عليها تسعة عشر) قال ان رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ عن خزنة جهنم فقال الله ورسوله أعلم فجاء رجل فأخبر النبي ﷺ فأنزل الله تعالى عليه ساعتئذ (عليها تسعة عشر) فأخبر أصحابه وقال « ادعهم أما اني سائلهم عن تربة الجنة ان أتوني أما انها كأنها دورمكة بيضاء » فجاؤه فسألوه عن خزنة جهنم فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الابهام في الثانية ثم قال « أخبروني عن تربة الجنة » فقالوا أخبرهم يا ابن سلام فقال كأنها خبزة بيضاء ، فقال رسول الله ﷺ « أما ان الخبز انما يكون من الدرمك » هكذا وقع عند ابن أبي حاتم عن البراء ، والمشهور عن جابر بن عبدالله كما قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا منده حدثنا أحمد بن عبيدة أخبرنا سفيان ويحيى بن حكيم حدثنا سفيان عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله [رض] قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يا محمد غلب أصحابك اليوم فقال « بأي شيء ؟ » قال سألتهم يهود هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار قالوا لانعلم حتى نسأل نبينا ﷺ قال رسول الله ﷺ « افغلب قوم يسئلون عما لايعلمون فقالوا لانعلم ؟ علي بأعداء الله لكنهم قد سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة » فأرسل اليهم فدعاهم قالوا يا أبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار ؟ قال « هكذا » وطبق

يعني لا تبقي من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا ، وقال السدي لاتبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما ، وقال الضحاك إذا أخذت فيهم لم تبق منهم شيئا وإذا أعيدوا لم تذرهم حتى تفنيهم ولكل شيء ملالة وفترة إلا جهنم ﴿ لواحة للبشر ﴾ مغيرة للجلد حتى تجعله أسود يقال لاحه السقم والحزن إذا غيره ، قال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه أشد سواداً من الليل ، وقال ابن عباس وزيد بن أسلم محرقة للجلد ، وقال الحسن وابن كيسان تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا نظيره قوله [وبرزت الجحيم للغاوين] ولواحة رفع على نعت سقر في قوله [وما أدراك ما سقر] والبشر جمع بشرة وجمع البشر أبشار ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ أى على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر وجاء في الاثر أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرحمة يرفع أحدهم سبعين الفا فيرميهم حيث أراد من جهنم ، قال عمرو ابن دينار إن واحدا منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر

قال ابن عباس وقتادة والضحاك لما نزلت هذه الآية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع

كفيه ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة وقال لأصحابه « ان سئلتم عن تربة الجنة فهي الدرمك »
فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار قال لهم رسول الله ﷺ « ماتربة الجنة » فنظر بعضهم الى
بعض فقالوا خبزة ياأبا القاسم فقال « الخبز من الدرمك » وهكذا رواه الترمذي عندهذه الآية عن
ابن أبي عمر عن شيبان به وقال هو والبزار لا يعرف إلا من حديث مجالد وقد رواه الامام أحمد عن علي بن
المديني عن سفيان بنقصه الدرمك فقط

وما جعلنا أصحٰبَ النار إلا ملٰئكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن
الذين أوتوا الكتٰبَ ويزداد الذين آمنوا إيمٰناً ولا يرتاب الذين أوتوا الكتٰبَ والمؤمنون
وليقول الذين في قلوبهم مرض والكٰفرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ؟ كذلك يُضل الله من
يشاء ويهدي من يشاء ، وما يعلم جنود ربك إلا هو وماهي إلا ذكرى للبشر (٣١) كلا والقمر
(٣٢) والليل إذ أدبر (٣٣) والصبح إذا أسفر (٣٤) انها لإحدى الكُبر (٣٥) نذيراً للبشر (٣٦)
لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر (٣٧)

يقول تعالى [وما جعلنا أصحاب النار] أي خزانها [إلا ملائكة] أي زبانية غلاظا شدادا
وذلك رد على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة فقال أبو جهل يامعشر قريش أما يستطيع كل
عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم ؟ فقال الله تعالى [وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة] أي شديدي
الخلق لا يقاومون ولا يغالبون، وقد قيل إن أبا الاشدين واسمه كلدة بن أسيد بن خلف قال يامعشر
قريش اكفوني منهم اثنين وانا اكفيكم منهم سبعة عشر اعجابا منه بنفسه ،وكان قد بلغ من القوة فيما
يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح
عنه قال السهيلي وهو الذى دعا رسول الله ﷺ الى مصارعته وقال ان صرعتني آمنت بك فصرعه
النبي ﷺ مرارا فلم يؤمن، قال وقد نسب ابن اسحاق خبر المصارعة الى ركانة بن عبد يزيد بن هاشم
ابن المطلب قلت ولا منافاة بين ماذكراه والله أعلم

ابن أبي كبشة يخبر ان خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم أى الشجعان أفيعجز كل عشرة منكم أن
يبطشوا بواحد من خزنة جهنم ، قال أبو الأشدين كلدة بن خلف الجمحي انا اكفيكم منهم سبعة
عشر على ظهرى وسبعة على بطني فاكفوني أنتم اثنين ، وروي انه قال أنا امشي بين أيديكم
على الصراط فأرفع عشرة بمنكبي الايمن وتسعة بمنكبي الايسر في النار ونمضي فندخل الجنة
فأنزل الله عز وجل ﴿ وماجعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ﴾ لا رجالا آدميين فمن ذا يغلب الملائكة ؟

وقوله تعالى [وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا] أى انما ذكرنا عدتهم انهم تسعة عشر اختبارا منا للناس [ليستيقن الذين أوتوا الكتاب] أى يعلمون أن هذا الرسول حق فانه نطق بمطابقة مابأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الانبياء قبله

وقوله تعالى [ويزداد الذين آمنوا ايمانا] أى الى إيمانهم بما يشهدون من صدق أخبار نبيهم محمد ﷺ [ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض] أى من المنافقين [والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا] أى يقولون ما الحكمة في ذكر هذا ههنا

قال الله تعالى [كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء] أى من مثل هذا واشباهه يتأكد الايمان في قلوب أقوام ويتزلزل عند آخرين وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة

وقوله تعالى [وما يعلم جنود ربك إلا هو] أى مايعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى لئلايتوهم متوهم انهم تسعة عشر فقط كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم من الملتين الذين سمعوا هذه الآية فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة التي اخترعوا دعواها وعجزوا عن اقامة الدلالة على مقتضاها فافهموا صدر هذه الآية وقد كفروا بآخرها وهو قوله (وما يعلم جنود ربك إلا هو) وقد ثبت في حديث الاسراء المروي في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال في صفة البيت المعمور الذى في السماء السابعة «فاذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون اليه آخر ماعليهم»

وقال الامام أحمد حدثنا أسود حدثنا اسرائيل عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ «إني أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط مافيها موضع اربع أصابع إلا عليه ملك ساجد لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولا تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى» فقال أبو ذر والله لوددت

﴿ وما جعلنا عدتهم ﴾ أي عددهم في القلة ﴿ إلا فتنة للذين كفروا ﴾ أي ضلالة لهم حتى قالوا ما قالوا ﴿ ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ﴾ لانه مكتوب في التوراة والانجيل انهم تسعة عشر ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيمانا ﴾ يعني من آمن من اهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد ﷺ إذا وجدوا ماقاله موافقا لما في كتبهم ﴿ ولا يرتاب ﴾ لايشك ﴿ الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ﴾ في عددهم ﴿ وليقول الذين في قلوبهم مرض ﴾ شك ونفاق ﴿ والكافرون ﴾ مشركو مكة ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ أي شيء أراد بهذا الحديث وأراد بالمثل الحديث نفسه ﴿كذلك﴾ أي كما أضل الله من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق كذلك ﴿ يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو ﴾ قال مقاتل

الي شجرة تعضد، ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث اسرائيل وقال الترمذى حديث حسن غريب ويروى عن أبي ذر موقوفا

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا حسين بن عرفة المصرى حدثنا عروة بن مروان الرقي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم بن مالك عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « مافي السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع فاذا كان يوم القيامة قالوا جميعا سبحانك ماعبدناك حق عبادتك إلا انا لم نشرك بك شيئا »

وقال محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة حدثنا عمرو بن زرارة أخبرنا عبد الوهاب عن عطاء عن سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه اذ قال لهم « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا مانسمع من شيء فقال رسول الله ﷺ « أسمع أطيط السماء وما تلام ان تئط، مافيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو ساجد »

وقال أيضا حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاذ حدثنا أبو معاذ الفضل بن خالد النحوي حدثنا عبيد بن سليمان الباهلي سمعت الضحاك بن مزاحم يحدث عن مسروق بن الاجدع عن عائشة أنها قالت قال رسول الله ﷺ « ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم » وذلك قول الملائكة (وما منا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون) وهذا مرفوع غريب جداً ثم رواه عن محمد بن آدم عن أبي معاوية عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود أنه قال : ان من السموات سماء مافيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماه قائما ثم قرأ (وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون)

ثم قال حدثنا أحمد بن سيار حدثنا أبو جعفر محمد بن خالد الدمشقي المعروف بابن أمه حدثنا المغيرة بن عمر بن عطية من بني عمرو بن عوف حدثني سليمان بن أيوب عن سالم بن عوف حدثني عطاء بن زيد بن مسعود من بني الحبلى حدثني سليمان بن عمرو بن الربيع من بني سالم حدثني عبد الرحمن بن العلاء من بني ساعدة عن أبيه العلاء بن سعد وقد شهد الفتح وما بعده أن النبي ﷺ قال يوما لجلسائه « هل تسمعون ماأسمع ؟ » قالوا وما تسمع يارسول الله ؟ قال « أطت السماء وحق لها أن تئط انه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم او راكع او ساجد وقالت الملائكة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون » وهذا اسناد غريب جداً

ثم قال حدثنا اسحاق بن محمد بن اسماعيل الفروي حدثنا عبد الملك بن قدامة عن عبد الرحمن

هذا جواب أبي جهل حين قال أما لمحمد أعوان الا تسعة عشر . قال عطاء وما يعلم جنود ربك إلا هو يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار لا يعلم عدتهم الا الله، والمعنى ان تسعة عشر هم خزنة

ابن عبد الله بن دينار عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن عمر جاء والصلاة قائمة ونفر ثلاثة جلوس أحدهم ابو جحش الليثي فقال قوموا فصلوا مع رسول الله ﷺ فقام اثنان وأبى ابو جحش ان يقوم وقال لا أقوم حتى يأتي رجل هو أقوى مني ذراعين وأشد مني بطشا فيصرعني ثم يدس وجهي في التراب قال عمر فصرعته ودسست وجهه في التراب فأتى عثمان بن عفان فحجزني عنه فخرج عمر مغضبا حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال « ما رابك يا أبا حفص ؟ » فذكر له ما كان منه فقال رسول الله ﷺ « ان رضى عمر رحمه الله على ذلك لوددت انك جئتني برأس الخبيث » فقام عمر فوجه نحوه فلما أبعد ناداه فقال « اجلس حتى أخبرك بغناء الرب تبارك وتعالى عن صلاة أبي جحش ان لله تعالى في السماء الدنيا ملائكة خشوع لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة، فاذا قامت رفعوا رءوسهم ثم قالوا ربنا ما عبدناك حق عبادتك ، وإن لله في السماء الثانية ملائكة سجود لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة فاذا قامت الساعة رفعوا رءوسهم وقالوا سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك » فقال له عمر وما يقولون يا رسول الله ؟ فقال « أما أهل السماء الدنيا فيقولون سبحان ذي الملك والملكوت ، وأما أهل السماء الثانية فيقولون سبحان ذي العزة والجبروت ، وأما أهل السماء الثالثة فيقولون سبحان الحي الذي لا يموت ، فقلها يا عمر في صلاتك » فقال عمر يا رسول الله فكيف بالذي كنت علمتني وأمرتني ان أقوله في صلاتي ؟ فقال « قل هذا مرة وهذا مرة » وكان الذي أمره به أن يقوله « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك جل وجهك » هذا حديث غريب جداً بل منكر نكارة شديدة واسحاق الفروي روى عنه البخاري ، وذكره ابن حبان في الثقاة وضعفه ابو داود والنسائي والعقيلي والدار قطني. وقال ابو حاتم الرازي كان صدوقا إلا انه ذهب بصره فربما لقن وكتبه صحيحة ، وقال مرة هو مضطرب وشيخه عبد الملك بن قدامة ابو قتادة الجمحي تكلم فيه أيضاً، والعجب من الامام محمد بن نصر كيف رواه ولم يتكلم عليه ، ولا عرف بحاله، ولا تعرض لضعف بعض رجاله غير انه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسلا بنحوه ، ومن طريق أخرى عن الحسن البصري مرسلا قريبا منه

ثم قال محمد بن نصر حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاذ أخبرنا عباد بن منصور قال سمعت عيسى ابن ارطاة وهو يخطبنا على منبر المدائن قال سمعت رجلا من أصحاب النبي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال « إن لله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلي وان منهم ملائكة سجوداً منذ خلق الله السموات والارض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، وان منهم ملائكة ركوعا لم يرفعوا رءوسهم منذ خلق الله السموات والارض ولا يرفعونها الى يوم القيامة فاذا رفعوا رءوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » وهذا اسناد لا بأس به

النار ولهم من الاعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمهم إلا الله عز وجل . ثم رجع إلى ذكر سقر فقال

وقوله تعالى (وما هي إلا ذكرى للبشر) قال مجاهد وغير واحد (وما هي) أي النار التي وصفت (إلا ذكرى للبشر) ثم قال تعالى (كلا والقمر * والليل اذ أدبر) أي ولى (والصبح اذا أسفر) أي أشرق (انها لاحدى الكبر) أي العظائم يعني النار. قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد من السلف (نذيراً للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) أي لمن شاء أن يقبل النذارة ويهتدي للحق أو يتأخر عنها ويولي ويردها

كلُّ نفس بما كسبت رهينةٌ (٣٨) الا أصحٰبَ اليمين (٣٩) في جنٰت يتساءلون (٤٠)

عن المجرمين (٤١) ماسلككم في سقر؟ (٤٢) قالوا لم نكُ من المصلين (٤٣) ولم نكُ نطعم

المسكين (٤٤) وكنا نخوض مع الخائضين (٤٥) وكنا نُكذب بيوم الدين (٤٦) حتى أتٰنا

اليقين (٤٧) فما تنفعهم شفٰعة الشٰفعين (٤٨) فما لهم عن التذكرة معرضين؟ (٤٩) كأنهم حُمُرٌ

مستنفرة (٥٠) فرّت من قسورة (٥١) بل يريد كل امريءٍ منهم أن يؤتى صُحفا منشّرة (٥٢)

كلا بل لا يخافون الآخرة (٥٣) كلا إنه تذكرة (٥٤) فمن شاء ذكره (٥٥) وما يذكرون الا

﴿وما هي﴾ يعني النار ﴿إلا ذكرى للبشر﴾ إلا تذكرة وموعظة للناس ﴿كلا والقمر﴾ هذا قسم يقول حقا ﴿والليل إذ أدبر﴾ قرأ نافع وحمزة وحفص ويعقوب إذ بغير ألف أدبر بالالف وقرأ الآخرون إذا بالالف دبر بلا الف لانه أشد موافقة لما يليه وهو قوله (والصبح اذا أسفر) ولانه ليس في القرآن قسم بجيبه اذ وانما يجيب الاقسام اذا وكلاهما لغة يقال دبر الليل وأدبر اذا ولى ذاهبا، قال أبو عمرو دبر لغة قريش وقال قطرب دبر أي أقبل تقول العرب دبرني فلان أي جاء خلفي فالليل يأتي خلف النهار ﴿والصبح اذا أسفر﴾ أضاء وتبين ﴿انها لاحدى الكبر﴾ يعني ان سقر لاحدى الامور العظام وواحد الكبر كبرى قال مقاتل والكلبي أراد بالكبر دركات جهنم وهي سبعة: جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية ﴿نذيرا للبشر﴾ يعني النار نذير للبشر قال الحسن والله ما أنذر الله شيء أدهى منها، وهو نصب على القطع من قوله لاحدى الكبر لانها معرفة ونذيرا نكرة قال الخليل النذير مصدر كالنكير ولذلك وصف به المؤنث وقيل هو من صفة الله سبحانه وتعالى مجازه وماجعلنا أصحاب النار إلا ملائكة نذيرا للبشر أي انذارا لهم قال ابو رزين يقول أنا لكم منها نذير فاتقوها وقيل هو صفة لمحمد ﷺ معناه ياأيها المدثر قم نذيرا للبشر فانذر وهذا معنى قول ابن زيد ﴿لمن شاء﴾ بدل من قوله للبشر ﴿منكم أن يتقدم﴾ في الخير والطاعة ﴿أو يتأخر﴾ عنها في الشر والمعصية والمعنى أن الانذار قد حصل لكل واحد ممن آمن او كفر ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ مرتهنة في النار

أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة (٥٦)

يقول تعالى مخبراً ان (كل نفس بما كسبت رهينة) اي معتقلة بعملها يوم القيامة قاله ابن عباس وغيره (الا أصحاب اليمين) فانهم (في جنات يتساءلون عن المجرمين) أى يسألون المجرمين وهم في الغرفات وأولئك في الدركات قائلين لهم (ماسلككم في سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين) اى ماعبدنا ربنا ولا احسنا إلى خلقه من جنسنا (وكنا نخوض مع الخائضين) أى نتكلم فيما لا نعلم وقال قتادة : كلما غوى غاو غوينا معه [وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين] يعني الموت كقوله تعالى [واعبد ربك حتى يأتيك اليقين] وقال رسول الله ﷺ « أما هو - يعني عثمان بن مظعون - فقد جاءه اليقين من ربه » قال الله تعالى [فما تنفعهم شفاعة الشافعين] اي من كان متصفا بمثل هذه الصفات فانه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه لان الشفاعة انما تنجع اذا كان المحل قابلا فأما من وافى الله كافرا يوم القيامة فانه له النار لامحالة خالدا فيها

بكسبها مأخوذة بعملها ﴿ إلا أصحاب اليمين ﴾ فانهم لايرتهنون بذنوبهم في النار ولكن يغفرها الله لهم قال قتادة غلق الناس كلهم إلا أصحاب اليمين، واختلفوا فيهم روي عن علي رضي الله عنه انهم أطفال المسلمين ، وروى ابو ظبيان عن ابن عباس هم الملائكة وقال مقاتل هم أصحاب الجنة الذين كانوا عن يمين آدم يوم الميثاق حين قال الله لهم هؤلا في الجنة ولا أبالي ، وعنه أيضا هم الذين أعطوا كتبهم بايمانهم ، وعنه أيضا هم الذين كانوا ميامين على أنفسهم وقال الحسن هم المسلمون المخلصون ، وقال القاسم كل نفس مأخوذة بكسبها من خير أو شر إلا من اعتمد على الفضل وكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به ومن اعتمد على الفضل فهو غير مأخوذ به ﴿ في جنات يتساءلون عن المجرمين ﴾ المشركين ﴿ ماسلككم ﴾ أدخلكم ﴿ في سقر؟ ﴾ فاجابوا و﴿ قالوا لم نك من المصلين ﴾ لله ﴿ ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض ﴾ في الباطل ﴿ مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين ﴾ وهو الموت قال الله عز وجل ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ قال ابن مسعود يشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى في النار إلا أربعة ثم تلا (قالوا لم نك من المصلين - إلى قوله - يوم الدين) قال عمران بن الحصين الشفاعة نافعة لكل واحد دون هؤلاء الذين تسمعون

أخبرنا احمد بن عبدالله الصالحي أنا احمد بن الحسين الحيري أنا حاجب بن احمد الطوسي ثنا محمد بن حماد ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن يزيد الرقاشي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « يصف أهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يافلان قال فيقول ماتريد ؟ فيقول اما تذكر رجلا سقاك شربة ماء يوم كذا وكذا ؟ قال فيقول وانك لأنت هو؟ فيقول نعم

ثم قال تعالى [فما لهم عن التذكرة معرضين؟] أي فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك عما تدعوهم اليه وتذكرهم به معرضين [كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة] أى كأنهم في نفارهم عن الحق وإعراضهم عنه حمر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد، قاله أبو هريرة وابن عباس في رواية عنه وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن، أو رام وهو رواية عن ابن عباس وهو قول الجمهور

وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن ماهان عن ابن عباس الاسد بالعربية ويقال له بالحبشية قسورة وبالفارسية شير وبالنبطية أوبا

وقوله تعالى [بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفا منشرة] اي بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب كما أنزل الله على النبي ﷺ قاله مجاهد وغيره كقوله تعالى [وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله، الله اعلم حيث يجعل رسالته] وفي رواية عن قتادة يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل فقوله تعالى [كلا بل لا يخافون الآخرة] اى انما افسدهم عدم ايمانهم بها وتكذيبهم بوقوعها

فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول يافلان فيقول ماتريد فيقول اما تذكر رجلا وهب لك وضوء يوم كذا وكذا؟ فيقول انك لأنت هو؟ فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه» ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ عن مواعظ القرآن معرضين نصب على الحال، وقيل صاروا معرضين ﴿كأنهم حمر﴾ جمع حمار ﴿مستنفرة﴾ قرأ اهل المدينة والشام بفتح الفاء، وقرأ الباقون بكسرها فمن قرأ بالفتح فمعناها منفرة مذعورة، ومن قرأ بالكسر فمعناها نافرة يقال نفر واستنفر بمعنى واحد كما يقال عجب واستعجب ﴿فرت من قسورة﴾ قال مجاهد وقتادة والضحاك القسورة جماعة الرماة لا واحد لها من لفظها وهي رواية عطاء عن ابن عباس

وقال سعيد بن جبير هم القناص وهي رواية عطية عن ابن عباس، وقال زيد بن أسلم من رجال أقوياء، وكل ضخم شديد عند العرب قسور وقسورة، وعن ابي المتوكل قال هي لغط القوم وأصواتهم وروى عكرمة عن ابن عباس قال هي حبال الصيادين، وقال ابو هريرة هي الاسد وهو قول عطاء والكلبي وذلك أن الحمر الوحشية إذا عاينت الاسد هربت كذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبي ﷺ يقرأ القرآن هربوا منه قال عكرمة هي ظلمة الليل ويقال سواد أول الليل قسورة ﴿بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفا منشرة﴾ قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لرسول الله ﷺ ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله انك لرسوله نؤمر فيه باتباعك قال الكلبي ان المشركين قالوا يامحمد بلغنا ان الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوبة عند رأسه ذنبه وكفارته فائتنا بمثل ذلك، والصحف الكتب وهى جمع الصحيفة ومنشرة منشورة فقال الله تعالى ﴿كلا﴾ لا يؤتون الصحف وقيل حقا وكل ماورد عليك منه فهذا وجهه ﴿بل لا يخافون الآخرة﴾ أي لا يخافون عذاب

ثم قال تعالى (كلا انه تذكره) أى حقا ان القرآن تذكرة [فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا ان يشاء الله] كقوله [وما يشاءون الا ان يشاء الله]

وقوله تعالى [هو أهل التقوى وأهل المغفرة] اى هو اهل ان يخاف منه وهو اهل ان يغفر ذنب من تاب اليه وأناب . قاله قتادة

وقال الامام احمد حدثنا زيد بن الحباب اخبرني سهيل اخو حزمة حدثنا ثابت البناني عن انس ابن مالك رضي الله عنه قال قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية [هو اهل التقوى وأهل المغفرة] وقال « قال ربكم انا اهل ان أتقى فلا يجعل معي إله فمن اتقى ان يجعل معي إلها كان اهلا ان اغفر له » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب والنسائي من حديث المعافي بن عمران كلاهما عن سهيل بن عبد الله القطعي به ، وقال الترمذى حسن غريب وسهيل ليس بالقوي ورواه ابن ابي حاتم عن ابيه عن هدبة بن خالد عن سهيل به ، وهكذا رواه ابو يعلى والبزار والبغوي وغيرهم من حديث سهيل القطعي به

﴿ آخر تفسير سورة المدثر ولله الحمد والمنة ﴾

الآخرة ، والمعنى أنهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الادلة ﴿ كلا ﴾ حقا ﴿ انه ﴾ يعني القرآن ﴿ تذكرة ﴾ موعظة ﴿ فمن شاء ذكره ﴾ اتعظ به ﴿ وما يذكرون ﴾ قرأ نافع ويعقوب تذكرون بالتاء والآخرون بالياء ﴿ إلا أن يشاء الله ﴾ قال مقاتل إلا أن يشاء الله لهم الهدى ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ أي أهل ان تتقى محارمه وأهل أن يغفر لمن اتقاه

أخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أنا ابن فنجويه ثنا عمر بن الخطاب ثنا عبد الله بن الفضل ثنا هدبة بن خالد ثنا سهيل بن أبي حزم عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال في هذه الآية (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) قال « قال ربكم عز وجل انا أهل أن أتقى ولا يشرك بي غيري وأنا أهل لمن اتقى ان يشرك بي ان اغفر له » وسهيل هو ابن عبد الرحمن القطعى أخو حزم القطعي

تفسير سورة القيامة وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أُقسم بيوم القيامة (١) ولا اقسم بالنفس اللوّامة (٢) أيحسب الانسٰن ألّن نجمع عظامه (٣) بلى قٰدرين على ان نُسويَ بنانه (٤) بل يريد الانسٰن ليفجر أمامه (٥) يسئل أيان يومُ القيٰمة (٦) فاذا برِق البصر (٧) وخسَفَ القمر (٨) وجُمع الشمس والقمر (٩) يقول الانسٰن يومئذ أين المفرّ ؟ (١٠) كلا لا وَزَرَ (١١) الى ربك يومئذ المستقر (١٢) يُنبّؤُ الانسٰن يومئذ بما قدّم وأخّر (١٣) بل الانسٰن على نفسه بصيرةٌ (١٤) ولو ألقى معاذيره (١٥)

قد تقدم غير مرة أن المقسم عليه اذا كان منتفيا جاز الاتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفي ، والمقسم عليه ههنا هو اثبات المعاد والرد على مايزعمه الجهلة من العباد ، من عدم بعث الاجساد ، ولهذا قال تعالى (لا أقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة) قال الحسن اقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة ، وقال قتادة بل أقسم بهما جميعا ، هكذا حكاه ابن أبي حاتم

وقد حكى ابن جرير عن الحسن والأعرج انهما قرآ (لأقسم بيوم القيامة) وهذا يوجه قول الحسن لانه أثبت القسم بيوم القيامة ونفى القسم بالنفس اللوامة ، والصحيح انه أقسم بهما جميعا معا كما قاله قتادة رحمه الله وهو المروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير واختاره ابن جرير ، فأما يوم القيامة فمعروف وأما النفس اللوامة فقال قرة بن خالد عن الحسن البصري في هذه الآية أن المؤمن والله مانراه

﴿ سورة القيامة مكية وهي أربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ قرأ القواس عن ابن كثير لأقسم الحرف الاول بلا ألف قبل الهمزة ﴿ ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ بالالف وكذلك قرأ عبد الرحمن الاعرج على معنى انه أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة ، والصحيح انه أقسم بهما جميعا ولا صلة فيهما أي أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة وقال ابو بكر بن عياش هو تأكيد للقسم كقولك لا والله ، وقال الفراء لا رد لكلام المشركين المنكرين ثم ابتدأ فقال أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة وقال المغيرة بن شعبة يقولون القيامة وقيامة أحدهم موته ، وشهد علقمة جنازة فلما دفنت قال أما هذا فقد قامت قيامته [ولا أقسم بالنفس

إلا يلوم نفسه: ماأردت بكلمتي ، ما أردت بأكلتي ، ما أردت بحديث نفسي . وان الفاجر يمضي قدما قدما مايعاتب نفسه ، وقال جويبر بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال ليس أحد من أهل السموات والارضين إلا يلوم نفسه يوم القيامة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدالله بن صالح عن مسلم عن اسرائيل عن سماك انه سأل عكرمة عن قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال يلوم على الخير والشر لو فعلت كذا وكذا ، ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن اسرائيل به

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم عن سعيد ابن جبير في قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال تلوم على الخير والشر ، ثم رواه من وجه آخر عن سعيد انه سأل ابن عباس عن ذلك فقال هي النفس اللؤم ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد تندم على مافات وتلوم عليه ، وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس اللوامة المذمومة ، وقال قتادة (اللوامة) الفاجرة ، قال ابن جرير وكل هذه الاقوال متقاربة المعنى والاشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على مافات

وقوله تعالى (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ؟) أي يوم القيامة أيظن انا لانقدر على اعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة (بلى قادرين على أن نسوي بنانه) قال سعيد بن جبير والعوفي عن

اللوامة] قال سعيد بن جبير وعكرمة تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء قال قتادة اللوامة الفاجرة قال مجاهد تندم على ما فات وتقول لو فعلت ولو لم أفعل ، قال الفراء ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها ان كانت عملت خيراً قالت هلا ازددت وان عملت شرا قالت ليتني لم افعل ، قال الحسن هي النفس المؤمنة ، قال ان المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه : ما أردت بكلامي ، ما اردت بأكلتي ، وان الفاجر يمضي قدما لايحاسب نفسه ولا يعاتبها ، قال مقاتل هي النفس الكافرة تلوم نفسها في الآخرة على ما فرطت في أمر الله في الدنيا ﴿ أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ﴾ نزلت في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة ختن الاخنس بن شريق الثقفي وكان النبي ﷺ يقول « اللهم اكفني جاري السوء » يعني عديا والاخنس وذلك ان عدي بن ربيعة أتى النبي ﷺ فقال يامحمد حدثني عن القيامة متى تكون وكيف حالها وأمرها ؟ فأخبره النبي ﷺ فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أومن بك أو يجمع الله العظام فأنزل الله عز وجل [أيحسب الانسان] يعني الكافر [أن لن نجمع عظامه] بعد التفرق والبلى فنحييه قيل ذكر العظام واراد نفسه لان العظام قالب النفس لا يستوي الخلق إلا باستوائها ، وقيل هو خارج عن قول المنكر أو يجمع الله العظام كقوله [قال من يحيي العظام وهي رميم] ﴿ بلى قادرين ﴾ أي نقدر استقبال صرف الى الحال قال الفراء قادرين نصب على الخروج

ابن عباس ان نجعله خفا أو حافراً ، وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وابن جرير
ووجهه ابن جرير بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا ، والظاهر من الآية ان قوله تعالى (قادرين)
حال من قوله تعالى (نجمع) أي أيظن الانسان انا لانجمع عظامه بلى سنجمعها قادرين على أن نسوي
بنانه أي قدرتنا صالحة لجمعها ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان فنجعل بنانه وهي أطراف أصابعه مستوية
وهذا معنى قول ابن قتيبة والزجاج

وقوله (بل يريد الانسان ليفجر أمامه) قال سعيد عن ابن عباس يعني يمضي قدما ، وقال العوفي
عن ابن عباس (ليفجر أمامه) يعني الامل يقول الانسان أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة ، ويقال هو
الكفر بالحق بين يدي القيامة

وقال مجاهد (ليفجر أمامه) ليمضي أمامه راكبا رأسه ، وقال الحسن لايلفى ابن آدم الا تنزع
نفسه إلى معصية الله قدما قدما إلا من عصمه الله تعالى ، وروي عن عكرمه وسعيد بن جبير والضحاك
والسدي وغير واحد من السلف هو الذي يعجل الذنوب ويسوف التوبة ، وقال علي بن أبي طلحة
عن ابن عباس هو الكافر يكذب بيوم الحساب ، وكذا قال ابن زيد وهذا هو الاظهر من المراد
ولهذا قال بعده (يسأل أيان يوم القيامة ؟) اي يقول متى يكون يوم القيامة وانما سؤاله سؤال استبعاد
لوقوعه وتكذيب لوجوده كما قال تعالى [ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل لكم ميعاد
يوم لاتستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون]

من نجمع كما تقول في الكلام أتحسب أن لا نقدر عليك بلى قادرين على أقوى منك يريد بلى نقوى
قادرين على أكثر من ذا ، مجاز الآية بلى نقدر على جمع عظامه وعلى ماهو أعظم من ذلك وهو ﴿على أن
نسوي بنانه ﴾ أنامله فنجعل اصابع يديه ورجليه شيئا واحداً كخف البعير وحافر الحمار فلا يرتفق بها
بالقبض والبسط والاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرها هذا قول أكثر المفسرين

وقال الزجاج وابن قتيبة معناه ظن الكافر انا لا نقدر على جمع عظامه بلى نقدر على ان نعيد
السلاميات على صغرها فنؤلف بينها حتى نسوي البنان ، فمن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع
كبارها اقدر ﴿ بل يريد الانسان ليفجر أمامه ﴾ يقول لا يجهل ابن آدم ان ربه قادر على جمع عظامه
لكنه يريد ان يفجر أمامه أن يمضي قدما في معاصي الله ماعاش راكبا رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب
هذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي وقال سعيد بن جبير ليفجر أمامه يقدم على الذنب ويؤخر
التوبة فيقول سوف أتوب سوف اعمل حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله ، وقال الضحاك
هو الامل يقول أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت ، وقال ابن عباس وابن زيد
يكذب بما أمامه من البعث والحساب وأصل الفجور الميل ، وسمي الفاسق والكافر فاجرا لميله عن الحق
﴿ يسأل أيان يوم القيامة ﴾ أي متى يكون ذلك ؟ تكذيبا

وقال تعالى ههنا (فاذا برق البصر) قرأ ابو عمرو بن العلاء برق بكسر الراء أي حار وهذا الذي قاله شبيه بقوله تعالى [لا يرتد اليهم طرفهم] أي بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا لا يستقر لهم بصر على شيء من شدة الرعب ، وقرأ آخرون برق بالفتح وهو قريب في المعنى من الاول. والمقصود أن الابصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحار وتذل من شدة الاهوال ومن عظم ماتشاهده يوم القيامة من الامور . وقوله تعالى (وخسف القمر) اي ذهب ضوؤه (وجمع الشمس والقمر) قال مجاهد كورا ، وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية [اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت] وروي عن ابن مسعود انه قرأ [وجمع بين الشمس والقمر]

وقوله تعالى (يقول الانسان يومئذ أين المفر) اى اذا عاين ابن آدم هذه الاهوال يوم القيامة حينئذ يريد أن يفر ويقول أين المفر اي هل من ملجأ او موئل قال الله تعالى (كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر) قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف اي لا نجاة وهذه الآية كقوله تعالى [مالكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير] أي ليس لكم مكان تتنكرون فيه ، وكذا قال ههنا (لا وزر) أي ليس لكم مكان تعتصمون فيه ولهذا قال (إلى ربك يومئذ المستقر) أي المرجع والمصير

ثم قال تعالى (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) اي يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها ، أولها وآخرها ، صغيرها وكبيرها كما قال تعالى [ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً] وهكذا قال

قال الله تعالى ﴿ فاذا برق البصر ﴾ قرأ أهل المدينة برق بفتح الراء وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان قال قتادة ومقاتل شخص البصر فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا ، قبل ذلك عند الموت وقال الكلبي عند رؤية جهنم تبرق أبصار الكفار وقال الفراء والخليل برق بالكسر أي فزع وتحير لما يرى من العجائب وبرق بالفتح أي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ ﴿ وخسف القمر ﴾ أظلم وذهب نوره وضوؤه ﴿ وجمع الشمس والقمر ﴾ أي صارا أسودين مكورين كانهما ثوران عقيران ، وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضياء وقال عطاء بن يسار يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر وهذا من آيات الله الكبرى وقيل يجمعان ثم يقذفان في النار وقيل يجمعان فيطلعان من المغرب ﴿ يقول الانسان ﴾ أي الكافر المكذب ﴿ يومئذ أين المفر ﴾ اي المهرب وهو موضع الفرار وقيل هو مصدر أي أين الفرار

قال الله تعالى ﴿ كلا لا وزر ﴾ لا حصن ولا حرز ولا ملجأ وقال السدي لا جبل وكانوا اذا فزعوا لجأوا إلى الجبل فتحصنوا به وقال تعالى لا جبل يومئذ يمنعهم ﴿ الى ربك يومئذ المستقر ﴾ أي مستقر الخلق وقال عبدالله بن مسعود المصير والمرجع نظيره قوله تعالى [الى ربك الرجعى - والى الله المصير] وقال السدي المنتهى نظيره [وان الى ربك المنتهى] ﴿ ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾ قال ابن

ههنا (بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره) اي هو شهيد على نفسه عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر كما قال تعالى [اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا]

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (بل الانسان على نفسه بصيرة) يقول سمعه وبصره ويديه ورجليه وجوارحه ، وقال قتادة شاهد على نفسه ، وفي رواية قال اذا شئت والله رأيته بصيراً بعيوب الناس وذنوبهم غافلا عن ذنوبه . وكان يقال إن في الانجيل مكتوبا يا ابن آدم تبصر القذاة في عين أخيك وتترك الجذع في عينك لاتبصره

وقال مجاهد (ولو ألقى معاذيره) ولو جادل عنها فهو بصيرة عليها ، وقال قتادة (ولو ألقى معاذيره) ولو اعتذر يومئذ بباطل لايقبل منه ، وقال السدي (ولو ألقى معاذيره) حجته ، وكذا قال ابن زيد والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير ، وقال قتادة عن زرارة عن ابن عباس (ولو ألقى معاذيره) يقول لو ألقى ثيابه ، وقال الضحاك ولو ألقى ستوره وأهل اليمن يسمون الستر المعذار ، والصحيح قول مجاهد وأصحابه ، كقوله تعالى [ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ماكنا مشركين] وكقوله تعالى [يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون]

وقال العوفي عن ابن عباس (ولو ألقى معاذيره) هي الاعتذار ألم تسمع انه قال [لا ينفع الظالمين معذرتهم - وقال - وألقوا إلى الله يومئذ السلم ماكنا نعمل من سوء - وقولهم - والله ربنا ماكنا مشركين]

مسعود وابن عباس بما قدم قبل الموت من عمل صالح وسيء وما اخر بعده من سنة حسنة او سيئة يعمل بها ، وقال عطية عن ابن عباس بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة وقال قتادة بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعه وقال مجاهد بأول عمله وآخره وقال عطاء بما قدم في اول عمره وما أخر في آخر عمره وقال زيد بن اسلم بما قدم من امواله لنفسه وما أخر خلفه للورثة ﴿ بل الانسان على نفسه بصيرة ﴾ قال عكرمة ومقاتل والكلبي معناه بل الانسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه وبصره وجوارحه ودخل الهاء في البصيرة لان المراد بالانسان ههنا جوارحه ويحتمل ان يكون معناه بل الانسان على نفسه بصيرة يعني لجوارحه فحذف حرف الجر كقوله [وان أردتم ان تسترضعوا أولادكم] أي لاولادكم

ويجوز ان يكون نعتا لاسم مؤنث أي بل الانسان على نفسه عين بصيرة وقال ابو العالية وعطاء بل الانسان على نفسه شاهد وهي رواية العوفي عن ابن عباس والهاء في بصيرة للمبالغة ، دليل هذا التأويل قوله عز وجل (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) ﴿ ولو القى معاذيره ﴾ يعني يشهد عليه الشاهد ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه كما قال [يوم لاينفع الظالمين معذرتهم] وهذا قول مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وعطاء ، قال الفراء ، ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذب عذره ومعنى الالقاء القول كما قال [فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون] وقال الضحاك والسدي [ولو ألقى معاذيره]

لا تحرك به لسانك لتعجل به (١٦) ان علينا جمعه وقرآنه (١٧) فاذا قرأناه فاتبع قرآنه (١٨)

ثم ان علينا بيانه (١٩) كلا بل تحبون العاجلة (٢٠) وتذرون الآخرة (٢١) وجوه يومئذ ناضرة

(٢٢) الى ربها ناظرة (٢٣) ووجوه يومئذ باسرة (٢٤) تظن أن يفعل بها فاقرة (٢٥)

هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك فانه كان يبادر الى أخذه ويسابق الملك في قراءته فأمره الله عز وجل اذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه اليه وأن يبينه له ويفسره ويوضحه، فالحالة الاولى جمعه في صدره والثانية تلاوته والثالثة تفسيره وإيضاح معناه ولهذا قال تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) أي بالقرآن كما قال تعالى (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما) ثم قال تعالى (إن علينا جمعه) أي في صدرك (وقرآنه) أى ان تقرأه (فاذا قرأناه) أي اذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى (فاتبع قرآنه) أي فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك (ثم إن علينا بيانه) أى بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا

قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن أبي عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفتيه قال فقال لي ابن عباس أنا أحرك شفتي كما كان رسول الله ﷺ يحرك شفتيه وقال لي سعيد وأنا أحرك شفتي كما رأيت ابن عباس يحرك شفتيه فانزل الله عز وجل (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) قال جمعه في صدرك ثم تقرأه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) أي فاستمع له وانصت (ثم إن علينا بيانه) فكان بعد ذلك اذا انطلق جبريل قرأه كما أقرأه. وقد رواه البخاري ومسلم من غير وجه

يعني ولو أرخى الستور وأغلق الابواب وأهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير ومعناه على هذا القول وان اسبل الستر ليخفي ما كان يعمل فان نفسه شاهدة عليه

قوله عز وجل ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل [لا تحرك به لسانك لتعجل به] قال كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي كان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فأنزل الله عز وجل الآية التي في لا أقسم بيوم القيامة (لا تحرك به لسانك لتعجل به) ﴿ان علينا جمعه وقرآنه﴾ قال علينا أن نجمعه في صدرك وقرآنه ﴿فاذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ فاذا أنزلناه فاستمع ﴿ثم ان علينا بيانه﴾ علينا أن نبينه بلسانك قال وكان اذا أتاه جبريل أطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله

عن موسى بن أبي عائشة به، ولفظ البخاري فكان اذا أتاه جبريل أطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو يحيى التيمي حدثنا موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ اذا أنزل عليه الوحي يلقى منه شدة وكان اذا نزل عليه عرف في تحريكه شفتيه يتلقى أوله ويحرك به شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره فانزل الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) وهكذا قال الشعبي والحسن البصرى وقتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد إن هذه الآية نزلت في ذلك

وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس (لا تحرك به لسانك لتعجل به) قال كان لا يفتر من القراءة مخافة أن ينساه فقال الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه) أن نجمعه لك (وقرآنه) أن نقرئك فلا تنسى، وقال ابن عباس وعطية العوفي (ثم إن علينا بيانه) تبيين حلاله وحرامه وكذا قال قتادة

وقوله تعالى (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) أي انما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما انزله الله عز وجل على رسوله ﷺ من الوحي الحق والقرآن العظيم انهم انما همتهم الى الدار الدنيا العاجلة وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة

ثم قال تعالى [وجوه يومئذ ناضرة] من النضارة أى حسنة بهية مشرقة مسرورة [الى ربها ناظرة] أى تراه عيانا كما رواه البخارى رحمه الله تعالى في صحيحه «إنكم سترون ربكم عيانا»

وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الاحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها، لحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين أن ناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب ؟» قالوا لا قال «فانكم ترون ربكم كذلك»

عز وجل، ورواه محمد بن اسماعيل عن عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن موسى بن أبي عائشة بهذا الاسناد وقال. كان يحرك شفتيه اذا نزل عليه يخشى أن ينفلت منه فقيل له لا تحرك به لسانك ان علينا جمعه أن نجمعه في صدرك وقرآنه أن نقرأه ﴿كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة﴾ قرأ أهل المدينة والكوفة تحبون وتذرون بالتاء فيهما وقرأ الآخرون بالياء أي يختارون الدنيا على العقبى ويعملون لها يعني كفار مكة، ومن قرأ بالتاء فعلى تقدير قل لهم يامحمد بل تحبون وتذرون

﴿وجوه يومئذ﴾ يوم القيامة ﴿ناضرة﴾ قال ابن عباس حسنة وقال مجاهد مسرورة وقال ابن زيد ناعمة وقال مقاتل بيض يعلوها النور، وقال السدي مضيئة، وقال يمان مسفرة، وقال الفراء مشرقة بالنعيم يقال نضر الله وجهه ينضر نضرا ونضره الله وانضره ونضر وجهه ينضر نضرة ونضارة قال الله تعالى (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) ﴿الى ربها ناظرة﴾ قال ابن عباس وأكثر

وفي الصحيحين عن جرير قال نظر رسول الله ﷺ الى القمر ليلة البدر فقال « انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا »

وفي الصحيحين عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ « جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا الى الله عز وجل الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن »

وفي أفراد مسلم عن صهيب عن النبي ﷺ قال « اذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تعالى تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم وهي الزيادة » ثم تلا هذه الآية [للذين احسنوا الحسنى وزيادة]

وفي أفراد مسلم عن جابر في حديثه « إن الله يتجلى للمؤمنين يضحك » يعني في عرصات القيامة ففي هذه الاحاديث أن المؤمنين ينظرون الى ربهم عز وجل في العرصات وفي روضات الجنات

وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا عبد الملك بن أبجر حدثنا يزيد بن أبي فاختة عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « ان أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه الفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر الي أزواجه وخدمه ، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين » ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن شبابة عن إسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر فذكره ، قال : ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر ، وكذلك رواه الثوري عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر ولم يرفعه ، ولولا خشية الاطالة لأوردنا الاحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن ، ولكن ذكرنا ذلك مفرقا في مواضع من هذا التفسير وبالله التوفيق ، وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الامة كما هو متفق عليه بين أئمة الاسلام ، وهداة الانام ، ومن تأول ذلك بأن المراد بالى مفرد الآلاء وهي النعم كما قال الثوري عن منصور عن مجاهد (إلى ربها ناظرة) قال تنتظر الثواب من ربها ، رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد وكذا قال أبو صالح أيضا فقد أبعد هذا الناظر النجعة وأبطل فيما ذهب اليه ، وأين هو من قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ؟) قال الشافعي رحمه الله تعالى : ما حجب الفجار الا وقد علم أن الابرار يرونه عز وجل ، ثم قد تواترت الاخبار عن رسول الله ﷺ بما دل عليه سياق الآية الكريمة وهي قوله تعالى (الى ربها ناظرة)

الناس تنظر إلى ربها عيانا بلا حجاب ، قال الحسن تنظر الى الخالق وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق

أخبرنا أبو بكر ابن أبي الهيثم الترابي أنا عبد الله بن احمد الحموي أنا ابراهيم بن خزيم الشاشي أنا عبد الله بن حميد ثنا شبابة عن اسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر يقول قال رسول الله ﷺ « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة

قال ابن جرير حدثنا محمد بن اسماعيل البخاري حدثنا آدم حدثنا المبارك عن الحسن [وجوه يومئذ ناضرة] قال حسنة (الى ربها ناظرة) قال تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنضر وهي تنظر الى الخالق وقوله تعالى (ووجوه يومئذ باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة) هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة ، قال قتادة كالحة . وقال السدي تغير ألوانها وقال ابن زيد باسرة أي عابسة [تظن] أي تستيقن (أن يفعل بها فاقرة) قال مجاهد داهية ، وقال قتادة شر وقال السدي تستيقن أنها هالكة وقال ابن زيد تظن أن ستدخل النار وهذا المقام كقوله تعالى [يوم تبيض وجوه وتسود وجوه] وكقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة * ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة) وكقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية - الى قوله - وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية * في جنة عالية) في أشباه ذلك من الآيات والسياقات

كَلا اذا بلغت التراقيَ (٢٦) وقيل من راق ؟ (٢٧) وظَنّ أنه الفراق (٢٨) والتفت الساق بالساق (٢٩) الى ربك يومئذ المساق (٣٠) فلا صدّق ولا صلّى (٣١) ولكن كذّب وتولّى (٣٢) ثم ذهب الى أهله يتمطّى (٣٣) أولى لك فأولى (٣٤) ثم أولى لك فأولى (٣٥) أيحسب الانسن أن يترك سُدًى ؟ (٣٦) ألم يك نطفة من مني يُمنى ؟ (٣٧) ثم كان علقة فخلق فسوى (٣٨) فجعل منه الزوجين الذكرَ والانثى (٣٩) اليس ذلك بقدر على ان يحييَ الموتى ؟ (٤٠)

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الاهوال ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت فقال تعالى (كلا إذا بلغت التراقي) إن جعلنا كلا رادعة فمعناها لست يابن آدم هناك تكذب بما أخبرت به بل صار ذلك عندك عيانا ، وان جعلناها بمعنى حقا فظاهر اي حقا إذا بلغت التراقي أي انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك ، والتراقي جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق كقوله تعالى (فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون

وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية » ثم قرأ رسول الله ﷺ (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) ﴿ ووجوه يومئذ باسرة ﴾ عابسة كالحة مغبرة مسودة ﴿ تظن أن يفعل بها فاقرة ﴾ تستيقن أن يعمل بها عظيمة من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والامر الشديد يكسر فقار الظهر

قال سعيد بن المسيب قاصمة الظهر قال ابن زيد هي دخول النار ، وقال الكلبي هي أن يحتجب عن رؤية الرب عز وجل ﴿ كلا اذا بلغت ﴾ يعني النفس كناية عن غير مذكور ﴿ التراقي ﴾ فحشرج بها عند الموت والتراقي جمع الترقوة وهي العظام بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقي

فلولا ان كنتم غير مدينين * ترجعونها ان كنتم صادقين) وهكذا قال ههنا (كلا إذا بلغت التراقي)
ويذكر ههنا حديث بشر بن حجاج الذي تقدم في سورة يس والتراقي جمع ترقوة وهي قريبة من الحلقوم
(وقيل من راق ؟) قال عكرمة عن ابن عباس أي من راق يرقي وكذا قال أبو قلابة (وقيل من راق)
اي من طبيب شاف وكذا قال قتادة والضحاك وابن زيد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نصر بن علي حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي
حدثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس [وقيل من راق] قيل من يرقى بروحه ملائكة
الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ فعلى هذا يكون من كلام الملائكة ، وبهذا الاسناد عن ابن عباس في
قوله [والتفت الساق بالساق] قال التفت عليه الدنيا والآخرة ، وكذا قال علي بن أبي طلحة عن
ابن عباس [والتفت الساق بالساق] يقول آخر يوم من الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة فتلتقي الشدة
بالشدة إلا من رحمه الله . وقال عكرمة [والتفت الساق بالساق] الامر العظيم بالامر العظيم ، وقال مجاهد
بلاء ببلاء . وقال الحسن البصري في قوله تعالى [والتفت الساق بالساق] هما ساقاك اذا التفتا وفي رواية عنه
ماتت رجلاه فلم تحملاه وقد كان عليهما جوالا وكذا قال السدي عن أبي مالك وفي رواية عن الحسن :
هو لفهما في الكفن ، وقال الضحاك [والتفت الساق بالساق] اجتمع عليه أمران : الناس يجهزون
جسده ، والملائكة يجهزون روحه

وقوله تعالى [الى ربك يومئذ المساق] أي المرجع والمآب وذلك أن الروح ترفع الى السموات
فيقول الله عزوجل ردوا عبدى الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى
كما ورد في حديث البراء الطويل وقد قال الله تعالى [وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء
أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين)

عن الاشفاء على الموت ﴿ وقيل من راق؟ ﴾ أي قال من حضره الموت هل من طبيب يرقيه ويداويه
فيشفيه برقيته او دوائه وقال قتادة التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا

وقال سليمان التيمي ومقاتل بن سليمان هذا من قول الملائكة يقول بعضهم لبعض من يرقى
بروحه فيصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب؟ ﴿ وظن ﴾ أيقن الذي بلغت روحه التراقي ﴿ أنه
الفراق ﴾ من الدنيا ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ قال قتادة الشدة بالشدة قال عطاء شدة الموت بشدة
الآخرة قال سعيد بن جبير تتابعت عليه الشدائد قال السدي لا يخرج من كرب الاجاه الا أشد منه
قال ابن عباس أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة وقال
مجاهد اجتمع فيه الحياة والموت

وقال الضحاك الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه ، وقال الحسن هما ساقاه إذا التفتا
في الكفن وقال الشعبي هما ساقاه إذا التفتا عند الموت ﴿ إلى ربك يومئذ المساق ﴾ أي مرجع العباد

وقوله جل وعلا (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) هذا اخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذبا بالحق بقلبه متوليا عن العمل بقالبه فلا خير فيه باطنا ولا ظاهراً ولهذا قال تعالى [فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولي ثم ذهب الى أهله يتمطى] أي جذلانا أشرا بطراً كسلانا لاهمة له ولا عمل كما قال الله تعالى [واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين] وقال تعالى (انه كان في أهله مسرورا * انه ظن أن لن يحور - أي يرجع - بلى إن ربه كان به بصيرا)

قال الضحاك عن ابن عباس (ثم ذهب الى أهله يتمطى) أي يختال وقال قتادة وزيد بن أسلم يتبختر قال الله تعالى (أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى) وهذا تهديد ووعيد أكيد من الله تعالى للكافر به المتبختر في مشيه أي يحق لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد كقوله تعالى (ذق انك أنت العزيز الكريم) وكقوله تعالى (كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون) وكقوله تعالى (فاعبدوا ماشئتم من دونه) وكقوله جل جلاله [اعملوا ماشئتم] الى غير ذلك

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا عبد الرحمن يعني ابن مهدي عن اسرائيل عن موسى بن أبي عائشة قال سألت سعيد بن جبير قلت (أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى) قال قاله النبي ﷺ لابي جهل ثم نزل به القرآن

وقال أبو عبدالرحمن النسائي حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة ح وحدثنا أبو داود يحيى بن سليمان حدثنا أبو عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس [أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى]؟ قال قاله رسول الله ﷺ لابي جهل ثم انزله الله عز وجل

قال ابن أبي حاتم وحدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا شعيب عن اسحاق حدثنا سعيد عن قتادة قوله (أولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى) وعيد على أثر وعيد كما تسمعون وزعموا أن عدو الله أبا جهل أخذ نبي الله ﷺ بمجامع ثيابه ثم قال « أولى لك فاولى ثم أولى لك فاولى » فقال

إلى الله يساقون اليه ﴿ فلا صدق ولا صلى ﴾ يعني أبا جهل لم يصدق بالقرآن ولا صلى لله ﴿ ولكن كذب وتولى ﴾ عن الايمان ﴿ ثم ذهب إلى أهله ﴾ رجع اليهم ﴿ يتمطى ﴾ يتبختر ويختال في مشيه قيل أصله يتمطط أي يتمدد والمط هو المد ﴿ أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى ﴾ هذا وعيد على وعيد من الله عز وجل لابي جهل وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد

وقال بعض العلماء معناه انك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به يقال للرجل حيث يصيبه مكروه يستوجبه وقيل هي كلمة تقولها العرب لمن قاربه المكروه وأصلها من الولي وهو القرب . قال الله تعالى (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) وقال قتادة ذكر لنا ان النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء وقال له (أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى) فقال ابو جهل أنوعدني

عدو الله أباجهل أتوعدني يا محمد؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئا وإني لأعز من مشى بين جبليها

وقوله تعالى (أيحسب الانسان أن يترك سدى؟) قال السدي يعني لا يبعث وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني، لا يؤمر ولا ينهى والظاهر أن الآية تعم الحالين أي ايس يترك في هذه الدنيا مهملا لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث بل هو مأمور منهي في الدنيا محشور الى الله في الدار الآخرة، والمقصود هنا اثبات المعاد والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد ولهذا قال تعالي مستدلا على الاعادة بالبداءة فقال تعالى (ألم يك نطفة من مني يمنى) أي أما كان الانسان نطفة ضعيفة من ماء مهين يمنى يراق من الاصلاب في الارحام (ثم كان علقة فخلق فسوى) أي فصار علقة ثم مضغة ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقا آخر سويا سليم الاعضاء ذكرا أو انثى باذن الله وتقديره ولهذا قال تعالى [فجعل منه الزوجين الذكر والانثى]

ثم قال تعالى [أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟] أى أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه؟ وتناول القدرة للاعادة إما بطريق الاولى بالنسبة الى البداءة واما مساوية على القولين في قوله تعالى [وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه] والاول أشهر كما تقدم في سورة الروم بيانه وتقريره والله أعلم

قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا شبابة عن شعبة عن موسى بن أبي عائشة عن آخر انه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن فاذا قرأ [أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟] قال سبحانك اللهم فبلى فسئل عن ذلك فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك

وقال أبو داود رحمه الله حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن موسى بن أبي عائشة قال كان رجل يصلي فوق بيته فكان اذا قرأ [أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟] قال سبحانك فبلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله ﷺ تفرد به أبو داود ولم يسم هذا الصحابي ولا يضر ذلك

وقال أبو داود أيضا حدثنا عبد الله بن محمد الزهري حدثنا سفيان حدثني اسماعيل بن أمية

يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئا واني لأعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر مصرع وقتله أسوأ قتلة وكان النبي ﷺ يقول « ان لكل أمة فرعونا وان فرعون هذه الامة ابو جهل » ﴿ أيحسب الانسان أن يترك سدى ﴾ مهملا لا يؤمر ولا ينهى قال السدي معناه المهمل، وابل سدى اذا كانت ترعى حيث شاءت بلا راع ﴿ ألم يك نطفة من مني يمنى؟ ﴾ تصب في الرحم قرأ حفص عن عاصم يمنى بالياء، وهي قراءة الحسن، وقرأ الآخرون بالتاء لأجل النطفة ﴿ ثم كان علقة فخلق فسوى ﴾ فجعل فيه الروح وسوى خلقه ﴿ فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ﴾ خلق من مائه أولاداً ذكوراً وإناثا ﴿ أليس ذلك ﴾ الذي فعل هذا ﴿ بقادر على أن يحيي الموتى؟ ﴾

سمعت أعرابيا يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ « من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى الى آخرها [أليس الله بأحكم الحاكمين؟] فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ، ومن قرأ [لا اقسم بيوم القيامة] فانتهى الى قوله [أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟] فليقل بلى ، ومن قرأ [والمرسلات] فبلغ [فبأي حديث بعده يؤمنون؟] فليقل آمنا بالله » ورواه أحمد عن سفيان بن عيينة ورواه الترمذى عن ابن أبي عمر عن سفيان بن عيينة به وقد رواه شعبة عن اسماعيل بن أمية قال قلت له من حدثك؟ قال رجل صدق عن أبي هريرة

وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله تعالى (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟) ذكر لنا ان رسول الله ﷺ كان اذا قرأها قال « سبحانك وبلى »

ثم قال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن سنان الواسطي حدثنا ابو احمد الزبيري حدثنا سفيان عن أبي اسحاق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه مر بهذه الآية (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟) قال سبحانك فبلى

﴿ آخر تفسير سورة القيامة ولله الحمد والمنة ﴾

أخبرنا ابو طاهر عمر بن عبدالعزيز القاشاني أنا ابو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي أنا ابو علي محمد ابن أحمد بن عمر اللؤلؤي ثنا ابو داود سليمان بن الاشعث ثنا عبدالله بن محمد الزهري ثنا سفيان حدثني اسماعيل بن أمية قال سمعت اعرابيا يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ « من قرأ منكم (والتين والزيتون فانتهى) إلى آخرها (أليس الله بأحكم الحاكمين؟) فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ (لا أقسم بيوم القيامة) فانتهى الى (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟) فليقل بلى ومن قرأ (والمرسلات) فبلغ (فبأى حديث بعده يؤمنون ؟) فليقل آمنا بالله »

أخبرنا عمر بن عبدالعزيز أنا ابو القاسم بن جعفر انا ابو علي اللؤلؤي أنا ابو داود ثنا محمد بن المثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن موسى بن أبي عائشة قال كان رجل يصلي فوق بيته وكان إذا قرأ (اليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟) قال سبحانك فبلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم



تفسير سورة الانسان وهى مكية

قد تقدم في صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة (الم تنزيل) السجدة و(هل أتى على الانسان ؟) وقال عبد الله بن وهب أخبرنا ابن زيد أن رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة [هل أتى على الانسان حين من الدهر ؟] وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه ، فقال رسول الله ﷺ « أخرج نفس صاحبكم - او قال أخيكم - الشوق إلى الجنة » مرسل غريب

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا (١) انا خلقنا الانسن من نطفة أمشاج نبتليه فجعلنه سميعا بصيراً (٢) إنا هدينه السبيل اما شاكراً واما كفوراً (٣)

يقول تعالى مخبراً عن الانسان انه أوجده بعد ان لم يكن شيئا يذكر لحقارته وضعفه فقال تعالى (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً ؟) ثم بين ذلك فقال جل جلاله (اناخلقنا الانسان من نطفة أمشاج) اي اخلاط والمشج والمشيج الشيء المختلط بعضه في بعض ، قال ابن عباس في قوله تعالى (من نطفة أمشاج) يعني ماء الرجل وماء المرأة اذا اجتمعا واختلطا ثم ينتقل بعد

سورة الانسان

قال عطاء هي مكية وقال مجاهد وقتادة مدنية ، وقال الحسن وعكرمة هي مدنية الا آية وهي قوله (فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا) وهي إحدى وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هل أتى ﴾ قد أتى ﴿ على الانسان ﴾ يعنى آدم عليه السلام ﴿ حين من الدهر ﴾ أربعون سنة وهو من طين ملقى بين مكة والطائف قبل أن ينفخ فيه الروح ﴿ لم يكن شيئا مذكوراً ﴾ لايذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به يريد كان شيئا ولم يكن مذكوراً وذلك من حين خلقه من طين إلى أن نفخ فيه الروح ، روي أن عمر سمع رجلا يقرأ هذه الآية (لم يكن شيئا مذكوراً) فقال عمر ليتها تمت يريد ليته بقي على ما كان . قال ابن عباس ثم خلقه بعد عشرين ومائة سنة ﴿ إنا خلقنا الانسان ﴾ يعني ولد آدم ﴿ من نطفة ﴾ يعني مني الرجل ومني المرأة ﴿ أمشاج ﴾ اخلاط واحدها مشج ومشيج مثل خدن وخدين

من طور إلي طور وحال إلى حال ولون إلى لون وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن والربيع بن أنس الامشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة

وقوله تعالى (نبتليه) اي نختبره كقوله جل جلاله [ليبلوكم أيكم أحسن عملا] (فجعلناه سميعا بصيراً) أي جعلنا له سمعا وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية

وقوله جل وعلا (انا هديناه السبيل) أي بيناه له ووضحناه وبصرناه به كقوله جل وعلا [وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى] وكقوله جل وعلا [وهديناه النجدين] أي بينا له طريق الخير وطريق الشر وهذا قول عكرمة وعطية وابن زيد ومجاهد في المشهور عنه والجمهور . وروي عن مجاهد وأبي صالح والضحاك والسدي أنهم قالوا في قوله تعالى (انا هديناه السبيل) يعني خروجه من الرحم وهذا قول غريب والصحيح المشهور الاول

وقوله تعالى (إما شاكراً وإما كفوراً) منصوب على الحال من الهاء في قوله (انا هديناه السبيل) تقديره فهو في ذلك اما شقي واما سعيد كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي مالك الاشعري قال : قال رسول الله ﷺ « كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها او معتقها »

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن خثيم عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة « أعاذك الله من امارة السفهاء » قال وما امارة السفهاء ؟ قال « أمراء يكونون من بعدي لايهتدون بهداي ، ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون على حوضي ، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فاولئك مني وأنا منهم وسيردون على حوضي ، ياكعب بن عجرة الصوم

قال ابن عباس والحسن ومجاهد والربيع يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم فهو من نطفة الرجل ، وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة

وقال الضحاك أراد بالامشاج اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وحمراء وصفراء وهي رواية الوالبي عن ابن عباس وكذلك قال الكلبي قال الامشاج البياض في الحمرة والصفرة ، وقال يمان كل لونين اختلطا فهو امشاج ، وقال ابن مسعود هي العروق التي تكون في النطفة وقال الحسن نطفة مشجت بدم وهو دم الحيضة فاذا حبلت ارتفع الحيض ، وقال قتادة هي أطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر ﴿ نبتليه ﴾ نختبره بالامر والنهي ﴿ فجعلناه سميعا بصيراً ﴾ قال بعض أهل العربية فيه تقديم وتأخير مجازه فجلناه سميعا بصيراً لنبتليه لان الابتلاء لايقع إلا بعد تمام الخلقة ﴿ إنا هديناه السبيل ﴾ أي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر ﴿ إما شاكراً واما كفورا ﴾ اما مؤمنا سعيدا واما

جنة ، والصدقة تطفيء الخطيئة ، والصلاة قربات - أو قال برهان - ياكعب بن عجرة انه لايدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولى به ، ياكعب الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها ، وبائع نفسه فموبقها »
ورواه عن عفان عن وهيب عن عبد الله بن عثمان بن خثيم به وقد تقدم في سورة الروم عند قوله جل جلاله [فطرة الله التي فطر الناس عليها] من رواية جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً »

وقال الامام أحمد حدثنا ابو عامر حدثنا عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « مامن خارج يخرج إلا ببابه رايتان : راية بيد ملك وراية بيد شيطان فان خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته »

إنا أعتدنا للكـفرين سلسل وأغللا وسعيراً (٤) إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً (٥) عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً (٦) يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيراً (٧) ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيراً (٨) إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً (٩) إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريراً (١٠) فوقهم الله شر ذلك اليوم ولقهم نضرة وسروراً (١١) وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً (١٢)

يخبر تعالى عما أرصده للكافرين من خلقه به من السلاسل والاغلال والسعير وهو اللهب والحريق في نار جهنم كما قال تعالى [إذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون] ولما ذكر ما أعده لهؤلاء الاشقياء من السعير قال بعده (إن الابرار يشربون من كأس كان مزاجها

كافرا شقيا وقيل معنى الكلام الجزاء يعني بينا له الطريق ان شكر او كفر ثم بين ما للفريقين فقال ﴿ انا أعتدنا للكافرين سلاسل ﴾ يعني في جهنم قرأ اهل المدينة والكسائي وابو بكر عن عاصم سلاسلا وقواريرا قواريرا بالالف في الوقف وبالتنوين في الوصل فيهن جميعا ، وقرأ حمزة ويعقوب بلا ألف في الوقف ولا تنوين في الوصل فيهن، وقرأ ابن كثير قوارير الاولى بالالف في الوقف وبالتنوين في الوصل وسلاسل وقوارير الثانية بلا الف ولا تنوين ، وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحفص سلاسلا وقواريرا الاولى بالالف في الوقف على الخط وبغير تنوين في الوصل وقوارير الثانية بغير الف ولا تنوين قوله ﴿ واغلالا ﴾ يعني في أيديهم تغل في أعناقهم ﴿ وسعيرا ﴾ وقودا شديدا ﴿ إن الابرار ﴾ يعني المؤمنين الصادقين في ايمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار مثل شاهد واشهاد وناصر وانصار وبر

كافوراً) وقد علم مافي الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع مايضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة قال الحسن برد الكافور في طيب الزنجبيل ولهذا قال (عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً) أي هذا الذي مزج لهؤلاء الابرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفا بلا مزج ويروون بها ولهذا ضمن يشرب معنى يروى حتى عداه بالباء ونصب عينا على التمييز ، قال بعضهم هذا الشراب في طيبه كالكافور ، وقال بعضهم هو من عين كافور وقال بعضهم يجوز أن يكون منصوبا بيشرب ، حكى هذه الاقوال الثلاثة ابن جرير

وقوله تعالى (يفجرونها تفجيراً) أي يتصرفون فيها حيث شاؤا وأين شاؤا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم ، والتفجير هو الانباع كما قال تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) وقال [وفجرنا خلالهما نهراً]

قال مجاهد (يفجرونها تفجيراً) يقودونها حيث شاؤا وكذا قال عكرمة وقتادة . وقال الثوري يصرفونها حيث شاؤا

وقوله تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيراً) أي يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر

أيضا مثل نهر وانهار ﴿ يشربون ﴾ في الآخرة ﴿ من كأس ﴾ فيه شراب ﴿ كان مزاجها كافورا ﴾ قال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك قال عكرمة مزاجها طعمها ، وقال أهل المعاني أراد كالكافور في بياضه وطيب ريحه وبرده لان الكافور لا يشرب وهو كقوله (حتى اذا جعله نارا) أي كنار وهذا معنى قول مقاتل ومجاهد يمازجه ريح الكافور

وقال ابن كيسان طيبت بالكافور والمسك والزنجبيل قال عطاء والكلبي الكافور اسم لعين ماء في الجنة ﴿ عينا ﴾ نصب تبعا للكافور وقيل نصب على المدح وقيل أعني عينا ، وقال الزجاج الاجود أن يكون المعنى من عين ﴿ يشرب بها ﴾ قيل يشربها والباء صلة وقيل بها أي منها ﴿ عباد الله ﴾ قال ابن عباس أولياء الله ﴿ يفجرونها تفجيرا ﴾ أي يقودونها حيث شاءوا من منازلهم وقصورهم كمن يكون له نهر يفجره ههنا وههنا الى حيث يريد ﴿ يوفون بالنذر ﴾ هذا من صفاتهم في الدنيا أي كانوا في الدنيا كذلك قال قتادة أراد يوفون بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيرها من الواجبات ، ومعنى النذر الايجاب وقال مجاهد وعكرمة اذ نذروا في طاعة الله وفوا به

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد انا ابو اسحاق الهاشمي أنا ابو مصعب عن مالك عن طلحة بن عبد الملك الايلي عن القاسم بن محمد عن عائشة زوج النبي ﷺ ان رسول الله ﷺ قال « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه » ﴿ ويخافون يوما كان شره مستطيراً ﴾ فاشيا ممتدا يقال استطار الصبح اذا امتد وانتشر ، قال مقاتل كان شره فاشيا في السموات

قال الامام مالك عن طلحة بن عبد الملك الايلي عن القاسم بن مالك عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » رواه البخاري من حديث مالك . ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذي شره مستطير أي منتشر عام على الناس إلا من رحم الله ، قال ابن عباس فاشياً ، وقال قتادة استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والارض ، قال ابن جرير : ومنه قولهم استطار الصدع في الزجاجة واستطال ، ومنه قول الاعشى

فبانت وقد أسأت في الفؤا د صدعا على نأيها مستطيرا

يعني ممتدا فاشيا . وقوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) قيل على حب الله تعالى ، وجعلوا الضمير عائداً الى الله عز وجل لدلالة السياق عليه ، والاظهر ان الضمير عائد على الطعام أي ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له قاله مجاهد ومقاتل واختاره ابن جرير كقوله تعالى (وآتى المال على حبه) وكقوله تعالى [لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون]

وروى البيهقي[1] من طريق الاعمش عن نافع قال : مرض ابن عمر فاشتهى عنبا أول ماجاء العنب فأرسلت صفية يعني امرأته فاشترت عنقوداً بدرهم فاتبع الرسول سائل فلما دخل به قال السائل : السائل فقال ابن عمر أعطوه إياه فأعطوه إياه فأرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقودا فاتبع الرسول السائل فلما دخل قال السائل : السائل فقال ابن عمر أعطوه إياه فأعطوه إياه فأرسلت صفية الى السائل فقالت والله إن عدت لا تصيب منه خيراً أبدا ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به

(١) هذا الحديث ليس بموجود في النسخة المكية

وفي الصحيح « أفضل الصدقة أن تصدق وانت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر » أي في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك اليه ولهذا قال [ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا] أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما ، وأما الاسير فقال سعيد بن جبير والحسن والضحاك : الاسير من أهل القبلة ، وقال ابن عباس كان أسراؤهم يومئذ مشركين ويشهد لهذا أن

فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة ، وفي الارض فنسفت الجبال وغارت المياه وتكسر كل شيء على الارض من جبل وبناء ﴿ ويطعمون الطعام على حبه ﴾ أي على حب الطعام وقلته وشهوتهم له وحاجتهم اليه وقيل على حب الله ﴿ مسكينا ﴾ فقيراً لا مال له ﴿ ويتيما ﴾ صغيراً لا أب له ﴿ واسيرا ﴾ قال مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء هو المسجون من اهل القبلة وقال قتادة أمر الله بالاسراء ان يحسن اليهم وان اسراءهم يومئذ لاهل الشرك ، وقيل الاسير المملوك وقيل المرأة لقول النبي ﷺ « اتقوا الله في النساء فانهن عندكم عوان » اي اسراء ، واختلفوا في سبب نزول هذه الآية قال مقاتل نزلت في رجل من الانصار أطعم في يوم واحد مسكينا ويتيما وأسيرا . وروي عن مجاهد وعطاء عن ابن عباس انها نزلت في علي بن أبي طالب وذلك انه عمل ليهودي

رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الاسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء وقال عكرمة هم العبيد واختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرك ، وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة

وقد وصى رسول الله ﷺ بالاحسان الى الارقاء في غير ماحديث حتى انه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول «الصلاة وما ملكت أيمانكم» قال مجاهد هو المحبوس أي يطعمون الطعام لهؤلاء وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال (انما نطعمكم لوجه الله) أي رجاء ثواب الله ورضاه [لا نريد منكم جزاء ولاشكورا] أي لا نطلب منكم مجازاة تكافئوننا بها ولا أن تشكرونا عند الناس

قال مجاهد وسعيد بن جبير أما والله ماقالوه بألسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم فأثنى عليهم به ليرغب في ذلك راغب [إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا] أي انما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطرير

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (عبوسا) ضيقا [قمطريرا] طويلا ، وقال عكرمة وغيره عنه في قوله (يوما عبوسا قمطريرا) قال يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وقال مجاهد (عبوسا) العابس الشفتين (قمطريرا) قال يقبض الوجه بالبسور ، وقال سعيد بن جبير وقتادة تعبس فيه الوجوه من الهول قمطريرا تقليص الجبين ومابين العينين من الهول

وقال ابن زيد العبوس الشر والقمطرير الشديد ، وأوضح العبارات وأجلاها وأحلاها وأعلاها وأولاها ، قول ابن عباس رضي الله عنه

قال ابن جرير والقمطرير هو الشديد يقال هو يوم قمطرير ويوم قماطر ويوم عصيب وعصبصب وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطراراً وذلك أشد الايام وأطولها في البلاء والشدة ومنه قول بعضهم :

بني عمنا هل تذكرون بلاءنا ؟ عليكم اذا ماكان يوم قماطر

بشيء من شعير فقبض الشعير فطحن ثلثه فجعلوا منه شيأ ليأكلوه فلما تم انضاجه أتى مسكين فسأل فأخرجوا اليه الطعام ، ثم عمل الثلث الثاني فلما تم انضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه ، ثم عمل الثلث الباقي فلما تم انضاجه أتى اسير من المشركين فسأل فأطعموه وطووا يومهم ذلك . وهذا قول الحسن وقتادة إن الاسير كان من اهل الشرك ، وفيه دليل على ان اطعام الاسارى وان كانوا من اهل الشرك حسن يرجى ثوابه ﴿ انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾ والشكور مصدر كالقعود والدخول والخروج قال مجاهد وسعيد بن جبير انهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فأثنى عليهم ﴿ إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا ﴾ تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته ونسب العبوس إلى اليوم كما يقال يوم صائم وليل نائم وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة ﴿ قمطريرا ﴾ قال قتادة ومجاهد ومقاتل القمطرير الذي يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس وقال الكلبي العبوس الذي لا انبساط

قال الله تعالى (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً) وهذا من باب التجانس البليغ (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أي آمنهم مما خافوا منه (ولقاهم نضرة) أي في وجوههم (وسروراً) أي في قلوبهم . قاله الحسن البصري وقتادة وابو العالية والربيع بن أنس وهذه كقوله تعالى [وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة] وذلك أن القلب اذا سر استنار الوجه ، قال كعب بن مالك في حديثه الطويل وكان رسول الله ﷺ اذا سر استنار وجهه حتى كأنه فلقة قمر ، وقالت عائشة رضي الله عنها دخل عليّ رسول الله ﷺ مسروراً تبرق أسارير وجهه . الحديث

وقوله تعالى (وجزاهم بما صبروا) أي بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم (جنة وحريراً) أي منزلا رحبا وعيشاً رغداً ولباساً حسنا

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن سليمان الداراني قال قرئ على ابي سليمان الداراني سورة [هل أتى على الانسان ؟] فلما بلغ القارئ إلى قوله تعالى (وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً) قال بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا ثم أنشد يقول:

كم قتيـل لشهوة وأسـير ... أف من مشتهي خلاف الجميـل

شهوات الانسان تورثه الذل ... وتلقيـه في البلاء الطويل

مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا (٢٢)

فيه والقمطرير الشديد ، قال الاخفش القمطرير اشد ما يكون من الايام واطوله في البلاء ، يقال يوم قمطرير وقماطر اذا كان شديدا كريها واقمطر اليوم فهو مقمطر به ﴿ فوقاهم الله شر ذلك اليوم ﴾ الذى يخافون ﴿ ولقاهم نضرة ﴾ حسنا في وجوههم ﴿ وسروراً ﴾ في قلوبهم ﴿ وجزاهم بما صبروا ﴾ على طاعة الله واجتناب معصيته ، وقال الضحاك على الفقر وقال عطاء على الجوع ﴿ جنة وحريراً ﴾ قال الحسن ادخلهم الله الجنة وألبسهم الحرير ﴿ متكئين ﴾ نصب على الحال ﴿ فيها ﴾ في الجنة ﴿ على الأرائك ﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة وماهم فيه من النعيم المقيم وما أسبغ عليهم من الفضل العظيم فقال تعالى (متكئين فيها على الارائك) وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الصافات وذكر الخلاف في الاتكاء هل هو الاضطجاع أو التمرفق أو التربع أو التمكن في الجلوس وان الارائك هي السرر تحت الحجال وقوله تعالى (لايرون فيها شمساً ولا زمهريراً) أي ليس عندهم حر مزعج ولا برد مؤلم بل هي مزاج واحد دائم سرمدي لايبغون عنها حولا (ودانية عليهم ظلالها) أي قريبة اليهم أغصانها (وذللت قطوفها تذليلا) أي متى تعاطاه دنا القطف اليه وتدلى من أعلى غصنه كأنه سامع طائع كما قال تعالى في الآية الاخرى [وجنى الجنتين دان] وقال جل وعلا [قطوفها دانية] وقال مجاهد (وذللت قطوفها تذليلا) إن قام ارتفعت معه بقدر ، وإن قعد تذللت له حتى ينالها ، وإن اضطجع تذللت له حتى ينالها فذلك قوله تعالى (تذليلا) وقال قتادة لايرد أيديهم عنها شوك ولا بعد ، وقال مجاهد أرض الجنة من ورق وترابها المسك ، وأصول شجرها من ذهب وفضة ، وافنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت والورق والثمر بين ذلك فمن أكل منها قائما لم تؤذه ، ومن أكل منها قاعداً لم تؤذه ، ومن أكل منها مضطجعا لم تؤذه

وقوله جلت عظمته (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) أي يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهي من فضة وأكواب الشراب وهي الكيزان التي لاعرى لها ولا خراطيم وقوله (قوارير قوارير من فضة) فالاول منصوب بخبر كان أي كانت قوارير ، والثاني منصوب إما على البدلية أو تمييز لأنه بينه بقوله جل وعلا [قوارير من فضة] قال ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وغير واحد بياض الفضة في صفاء الزجاج والقوارير لاتكون إلا من زجاج فهذه الاكواب هي من فضة وهي مع هذا شفافة يرى مافي باطنها من ظاهرها وهذا مما لانظير له في الدنيا . قال ابن المبارك عن إسماعيل عن رجل عن ابن عباس : ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة . رواه ابن أبي حاتم

السرر في الحجال ولا تكون أريكة الا اذا اجتمعا ﴿ لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ﴾ أى صيفا ولا شتاء ، قال مقاتل يعني شمسا يؤذيهم حرها ولا زمهريرا يؤذيهم برده لانهما يؤذيان في الدنيا والزمهرير البرد الشديد ﴿ ودانية عليهم ظلالها ﴾ أى قريبة منهم ظلال اشجارها ، ونصب دانية بالعطف على قوله [متكئين] وقيل على موضع قوله [لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا] ويرون دانية وقيل على المدح ﴿ وذللت ﴾ سخرت وقربت ﴿ قطوفها ﴾ ثمارها ﴿ تذليلا ﴾ يأكلون من ثمارها قياما وقعودا ومضطجعين ويتناولونها كيف شاؤا على اى حال كانوا ﴿ ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قوارير * قوارير من فضة ﴾ قال المفسرون أراد بياض الفضة في صفاء القوارير . فهي من فضة في صفاء الزجاج يرى مافي داخلها من خارجها ، قال الكلبي ان الله جعل قوارير كل قوم من تراب ارضهم وان أرض

وقوله تعالى (قدروها تقديراً) أى على قدر ريهم لا تزيد عنه ولا تنقص بل هي معدة لذلك مقدرة بحسب ري صاحبها هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح وقتادة وابن أبزى وعبدالله بن عبيد الله بن عمير وقتادة والشعبي وابن زيد وقاله ابن جرير وغير واحد وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة ، وقال العوفي عن ابن عباس (قدروها تقديراً) قدرت للكف وهكذا قال الربيع بن انس ، وقال الضحاك على قدر كف الخادم وهذا لا ينافي القول الاول فانها مقدرة في القدر والري

وقوله تعالى (ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا) أى ويسقون يعني الابرار أيضاً في هذه الاكواب (كأساً) أى خمراً (كان مزاجها زنجبيلا) فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد ، وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الامر وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة ، وأما المقربون فانهم يشربون من كل منهما صرفا كما قاله قتادة وغير واحد

وقد تقدم قوله [عينا يشرب بها عباد الله] وقال ههنا [عينا فيها تسمى سلسبيلا] أى الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسبيلا قال عكرمة اسم عين في الجنة وقال مجاهد سميت بذلك لسلاسة مسيلها وحدة جريها ، وقال قتادة عين فيها تسمى سلسبيلا عين سلسلة مستقيد ماؤها وحكى ابن جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها في الحلق واختار هو أنها تعم ذلك كله وهو كما قال

وقوله تعالى (ويطوف عليهم ولدان مخلدون * اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا) أى يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة (مخلدون) أى على حالة واحدة مخلدون عليها

الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون فيها ﴿ قدروها تقديرا ﴾ قدروا الكأس على قدر ريهم لا يزيد ولا ينقص أى قدرها لهم السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها ثم يسقون ﴿ ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا ﴾ يشوق ويطرب والزنجبيل مما كانت العرب تستطيبه جدا فوعدهم الله تعالى انهم يسقون في الجنة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنة ، قال مقاتل لا يشبه زنجبيل الدنيا قال ابن عباس كل ماذكر الله في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له في الدنيا مثل، وقيل هو عين في الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل ، قال قتادة يشربها المقربون صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة ﴿عينافيها تسمى سلسبيلا ﴾ قال قتادة سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤا قال مجاهد حديدة الجرية، قال ابو العالية ومقاتل بن حيان سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن الى أهل الجنان وشراب الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك ، قال الزجاج سميت سلسبيلا لانها في غاية السلاسة تتسلسل في الحلق ، ومعنى قوله تسمى اى توصف لان أكثر العلماء على أن سلسبيلا صفة لا اسم ﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ﴾ قال عطاء يريد في بياض اللؤلؤ وحسنه واللؤلؤ إذا نثر من الخيط على البساط كان أحسن

لا يتغيرون عنها لا تزيد اعمارهم عن تلك السن ومن فسرهم بأنهم مخرصون في آذانهم الا قرطة فانما عبر عن المعنى بذلك لان الصغير هو الذي يليق له ذلك دون الكبير

وقوله تعالى (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا) أى اذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن قال قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو مامن أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه الف خادم كل خادم على عمل ماعليه صاحبه

وقوله جل وعلا (واذا رأيت ثم) أى واذا رأيت يامحمد (ثم) أي هناك يعني في الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها وما فيها من الحبرة والسرور (رأيت نعيما وملكا كبيرا) أي مملكة لله هناك عظيمة وسلطانا باهراً . وثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا اليها إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها

وقد قدمنا في الحديث المروي من طريق ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة الفي سنة ينظر الى أقصاه كما ينظر الى أدناه » فاذا كان هذا عطاؤه تعالى لادنى من يكون في الجنة فما ظنك بما هو أعلى منزلة واحظى عنده تعالى

وقد روى الطبراني ههنا حديثا غريبا جداً فقال حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلي حدثنا عقبة بن سالم عن أيوب بن عتبة عن عطاء عن ابن عمر قال جاء رجل من الحبشة الى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ « سل واستفهم » فقال يارسول الله فضلتم علينا بالصور والالوان والنبوة أفرأيت ان آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به اني لكائن معك في الجنة قال « نعم والذى نفسي بيده انه ليرى بياض الاسود في الجنة من مسيرة ألف عام » ثم قال رسول الله ﷺ « من قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله ، ومن قال سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة » فقال رجل كيف نهلك بعد هذا يارسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لاثقله فتقوم النعمة أو نعم الله فتكاد تستنفد ذلك كله إلا أن يتغمده الله برحمته » ونزلت هذه السورة (هل أتى على الانسان حين من الدهر — الى قوله — ملكا كبيرا) فقال الحبشي وان عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة

منه منظوما ، وقال أهل المعاني انما شبهوا بالمنثور لانتشارهم في الخدمة فلو كانوا صفا لشبهوا بالمنظوم ﴿ وإذا رأيت ثم ﴾ أي اذا رأيت ببصرك ونظرت به ثم يعني في الجنة ﴿ رأيت نعيما ﴾ لا يوصف ﴿ وملكا كبيراً ﴾ وهو أن أدناهم منزلة ينظر إلى ملكه في مسيرة الف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه قال مقاتل والكلبي هو ان رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه الا باذنه وقيل ملكا لا زوال له

قال « نعم » فاستبكى حتى فاضت نفسه قال ابن عمر ولقد رأيت رسول الله ﷺ يدليه في حفرته بيده

وقوله جل جلاله (عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق) أى لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم والاستبرق منه مافيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس (وحلوا أساور من فضة) وهذه صفة الابرار ، وأما المقربون فكما قال تعالى (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير)

ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) أى طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والاذى وسائر الاخلاق الرديئة كما روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال : اذا انتهى أهل الجنة الى باب الجنة وجدوا هنالك عينين فكأنما ألهموا ذلك فشربوا من احداهما فأذهب الله مافي بطونهم من أذى ثم اغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فاخبر سبحانه وتعالى بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن

وقوله تعالى (إن هذا كان لكم جزاءاً وكان سعيكم مشكوراً) أي يقال لهم ذلك تكريما لهم واحسانا اليهم كما قال تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية) وكقوله تعالى (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) وقوله تعالى (وكان سعيكم مشكوراً) أي جزاكم الله تعالى على القليل بالكثير

﴿ عاليهم ثياب سندس ﴾ قرأ أهل المدينة وحمزة عاليهم ساكنة الياء مكسورة الهاء فيكون في موضع رفع بالابتداء وخبره ثياب سندس، وقرأ الآخرون بنصب الياء وضم الهاء على الصفة أي فوقهم وهو نصب على الظرف ثياب سندس ﴿ خضر واستبرق ﴾ قرأ نافع وحفص خضر واستبرق مرفوعان عطفا على الثياب وقرأهما حمزة والكسائي مجرورين، وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر جر واستبرق رفع وقرأ ابو جعفر واهل البصرة والشام على ضده فالرفع على نعت الثياب والجر على نعت السندس ﴿ وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ﴾ قيل طاهرا من الاقذار والاقذاء لم تدنسه الايدي والارجل كخمر الدنيا ، وقال أبو قلابة وابراهيم انه لا يصير بولا نجسا ولكنه يصير رشحا في أبدانهم كريح المسك وذلك أنهم يؤتون بالطعام فيأكلون فاذا كان آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور فيشربون فتطهر بطونهم ويصير ما أكلوا رشحا يخرج من جلودهم أطيب من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم وقال مقاتل هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله ما في قلبه من غل وغش نجس وحسد ﴿ ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ﴾ أي ماوصف من نعيم الجنة كان لكم جزاء باعمالكم وكان سعيكم عملكم في الدنيا بطاعة الله مشكورا ، قال عطاء شكرتكم عليه وأثبتكم أفضل الثواب

إنا نحن نزّلنا عليك القرآن تنزيلا (٢٣) فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفوراً (٢٤) واذكر اسم ربك بُكرة وأصيلا (٢٥) ومن الليل فاسجد له وسبحهُ ليلا طويلا (٢٦) إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا (٢٧) نحن خلقنٰهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدّلنا أمثٰلهم تبديلا (٢٨) ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا (٢٩) وما تشاءون الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما (٣٠) يدخل من يشاء في رحمته والظّٰلمين أعد لهم عذابا أليما (٣١)

يقول تعالى ممتنا على رسوله ﷺ بما أنزله عليه من القرآن العظيم تنزيلا [فاصبر لحكم ربك] أي كما أكرمتك بما أنزلت عليك فاصبر على قضائه وقدره واعلم أنه سيدبرك بحسن تدبيره [ولا تطع منهم آثما أو كفورا] أي لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل اليك بل بلغ ما أنزل اليك من ربك وتوكل على الله فان الله يعصمك من الناس ، فالآثم هو الفاجر في أفعاله والكفور هو الكافر قلبه [واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا] أي أول النهار وآخره [ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا] كقوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وكقوله تعالى (يا أيها المزمل * قم الليل الا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا] ثم قال تعالى منكرا على الكفار ومن أشبههم في حب الدنيا والاقبال عليها والانصباب اليها وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم [ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا] يعني يوم القيامة

قوله عز وجل ﴿ إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ﴾ قال ابن عباس متفرقا آية بعد آية ولم ينزل جملة واحدة ﴿ فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم ﴾ يعني من مشركي مكة ﴿ آثما أو كفورا ﴾ يعني وكفورا والالف صلة . قال قتادة أراد بالآثم والكفور أبا جهل وذلك انه لما فرضت الصلاة على النبي ﷺ نهاه ابو جهل عنها وقال لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن عنقه، وقال مقاتل أراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة ، قالا للنبي ﷺ ان كنت صنعت ما صنعت لاجل النساء والمال فارجع عن هذا الامر ، قال عتبة فأنا أزوجك ابنتي وأسوقها اليك بغير مهر وقال الوليد أنا أعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الامر فأنزل الله هذه الآية

قوله عز وجل ﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا * ومن الليل فاسجد له ﴾ يعني صلاة المغرب والعشاء ﴿ وسبحه ليلا طويلا ﴾ يعني التطوع بعد المكتوبة ﴿ ان هؤلاء ﴾ يعني كفار مكة ﴿ يحبون العاجلة ﴾ أي الدار العاجلة وهي الدنيا ﴿ ويذرون وراءهم ﴾ يعني أمامهم ﴿ يوما ثقيلا ﴾ شديدا وهو

ثم قال تعالى [نحن خلقناهم وشددنا أسرهم] قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني خلقهم [واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا] أي واذا شئنا بعثناهم يوم القيامة وبدلناهم فأعدناهم خلقا جديدا ، وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة

وقال ابن زيد وابن جرير [وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا] أي واذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم كقوله تعالى [إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا] وكقوله تعالى [إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز]

ثم قال تعالى (ان هذه تذكرة) يعني هذه السورة تذكرة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) أى طريقا ومسلكا أى من شاء اهتدى بالقرآن كقوله تعالى (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ؟) الآية ، ثم قال تعالى (وما تشاءون الا أن يشاء الله) أى لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ولا يدخل في ايمان ولا يجر لنفسه نفعا (إلا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما) أى عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له ويقيض له أسبابها ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى ، وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ولهذا قال تعالى (ان الله كان عليما حكيما) ثم قال (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما) أى يهدي من يشاء ويضل من يشاء فمن يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له

﴿ آخر تفسير سورة الانسان ولله الحمد والمنة ﴾

يوم القيامة أي يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعملون له ﴿ نحن خلقناهم وشددنا ﴾ قوينا وأحكمنا ﴿ أسرهم ﴾ قال مجاهد وقتادة ومقاتل أسرهم أي خلقهم يقال رجل حسن الاسر أى الخلق وقال الحسن يعني اوصالهم شددنا بعضها الى بعض بالعروق والعصب ، وروى عن مجاهد في تفسير الاسر قال الفرج يعني موضع مصرفي البول والغائط اذا خرج الاذى انقبضا ﴿ واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا ﴾ أى اذا شئنا أهلكناهم وأتينا بأشباههم فجعلناهم بدلا منهم ﴿ ان هذه ﴾ يعني هذه السورة ﴿ تذكرة ﴾ تذكير وعظة ﴿ فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ﴾ وسيلة للطاعة ﴿ وما تشاؤن ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو يشاؤن بالياء وقرأ الآخرون بالتاء ﴿ الا أن يشاء الله ﴾ أى لستم تشاؤن الا بمشيئة الله عز وجل لان الامر اليه ﴿ ان الله كان عليما حكيما * يدخل من يشاء في رحمته والظالمين ﴾ اى المشركين ﴿ أعد لهم عذابا أليما ﴾

تفسير سورة المرسلات وهى مكية

قال البخاري ثنا أحمد بن عمر بن حفص بن غياث ثنا الاعمش حدثني ابراهيم عن الاسود عن عبد الله - هو ابن مسعود - رضي الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمنى إذ نزلت عليه (والمرسلات) فانه ليتلوها واني لأتلقاها من فيه وان فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية فقال النبي ﷺ «اقتلوها» فابتدرناها فذهبت فقال النبي ﷺ «وقيت شركم كما وقيتم شرها» وأخرجه مسلم أيضاً من طريق الاعمش

وقال الامام أحمد ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن أمه انها سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفا، وفي رواية مالك عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس ان أم الفضل سمعته يقرأ (والمرسلات عرفا) فقالت يابني أذكرتني بقراءة تلك هذه السورة انها لآخر ماسمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب. أخرجاه في الصحيحين من طريق مالك به

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

والمرسلات عرفا (١) فالعصفت عصفا (٢) والنشرت نشراً (٣) فالفرقت فرقا (٤) فالملقيت ذكراً (٥) عذرا أو نذرا (٦) إنما توعدون لواقع (٧) فاذا النجوم طمست (٨) وإذا السماء فرجت (٩) وإذا الجبال نسفت (١٠) وإذا الرسل أقتت (١١) لأى يوم أجلت (١٢) ليوم الفصل (١٣) وما أدرىك مايوم الفصل؟ (١٤) ويل يومئذ للمكذبين (١٥)

قال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا زكريا بن سهل المروزي ثنا علي بن الحسن بن شقيق أنا الحسين بن واقد ثنا الاعمش عن أبي صالح عن ابي هريرة (والمرسلات عرفا) قال الملائكة، قال وروي عن مسروق وأبي الضحى ومجاهد في إحدى الروايات والسدي والربيع بن انس مثل ذلك، وروي عن أبي صالح انه قال هي الرسل وفي رواية عنه انها الملائكة، وهكذا قال أبو صالح في العاصفات والناشرات والفارقات والملقيات انها الملائكة

سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والمرسلات عرفا﴾ يعني الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل عرفا أي كثيرا تقول

وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين قال سألت ابن مسعود عن المرسلات عرفا قال الريح ، وكذا قال في (العاصفات عصفاً والناشرات نشرا) وانها الريح ، وكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح في رواية عنه وتوقف ابن جرير في (والمرسلات عرفا) هل هي الملائكة إذا أرسلت بالعرف أو كعرف الفرس يتبع بعضهم بعضاً أو هي الرياح إذا هبت شيئا فشيئا وقطع بأن العاصفات عصفا الرياح كما قاله ابن مسعود ومن تابعه ، وممن قال ذلك في العاصفات عصفا أيضا علي بن أبي طالب والسدي وتوقف في الناشرات نشراً هل هي الملائكة أو الريح كما تقدم ، وعن أبي صالح ان الناشرات نشرا هي المطر

والاظهر أن المرسلات هي الرياح كما قال تعالى [وأرسلنا الرياح لواقح] وقال تعالى [وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته] وهكذا العاصفات هي الرياح كما يقال عصفت الرياح اذا هبت بتصويت ، وكذا الناشرات هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الرب عز وجل

وقوله تعالى (فالفارقات فرقا فالملقيات ذكراً * عذراً أو نذراً) يعني الملائكة . قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس والسدي والثوري ولا خلاف ههنا فانها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل ، والهدى والغي ، والحلال والحرام ، وتلقي إلى الرسل وحيا فيه اعذار إلى الخلق وانذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره

وقوله تعالى (انما توعدون لواقع) هذا هو المقسم عليه بهذه الاقسام أي ماوعدتم به من قيام الساعة والنفخ في الصور وبعث الاجساد ، وجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد ومجازاة كل عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر إن هذا كله لواقع أي لكائن لامحالة

العرب الناس إلى فلان عرف واحد اذا توجهوا اليه فا كثروا هذا معنى قول مجاهد وقتادة قال مقاتل يعني الملائكة التي أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه وهي رواية مسروق عن ابن مسعود ﴿ فالعاصفات عصفا ﴾ يعني الرياح الشديدة الهبوب ﴿ والناشرات نشراً ﴾ يعني الرياح اللينة، وقال الحسن هي الرياح التي يرسلها الله بشرا بين يدي رحمته وقيل هي الرياح التي تنشر السحاب وتأتي بالمطر وقال مقاتل هم الملائكة ينشرون الكتب ﴿ فالفارقات فرقا ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والضحاك يعني الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل

وقال قتادة والحسن هي آي القرآن تفرق بين الحلال والحرام ، وروي عن مجاهد قال هي الرياح تفرق السحاب وتبدده ﴿ فالملقيات ذكراً ﴾ يعني الملائكة تلقي الذكر الى الانبياء نظيرها (يلقي الروح من أمره) ﴿ عذرا أو نذراً ﴾ أي للاعذار والانذار قرأ الحسن عذرا بضم الذال، واختلف فيه عن أبي بكر عن عاصم، وقراءة العامة بسكونها وقرأ ابو عمر وحمزة والكسائي وحفص نذرا ساكنة الذال وقرأ الباقون بضمها ومن سكن قال لانهما في موضع مصدرين بمعنى الانذار والاعذار وليسا بجمع فينقلا ، إلى ههنا أقسام ذكرها على قوله ﴿ انما توعدون ﴾ من أمر الساعة والبعث ﴿ لواقع ﴾

ثم قال تعالى (فاذا النجوم طمست) أي ذهب ضوءها كقوله تعالى [واذا النجوم انكدرت] وكقوله تعالى [واذا الكواكب انتثرت *واذا السماء فرجت] أي انفطرت وانشقت وتدلت أرجاؤها ووهت أطرافها (واذا الجبال نسفت) أي ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر كقوله تعالى [ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا] الآية، وقال تعالى [ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً] وقوله تعالى (واذا الرسل أقتت) قال العوفي عن ابن عباس جمعت ، وقال ابن زيد وهذه كقوله تعالى [يوم يجمع الله الرسل] وقال مجاهد (أقتت) أجلت وقال الثوري عن منصور عن ابراهيم (أقتت) أوعدت وكأنه يجعلها كقوله تعالى [وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون]

ثم قال تعالى (لأي يوم أجلت * ليوم الفصل * وما أدراك ما يوم الفصل * ويل يومئذ للمكذبين) يقول تعالى لأي يوم أجلت الرسل وأرجيء أمرها حتى تقوم الساعة كما قال تعالى [فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام * يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار] وهو يوم الفصل كما قال تعالى [ليوم الفصل]

ثم قال تعالى معظما لشأنه (وما أدراك ما يوم الفصل * ويل يومئذ للمكذبين) أي ويل لهم من عذاب الله غداً وقد قدمنا في الحديث أن ويل واد في جهنم ولا يصح

ألم نهلك الاولين (١٦) ثم نتبعهم الآخرين؟ (١٧) كذلك نفعل بالمجرمين (١٨) ويل يومئذ للمكذبين (١٩) ألم نخلقكم من ماء مهين؟ (٢٠) فجعلنه في قرار مكين (٢١) إلى قدر معلوم (٢٢) فقدرنا فنعم القدرون (٢٣) ويل يومئذ للمكذبين (٢٤) ألم نجعل الارض كفاتا (٢٥) أحياء وأمواتا (٢٦) وجعلنا فيها رواسي شمخت وأسقينكم ماء فراتا (٢٧) ويل يومئذ للمكذبين (٢٨)

يقول تعالى (ألم نهلك الاولين) يعني من المكذبين للرسل المخالفين لما جاؤهم به (ثم نتبعهم

لكائن ثم ذكر متى يقع فقال ﴿ فاذا النجوم طمست ﴾ محي نورها ﴿ واذا السماء فرجت ﴾ شقت ﴿ واذا الجبال نسفت ﴾ قلعت من أماكنها ﴿ واذا الرسل أقتت ﴾ قرأ أهل البصرة وقتت بالواو وقرأ ابو جعفر بالواو وتخفيف القاف ، وقرأ الآخرون بالالف وتشديد القاف وهما لغتان والعرب تعاقب بين الواو والهمزة كقولهم وكدت وأكدت وورخت وأرخت ومعناهما جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة ليشهدوا على الامم ﴿ لأي يوم أجلت ﴾ أي أخرت وضرب الاجل لجمعهم تعجب العباد من ذلك اليوم ثم بين فقال ﴿ ليوم الفصل ﴾ قال ابن عباس يوم فصل الرحمن بين الخلائق ﴿ وما أدراك ما يوم الفصل؟ ويل يومئذ المكذبين * ألم نهلك الاولين ﴾ يعني الامم الماضية

الآخرين) أي ممن أشبههم ولهذا قال تعالى (كذلك نفعل بالمجرمين * ويل يومئذ للمكذبين) قاله ابن جرير ، ثم قال تعالى ممتنا على خلقه ومحتجا على الاعادة بالبداءة (ألم نخلقكم من ماء مهين) أي ضعيف حقير بالنسبة إلى قدرة الباري عز وجل كما تقدم في سورة يس في حديث بشر بن جحاش «ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه » (فجعلناه في قرار مكين) يعني جمعناه في الرحم وهو قرار الماء من الرجل والمرأة والرحم معد لذلك حافظ لما أودع فيه من الماء.

وقوله تعالى (إلى قدر معلوم) يعني الى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر ولهذا قال تعالى (فقدرنا فنعم القادرون * ويل يومئذ للمكذبين)

ثم قال تعالى (ألم نجعل الارض كفاتا * أحياء وأمواتا) قال ابن عباس كفاتا كنا ، وقال مجاهد يكفت الميت فلا يرى منه شيء ، وقال الشعبي بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم ، وكذا قال مجاهد وقتادة (وجعلنا فيها رواسي شامخات) يعني الجبال رسى بها الارض لئلا تميد وتضطرب (وأسقيناكم ماء فراتا) أي عذبا زلالا من السحاب أو مما أنبعه من عيون الارض (ويل يومئذ للمكذبين) أى ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره

انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون (٢٩) انطلقوا إلى ظل ذي ثلث شعب (٣٠) لا ظليل ولا يغني من اللهب (٣١) إنها ترمي بشرر كالقصر (٣٢) كأنه جملت صفر (٣٣) ويل يومئذ للمكذبين (٣٤) هذا يوم لا ينطقون (٣٥) ولا يؤذن لهم فيعتذرون (٣٦) ويل يومئذ للمكذبين (٣٧) هذا يوم الفصل جمعنكم والاولين (٣٨) فان كان لكم كيد فكيدون (٣٩) ويل يومئذ للمكذبين (٤٠)

يقول تعالى مخبراً عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار أنهم يقال لهم يوم القيامة

بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم ﴿ ثم نتبعهم الآخرين ﴾ السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب يعني كفار مكة بتكذيبهم محمدا ﷺ ﴿ كذلك نفعل بالمجرمين * ويل يومئذ للمكذبين * ألم نخلقكم من ماء مهين ﴾ يعني النطفة ﴿ فجعلناه في قرار مكين ﴾ يعني الرحم ﴿ إلى قدر معلوم ﴾ وهو وقت الولادة ﴿ فقدرنا ﴾ قرأ أهل المدينة والكسائي فقدّرنا بالتشديد من التقدير ، وقرأ الآخرون بالتخفيف من القدرة لقوله ﴿ فنعم القادرون ﴾ وقيل معناهما واحد. وقوله (فنعم القادرون) أي المقدرون ﴿ ويل يومئذ للمكذبين * ألم نجعل الارض كفاتا ﴾ وعاء ومعنى الكفت الضم والجمع يقال كفت الشيء اذا ضمه وجمعه ، وقال الفراء يريد تكفتهم أحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتا في بطنها أي تحوزهم وهو قوله ﴿ أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسي ﴾ جبالا ﴿ شامخات ﴾ عاليات ﴿ وأسقيناكم ماء فراتا ﴾ عذبا ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ قال مقاتل وهذا كله أعجب من البعث الذي تكذبون به ثم أخبر أنه يقال لهم يوم القيامة ﴿ انطلقوا

(انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب) يعنى لهب النار اذا ارتفع وصعد معه دخان فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب (لاظليل ولا يغني من اللهب) أى ظل الدخان المقابل للهب لاظليل هو في نفسه ولا يغني من اللهب يعني ولا يقيهم حر اللهب

وقوله تعالى (انها ترمي بشرر كالقصر) أى يتطاير الشرر من لهبها كالقصر قال ابن مسعود كالحصون ، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وغيرهم يعني أصول الشجر (كأنه جمالة صفر) أى كالابل السود قاله مجاهد والحسن وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير ، وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير (جمالة صفر) يعني حبال السفن ، وعنه أعني ابن عباس جمالة صفر قطع نحاس وقال البخاري ثنا عمرو بن علي ثنا يحيى أنا سفيان عن عبد الرحمن بن عابس قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما (انها ترمي بشرر كالقصر) قال كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك فنرفعه للبناء فنسميه القصر (كأنه جمالة صفر) حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال [ويل يومئذ للمكذبين] ثم قال تعالى (هذا يوم لا ينطقون) أي لا يتكلمون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون)

إلى ما كنتم به تكذبون ﴾ في الدنيا ﴿ انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب ﴾ يعني دخان جهنم إذا ارتفع انشعب وافترق ثلاث فرق ، وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب نور ودخان ولهب فاما النور فيقف على رءوس المؤمنين ، والدخان يقف على رءوس المنافقين واللهب الصافي يقف على رءوس الكافرين ثم وصف ذلك الظل فقال ﴿ لاظليل ﴾ يظل من الحر ﴿ ولا يغني من اللهب ﴾ قال الكلبي لا يرد لهب جهنم عنكم ، والمعنى أنهم اذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حر اللهب ﴿ أنها ﴾ يعني جهنم ﴿ ترمي بشرر ﴾ وهو ما تطاير من النار واحدها شررة ﴿ كالقصر ﴾ وهو البناء العظيم قال ابن مسعود يعني الحصون وقال عبد الرحمن بن عابس سألت ابن عباس عن قوله (انها ترمي بشرر كالقصر) قال هي الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد إلى الخشبة فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه ندخرها للشتاء[1] فكنا نسميها القصر ، وقال سعيد بن جبير والضحاك هي أصول النخل والشجر العظام واحدتها قصرة مثل تمرة وتمر وجمرة وجمر ، وقرأ علي وابن عباس كالقصر بفتح الصاد أي أعناق النخل والقصرة العنق وجمعها قصر وقصرات ﴿ كأنه ﴾ رد الكناية الى اللفظ ﴿ جمالة ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة على جمع الجمل مثل حجر وحجارة وقرأ يعقوب بضم الجيم بلا ألف أراد الاشياء العظام المجموعة وقرأ الآخرون جمالات بالالف وكسر الجيم على جمع الجمال . وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير هي حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى يكون كأوساط الرجال ﴿ صفر ﴾ جمع الاصفر يعني لون النار وقيل الصفر معناها السود لانه جاء في الحديث إن شرر نار جهنم أسود كالقير والعرب تسمي سود الابل صفراً لانه يشوب سوادها شيء من صفرة كما يقال لبيض الظباء أدم لان بياضها يعلوه كدرة ﴿ ويل يومئذ للمكذبين * هذا يوم لا ينطقون ﴾ أي في القيامة لان فيها مواقف ففي بعضها يختصمون

(١) في ابن كثير للبناء

أي لا يقدرون على الكلام ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا بل قد قامت عليهم الحجة ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون، وعرصات القيامة حالات والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة وعن هذه الحال تارة ليدل على شدة الاهوال والزلازل يومئذ، ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام [ويل يومئذ للمكذبين]

وقوله تعالى (هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين * فان كان لكم كيد فكيدون) وهذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده يقول لهم (هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين) يعني انه جمعهم بقدرته في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر

وقوله تعالى (فان كان لكم كيد فكيدون) تهديد شديد ووعيد أكيد، أي إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتي وتنجوا من حكمي فافعلوا فانكم لا تقدرون على ذلك كما قال تعالى (يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) وقد قال تعالى (ولا تضرونه شيئا) وفي الحديث « يا عبادي انكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني »

وقد قال ابن أبي حاتم : ثنا علي بن المنذر الطريفي الاودي ثنا محمد بن فضيل ثنا حصين بن عبد الرحمن عن حسان بن أبي المخارق عن ابي عبدالله الجدلي قال : أتيت بيت المقدس فاذا عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو وكعب الاحبار يتحدثون في بيت المقدس فقال عبادة : إذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد ينفذهم ويسمعهم الداعي ويقول الله (هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين * فان كان لكم كيد فكيدون) اليوم لا ينجو مني جبار عنيد، ولا شيطان مريد، فقال عبد الله بن عمرو فانا نحدث يومئذ انها تخرج عنق من النار فتنطلق حتى إذا كانت بين ظهراني الناس نادت : أيها الناس إني بعثت الى ثلاثة أنا أعرف بهم من الاب بولده ومن الاخ بأخيه لا يغيبهم عني وزر ولا تخفيهم عني خافية : الذي جعل مع الله إلها آخر، وكل جبار عنيد، وكل شيطان مريد، فتنطوي عليهم فتقذف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة

إن المتقين في ظلال وعيون (٤١) وفواكه مما يشتهون (٤٢) كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون (٤٣) إنا كذلك نجزي المحسنين (٤٤) ويل يومئذ للمكذبين (٤٥) كلوا وتمتعوا

. ويتكلمون وفي بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون ﴿ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ رفع عطف على قوله (يؤذن) قال الجنيد أي لا عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر بأياديه ونعمه ﴿ ويل يومئذ للمكذبين * هذا يوم الفصل ﴾ بين أهل الجنة والنار ﴿ جمعناكم والاولين ﴾ يعني مكذبي هذه الامة والاولين الذين كذبوا أنبياءهم ﴿ فان كان لكم كيد فكيدون ﴾ قال مقاتل ان كانت لكم حيلة فاحتالوا لانفسكم ﴿ ويل يومئذ للمكذبين * ان المتقين في ظلال ﴾ جمع ظل أي في ظلال الشجر ﴿ وعيون ﴾ الماء ﴿ وفواكه

قليلا انكم مجرمون (٤٦) ويل يومئذ للمكذبين (٤٧) واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون (٤٨)

ويل يومئذ للمكذبين (٤٩) فبأي حديث بعده يؤمنون ؟ (٥٠)

يقول تعالى مخبراً عن عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات ، وترك المحرمات ، انهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون أي بخلاف ما أولئك الاشقياء فيه من ظل اليحموم وهو الدخان الاسود المنتن ، وقوله (وفواكه مما يشتهون) أي ومن سائر أنواع الثمار مهما طلبوا وجدوا (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) أي يقال لهم ذلك على سبيل الاحسان اليهم

ثم قال تعالى مخبرا خبراً مستأنفا (إنا كذلك نجزي المحسنين) أي هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل (ويل يومئذ للمكذبين)

وقوله تعالى (كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون) خطاب للمكذبين بيوم الدين ، وأمرهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى [كلوا وتمتعوا قليلا] أي مدة قليلة قريبة قصيرة [انكم مجرمون] أي ثم تساقون الى نار جهنم التي تقدم ذكرها [ويل يومئذ للمكذبين] كما قال تعالى [نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ] وقال تعالى [ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون]

وقوله تعالى [وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون] أي إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ولهذا قال تعالى [ويل يومئذ للمكذبين] ثم قال تعالى [فبأي حديث بعده يؤمنون ؟] أي إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي كلام يؤمنون به كقوله تعالى [فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون]

قال ابن أبي حاتم ثنا ابن أبي عمر ثنا سفيان عن اسماعيل بن أمية سمعت رجلا اعرابيا بدويا يقول سمعت أبا هريرة يرويه اذا قرأ [والمرسلات عرفا - فقرأ - فبأي حديث بعده يؤمنون] فليقل آمنت بالله وبما أنزل وقد تقدم هذا الحديث في سورة القيامة

﴿ آخر تفسير سورة والمرسلات ولله الحمد والمنة ﴾

مما يشتهون ﴾ ويقال لهم ﴿ كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ﴾ في الدنيا بطاعتي ﴿ إنا كذلك نجزي المحسنين * ويل يومئذ للمكذبين ﴾ ثم قال لكفار مكة ﴿ كلوا وتمتعوا قليلا ﴾ في الدنيا ﴿ انكم مجرمون ﴾ مشركون بالله عز وجل مستحقون للعذاب ﴿ ويل يومئذ للمكذبين * وإذا قيل لهم اركعوا ﴾ يعني صلوا ﴿ لا يركعون ﴾ لا يصلون ، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون ﴿ ويل يومئذ للمكذبين * فبأي حديث بعده ﴾ أي بعد القرآن ﴿ يؤمنون ﴾ اذا لم يؤمنوا به

تفسير سورة النبا وهى مكية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

عمّ يتساءلون؟(١) عن النبأ العظيم (٢) الذي هم فيه مختلفون (٣) كلّا سيعلمون (٤) ثم كلا سيعلمون (٥) ألم نجعل الارض مِهْداً (٦) والجبال أوتاداً؟ (٧) وخلقنٰكم أزواجا (٨) وجعلنا نومكم سُباتا (٩) وجعلنا الليل لباسا (١٠) وجعلنا النهار مَعاشا (١١) وبنينا فوقكم سبعا شِداداً (١٢) وجعلنا سراجا وَهّاجا (١٣) وأنزلنا من المعصِرات ماء ثجّاجا (١٤) لنخرج به حَبا ونباتا (١٥) وجنّٰت ألفافا (١٦)

يقول تعالى منكراً على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة انكاراً لوقوعها (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) أي عن أي شيء يتساءلون من أمر القيامة وهو النبأ العظيم يعني الخبر الهائل المفظع الباهر قال قتادة وابن زيد النبأ العظيم البعث بعد الموت وقال مجاهد هو القرآن ، والاظهر الاول لقوله (الذي هم فيه مختلفون) يعني الناس فيه على قولين مؤمن به وكافر

ثم قال تعالى متوعداً لمنكري القيامة (كلا سيعلمون * ثم كلا سيعلمون) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، ثم شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الاشياء الغريبة والامور العجيبة الدالة على

﴿ سورة النبأ مكية وهي أربعون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عمّ ﴾ أصله عن ما فأدغمت النون في الميم وحذفت ألف ما كقولهم فيم وبم ﴿ يتساءلون ؟ ﴾ أي عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون ؟ وذلك أن النبي ﷺ لما دعاهم إلى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون ماذا جاء به محمد ﷺ قال الزجاج اللفظ لفظ استفهام ومعناه التفخيم كما تقول أي شيء زيد إذا عظمت أمره وشأنه ثم ذكر ان تساءلهم عما ذا فقال ﴿ عن النبأ العظيم ﴾ قال مجاهد والاكثرون هو القرآن دليله قوله [قل هو نبأ عظيم] وقال قتادة هو البعث ﴿ الذي هم فيه مختلفون ﴾ فمصدق ومكذب ﴿ كلا سيعلمون ﴾ كلا نفي يقول هم سيعلمون عاقبة تكذيبهم حين تنكشف الامور ﴿ ثم كلا سيعلمون ﴾ وعيد لهم على أثر وعيد ، قال الضحاك كلا سيعلمون يعني الكافرين ثم كلا سيعلمون يعني المؤمنين ثم ذكر صنائعه ليعلموا توحيده فقال

قدرته على مايشاء من أمر المعاد وغيره فقال (ألم نجعل الارض مهاداً) أي ممهدة للخلائق ذلولا لهم قارة ساكنة ثابتة (والجبال أوتادا) أي جعلها لها أوتاداً أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها . ثم قال تعالى (وخلقناكم أزواجا) يعني ذكراً وانثى يتمتع كل منهما بالآخر ويحصل التناسل بذلك كقوله (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وقوله تعالى (وجعلنا نومكم سباتا) أي قطعا للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعايش في عرض النهار وقد تقدم مثل هذه الآية في سورة الفرقان (وجعلنا الليل لباسا) أي يغشى الناس ظلامه وسواده كما قال (والليل اذا يغشاها) وقال الشاعر

فلما لبسن الليل أو حين نصبت ... له من خذا آذانها وهو جانح

وقال قتادة في قوله تعالى (وجعلنا الليل لباسا) أي سكنا وقوله تعالى (وجعلنا النهار معاشا) أي جعلناه مشرقا نيراً مضيئا ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعاش والتكسب والتجارات وغير ذلك

وقوله تعالى (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) يعني السموات السبع في اتساعها وارتفاعها واحكامها واتقانها وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات ولهذا قال تعالى (وجعلنا سراجا وهاجا) يعني الشمس المنيرة على جميع العالم التي يتوهج ضوؤها لاهل الارض كلهم . وقوله تعالى (وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) قال العوفي عن ابن عباس المعصرات الريح

﴿ ألم نجعل الارض مهادا ﴾ فراشا ﴿ والجبال أوتادا ﴾ للارض حتى لا تميد ﴿ وخلقناكم أزواجا ﴾ أصنافا ذكورا واناثا ﴿ وجعلنا نومكم سباتا ﴾ أي راحة لابدانكم ، قال الزجاج السبات ان ينقطع عن الحركة والروح فيه، وقيل معناه جعلنا نومكم قطعا لاعمالكم لان اصل السبت القطع ﴿ وجعلنا الليل لباسا ﴾ غطاء وغشاء يستر كل شيء بظلمته ﴿ وجعلنا النهار معاشا ﴾ المعاش العيش وكل مايعاش فيه فهو معاش أي جعلنا النهار سببا للمعاش والتصرف في المصالح . قال ابن عباس يريد تبتغون فيه من فضل الله وما قسم لكم من رزقه ﴿ وبنينا فوقكم سبعا شدادا ﴾ يريد سبع سموات ﴿ وجعلنا سراجا ﴾ يعني الشمس ﴿ وهاجا ﴾ مضيئا منيراً ، قال الزجاج الوهاج الوقاد وقال مقاتل جعل فيه نورا وحرارة والوهج يجمع النور والحرارة ﴿ وأنزلنا من المعصرات ﴾ قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي يعني الرياح التي تعصر السحاب وهي رواية العوفي عن ابن عباس، قال الازهري هي الرياح ذوات الاعاصير وعلى هذا التأويل تكون من بمعنى الباء أي بالمعصرات وذلك ان الريح تستدر المطر، وقال أبو العالية والربيع والضحاك المعصرات هي السحاب وهي رواية الوالبي عن ابن عباس ، وقال الفراء المعصر السحابة التي تتحلب بالمطر ولا تمطر كالمرأة المعصر هي التي دنا حيضها ولم تحض ، وقال ابن كيسان هي المغيثات من قوله [فيه يغاث الناس وفيه يعصرون] وقال الحسن وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم

وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو سعيد ثنا أبو داود الحفري عن سفيان عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وأنزلنا من المعصرات) قال الرياح وكذا قال عكرمة ومجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي وزيد بن أسلم وابنه عبدالرحمن انها الرياح ، ومعنى هذا القول أنها تستدر المطر من السحاب ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من المعصرات أي من السحاب وكذا قال عكرمة أيضا وأبو العالية والضحاك والحسن والربيع بن أنس والثوري واختاره ابن جرير ، وقال الفراء هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد كما يقال امرأة معصر اذا دنا حيضها ولم تحض وعن الحسن وقتادة من المعصرات يعني السموات وهذا قول غريب

والاظهر أن المراد بالمعصرات السحاب كما قال تعالى [الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ثم يجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله] أي بينه

وقوله جل وعلا [ماء ثجاجا] قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس ثجاجا منصبا وقال الثوري متتابعا وقال ابن زيد كثيراً ، قال ابن جرير ولا يعرف في كلام العرب في صفة الكثرة الثج وإنما الثج الصب المتتابع ومنه قول النبي ﷺ « أفضل الحج العج والثج » يعني صب دماء البدن هكذا قال قلت وفي حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله ﷺ « أنعت لك الكرسف » يعني أن تحتشي بالقطن فقالت يارسول الله هو أكثر من ذلك إنما أثج ثجا ، وهذا فيه دلالة على استعمال الثج في الصب المتتابع الكثير والله أعلم

وقوله تعالى [لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا] أي لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك [حبا] يدخر للاناسي والانعام [ونباتا] أي خضراً يؤكل رطبا [وجنات] أي بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة وألوان مختلفة وطعوم وروائح متفاوتة وان كان ذلك في بقعة واحدة من الارض مجتمعا ولهذا قال وجنات ألفافا قال ابن عباس وغيره ألفافا مجتمعة وهذه كقوله تعالى [وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون]

ان يوم الفصل كان ميقتا (١٧) يوم يُنفخ في الصور فتأتون أفواجا (١٨) وفُتحت السماء فكانت أبوابا (١٩) وسُيِّرت الجبال فكانت سرابا (٢٠) ان جهنم كانت مرصادا (٢١)

ومقاتل بن حيان من المعصرات أي من السموات ﴿ ماء ثجاجا ﴾ أي صبابا، وقال مجاهد مدرارا ، وقال قتادة متتابعا يتلو بعضه بعضا ، وقال ابن زيد كثيرا ﴿ لنخرج به ﴾ أي بذلك الماء ﴿حبا﴾ وهو ما يأكله الناس ﴿ونباتا﴾ ماتنبته الارض مما تأكله الانعام ﴿وجنات ألفافا﴾ ملتفة بالشجر واحدها لف ولفيف وقيل هو جمع الجمع يقال جنة لفاء وجمعها لف بضم اللام وجمع الجمع ألفاف ﴿ ان يوم الفصل ﴾

للطاغين مآبا (٢٢) لَبثين فيها أحقبًا (٢٣) لا يذوقون فيها بَردا ولا شرابا (٢٤) الا حميما وغسّاقا (٢٥) جزاء وفاقا (٢٦) انهم كانوا لا يرجون حسابا (٢٧) وكذبوا بآيتنا كِذّابا (٢٨) وكلّ شيء أحصينه كتبا (٢٩) فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا (٣٠)

يخبر تعالى عن يوم الفصل وهو يوم القيامة انه مؤقت بأجل معدود لا يزاد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله عز وجل كما قال تعالى [وما نؤخره إلا لأجل معدود] [يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا] قال مجاهد زمراً زمراً قال ابن جرير يعني تأتي كل أمة مع رسولها كقوله تعالى [يوم ندعوا كل أناس بامامهم]

وقال البخاري (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) حدثنا محمد حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « مابين النفختين اربعون » قالوا أربعون يوما ؟ قال « أبيتُ » قالوا أربعون شهرا ؟ قال « أبيتُ » قالوا أربعون سنة ؟ قال « أبيت » قال « ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه ركب الخلق يوم القيامة » (وفتحت السماء فكانت أبوابا) أي طرقا ومسالك لنزول الملائكة (وسيرت الجبال فكانت سرابا) كقوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مَرّ السحاب) وكقوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وقال ههنا (فكانت سرابا) أي يخيل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر كما قال تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا)
وقال تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة) وقوله تعالى (إن جهنم كانت مرصادا)

يوم القضاء بين الخلق ﴿ كان ميقاتا ﴾ لما وعد الله من الثواب والعقاب ﴿ يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا ﴾ زمراً زمراً من كل مكان للحساب ﴿ وفتحت السماء ﴾ قرأ أهل الكوفة فتحت بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد أى شقت لنزول الملائكة ﴿فكانت أبوابا﴾ أى ذات أبواب وقيل تنحل وتتناثر حتى تصير فيها أبواب وطرق ﴿ وسيرت الجبال ﴾ عن وجه الارض ﴿ فكانت سرابا ﴾ أى هباء منبثا يتهيأ لعين الناظر كالسراب ﴿ ان جهنم كانت مرصادا ﴾ طريقا وممرا فلا سبيل لأحد إلى الجنة حتى يقطع النار وقيل كانت مرصادا اى معدة لهم يقال أرصدت الشيء إذا أعددته له وقيل هو من رصدت الشيء أرصده إذا ترقبته والمرصاد المكان الذى يرصد الراصد فيه العدو

وقوله [إن جهنم كانت مرصادا] أى ترصد للكفار . وروى مقسم عن ابن عباس ان على جسر جهنم سبع محابس يسئل العبد عند أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله فان جاء بها تامة جاز إلى الثاني

أي مرصدة معدة (للطاغين) وهم المردة العصاة المخالفون للرسل (مآبا) أي مرجعا ومنقلبا ومصيرا ونزلا وقال الحسن وقتادة في قوله تعالى (ان جهنم كانت مرصادا) يعني انه لايدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار فان كان معه جواز نجا والا احتبس، وقال سفيان الثورى عليها ثلاث قناطر

وقوله تعالى (لابثين فيها أحقابا) أى ما كثين فيها أحقابا وهي جمع حقب وهو المدة من الزمان وقد اختلفوا في مقداره فقال ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثورى عن عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال: قال علي بن أبي طالب لهلال الهجرى ماتجدون الحقب في كتاب الله المنزل؟ قال نجده ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم الف سنة، وهكذا روي عن ابي هريرة وعبدالله بن عمرو وابن عباس وسعيد بن جبير وعمرو بن ميمون والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك، وعن الحسن والسدى أيضا سبعون سنة كذلك، وعن عبدالله بن عمرو الحقب أربعون سنة كل يوم منها كألف سنة مما تعدون رواهما ابن أبي حاتم

وقال بشير بن كعب ذكر لي أن الحقب الواحد ثلثمائة سنة كل سنة اثنى عشر شهرا كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها كألف سنة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم

ثم قال ابن أبي حاتم ذكر عن عمرو بن علي بن أبي بكر الاسفيدي حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله تعالى (لابثين فيها أحقابا) قال فالحقب شهر الشهر ثلاثون يوما والسنة اثنا عشر شهرا والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها الف سنة مما تعدون فالحقب ثلاثون الف الف سنة وهذا حديث منكر جدا والقاسم هو والراوى عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك

وقال البزار حدثنا محمد بن مرداس حدثنا سليمان بن مسلم ابو العلاء قال: سألت سليمان التيمي هل يخرج من النار أحد؟ فقال حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال «والله لايخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقابا قال والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما مما تعدون ثم قال سليمان بن مسلم بصرى مشهور، وقال السدي (لابثين فيها أحقابا) سبعمائة حقب كل حقب سبعون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون، وقد قال مقاتل بن

فيسئل عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز إلى الثالث، فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسئل عن الصوم فان جاء به تاما جاز الى الخامس، فيسئل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى السادس فيسئل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز إلى السابع فيسئل عن المظالم فان خرج منها والإ يقال انظروا فان كان له تطوع أكمل به أعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة ﴿الطاغين﴾ الكافرين ﴿مآبا﴾ مرجعا يرجعون اليه ﴿لابثين﴾ قرأ حمزة ويعقوب لبثين بغير الف وقرأ العامة لابثين بالالف وهما لغتان ﴿فيها أحقابا﴾ جمع حقب والحقب الواحد ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما

حيان ان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) وقال خالدبن معدان هذه الآية وقوله تعالى (الا ماشاء ربك) في أهل التوحيد رواهما ابن جرير ثم قال ويحتمل أن يكون قوله تعالى (لابثين فيها أحقابا] متعلقا بقوله تعالى [لايذوقون فيها بردا ولا شرابا] ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذابا من شكل آخر ونوع آخر ثم قال والصحيح انها لاانقضاء لها كما قال قتادة والربيع بن أنس وقد قال قبل ذلك حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن زهير عن سالم سمعت الحسن يسئل عن قوله تعالى [لابثين فيها أحقابا] قال أما الاحقاب فليس لها عدة الا الخلود في النار ولكن ذكروا ان الحقب سبعون سنة كل يوم منها كألف سنة مما تعدون

وقال سعيد عن قتادة قال الله تعالى [لابثين فيها أحقابا] وهو مالا انقطاع له وكلما مضى حقب جاء حقب بعده وقال الربيع بن أنس (لابثين فيها أحقابا) لا يعلم عدة هذه الاحقاب الا الله عز وجل ولكن الحقب الواحد ثمانون سنة ، وذكر لنا ان الحقب الواحد ثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون رواهما أيضا ابن جرير

وقوله تعالى (لايذوقون فيها برداً ولا شرابا) أي لايجدون في جهنم بردا لقلوبهم ولا شرابا طيبا يتغذون به ولهذا قال تعالى (إلا حميما وغساقا) قال أبو العالية استثنى من البرد الحميم ومن الشراب الغساق وكذا قال الربيع بن أنس ، فاما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموه ، والغساق هو مااجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم فهو بارد لا يستطاع من برده ولا يواجه من نتنه ، وقد قدمنا الكلام على الغساق في سورة ص بما أغنى عن اعادته أجارنا الله من ذلك بمنه وكرمه ، قال ابن جرير وقيل المراد بقوله لايذوقون فيها بردا يعني النوم كما قال الكندي

بردت مراشفها علي فصدني ... عنها وعن قبلاتها البرد

كل يوم الف سنة روي ذلك عن علي بن أبي طالب ، وقال مجاهد الاحقاب ثلاثة وأربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة ، قال الحسن ان الله لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها أحقابا فوالله ما هو إلا انه اذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود

وروى السدى عن مرة عن عبد الله قال لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة انهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا ، وقال مقاتل بن حيان الحقب الواحد سبع عشر الف سنة قال وهذه الآية منسوخة نسختها (فلن نزيدكم الا عذابا) يعني ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل ﴿لايذوقون فيها بردا ولا شرابا﴾ روي عن ابن عباس ان البرد النوم ومثله ما قال الكسائي وأبو عبيدة تقول العرب منع البرد البرد أى أذهب البرد النوم ، وقال الحسن وعطاء لا يذوقون فيها برداً أى روحا وراحة ، قال مقاتل لا يذوقون فيها برداً ينفعهم من حر ولا

يعني بالبرد النعاس والنوم ، هكذا ذكره ولم يعزه الى أحد ، وقد رواه ابن أبي حاتم من طريق السدي عن مرة الطيب ونقله عن مجاهد أيضا، وحكاه البغوي عن أبي عبيدة والكسائي أيضا ، وقوله تعالى (جزاء وفاقا) أى هذا الذي صاروا اليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا ،قاله مجاهد وقتادة وغير واحد

ثم قال تعالى [انهم كانوا لا يرجون حسابا] أى لم يكونوا يعتقدون أن ثم داراً يجازون فيها ويحاسبون [وكذبوا بآياتنا كذابا] أي وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله صلى الله عليهم وسلم فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة وقوله [كذابا] أى تكذيبا ، وهو مصدر من غير الفعل ، قالوا وقد سمع اعرابي يستفتي الفراء على المروة : الحلق أحب اليك أو القصار ؟ وأنشد بعضهم

لقد طال ماثبطتني عن صحابتي وعن حوج قصارها من شقائيا

وقوله تعالى (وكل شيء أحصيناه كتابا) أي وقد علمنا أعمال العباد كلهم وكتبناها عليهم وسنجزيهم على ذلك إن خيراً فخير وإن شراً فشر

وقوله تعالى (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) أى يقال لاهل النار ذوقوا ما أنتم فيه فلن نزيدكم الا عذابا من جنسه وآخر من شكله أزواج ،قال قتادة عن أيوب الازدى عن عبد الله بن عمرو قال لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية [فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا] قال فهم في مزيد من العذاب أبداً

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري حدثنا خالد بن عبد الرحمن حدثنا جسر بن فرقد عن الحسن قال سألت أبا برزة الاسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار قال سمعت رسول الله ﷺ قرأ [فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا] فال « هلك القوم بمعاصيهم الله عز وجل » جسر بن فريد ضعيف الحديث بالكلية

إن للمتقين مفازا (٣١) حدائق وأعنابا (٣٢) وكواعب أترابا (٣٣) وكأسا دهاقا (٣٤)

شرابا ينفعهم من عطش ﴿ إلا حميما وغساقا ﴾ قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل صديد أهل النار وقد ذكرناه في سورة [ص] ﴿ جزاء وفاقا ﴾ أى جازيناهم جزاء وافق أعمالهم، وقال مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار ﴿ إنهم كانوا لا يرجون حسابا ﴾ لا يخافون أن يحاسبوا ، والمعنى أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم يحاسبون ﴿ وكذبوا بآياتنا ﴾ أى بما جاء به الانبياء ﴿ كذابا ﴾ يعني تكذيبا ، قال الفراء هي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فعال قال قال لي أعرابي منهم على المروة يستفتيني الحلق أحب اليك أم القصار ؟ ﴿ وكل شيء أحصيناه كتابا ﴾ أي وكل شيء من الاعمال بيناه في اللوح المحفوظ كقوله [وكل شيء أحصيناه في إمام مبين] ﴿ فذوقوا ﴾ أي يقال لهم فذوقوا ﴿فلن نزيدكم الا عذابا﴾

قوله عز وجل ﴿ ان للمتقين مفازا ﴾ فوزا ونجاة من النار ، وقال الضحاك متنزها ﴿ حدائق

لا يسمعون فيها لغوا ولا كذّابا (٣٥) جزاءً من ربك عطاءً حسابا (٣٦)

يقول تعالى مخبراً عن السعداء وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم فقال تعالى (إن للمتقين مفازاً) قال ابن عباس والضحاك متنزها . وقال مجاهد وقتادة : فازوا فنجوا من النار . والاظهر ههنا قول ابن عباس لانه قال بعده (حدائق) والحدائق البساتين من النخيل وغيرها (وأعنابا وكواعب أترابا) أي وحورا كواعب ، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد (كواعب) أي نواهد ، يعنون ان ثديهن نواهد لم يتدلين لانهن أبكار عرب أتراب أي في سن واحد كما تقدم بيانه في سورة الواقعة

قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن الدستكي حدثني أبي عن أبي سفيان عبد الرحمن بن عبدالله بن تيم حدثنا عطية بن سليمان أبو الغيث عن أبي عبد الرحمن القاسم بن أبي القاسم الدمشقي عن أبي امامة انه سمعه يحدث عن النبي ﷺ انه قال « إن قمص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله وان السحابة لتمر بهم فتناديهم يا أهل الجنة ماذا تريدون أن أمطركم ؟ حتى انها لتمطرهم الكواعب الاتراب » وقوله تعالى [وكأسا دهاقا] قال ابن عباس مملوءة متتابعة ، وقال عكرمة صافية ، وقال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد [دهاقا] الملأى المترعة ، وقال مجاهد وسعيد بن جبير هي المتتابعة

وقوله تعالى (لا يسمعون فيها لغواً ولا كذابا) كقوله (لا لغو فيها ولا تأثيم) أي ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ولا اثم كذب بل هي دار السلام وكل ما فيها سالم من النقص

وقوله (جزاء من ربك عطاء حسابا) أي هذا الذي ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهموه بفضله ومنه وإحسانه ورحمته عطاء حسابا أي كافيا وافيا متاملا كثيرا ، تقول العرب أعطاني فأحسبني أي كفاني ، ومنه حسبي الله أي كافي

رب السموٰت والارض وما بينهما الرحمٰن لا يملكون منه خطابا (٣٧) يوم يقوم

الروح والملئكة صفاً لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا (٣٨) ذلك اليوم الحقُّ

وأعنابا ﴾ يريد أشجار الجنة وثمارها ﴿ وكواعب ﴾ جواري نواهد قد تكعبت ثديهن واحدتها كاعب ﴿ أترابا ﴾ مستويات في السن ﴿ وكأسا دهاقا ﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد مترعة مملوءة وقال سعيد بن جبير ومجاهد متتابعة قال عكرمة صافية ﴿ لا يسمعون فيها لغوا ﴾ باطلا من الكلام ﴿ ولا كذابا ﴾ تكذيبا لا يكذب بعضهم بعضا . وقرأ الكسائي كذابا بالتخفيف مصدر المكاذبة وقيل هو الكذب وقيل هو بمعنى التكذيب كالمشدد ﴿ جزاء من ربك عطاء حسابا ﴾ أي جازاهم جزاء وأعطاهم عطاء حسابا أي كافيا وافيا يقال أحسبت فلانا أي أعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي ، وقال ابن قتيبة عطاء حسابا أي كثيرا وقيل هو جزاء بقدر أعمالهم ﴿ رب السموات الارض وما

فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا (٣٩) انا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ماقدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا (٤٠)

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وانه رب السموات والارض ومافيهما ومابينهما وانه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء، وقوله تعالى (لايملكون منه خطابا) أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا باذنه كقوله تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) وكقوله تعالى (يوم يأتي لا تكلم نفس الا باذنه) وقوله تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون) اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا ماهو على أقوال (أحدها) مارواه العوفي عن ابن عباس انهم أرواح بني آدم (الثاني هم بنو آدم قاله الحسن وقتادة ، وقال قتادة هذا مما كان ابن عباس يكتمه [الثالث] انهم خلق من خلق الله على صور بني آدم وليسوا بملائكة ولا ببشر وهم يأكلون ويشربون قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والاعمش [الرابع] هو جبريل قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك ، ويستشهد لهذا القول بقوله عز وجل [نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين] وقال مقاتل بن حيان الروح هو أشرف الملائكة وأقرب الى الرب عز وجل وصاحب الوحي [الخامس] انه القرآن قاله ابن زيد كقوله [وكذلك أوحينا اليك روحا من

بينهما الرحمن ﴾ قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو رب رفع على الاستئناف والرحمن خبره وقرأ الآخرون بالجر اتباعا لقوله [من ربك] وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب الرحمن جرا اتباعا لقوله [رب السموات والارض] وقرأ الآخرون بالرفع فحمزة والكسائي يقرآن رب بالخفض لقربه من قوله (جزاء من ربك) ويقرآن الرحمن بالرفع لبعده منه على الاستئناف

وقوله (لا يملكون) في موضع رفع خبره، ومعنى ﴿ لا يملكون منه خطابا ﴾ قال مقاتل لا يقدر الخلق على أن يكلموا الرب إلا باذنه ، وقال الكلبي لا يملكون شفاعة إلا باذنه ﴿يوم يقوم الروح﴾ أى في ذلك اليوم ﴿ والملائكة صفا ﴾ واختلفوا في هـذا الروح قال الشعبي والضحاك هو جبريل وقال عطاء عن ابن عباس الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقا أعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون عظم خلقه مثلهم ، وعن ابن مسعود قال الروح ملك أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة وهو في السماء الرابعة يسبح كل يوم اثنى عشر الف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا ، يجيء يوم القيامة صفا وحده ، وقال مجاهد وقتادة وأبو صالح الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء جند وهؤلاء جند . وروى مجاهد عن ابن عباس قال هم خلق على صورة بني آدم وما ينزل من السماء ملك إلا معه واحد منهم . وقال الحسن هم بنو آدم ورواه قتادة عن ابن عباس وقال هـذا مما كان يكتمه

أمرنا] الآية [والسادس] انه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله [يوم يقوم الروح] قال هو ملك عظيم أعظم الملائكة خلقا

وقال ابن جرير حدثني محمد بن خلف العسقلاني حدثنا رواد بن الجراح عن أبي حمزة عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود قال الروح في السماء الرابعة هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكا من الملائكة يجيء يوم القيامة صفا وحده . وهذا قول غريب جداً

(١) وقد قال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن عوس المصرى حدثنا وهب الله بن روق بن هبيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الاوزاعي حدثني عطاء عن عبد الله بن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن لله ملكا لو قيل له التقم السموات السبع والارضين بلقمة واحدة لفعل ، تسبيحه سبحانك حيث كنت وهذا حديث غريب جداً وفي رفعه نظر وقد يكون موقوفا على ابن عباس ويكون مما تلقاه من الاسرائيليات والله أعلم . وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الاقوال كلها والاشبه عندى والله أعلم أنهم بنو آدم

(١) هذا الى قوله وتوقف ابن جرير ليس بموجود في النسخة المكية

وقوله تعالى [إلا من أذن له الرحمن] كقوله [يوم يأت لا تكلم نفس إلا باذنه] وكما ثبت في الصحيح « ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل » وقوله تعالى [وقال صوابا] أى حقا ومن الحق لا إله إلا الله كما قاله ابو صالح وعكرمة ، وقوله تعالى [ذلك اليوم الحق] أى الكائن لا محالة [فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا] أى مرجعا وطريقا يهتدى اليه ومنهجا يمر به عليه

وقوله تعالى [انا أنذرناكم عذابا قريبا] يعني يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريبا لان كل ما هو آت آت [يوم ينظر المرء ماقدمت يداه] أى يعرض عليه جميع أعماله خيرها وشرها ، قديمها وحديثها كقوله تعالى [ووجدوا ما عملوا حاضراً] وكقوله تعالى [ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر * ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا] أى يود الكافر يومئذ انه كان في الدار الدنيا ترابا ولم يكن خلق ولا خرج الى الوجود ، وذلك حين عاين عذاب الله ونظر الى أعماله الفاسدة قد سطرت عليه بأيدي الملائكة السفرة

ابن عباس [والملائكة صفا] قال الشعبي هما سماطا رب العالمين يوم يقوم سماط من الروح وسماط من الملائكة ﴿ لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا ﴾ في الدنيا أي حقا وقيل قال لا إله إلا الله ﴿ ذلك اليوم الحق ﴾ الكائن الواقع يعني يوم القيامة ﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا ﴾ مرجعا وسبيلا بطاعته أي فمن شاء رجع الى الله بطاعته ﴿ إنا أنذرناكم عذابا قريبا ﴾ يعني العذاب في الآخرة وكل ما هو آت قريب ﴿ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ﴾ أي كل امرىء يرى في ذلك اليوم ما قدم من العمل مثبتا في صحيفته ﴿ ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا ﴾ قال عبد الله بن عمرو اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهائم والوحوش ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص

الكرام البررة ، وقيل انما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل الذى لا يجور حتى انه ليقتص للشاة الجماء من القرناء ، فاذا فرغ من الحكم بينها قال لها كوني ترابا فتصير ترابا فعند ذلك يقول الكافر [ياليتني كنت ترابا] أي كنت حيوانا فأرجع الى التراب ، وقد ورد معنى هذا في حديث الصور المشهور وورد فيه آثار عن أبي هريرة وعبدالله بن عمرو وغيرهما

﴿ آخر تفسير سورة النبأ ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة ﴾

تفسير سورة النازعات وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والنّـٰزعٰت غرقا (١) والنّـٰشطٰت نشطا (٢) والسّـٰبحٰت سبحا (٣) فالسّـٰبقٰت سبقا (٤) فالمدبرٰت أمرا (٥) يوم ترجف الراجفة (٦) تتبعها الرادفة (٧) قلوب يومئذ واجفة (٨)

للشاة الجماء من الشاة القرناء تنطحها ، فاذا فرغ من القصاص قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتني كنت ترابا ، ومثله عن مجاهد . وقال مقاتل يجمع الله الوحوش والبهائم والهوام والطير فيقضي بينهم حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يقول لهم انما خلقتكم وسخرتكم لبني آدم وكنتم مطيعين إياهم أيام حياتكم فارجعوا الى الذي كنتم كونوا ترابا ، فاذا التفت الكافر الى شيء صار ترابا يتمنى فيقول ياليتني كنت في الدنيا في صورة خنزير وكنت اليوم ترابا ، وعن ابي الزناد عبد الله بن ذكوان قال اذا قضى الله بين الناس وأمر بأهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار قيل لسائر الامم ولمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فحينئذ يقول الكافر ياليتني كنت ترابا ، وبه قال ليث بن أبي سليم مؤمنو الجن يعودون ترابا . وقيل ان الكافر ههنا ابليس وذلك انه عاب آدم لأنه خلق من التراب وافتخر بأنه خلق من النار فاذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والرحمة وما هو فيه من الشدة والعذاب قال ياليتني كنت ترابا . قال ابو هريرة فيقول التراب لا ولا كرامة لك من جعلك مثلي

سورة النازعات مكية وهي ست وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والنازعات غرقا ﴾ يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم كما يغرق النازع في القوس

أبصٰرها خٰشعة (٩) يقولون أءِنا لمرْدودون في الحافرة (١٠) أءذا كنا عظٰما نخرةً (١١)

قالوا تلك إذاً كرّةٌ خاسرة (١٢) فإنما هي زجْرة وٰحدة (١٣) فإذاهم بالساهرة (١٤)

قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد بن جبير وأبو صالح وأبو الضحى والسدى [النازعات غرقا] الملائكة يعنون حين تنزع أرواح بني آدم فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط وهو قوله [والناشطات نشطا] قاله ابن عباس وعن ابن عباس [والنازعات] هي أنفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق في النار. رواه ابن أبي حاتم وقال مجاهد [والنازعات غرقا] الموت، وقال الحسن وقتادة [والنازعات غرقا * والناشطات نشطا] هي النجوم، وقال عطاء بن أبي رباح في قوله تعالى والنازعات والناشطات هي القسي في القتال والصحيح الاول وعليه الاكثرون

وأما قوله تعالى (والسابحات سبحا) فقال ابن مسعود هي الملائكة، وروي عن علي ومجاهد

فيبلغ بها غاية المدى، والغرق اسم أقيم مقام الاغراق أي والنازعات اغراقا والمراد بالاغراق المبالغة في المدى وقال ابن مسعود ينزعها ملك الموت من تحت كل شعرة ومن الاظافير وأصول القدمين ويردها في جسده بعد ما ينزعها حتى اذا كادت تخرج ردها في جسده بعد ما ينزعها فهذا عمله بالكفار. وقال مقاتل ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكفار كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفسه كالغريق في الماء. وقال مجاهد هو الموت ينزع النفوس. وقال السدي هي النفس حين تغرق في الصدر. وقال الحسن وقتادة وابن كيسان هي النجوم تنزع من أفق الى أفق تطلع ثم تغيب وقال عطاء وعكرمة هي القسي وقيل هم الغزاة الرماة ﴿والناشطات نشطا﴾ هي الملائكة تنشط نفس المؤمن أي تحل حلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير أي يحل برفق حكى الفراء هذا القول ثم قال والذي سمعت من العرب أن يقولوا أنشطت العقال إذا حللته ونشطته إذا عقدته بانشوطة. وفي الحديث «كأنما أنشط من عقال» وعن ابن عباس هي نفس المؤمن تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة لانه تعرض عليه الجنة قبل أن يموت. وقال علي بن أبي طالب هي الملائكة تنشط أرواح الكفار مما بين الجلد والاظفار حتى تخرجها من أفواههم بالكرب والغم، والنشط الجذب والنزع يقال نشطت الدلو نشطا إذا نزعتها. قال الخليل النشط والانشاط مدك الشيء الى نفسك حتى ينحل وقال مجاهد هو الموت ينشط النفوس، وقال السدي هي النفس تنشط من القدمين أي تجذب، وقال قتادة هي النجوم تنشط من أفق الى أفق أي تذهب يقال نشط من بلد الى بلد اذا خرج في سرعة ويقال حمار ناشط ينشط من بلد الى بلد، وقال عطاء وعكرمة هي الازهاق ﴿والسابحات سبحا﴾ هم الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح كالسابح بالشيء في الماء

وسعيد بن جبير وأبي صالح مثل ذلك ، وعن مجاهد (والسابحات سبحا) الموت ، وقال قتادة هي النجوم ، وقال عطاء بن أبي رباح هي السفن

وقوله تعالى (فالسابقات سبقا روي عن علي ومسروق ومجاهد وأبي صالح والحسن البصري يعني الملائكة ، قال الحسن سبقت إلى الايمان والتصديق ، وعن مجاهد الموت ، وقال قتادة هي النجوم ، وقال عطاء هي الخيل في سبيل الله

وقوله تعالى [فالمدبرات أمراً] قال علي ومجاهد وعطاء وأبو صالح والحسن وقتادة والربيع ابن أنس والسدي هي الملائكة زاد الحسن تدبر الامر من السماء الى الارض يعني بأمر ربها عز وجل ولم يختلفوا في هذا ولم يقطع ابن جرير بالمراد في شيء من ذلك إلا انه حكى في المدبرات أمراً أنها الملائكة ولا أثبت ولا نفى

وقوله تعالى (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) قال ابن عباس هما النفختان الاولى والثانية وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغير واحد ، وعن مجاهد أما الاولى وهي قوله جل وعلا [يوم ترجف الراجفة] فكقوله جلت عظمته (يوم ترجف الارض والجبال) والثانية وهي الرادفة فهي كقوله [وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة]

يرفق به ، وقال مجاهد وأبو صالح هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد يقال له سابح إذا أسرع في جريه وقيل هي خيل الغزاة وقال قتادة هي النجوم والشمس والقمر قال الله تعالى (وكل في فلك يسبحون) وقال عطاء هي السفن ﴿ فالسابقات سبقا ﴾ قال مجاهد هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقال مقاتل هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين الى الجنة ، وعن ابن مسعود قال هي أنفس المؤمنين تتسارع وتسبق الى الملائكة الذين يقبضونها شوقاً إلى لقاء الله وكرامته وقال عاينت السرور وقال قتادة هي النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير وقال عطاء هي الخيل ﴿ فالمدبرات أمرا ﴾ قال ابن عباس هم الملائكة وكلوا بأمور عرفهم الله عز وجل العمل بها. قال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر في الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل عليهم السلام. أما جبريل فموكل بالوحي والبطش وهزم الجيوش . وأما ميكائيل فموكل بالمطر والنبات والارزاق . وأما ملك الموت فموكل بقبض الانفس . وأما اسرافيل فهو صاحب الصور ولا ينزل الا للامر العظيم . وجواب هذه الاقسام محذوف على تقدير لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه قوله (ان في ذلك لعبرة لمن يخشى) وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) (والنازعات غرقا)

قوله عز وجل ﴿ يوم ترجف الراجفة ﴾ يعني النفخة الاولى يتزلزل ويتحرك لها كل شيء ويموت منها جميع الخلق ﴿ تتبعها الرادفة ﴾ وهي النفخة الثانية ردفت الاولى وبينهما أربعون سنة قال قتادة

وقد قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن أبي الطفيل بن أبي ابن كعب عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » فقال رجل يارسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك؟ قال « إذاً يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك » وقد روى الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري باسناده مثله ولفظ الترمذي وابن أبي حاتم كان رسول الله ﷺ « اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال « يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه »

وقوله تعالى (قلوب يومئذ واجفة) قال ابن عباس يعني خائفة وكذا قال مجاهد وقتادة (أبصارها خاشعة) أي أبصار أصحابها وإنما أضيفت اليها للملابسة أي ذليلة حقيرة مما عاينت من الاهوال

وقوله تعالى (يقولون أئنا لمردودون في الحافرة) يعني مشركي قريش ومن قال بقولهم في انكار المعاد يستبعدون وقوع البعث بعد المصير الى الحافرة وهي القبور قاله مجاهد وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونخورها ولهذا قالوا (أئذا كنا عظاما نخرة) وقرئ ناخرة وقال ابن عباس ومجاهد

هما صيحتان فالاولى تميت كل شيء والاخرى تحيي كل شيء باذن الله عز وجل ، وقال مجاهد ترجف الراجفة تتزلزل الارض والجبال تتبعها الرادفة حين تنشق السماء وتحمل الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وقال عطاء الراجفة القيامة والرادفة البعث وأصل الرجفة الصوت والحركة

أخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي أنا احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا عبدالله بن يوسف بن احمد بن مالك ثنا محمد بن هارون الحضرمي ثنا الحسن بن عرفة ثنا قبيصة بن عقبة عن سفيان الثوري عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبي بن كعب قال كان رسول الله ﷺ اذا ذهب ربع الليل قام وقال « يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه » ﴿ قلوب يومئذ واجفة ﴾ خائفة قلقة مضطربة وسمي الوجيف في السير لشدة اضطرابه يقال وجف القلب ووجب وجوفا ووجيفا ووجوبا ووجيبا ، وقال مجاهد وجلة ، وقال السدي زائلة عن أماكنها نظيره اذ القلوب لدى الحناجر ﴿ أبصارها خاشعة ﴾ ذليلة كقوله خاشعين من الذل الآية ﴿ يقولون ﴾ يعني المنكرين للبعث إذا قيل لهم انكم مبعوثون من بعد الموت ﴿ أئنا لمردودون في الحافرة ؟ ﴾ أي إلى أول الحال وابتداء الامر فنصير أحياء بعد الموت كما كنا ، تقول العرب رجع فلان في حافرته أي رجع من حيث جاء والحافرة عندهم اسم لابتداء الشيء وأول الشيء ، وقال بعضهم الحافرة وجه الارض التي تحفر فيها قبورهم سميت حافرة بمعنى المحفورة كقوله (عيشة راضية) أي مرضية وقيل سميت حافرة لانها مستقر الحوافر أي أئنا لمردودون إلى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشي عليها ، وقال ابن زيد الحافرة النار ﴿ أئذا كنا عظاما نخرة ؟ ﴾ قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب أئنا مستفهم اذا بترك ضدهم ابو جعفر

وقتادة أي بالية قال ابن عباس وهو العظم اذا بلي ودخلت الريح فيه (قالوا تلك اذاً كرة خاسرة) وعن ابن عباس ومحمد بن كعب وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي مالك والسدي وقتادة الحافرة الحياة بعد الموت وقال ابن زيد الحافرة النار، وما أكثر أسمائها هي النار والجحيم وسقر وجهنم والهاوية والحافرة ولظى والحطمة، وأما قولهم (تلك إذاً كرة خاسرة) فقال محمد بن كعب قالت قريش لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن

قال الله تعالى (فانما هي زجرة واحدة * فاذاهم بالساهرة) أي فانما هو أمر من الله لامثنوية فيه ولا تأكيد فاذا الناس قيام ينظرون وهو أن يأمر تعالى اسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث فاذا الاولون والآخرون قيام بين يدي الرب عز وجل ينظرون كما قال تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم إلا قليلا) وقال تعالى (وما أمرنا إلا واحدة إلا كلمح بالبصر) وقال تعالى (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب) قال مجاهد [فانما هي زجرة واحدة] صيحة واحدة وقال ابراهيم التيمي أشد مايكون الرب عز وجل غضبا على خلقه يوم يبعثهم وقال الحسن البصري زجرة من الغضب وقال أبو مالك والربيع بن أنس زجرة واحدة هي النفخة الآخرة

وقوله تعالى (فاذاهم بالساهرة) قال ابن عباس الساهرة الارض كلها وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وأبو صالح وقال عكرمة والحسن والضحاك وابن زيد الساهرة وجه الارض، وقال مجاهد كانوا بأسفلها فاخرجوا الى أعلاها قال والساهرة المكان المستوي، وقال الثوري الساهرة أرض الشام، وقال عثمان بن أبي العاتكة الساهرة أرض بيت المقدس، وقال وهب بن منبه الساهرة جبل الى جانب بيت المقدس، وقال قتادة أيضا الساهرة جهنم. وهذه أقوال كلها غريبة والصحيح أنها الارض وجهها الاعلى

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن حدثنا حرز بن المبارك الشيخ الصالح حدثنا بشر بن السري حدثنا مصعب بن ثابت عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي (فاذاهم بالساهرة) قال أرض بيضاء عفراء خالية كالخبزة النقي، وقال الربيع بن أنس (فاذاهم بالساهرة) يقول الله عز وجل [يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار] ويقول تعالى [ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا * فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا] وقال تعالى [ويوم نسير الجبال

الباقون باستفهامها، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عظاما ناخرة والآخرون نخرة وهما لغتان مثل الطمع والطامع والحذر والحاذر ومعناها البالية وفرق قوم بينهما فقالوا النخرة البالية والناخرة المجوفة التي تمر فيها الريح فتنخر أي تصوت ﴿ قالوا ﴾ يعني المنكرين ﴿ تلك اذا كرة خاسرة ﴾ رجعة خائبة يعني إن رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت

قال الله عز وجل ﴿ فانما هي ﴾ يعني النفخة الاخيرة ﴿ زجرة ﴾ صيحة ﴿ واحدة ﴾ يسمعونها ﴿ فاذا هم بالساهرة ﴾ يعني وجه الارض أي صاروا على وجه الارض بعد ما كانوا في جوفها، والعرب

وترى الارض بارزة] وبرزت الارض التي عليها الجبال وهي لا نعد من هذه الارض وهي أرض لم يعمل عليها خطيئة ولم يهرق عليها دم

هل أتاك حديث موسى (١٥) إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى (١٦) اذهب الى فرعون إنه طغى (١٧) فقل هل لك الى أن تزكى (١٨) وأهديك الى ربك فتخشى؟ (١٩) فأراه الآية الكبرى (٢٠) فكذب وعصى (٢١) ثم أدبر يسعى (٢٢) فحشر فنادى (٢٣) فقال أنا ربكم الأعلى (٢٤) فأخذه الله نكال الآخرة والاولى (٢٥) إن في ذلك لعبرة لمن يخشى (٢٦)

يخبر تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم عن عبده ورسوله موسى عليه السلام انه ابتعثه الى فرعون وأيده الله بالمعجزات ومع هذا استمر على كفره وطغيانه حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جئت به ولهذا قال في آخر القصة [إن في ذلك لعبرة لمن يخشى] فقوله تعالى (هل أتاك حديث موسى) أي هل سمعت بخبره, إذ ناداه ربه) أي كلمه نداء (بالواد المقدس) أي المطهر (طوى) وهو اسم الوادي على الصحيح كما تقدم في سورة طه فقال له [اذهب إلى فرعون انه طغى] أي تجبر وتمرد وعتى [فقل هل لك إلى أن تزكى] أي قل له هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تزكى به أي تسلم وتطيع (وأهديك إلى ربك) أي أدلك الى عبادة ربك فتخشى أي فيصير قلبك خاضعا له مطيعا خاشعا بعد ما كان قاسيا خبيثا بعيداً من الخير (فأراه الآية الكبرى) يعني فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلا واضحا على صدق ماجاءه به من عند الله (فكذب وعصى) أي فكذب بالحق وخالف ماأمره به من الطاعة، وحاصله أنه كفر قلبه فلم ينفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره وعلمه بأن ماجاء به حق لايلزم منه انه مؤمن به لان المعرفة علم القلب والايمان عمله وهو الانقياد للحق والخضوع له

وقوله تعالى (ثم أدبر يسعى) أي في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة ليقابلوا ماجاء به

تسمي الفلاة ووجه الارض ساهرة قال بعض أهل اللغة تراهم سموها ساهرة لان فيها نوم الحيوان وسهرهم. قال سفيان هي ارض الشام، وقال قتادة هي جهنم

قوله عز وجل ﴿هل أتاك حديث موسى؟﴾ يقول قد جاءك يامحمد حديث موسى ﴿اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى﴾ فقال ياموسى ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ علا وتكبر وكفر بالله ﴿فقل هل لك إلى أن تزكى؟﴾ قرأ أهل الحجاز ويعقوب بتشديد الزاي أي تتزكى وتتطهر من الشرك، وقرأ الآخرون بالتخفيف أي تسلم وتصلح قال ابن عباس تشهد أن لا إله إلا الله ﴿وأهديك إلى ربك فتخشى﴾ أي أدعوك إلى عبادة ربك وتوحيده فتخشى عقابه ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ وهي العصا واليد بيضاء ﴿فكذب﴾ بأنهما من الله ﴿وعصى ثم أدبر﴾ تولى وأعرض عن الايمان ﴿يسعى﴾

موسى عليه السلام من المعجزات الباهرات (فحشر فنادى) أي في قومه (فقال أنا ربكم الاعلى) قال ابن عباس ومجاهد وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله ماعلمت لكم من إله غيري بأربعين سنة قال الله تعالى (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) أي انتقم الله منه انتقاما جعله به عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين في الدنيا [ويوم القيامة بئس الرفد المرفود] كما قال تعالى [وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لاينصرون] وهذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله (نكال الآخرة والاولى) أي الدنيا والآخرة، وقيل المراد بذلك كلمتيه الاولى والثانية، وقيل كفره وعصيانه والصحيح الذي لاشك فيه الاول، وقوله (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) أي لمن يتعظ وينزجر

ءأنتم أشد خلقا أم السماء؟ بنىٰها (٢٧) رفع سمكها فسوّىٰها (٢٨) وأغطش ليلها وأخرج ضحىٰها (٢٩) والأرض بعد ذلك دحىٰها (٣٠) أخرج منها ماءها ومرعىٰها (٣١) والجبال أرسىٰها (٣٢) متٰعا لكم ولأنعٰمكم (٣٣)

يقول تعالى محتجا على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه (أأنتم) أيها الناس (أشد خلقا أم السماء) يعني بل السماء أشد خلقا منكم كما قال تعالى [لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس] وقال تعالى [أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم] وقوله تعالى (بناها) فسره بقوله (رفع سمكها فسواها) أي جعلها عالية البناء بعيدة الفناء مستوية الارجاء، مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء

وقوله تعالى (وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) أي جعل ليلها مظلما أسود حالكا ونهارها مضيئا

يعمل بالفساد في الأرض ﴿فحشر﴾ فجمع قومه وجنوده ﴿فنادى﴾ لما اجتمعوا ﴿فقال أنا ربكم الاعلى﴾ فلا رب فوقي، وقيل أراد أن الاصنام أرباب وأنا ربكم وربها ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والاولى﴾ قال الحسن وقتادة عاقبه الله فجعله نكال الآخرة والاولى أى في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالنار وقال مجاهد وجماعة من المفسرين أراد بالآخرة والاولى كلمتي فرعون قوله ماعلمت لكم من إله غيرى وقوله أنا ربكم الاعلى وكان بينهما أربعون سنة ﴿إن في ذلك﴾ الذى فعل بفرعون حين كذب وعصي ﴿لعبرة﴾ عظة ﴿لمن يخشى﴾ الله عز وجل ثم خاطب منكرى البعث فقال ﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء﴾ يعني أخلقكم بعد الموت أشد عندكم وفي تقديركم أم السماء، وهما في قدرة الله واحد كقوله (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) ثم وصف من خلق السماء فقال ﴿بناها رفع سمكها﴾ سقفها ﴿فسواها﴾ بلا شقوق ولا فطور ﴿وأغطش﴾ أظلم ﴿ليلها﴾ والغطش والغبش الظلمة ﴿وأخرج ضحاها﴾ أبرز وأظهر نهارها ونورها وأضافهما الى السماء لان الظلمة والنور كلاهما ينزل من السماء

مشرقا نيراً واضحا، قال ابن عباس (أغطش ليلها) أظلمه، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وجماعة كثيرون (وأخرج ضحاها) أي أنار نهارها

وقوله تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) فسره بقوله تعالى (أخرج منها ماءها ومرعاها) وقد تقدم في سورة حم السجدة أن الارض خلقت قبل خلق السماء ولكن انما دحيت بعد خلق السماء بمعنى أنه أخرج ماكان فيها بالقوة إلى الفعل وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد واختاره ابن جرير

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي حدثنا عبيد الله يعني ابن عمر عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (دحاها) ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الانهار وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام فذلك قوله [والارض بعد ذلك دحاها] وقد تقدم تقرير ذلك هنالك، وقوله تعالى [والجبال أرساها] أي قررها وأثبتها وأكدها في أماكنها وهو الحكيم العليم، الرؤف بخلقه الرحيم

وقال الامام أحمد حدثنا زيد بن هارون أخبرنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال « لما خلق الله الارض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال نعم الحديد، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال نعم النار، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال نعم الماء، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال نعم الريح، قالت يارب فهل من خلقك شيء اشد من الريح؟ قال نعم ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها عن شماله »

وقال ابو جعفر ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال: لما خلق الله الارض قمصت وقالت تخلق علي آدم وذريته يلقون علي نتنهم ويعملون علي بالخطايا فأرساها الله بالجبال فمنها ماترون ومنها مالا ترون وكان أول قرار الارض كلحم الجزور اذا نحر يختلج لحمه. غريب جداً

وقوله تعالى (متاعا لكم ولأنعامكم) أي دحا الارض فأنبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها، وثبت جبالها لتستقر بأهلها ويقر قرارها، كل ذلك متاعا لخلقه ولما يحتاجون اليه من الانعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم اليها في هذه الدار إلى أن ينتهي الامد، وينقضي الاجل

﴿ والارض بعد ذلك ﴾ بعد خلق السماء ﴿ دحاها ﴾ بسطها والدحو البسط قال ابن عباس خلق الله الارض باقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك، وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله عز وجل [عتل بعد ذلك زنيم] أي

فاذا جاءت الطامة الكبرى (٣٤) يوم يتذكر الانسن ما سعى (٣٥) وبُرِّزت الجحيم لمن يرى

(٣٦) فأما من طغى (٣٧) وآثر الحياة الدنيا (٣٨) فان الجحيم هي المأوى (٣٩) وأما من خاف

مقام ربه ونهى النفس عن الهوى (٤٠) فان الجنة هي المأوى (٤١) يسئلونك عن الساعة

أيان مُرسٰها (٤٢) فيم أنت من ذكراها؟ (٤٣) إلى ربك منتهٰها (٤٤) إنما أنت منذر من يخشٰها

(٤٥) كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحٰها (٤٦)

يقول تعالى (فاذا جاءت الطامة الكبرى) وهو يوم القيامة ، قاله ابن عباس سميت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع كما قال تعالى (والساعة أدهى وأمر) (يوم يتذكر الانسان ما سعى) أي حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره كما قال تعالى (يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى) [وبرزت الجحيم لمن يرى] أي أظهرت للناظرين فرآها الناس عيانا [فأما من طغى] أي تمرد وعتى [وآثر الحياة الدنيا] أي قدمها على أمر دينه وأخراه [فان الجحيم هي المأوى] أي فان مصيره الى الجحيم وان مطعمه من الزقوم ومشربه من الحميم [وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى] أي خاف القيام بين يدي الله عز وجل وخاف حكم الله فيه ونهى نفسه عن هواها وردها الى طاعة مولاها [فان الجنة هي المأوى] أي منقلبه ومصيره ومرجعه الى الجنة الفيحاء

ثم قال تعالى [يسئلونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها؟ * الى ربك منتهاها] أي ليس علمها اليك ولا الى أحد من الخلق بل مردها ومرجعها الى الله عز وجل فهو الذي يعلم وقتها على التعيين [ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة - يسئلونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند

مع ذلك ﴿ أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعا لكم ولأنعامكم * فاذا جاءت الطامة الكبرى ﴾ يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقامت القيامة وسميت القيامة طامة لأنها تطم على كل هائلة من الامور فتعلو فوقها وتغمر ماسواها والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع ﴿ يوم يتذكر الانسان ماسعى ﴾ ماعمل في الدنيا من خير وشر ﴿ وبرزت الجحيم لمن يرى ﴾ قال مقاتل يكشف عنها الغطاء فينظر اليها الخلق ﴿ فأما من طغى ﴾ في كفره ﴿ وآثر الحياة الدنيا ﴾ على الآخرة ﴿ فان الجحيم هي المأوى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ﴾ عن المحارم التي تشتهيها قال مقاتل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها ﴿ فان الجنة هي المأوى * يسألونك عن الساعة أيان مرساها ﴾ متى ظهورها وثبوتها ﴿ فيم أنت من ذكراها ﴾ لست في شيء من علمها وذكرها أي

الله] وقال ههنا [الى ربك منتهاها] ولهذا لما سأل جبريل رسول الله ﷺ عن وقت الساعة قال « ما المسؤل عنها بأعلم من السائل »

وقوله تعالى [انما أنت منذر من يخشاها] أي انما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه فمن خشي الله وخاف مقامه ووعيده اتبعك فأفلح وأنجح، والخيبة والخسار على من كذبك وخالفك

وقوله تعالى [كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها] أي اذا قاموا من قبورهم الى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أو ضحى من يوم

قال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس [كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها] أما عشية فما بين الظهر الى غروب الشمس [أو ضحاها] ما بين طلوع الشمس الى نصف النهار ، وقال قتادة: وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة

﴿ آخر تفسير سورة النازعات ولله الحمد والمنة ﴾

لا نعلمها ﴿ الى ربك منتهاها ﴾ أي منتهى علمها عند الله ﴿ إنما أنت منذر من يخشاها ﴾ قرأ أبو جعفر منذر بالتنوين أى أنت مخوف من يخاف قيامها أى إنما ينفع انذارك من يخافها ﴿ كأنهم ﴾ يعني كفار قريش ﴿ يوم يرونها ﴾ يعاينون يوم القيامة ﴿ لم يلبثوا ﴾ في الدنيا وقيل في قبورهم ﴿ إلا عشية أو ضحاها ﴾ قال الفراء ليس للعشية ضحي إنما الضحى اسم لصدر النهار ولكن هذا ظاهر من كلام العرب أن يقولوا آتيتك العشية أو غداتها إنما معناه آخر يوم أو أوله نظيره قوله [يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار]



تفسير سورة عبس وهى مكية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

عَبس وتولىَّ (١) أن جاءه الاعمى (٢) ومايدريك؟ لعله يَزّكى (٣) أو يذّكّر فتنفعه الذكرى (٤) أما من استغنى (٥) فأنت له تَصدى (٦) وما عليك ألا يَزكى (٧) وأما من جاءك يسعى (٨) وهو يخشى (٩) فأنت عنه تلهى (١٠) كلا إنها تذكرة (١١) فمن شاء ذكره (١٢) في صحف مكرمة (١٣) مرفوعة مطهرة (١٤) بأيدي سفَرة (١٥) كرام بررة (١٦)

ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوما يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع في إسلامه فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديما فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شيء ويلح عليه وود النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعا ورغبة في هدايته وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر فأنزل الله تعالى [عبس وتولى * أن جاءه الاعمى * وما يدريك لعله يزكى] أي يحصل له زكاة وطهارة في نفسه

﴿ سورة عبس مكية وهي اثنتان وأربعون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عبس ﴾ كلح ﴿ وتولى ﴾ أعرض بوجهه ﴿ أن جاءه الاعمى ﴾ وهو ابن أم مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى من بني عامر بن لؤى وذلك انه أتى رسول الله ﷺ وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبدالمطلب وأبي بن خلف وأخاه أمية يدعوهم الى الله يرجو اسلامهم فقال ابن أم مكتوم يارسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري انه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه وقال في نفسه : يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والعبيد والسفلة . فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فانزل الله هذه الآية فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه واذا رآه قال «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي» ويقول له «هل لك من حاجة؟» واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما رسول الله ﷺ قال أنس بن مالك فرأيته يوم القادسية عليه درع ومعه راية سوداء ﴿ وما يدريك لعله يزكى ﴾ يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك وقال

[أو يذكر فتنفعه الذكرى] أي يحصل له اتعاظ وازدجار عن المحارم [أما من استغنى] فأنت له تصدى] أي اما الغني فأنت تتعرض له لعله يهتدي [وما عليك ألا يزكي] أي ما انت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة [وأما من جاءك يسعى وهو يخشى] أي يقصدك ويؤمك ليهتدي بما تقول له [فأنت عنه تلهى] أي تتشاغل ، ومن ههنا أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن لا يخص بالانذار أحداً بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف والفقير والغني والسادة والعبيد والرجال والنساء والصغار والكبار ، ثم الله تعالى يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة

قال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا محمد بن مهدي حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنه في قوله تعالى [عبس وتولى] جاء ابن أم مكتوم الى النبي ﷺ وهو يكلم أبي بن خلف فأعرض عنه فأنزل الله عز وجل (عبس وتولى * أن جاءه الاعمى) فكان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه . قال قتادة وأخبرني انس بن مالك قال : رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء يعني ابن أم مكتوم

وقال ابو يعلى وابن جرير حدثنا سعيد بن يحيى الاموي حدثني أبي قال هذا ما عرضنا على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت أنزلت (عبس وتولى) في ابن أم مكتوم الاعمى أتى الى رسول الله ﷺ فجعل يقول أرشدني قالت وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين قالت فجعل النبي ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول « أترى بما أقول بأساً ؟ » فيقول لا ففي هذا أنزلت عبس وتولى . وقد روى الترمذي هذا الحديث عن سعيد بن يحيى الاموي باسناده مثله ، ثم قال وقد رواه بعضهم عن هشام بن عروة عن أبيه قال أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم ولم يذكر فيه عن عائشة قلت كذلك هو في الموطأ

ثم روى ابن جرير وابن أبي حاتم أيضا من طريق العوفي عن ابن عباس قوله [عبس وتولى أن جاءه الاعمى] قال بينا رسول الله ﷺ يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبدالمطلب وكان يتصدى لهم كثيراً ويحرص عليهم أن يؤمنوا فأقبل اليه رجل أعمى يقال له عبدالله بن أم مكتوم يمشي وهو يناجيهم فجعل عبدالله يستقرىء النبي ﷺ آية من القرآن وقال يارسول الله علمني مما

ابن زيد يسلم ﴿ أو يذكر ﴾ يتعظ ﴿ فتنفعه الذكرى ﴾ الموعظة قرأ عاصم فتنفعه بنصب العين على جواب لعل بالفاء ، وقراءة العامة بالرفع نسقا على قوله يذكر ﴿ أما من استغنى ﴾ قال ابن عباس عن الله وعن الايمان بما له من المال ﴿ فأنت له تصدى ﴾ تتعرض له وتقبل عليه وتصغى الى كلامه قرأ أهل الحجاز تصدى بتشديد الصاد أى تتصدى وقرأ الآخرون بتخفيف الصاد على الحذف ﴿ وما عليك ألا يزكى ﴾ أن لا يؤمن و يهتدي ان عليك إلا البلاغ ﴿ وأما من جاءك يسعى ﴾ يمشي يعني ابن أم مكتوم ﴿ وهو يخشى ﴾ الله عز وجل ﴿ فأنت عنه تلهى ﴾ تتشاغل وتعرض عنه ﴿ كلا ﴾ زجر أي لا تفعل

علمك الله فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه وأخذ ينقلب الى أهله أمسك الله بعض بصره وخفق برأسه ثم أنزل الله تعالى (عبس وتولى * أن جاءه الاعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى) فلما نزل فيه ما نزل أكرمه رسول الله ﷺ وكلمه وقال له رسول الله ﷺ « ماحاجتك هل تريد من شيء - واذا ذهب من عنده قال - هل لك حاجة في شيء؟ » وذلك لما أنزل الله تعالى [أما من استغنى فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى] فيه غرابة ونكارة وقد تكلم في اسناده

وقال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن منصور الرمادى حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث حدثني يونس عن ابن شهاب قال : قال سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم » وهو الاعمى الذى أنزل الله تعالى فيه (عبس وتولى * أن جاءه الاعمى) وكان يؤذن مع بلال ، قال سالم وكان رجلا ضرير البصر فلم يك يؤذن حتى يقول له الناس حين ينظرون إلى بزوغ الفجر أذن . وهكذا ذكر عروة بن الزبير ومجاهد وأبو مالك وقتادة والضحاك وابن زيد وغير واحد من السلف والخلف أنها نزلت في ابن أم مكتوم والمشهور أن اسمه عبد الله ويقال عمرو والله أعلم

وقوله تعالى (كلا انها تذكرة) أي هذه السورة أو الوصية بالمساواة بين الناس في ابلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم ، وقال قتادة والسدي (كلا انها تذكرة) يعني القرآن (فمن شاء ذكره) أي فمن شاء ذكر الله تعالى في جميع أموره ، ويحتمل عود الضمير إلى الوحي لدلالة الكلام عليه

وقوله تعالى (في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة) أي هذه السورة أو العظة وكلاهما متلازم بل جميع القرآن في صحف مكرمة أي معظمة موقرة (مرفوعة) أي عالية القدر [مطهرة] أي من الدنس والزيادة والنقص . وقوله تعالى [بأيدي سفرة] قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وابن زيد هي الملائكة ، وقال وهب بن منبه هم أصحاب محمد ﷺ وقال قتادة هم القراء ، وقال ابن جريج عن ابن عباس السفرة بالنبطية القراء ، وقال ابن جرير والصحيح أن السفرة الملائكة والسفرة يعني بين الله تعالى وبين خلقه ومنه يقال السفير الذي يسعى بين الناس في الصلح والخير كما قال الشاعر :

بعدها مثلها ﴿ إنها ﴾ يعني هذه الموعظة وقال مقاتل آيات القرآن ﴿ تذكرة ﴾ موعظة وتذكير للخلق ﴿ فمن شاء ﴾ من عباد الله ﴿ ذكره ﴾ أي اتعظ به وقال مقاتل فمن شاء الله ذكره وفهمه واتعظ بمشيئته وتفهيمه ، والهاء في ذكره راجعة الى القرآن والتنزيل أو الوعظ ثم أخبر عن جلالته عنده فقال ﴿ في صحف مكرمة ﴾ يعني اللوح المحفوظ وقيل كتب الانبياء دليله قوله تعالى (إن هذا لفي الصحف الاولى * صحف ابراهيم وموسى) ﴿ مرفوعة ﴾ رفيعة القدر عند الله عز وجل وقيل مرفوعة يعني في السماء السابعة ﴿ مطهرة ﴾ لا يمسها إلا المطهرون وهم الملائكة ﴿ بأيدي سفرة ﴾ قال ابن عباس ومجاهد

وما أدع السفارة بين قومي وما أمشي بغش إن مشيت

وقال البخاري سفره الملائكة: سفرت أصلحت بينهم وجعلت الملائكة اذا نزلت بوحي الله تعالى وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم ، وقوله تعالى [كرام بررة] أي خلقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة ومن ههنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد

قال الامام احمد حدثنا اسماعيل حدثنا هشام عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأه وهو عليه شاق له أجران » أخرجه الجماعة من طريق قتادة به

قُتِلَ الانسٰن ما أكفَرَه (١٧) من أيّ شيء خلقه؟ (١٨) من نطفة خلقه فقدره (١٩) ثم السبيلَ يسّره (٢٠) ثم أماته فأقبره (٢١) ثم اذا شاء أنشره (٢٢) كلا لما يقض ما أمره (٢٣) فلينظر الانسٰن إلى طعامه (٢٤) أنا صببنا الماء صبًّا (٢٥) ثم شققنا الارض شقًّا (٢٦) فأنبتنا فيها حبا (٢٧) وعنبا وقضبا (٢٨) وزيتونا ونخلاً (٢٩) وحدائق غلبا (٣٠) وفٰكهة وأبًّا (٣١) متٰعا لكم ولأنعٰمكم (٣٢)

يقول تعالى ذاما لمن أنكر البعث والنشور من بني آدم (قتل الانسان ما أكفره) قال الضحاك عن ابن عباس [قتل الانسان] لعن الانسان ، وكذا قال أبو مالك وهذا لجنس الانسان المكذب لكثرة تكذيبه بلا مستند بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم ، قال ابن جريج [ما أكفره] أي ما أشد كفره ، وقال ابن جرير ويحتمل أن يكون المراد أي شيء جعله كافرا أي ما حمله على التكذيب بالمعاد وقد حكاه البغوي عن مقاتل والكلبي وقال قتادة (ما أكفره) ما ألعنه ثم بين تعالى له كيف

كتبة وهم الملائكة الكرام الكاتبون واحدهم سافر يقال سفرت أي كتبت ومنه قيل للكتاب سفر وجمعه أسفار، وقال الآخرون هم الرسل من الملائكة واحدهم سفير وهو الرسول وسفير القوم الذي يسعى بينهم بالصلح وسفرت بين القوم اذا أصلحت بينهم ثم أثنى عليهم فقال ﴿ كرام بررة ﴾ أي كرام على الله بررة مطيعين جمع بار

قوله عز وجل ﴿ قتل الانسان ﴾ أي لعن الكافر قال مقاتل نزلت في عتبة بن أبي لهب ﴿ما أكفره﴾ ما أشد كفره بالله مع كثرة إحسانه اليه وأياديه عنده على طريق التعجب، قال الزجاج معناه اعجبوا أنتم من كفره . قال الكلبي ومقاتل هو ما الاستفهام يعني أي شيء حمله على الكفر، ثم بين من أمره

خلقه من الشيء الحقير وانه قادر على اعادته كما بدأه فقال تعالى (من أى شيء خلقه ؟ من نطفة خلقه فقدره) أى قدر أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد (ثم السبيل يسره)

قال العوفي عن ابن عباس ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه ، وكذا قال عكرمة والضحاك وأبو صالح وقتادة والسدي واختاره ابن جرير وقال مجاهد هذه كقوله تعالى (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) أى بيناه له وأوضحناه وسهلنا عليه عمله ، وكذا قال الحسن وابن زيد وهذا هو الارجح والله أعلم

وقوله تعالى (ثم أماته فأقبره) أي انه بعد خلقه له أماته فأقبره أي جعله ذا قبر والعرب تقول قبرت الرجل اذا وليت ذلك منه ، وأقبره الله ، وعضبت قرن الثور وأعضبه الله ، وبترت ذنب البعير وأبتره الله ، وطردت عني فلانا وأطرده الله ، أي جعله طريداً قال الاعشى

لو أسندت ميتا إلى صدرها عاش ولم ينقل الى قابر

وقوله تعالى (ثم اذا شاء أنشره) أى بعثه بعد موته ومنه يقال البعث والنشور (ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون — وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أصبغ بن الفرج أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح أخبره عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « يأكل التراب كل شيء من الانسان الا عجب ذنبه » قيل وماهو يارسول الله ؟ قال « مثل حبة خردل منه تنشئون » وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من رواية الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بدون هذه الزيادة ولفظه « كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب »

وقوله تعالى (كلا لما يقض ما أمره) قال ابن جرير يقول جل ثناؤه كلا ليس الامر كما يقول هذا الانسان الكافر من انه قد أدى حق الله عليه في نفسه وماله (لما يقض ما أمره) يقول لم يؤد ما فرض

ما كان ينبغي معه أن يعلم ان الله خالقه فقال « من أي شيء خلقه » لفظه استفهام ومعناه التقرير ثم فسره فقال « من نطفة خلقه فقدره » أطوارا نطفة ثم علقة الى آخر خلقه قال الكلبي قدر خلقه رأسه وعينيه ويديه ورجليه « ثم السبيل يسره » أي طريق خروجه من بطن أمه قاله السدي ومقاتل وقال الحسن ومجاهد يعني طريق الحق والباطل سهل له العلم به كما قال (إنا هديناه السبيل – وهديناه النجدين) وقيل يسر على كل أحد ماخلقه له وقدر عليه « ثم أماته فأقبره » جعل له قبرا يوارى فيه قال الفراء جعله مقبوراً ولم يجعله ممن يلقى كالسباع والطيور ، يقال قبرت الميت اذا دفنته وأقبره الله أي صيره بحيث يقبر وجعله ذا قبر كما يقال طردت فلانا والله اطرده أي صيره طريدا « ثم إذا شاء أنشره » أحياه بعد موته « كلا » رد عليه أي ليس كما يقول ويظن هذا الكافر . وقال الحسن حقا « لما يقض

عليه عز وجل من الفرائض لربه عز وجل. ثم روى هو وابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله تعالى (كلا لما يقض ما أمره) قال لا يقضي أحد أبداً كل ما افترض عليه

وحكاه البغوي عن الحسن البصري بنحو من هذا، ولم أجد للمتقدمين فيه كلاما سوى هذا، والذي يقع لي في معنى ذلك والله أعلم ان المعنى (ثم إذا شاء أنشره) أي بعثه (كلا لما يقض ما أمره) أي لا يفعله الآن حتى تنقضي المدة ويفرغ القدر من بني آدم ممن كتب الله أن سيوجد منهم ويخرج إلى الدنيا وقد أمر به تعالى كونا وقدراً فاذا تناهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم

وقد روى ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه قال قال عزير عليه السلام قال الملك الذي جاءني فان القبور هي بطن الارض، وان الارض هي أم الخلق فاذا خلق الله ما أراد أن يخلق وتمت هذه القبور التي مد الله لها انقطعت الدنيا ومات من عليها ولفظت الارض ما في جوفها وأخرجت القبور ما فيها وهذا شبيه بما قلناه من معنى الآية والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

وقوله تعالى (فلينظر الانسان إلى طعامه) فيه امتنان وفيه استدلال باحياء النبات من الارض الهامدة على احياء الاجسام بعد ما كانت عظاما بالية وترابا متمزقا (انا صببنا الماء صبا) أي أنزلناه من السماء على الارض (ثم شققنا الارض شقا) أي أسكناه فيها فيدخل في تخومها وتخلل في أجزاء الحب المودع فيها فنبت وارتفع وظهر على وجه الارض (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا) فالحب كل ما يذكر من الحبوب والعنب معروف والقضب هو الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة ويقال لها القت أيضاً قال ذلك ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي، وقال الحسن البصري القضب العلف (وزيتونا) وهو معروف وهو أدم وعصيره أدم ويستصبح به ويدهن به (ونخلا) يؤكل بلحا بسرا ورطبا وتمرا ونيئا ومطبوخا ويعتصر منه رب وخل (وحدائق غلبا) أي بساتين قال الحسن وقتادة غلباً نخل غلاظ كرام، وقال ابن عباس ومجاهد كل ما التف واجتمع وقال أيضاً غلباً الشجر الذي يستظل به، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وحدائق غلبا) أي طوال، وقال عكرمة غلبا أي غلاظ الاوساط، وفي رواية غلاظ الرقاب ألم تر الى الرجل إذا كان غليظ الرقبة قيل والله انه لأغلب رواه ابن أبي حاتم وأنشد ابن جرير للفرزدق

ما أمره ﴾ أي لم يفعل ما أمره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فقال ﴿ فلينظر الانسان إلى طعامه ﴾ كيف قدره ربه ودبره له وجعله سببا لحياته. وقال مجاهد الى مدخله ومخرجه ثم بين فقال ﴿ انا ﴾ قرأ أهل الكوفة أنا بالفتح على تكرير الخافض، مجازه فلينظر إلى أنا وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف ﴿ صببنا الماء صبا ﴾ يعني المطر ﴿ ثم شققنا الارض شقا ﴾ بالنبات ﴿ فأنبتنا فيها حبا ﴾ يعني الحبوب التي يتغذى بها ﴿ وعنبا وقضبا ﴾ وهو القت الرطب سمي بذلك لانه يقضب في كل أيام أي يقطع. وقال الحسن القضب العلف للدواب ﴿ وزيتونا ﴾ وهو ما يعصر منه الزيت ﴿ ونخلا ﴾ جمع نخلة ﴿ وحدائق ﴾ بساتين ﴿ غلبا ﴾ غلاظ الاشجار واحدها

عوى فأثار أغلب ضيغميا فويل ابن المراغة ما استثارا

وقوله تعالى (وفاكهة وأبا) أما الفاكهة فكل ما يتفكه به من الثمار قال ابن عباس الفاكهة كل ما أكل رطبا والاب ما انبتت الارض مما يأكله الدواب ولا يأكله الناس ، وفي رواية عنه هو الحشيش للبهائم ، وقال مجاهد وسعيد بن جبير وابو مالك الاب الكلأ وعن مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد الاب للبهائم كالفاكهة لبني آدم ، وعن عطاء كل شيء نبت على وجه الارض فهو أب ، وقال الضحاك كل شيء أنبتته الارض سوى الفاكهة فهو الاب

وقال ابن ادريس عن عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس : الاب نبت الارض مما تأكله الدواب ولا تأكله الناس ، ورواه ابن جرير من ثلاث طرق عن ابن ادريس ثم قال حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا حدثنا ابن ادريس حدثنا عبد الملك عن سعيد بن جبير قال عدّ ابن عباس وقال : الاب ما أنبتت الارض للانعام وهذا لفظ حديث أبي كريب . وقال أبو السائب في حديثه ما أنبتت الارض مما يأكل الناس وتأكل الانعام . وقال العوفي عن ابن عباس : الاب الكلأ والمرعى . وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد وغير واحد

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا محمد بن زيد حدثنا العوام بن حوشب عن ابراهيم التيمي قال سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى (وفاكهة وأبا) فقال : أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم . وهذا منقطع بين ابراهيم التيمي والصديق رضي الله عنه . فأما ما رواه ابن جرير حيث قال : حدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي حدثنا حميد عن أنس قال : قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه (عبس وتولى) فلما أتى على هذه الآية (وفاكهة وأبا) قال قد عرفنا ما الفاكهة فما الاب؟ فقال لعمرك يا ابن الخطاب ان هذا لهو التكلف. فهو إسناد صحيح ، وقد رواه غير واحد عن أنس به ، وهذا محمول على انه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية

أغلب ومنه قيل لغليظ الرقبة أغلب . وقال مجاهد ومقاتل الغلب الشجر الملتف بعضه في بعض. قال ابن عباس طوالا ﴿ وفاكهة ﴾ يريد ألوان الفواكه ﴿ وأبا ﴾ يعني الكلأ والمرعى الذي لم يزرعه الناس مما يأكله الانعام والدواب . قال عكرمة الفاكهة ما يأكل الناس والاب ما يأكله الدواب ومثله عن قتادة قال الفاكهة لكم والاب لانعامكم . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما أنبتت الارض مما يأكل الناس والانعام ، وروي عن ابراهيم التيمي أن أبا بكر سئل عن قوله وفاكهة وأبا فقال : أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟

وروي ابن شهاب عن أنس انه سمع عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية ثم قال كل هذا قد عرفنا فما الاب؟ ثم رفع عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر أن لا تدري

يعلم انه من نبات الارض لقوله (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا) وقوله تعالى (متاعا لكم ولأنعامكم) أي عيشة لكم ولانعامكم في هذه الدار الى يوم القيامة

فاذا جاءت الصاخة (٣٣) يوم يفرُّ المرء من أخيه (٣٤) وأمه وأبيه (٣٥) وصٰحبته وبنيه (٣٦) لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (٣٧) وجوه يومئذ مُسْفرة (٣٨) ضاحكة مستبشرة (٣٩) ووجوه يومئذ عليها غَبَرة (٤٠) ترهقها قَتَرة (٤١) أولئك هم الكفَرة الفجَرة (٤٢)

قال ابن عباس : الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده ، قال ابن جرير لعله اسم النفخة في الصور ، وقال البغوي : الصاخة يعني صيحة يوم القيامة سميت بذلك لانها تصخ الاسماع أي تبالغ في اسماعها حتى تكاد تصمها [يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه] أي يراهم ويفر منهم ويتبعد منهم لان الهول عظيم والخطب جليل

قال عكرمة : يلقى الرجل زوجته فيقول لها ياهذه أي بعل كنت لك ؟ فتقول نعم البعل كنت وتثني بخير ما استطاعت فيقول لها فاني أطلب اليك اليوم حسنة واحدة تهبيها لي لعلي أنجو مما ترين فتقول له ما أيسر ما طلبت ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا أتخوف مثل الذي تخاف . قال وان الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول يا بني أي والد كنت لك ؟ فيثني بخير ، فيقول له يابني اني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترى ، فيقول ولده : يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئا يقول الله تعالى [يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه]

وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة انه إذا طلب إلى كل من اولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول نفسي نفسي لا أسألك إلا نفسي حتى ان عيسى بن مريم يقول لا أسأله اليوم الا نفسي لا أسأله مريم التي ولدتني. ولهذا قال تعالى [يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه] قال قتادة الأحب فالأحب والاقرب فالاقرب من هول ذلك اليوم

ما الاب؟ ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه ﴿ متاعا لكم ﴾ منفعة لكم يعني الفاكهة ﴿ولأنعامكم﴾ يعني العشب ثم ذكر القيامة فقال ﴿ فاذا جاءت الصاخة ﴾ يعني صيحة القيامة سميت بذلك لانها تصخ الاسماع أي تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ﴾ لا يلتفت الى واحد منهم لشغله بنفسه

حكي عن قتادة قال في هذه الآية (يوم يفر المرء من أخيه) قال يفر هابيل من قابيل ويفر النبي ﷺ من أمه وابراهيم عليه السلام من أبيه ولوط عليه السلام من صاحبته ونوح عليه السلام

وقوله تعالى [لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه] أي هو في شغل شاغل عن غيره . قال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث حدثنا الوليد بن صالح حدثنا ثابت أبو زيد العباداني عن هلال ابن حباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « تحشرون حفاة عراة مشاة غرلا » قال فقالت زوجته يارسول الله ننظر أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ قال « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه - أو قال - ما اشغله عن النظر »

وقد رواه النسائي منفرداً به عن ابي داود عن عارم عن ثابت بن يزيد وهو ابن زيد الاحول البصري أحد الثقاة عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به . وقد رواه الترمذي عن عبد الله بن حميد عن محمد بن الفضل عن ثابت بن زيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « تحشرون حفاة عراة غرلا » فقالت امرأة أنبصر أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ قال « يافلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » ثم قال الترمذي وهذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن ابن عباس رضي الله عنهما

وقال النسائي أخبرني عمرو بن عثمان حدثنا بقية حدثنا الزبيدي أخبرني الزهري عن عروة عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا » فقالت عائشة : يا رسول الله فكيف بالعورات ؟ فقال « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » انفرد به النسائي من هذا الوجه ، ثم قال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبي حدثنا أزهر بن حاتم حدثنا الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح عن أنس بن مالك قال سألت عائشة رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله بأبي أنت وأمي اني سائلتك عن حديث فتخبرني أنت به قال « ان كان عندي منه علم » قالت يانبي الله كيف يحشر الرجال ؟ قال « حفاة عراة » ثم انتظرت ساعة فقالت يارسول الله كيف يحشر النساء ؟ قال « كذلك حفاة عراة » قالت واسوأتاه من يوم القيامة قال « وعن أي ذلك تسألين إنه قد نزل علي آية لا يضرك كان عليك ثياب أو لا يكون » قالت أية آية هي يانبي الله ؟ قال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه

وقال البغوي في تفسيره أخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن عبد العزيز حدثنا ابن أبي أويس حدثنا أبي عن محمد بن أبي عياش عن عطاء بن يسار عن سودة زوج النبي ﷺ قالت قال رسول الله ﷺ « يبعث

من ابنه ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ يشغله عن شأن غيره

أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد ابن عبد الله أنا عبد الله بن عبد الرحمن ثنا محمد بن عبد العزيز ثنا ابن أبي أويس ثنا أبي عن محمد ابن أبي عياش عن عطاء بن يسار عن سودة زوج النبي ﷺ قالت قال رسول الله ﷺ « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان » فقلت يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا

الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان » فقلت يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض؟ فقال « قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » هذا حديث غريب من هذا الوجه جداً وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عمار الحسين بن حريث المروزي عن الفضل ابن موسى به ولكن قال أبو حاتم الرازى عائذ بن شريح ضعيف في حديثه ضعف

وقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة) أى يكون الناس هنالك فريقين وجوه مسفرة أى مستنيرة (ضاحكة مستبشرة) أى مسرورة فرحة من السرور في قلوبهم قد ظهر البشر على وجوههم وهؤلاء هم أهل الجنة (ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها قترة) أى يعلوها وتغشاها قترة أى سواد

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سهل بن عثمان العسكرى حدثنا أبو علي محمد مولى جعفر بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ « يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم » قال فهو قوله (ووجوه يومئذ عليها غبرة) وقال ابن عباس (ترهقها قترة] أى يغشاها سواد الوجوه وقوله تعالى [اولئك هم الكفرة الفجرة] اى الكفرة قلوبهم الفجرة في أعمالهم كما قال تعالى [ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا]

﴿آخر تفسير سورة عبس ولله الحمد والمنة﴾

إلى بعض فقال « قد شغل الناس ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ مشرقة مضيئة ﴿ضاحكة﴾ بالسرور ﴿مستبشرة﴾ فرحة بما نالت من كرامة الله عزوجل ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾ سواد وكآبة مما يشاهدونه من الغم والهم ﴿ترهقها قترة﴾ تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف ، قال ابن عباس تغشاها ذلة ، قال ابن زيد الفرق بين الغبرة والقترة أن القترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء والغبرة ما كان أسفل في الارض ﴿أولئك﴾ الذين يصنع بهم هذا ﴿هم الكفرة الفجرة﴾ جمع الكافر والفاجر



تفسير سورة التكوير وهي مكية

قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا عبدالله بن بحير القاص ان عبدالرحمن بن يزيد الصنعاني أخبره أنه سمع ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ « من سره أن ينظر الى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ [اذا الشمس كورت ـ واذا السماء انفطرت ـ واذا السماء انشقت] وهكذا رواه الترمذى عن العباس بن عبد العظيم العنبرى عن عبد الرزاق به

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا الشمس كُوِّرت (١) وإذا النجوم انكدرت (٢) وإذا الجبال سُيِّرت (٣) وإذا العِشار عُطِّلت (٤) وإذا الوحوش حُشِرت (٥) واذا البحار سُجِّرت (٦) واذا النفوس زُوِّجت (٧) واذا الموءودة سُئلت (٨) بأيِّ ذنب قتِلت (٩) واذا الصحف نشرت (١٠) واذا السماء كُشطت (١١) واذا الجحيم سُعِّرت (١٢) واذا الجنة ازلِفت (١٣) علمت نفسٌ ما أحضرت (١٤)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [اذا الشمس كورت] يعني أظلمت وقال العوفي عنه ذهبت وقال مجاهد اضمحلت وذهبت وكذا قال الضحاك وقال قتادة ذهب ضوءها وقال سعيد بن جبير كورت غورت وقال الربيع بن خثيم كورت يعني رمي بها وقال أبو صالح كورت القيت وعنه أيضا نكست وقال زيد بن أسلم تقع في الارض، قال ابن جرير والصواب من القول عندنا في ذلك أن

﴿ سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي ثنا أبو الحسن علي بن محمد بن سهل الماسرجسي املاء أنا أبو الوفاء المؤمل بن الحسن بن عيسى الماسرجسي ثنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا ابراهيم بن خالد ثنا عبد الله بن بحير القاضي قال سمعت عبدالرحمن ابن زيد الصنعاني قال سمعت بن عمر يقول قال رسول الله ﷺ « من أحب أن ينظر في أحوال القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت »

قوله عز وجل ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أظلمت وقال قتادة

التكوير جمع الشيء بعضه على بعض ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها الى بعض فمعنى قوله تعالى [كورت] جمع بعضها الى بعض ثم لفت فرمي بها واذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج وعمرو بن عبد الله الاودي حدثنا أبو أسامة عن مجالد عن شيخ من بجيلة عن ابن عباس اذا الشمس كورت قال يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحا دبورا فيضرمها نارا وكذا قال عامر الشعبي

ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثني معاوية بن صالح عن ابن يزيد بن أبي مريم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال في قول الله [اذا الشمس كورت] قال « كورت في جهنم »

وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا موسى بن محمد بن حبان حدثنا درست بن زياد حدثنا يزيد الرقاشي حدثنا أنس قال : قال رسول الله ﷺ « الشمس والقمر ثوران عقيران في النار » هذا حديث ضعيف لان يزيد الرقاشي ضعيف، والذي رواه البخاري في الصحيح بدون هذه الزيادة ثم قال البخاري حدثنا مسدد حدثنا عبد العزيز بن المختار حدثنا عبد الله الداناج حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « الشمس والقمر يكوران يوم القيامة » انفرد به البخاري وهذا لفظه وإنما أخرجه في كتاب بدء الخلق وكان جديرا أن يذكره ههنا أو يكرره كما هي عادته في أمثاله ، وقد رواه البزار فجود ايراده فقال حدثنا ابراهيم بن زياد البغدادي حدثنا يونس بن محمد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس اليه فحدث قال حدثنا أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ان الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة » فقال الحسن وما ذنبهما ؟ فقال أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول احسبه قال وما ذنبهما ثم قال لا يروي عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوى هذا الحديث

وقوله تعالى (واذا النجوم انكدرت) أي انتثرت كما قال تعالى [واذا الكواكب انتثرت] وأصل الانكدار الانصباب

ومقاتل والكلبي ذهب ضوؤها . وقال سعيد بن جبير غورت وقال مجاهد اضمحلت ، وقال الزجاج لفت كما تلف العمامة يقال كورت العمامة على رأسي أكورها كورا وكورتها تكويرا إذا لففتها، وأصل التكوير جمع بعض الشيء الى بعض فمعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها ، قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها دبورا فتضربها فتصير نارا

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا مسدد ثنا عبد العزيز بن المختار ثنا عبد الله الداناج حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « الشمس والقمر يكوران يوم القيامة » ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ أي تناثرت

قال الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت واختلطت ففزعت الجن إلى الانس والانس الى الجن ، واختلطت الدواب والطير والوحوش فماجوا بعضهم في بعض [واذا الوحوش حشرت] قال اختلطت [واذا العشار عطلت] قال أهملها أهلها [واذا البحار سجرت] قال قالت الجن نحن نأتيكم بالخبر قال فانطلقوا إلى البحر فاذا هو نار تتأجج ، قال فبينما هم كذلك إذ تصدعت الارض صدعة واحدة إلى الارض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا ، قال فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم . رواه ابن جرير وهذا لفظه وابن أبي حاتم ببعضه ، وهكذا قال مجاهد والربيع بن خثيم والحسن البصري وابو صالح وحماد بن أبي سليمان والضحاك في قوله جل وعلا [واذا النجوم انكدرت] أي تناثرت ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [واذا النجوم انكدرت] أي تغيرت

وقال يزيد بن أبي مريم عن النبي ﷺ (واذا النجوم انكدرت) قال « انكدرت في جهنم وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم إلا ماكان من عيسى وأمه ولو رضيا أن يعبدا لدخلاها » رواه ابن أبي حاتم بالاسناد المتقدم

وقوله تعالى (واذا الجبال سيرت) أي زالت عن أماكنها ونسفت فتركت الارض قاعا صفصفا وقوله [واذا العشار عطلت] قال عكرمة ومجاهد عشار الابل ، قال مجاهد عطلت تركت وسيبت وقال أبي بن كعب والضحاك أهملها أهلها ، وقال الربيع بن خثيم لم تحلب ولم تصر تخلى منها أربابها

من السماء وتساقطت على الارض يقال انكدر الطائر إذا سقط عن عشه ، قال الكلبي وعطاء تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم إلا وقع ﴿ وإذا الجبال سيرت ﴾ على وجه الارض فصارت هباء منبثا ﴿ وإذا العشار عطلت ﴾ وهي النوق الحوامل التي أتى على حملها عشرة أشهر واحدتها عشراء ، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة ، وهي أنفس مال عند العرب عطلت تركت هملا بلا راع أهملها أهلها وكانوا لازمين لاذنابها ولم يكن لهم مال أعجب اليهم منها لما جاءهم من أهوال يوم القيامة ﴿ وإذا الوحوش ﴾ يعني دواب البر ﴿ حشرت ﴾ جمعت يوم البعث ليقتص لبعضها من بعض ، وروى عكرمة عن ابن عباس قال حشرها موتها ، وقال حشر كل شيء الموت غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة ، وقال أبي بن كعب اختلطت ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾ قرأ أهل مكة والبصرة بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد ، قال ابن عباس أوقدت فصارت نارا تضطرم وقال مجاهد ومقاتل يعني فجر بعضها في بعض العذب والملح فصارت البحور كلها بحرا واحدا ، وقال الكلبي ملئت وهذا أيضا معنى قوله والبحر المسجور والمسجور المملوء وقيل صارت مياهها بحرا واحدا من الحميم لأهل النار ، وقال الحسن يبست وهو قول قتادة قال ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة

وقال الضحاك تركت لاراعي لها والمعنى في هذا كله متقارب، والمقصود أن العشار من الابل وهي خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها إلى الشهر العاشر - واحدتها عشراء. ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع - قد اشغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها بعد ما كانوا أرغب شيء فيها بما دهمهم من الامر العظيم المفظع المائل وهو أمر يوم القيامة وانعقاد أسبابها ووقوع مقدماتها ، وقيل بل يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها كذلك لاسبيل لهم اليها، وقد قيل في العشار انها السحاب تعطل عن المسير بين السماء والارض لخراب الدنيا ، وقيل انها الارض التي تعشر ، وقيل انها الديار التي كانت تسكن تعطلت لذهاب أهلها . حكى هذه الاقوال كلها الامام أبو عبد الله القرطبي في كتابه التذكرة ورجح انها الابل وعزاه إلى أكثر الناس قلت لايعرف عن السلف والائمة سواه والله أعلم

وقوله تعالى [واذا الوحوش حشرت] أي جمعت كما قال تعالى [وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون] قال ابن عباس يحشر كل شيء حتى الذباب . رواه ابن أبي حاتم، وكذا قال الربيع بن خثيم والسدي وغير واحد ، وكذا قال قتادة في تفسير هذه الآية ان هذه الخلائق موافية فيقضي الله فيها مايشاء ، وقال عكرمة حشرها موتها

وقال ابن جرير حدثني علي بن مسلم الطوسي حدثنا عباد بن العوام حدثنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله [واذا الوحوش حشرت] قال حشر البهائم موتها وحشر كل شيء الموت غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة

حدثنا ابو كريب حدثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن أبي يعلى عن الربيع بن خثيم [واذا الوحوش حشرت] قال أتى عليها أمر الله ، قال سفيان قال أبي فذكرته لعكرمة فقال قال ابن عباس حشرها موتها وقد تقدم عن أبي بن كعب انه قال [واذا الوحوش حشرت] اختلطت قال ابن جرير والاولى قول من قال حشرت جمعت قال الله تعالى [والطير محشورة] أي مجموعة

وقوله تعالى (واذا البحار سجرت) قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن سعيد بن المسيب قال : قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود أين جهنم ؟ قال البحر فقال ماأراه إلا

وروى أبو العالية عن أبي بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم فبيناهم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس إلى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش والسباع وماج بعضهم في بعض فذلك قوله (وإذا الوحوش حشرت) واختلطت (واذا العشار عطلت * وإذا البحار سجرت) قال قالت الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا إلى البحر فاذا هو نار تأجج قال فبيناهم كذلك إذ تصدعت الارض صدعة واحدة إلى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبيناهم كذلك اذ جاءتهم الريح فأماتتهم ، وعن ابن عباس أيضا قال هي اثنتا عشرة خصلة

صادقا والبحر المسجور واذا البحار سجرت ، وقال ابن عباس وغير واحد يرسل الله عليها الرياح الدبور فتسعرها وتصير ناراً تأجج وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى [والبحر المسجور]

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا ابوطاهر حدثني عبدالجبار بن سليمان ابو سليمان النفاط ـ شيخ صالح يشبه مالك بن أنس ـ عن معاوية بن سعيد قال إن هذا البحر بركة ـ يعني بحر الروم ـ وسط الارض والانهار كلها تصب فيه والبحر الكبير يصب فيه وأسفله آبار مطبقة بالنحاس فاذا كان يوم القيامة أسجر وهذا أثر غريب عجيب

وفي سنن أبي داود « لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز فان تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً » الحديث وقد تقدم الكلام عليه في سورة فاطر . وقال مجاهد والحسن بن مسلم سجرت أوقدت وقال الحسن يبست ، وقال الضحاك وقتادة غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة ، وقال الضحاك أيضا سجرت فجرت ، وقال السدي فتحت وسيرت ، وقال الربيع بن خثيم سجرت فاضت .

وقوله تعالى [وإذا النفوس زوجت] أي جمع كل شكل الى نظيره كقوله تعالى [احشروا الذين ظلموا وأزواجهم] وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الصباح البزار حدثنا الوليد بن أبي ثور عن سماك عن النعمان بن بشير انه قال قال رسول الله ﷺ « وإذا النفوس زوجت ـ قال ـ الضرباء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله » وذلك بأن الله عز وجل يقول [وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، والسابقون السابقون] قال هم الضرباء . ثم رواه ابن أبي حاتم من طرق أخر عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير أن عمر ابن الخطاب خطب الناس فقرأ (وإذا النفوس زوجت) فقال تزوجها ان تؤلف كل شيعة الى شيعتهم، وفي رواية هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة أو النار

وفي رواية عن النعمان قال سئل عمر عن قوله تعالى [واذا النفوس زوجت] قال : يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار فذلك تزويج الانفس وفي رواية عن النعمان ان عمر قال للناس : ماتقولون في تفسير هذه الآية [واذا النفوس زوجت] فسكتوا . قال ولكن أعلمه هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة والرجل يزوج نظيره من أهل النار ثم قرأ [احشروا الذين ظلموا وأزواجهم]

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) قال ذلك حين يكون الناس

ستة في الدنيا وستة في الآخرة وهي ما ذكره بقوله عز وجل ﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾ روى النعمان ابن بشير عن عمر بن الخطاب انه سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وهذا قول عكرمة وقال الحسن وقتادة ألحق كل امرئ بشيعته اليهودي باليهودي والنصراني بالنصراني ، قال الربيع بن خثيم يحشر الرجل مع

أزواجا ثلاثة وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد [وإذا النفوس زوجت] قال الامثال من الناس جمع بينهم ، وكذا قال الربيع بن خثيم والحسن وقتادة واختاره ابن جرير وهو الصحيح

﴿ قول آخر ﴾ في قوله [وإذا النفوس زوجت] قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن سمرار عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : يسيل واد من أصل العرش من ماء فيما بين الصيحتين ومقدار ما بينهما أربعون عاما فينبت منه كل خلق بلي من الانسان أو طير أو دابة ، ولو مر عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على وجه الارض قد نبتوا ثم ترسل الارواح فتزوج الاجساد فذلك قول الله تعالى [وإذا النفوس زوجت] وكذا قال أبو العالية وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري أيضا في قوله تعالى [وإذا النفوس زوجت] أي زوجت بالابدان . وقيل زوج المؤمنون بالحور العين وزوج الكافرون بالشياطين . حكاه القرطبي في التذكرة

وقوله تعالى [واذا الموءودة سئلت * بأي ذنب قتلت] هكذا قراءة الجمهور سئلت . والموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات ، فيوم القيامة تسئل الموءودة على أي ذنب قتلت ليكون ذلك تهديداً لقاتلها فانه اذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذاً ؟ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وإذا الموءودة سئلت) أي سألت . وكذا قال أبو الضحى سألت أي طالبت بدمها . وعن السدي وقتادة مثله

وقد وردت أحاديث تتعلق بالموءودة فقال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني أبو الاسود وهو محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن عائشه عن جذامة بنت وهب أخت عكاشة قالت حضرت رسول الله ﷺ في ناس وهو يقول « لقد هممت أن أنهى عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس فاذا هم يغيلون أولادهم ولا يضر أولادهم ذلك شيئا » ثم سألوه عن العزل فقال رسول الله ﷺ « ذلك الوأد الخفي وهو الموءودة سئلت » ورواه مسلم من حديث أبي عبد الرحمن المقرى وهو عبد الله بن يزيد عن سعيد بن أبي ايوب . ورواه أيضا ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن يحيى بن اسحاق السيلحيني عن يحيى بن أيوب ، ورواه مسلم أيضا وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث مالك بن أنس ثلاثتهم عن أبي الاسود به

صاحب عمله وقيل زوجت النفوس بأعمالها ، وقال عطاء ومقاتل زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين ، وروي عن عكرمة قال وإذا النفوس زوجت ردت الارواح في الاجساد ﴿ وإذا الموءودة سئلت ﴾ وهي الجارية المدفونة حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيئدها أي يثقلها حتى تموت ، وكانت العرب تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة يقال وأد يئد وأدا فهو وائد والمفعول موءود

وقال الامام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة بن سلمة بن يزيد الجعفي قال: انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله ﷺ فقلنا يارسول الله ان امنا مليكة كانت تصل الرحم وتقري الضيف وتفعل هلكت في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا ؟ قال «لا» قلنا فانها كانت وأدت اختا لنا في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا قال «الوائدة والموءودة في النار إلا أن يدرك الوائدة الاسلام فيعفو الله عنها» ورواه النسائي من حديث داود بن أبي هند به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن سنان الواسطي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن علقمة وأبي الاحوص عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ «الوائدة والموءودة في النار» وقال أحمد أيضا: حدثنا اسحاق الازرق أخبرنا عوف حدثتني خنساء ابنة معاوية الصريمية عن عمها قال قلت يارسول الله من في الجنة ؟ قال «النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والموءودة في الجنة»

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا قرة قال سمعت الحسن يقول قيل يارسول الله من في الجنة؟ قال «الموءودة في الجنة» هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن ومنهم من قبله

وقال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الظهراني حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال: قال ابن عباس اطفال المشركين في الجنة فمن زعم أنهم في النار فقد كذب يقول الله تعالى (واذا الموءودة سئلت * بأي ذنب قتلت] قال ابن عباس هي المدفونة

وقال عبد الرزاق أخبرنا اسرائيل عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب في قوله تعالى (واذا الموءودة سئلت) قال جاء قيس بن عاصم الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله إني وأدت بنات لي في الجاهلية قال «أعتق عن كل واحدة منهن رقبة» قال يارسول الله إني صاحب ابل قال «فانحر عن كل واحدة منهن بدنة» قال الحافظ أبو بكر البزار خولف فيه عبد الرزاق ولم يكتبه إلا عن الحسين بن مهدي عنه، وقد رواه ابن أبي حاتم فقال أخبرنا أبو عبد الله الظهراني فيما كتب إلي قال حدثنا عبد الرزاق فذكره باسناده مثله، إلا أنه قال وأدت ثمان بنات لي في الجاهلية وقال في آخره «فاهد ان شئت عن كل واحدة بدنة» ثم قال حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا قيس بن الربيع عن الاغر بن الصباح عن خليفة بن حصين قال قدم قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ فقال يارسول الله إني وأدت اثنتي عشرة ابنة لي في الجاهلية أو ثلاث عشرة قال «أعتق

روى عكرمة عن ابن عباس كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت وكان أوان ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فان ولدت جارية رمت بها في الحفرة وان ولدت غلاما حبسته ﴿ بأي ذنب قتلت ﴾ قرأ العامة على الفعل المجهول فيهما وأبو جعفر يقرأ قتلت بالتشديد ومعناه تسأل الموءودة فيقال لها بأي ذنب قتلت، ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لانها تقول قتلت بغير ذنب، وروى أن جابر

عددهن نسما قال فاعتق عددهن نسما » فلما كان في العام المقبل جاء بمائة ناقة فقال يارسول الله هذه صدقة قومي على أثر ماصنعت بالمسلمين قال علي بن أبي طالب لكنا نريحها ونسميها القيسية

وقوله تعالى (وإذا الصحف نشرت) قال الضحاك أعطي كل انسان صحيفته بيمينه أو بشماله وقال قتادة يا ابن آدم تملى فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فلينظر رجل ماذا يملى في صحيفته

وقوله تعالى (واذا السماء كشطت) قال مجاهد اجتذبت وقال السدي كشفت وقال الضحاك تنكشط فتذهب . وقوله تعالى (واذا الجحيم سعرت) قال السدي أحميت وقال قتادة أوقدت قال وإنما يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم . وقوله تعالى (واذا الجنة ازلفت) قال الضحاك وأبو مالك وقتادة والربيع بن خثيم أي قربت الى أهلها

وقوله تعالى (علمت نفس ما أحضرت) هذا هو الجواب أي اذا وقعت هذه الامور حينئذ تعلم كل نفس ماعملت وأحضر ذلك لها كما قال تعالى (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا) وقال تعالى (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا عبدة حدثنا ابن المبارك حدثنا محمد بن مطرف عن زيد ابن أسلم عن أبيه قال لمانزلت [اذا الشمس كورت] قال عمر لما بلغ [علمت نفس ما أحضرت] قال لهذا جري الحديث

فلا أقسم بالخُنَّس (١٥) الجوار الكُنَّس (١٦) والّيل إذا عَسعس (١٧) والصبح إذا تنفّس (١٨) انه لقول رسول كريم (١٩) ذي قوة عند ذي العرش مكين (٢٠) مطاع ثَمّ أمينٍ (٢١) وما صاحبكم بمجنون (٢٢) ولقد رآه بالأُفق المبين (٢٣) وما هو على الغيب

ابن زيد كان يقرأ [وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت] ومثله قرأ أبو الضحى ﴿ واذا الصحف نشرت ﴾ قرأ أهل المدينة والشام وعاصم ويعقوب نشرت بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد لقوله (يتلو صحفا منشرة) يعني صحائف الاعمال تنشر للحساب ﴿ وإذا السماء كشطت ﴾ قال الفراء نزعت فطويت ، وقال الزجاج قلعت كما يقلع السقف وقال مقاتل تكشف عمن فيها ، ومعنى الكشط رفعك شيأ عن شيء قد غطاه كما يكشط الجلد عن السنام ﴿ واذا الجحيم سعرت ﴾ قرأ أهل المدينة والشام وحفص عن عاصم سعرت بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف أى أوقدت لاعداء الله ﴿ وإذا الجنة أزلفت ﴾ قربت لاولياء الله ﴿ علمت ﴾ عند ذلك كل ﴿ نفس ما أحضرت ﴾ من خير أو شر وهذا جواب لقوله إذا الشمس كورت وما بعدها

قوله عز وجل ﴿ فلا أقسم بالخنس ﴾ ولا زائدة معناه أقسم بالخنس ﴿ الجوار الكنس ﴾ قال

بضنين (٢٤) وماهو بقول شيطان رجيم (٢٥) فأين تذهبون؟ (٢٦) ان هو الا ذكر للعالمين (٢٧)
لمن شاء منكم أن يستقيم (٢٨) وما تشاءون إلا ان يشاء الله رب العلمين (٢٩)

روى مسلم في صحيحه والنسائي في تفسيره عند هذه الآية من حديث مسعر بن كدام عن الوليد ابن سريع عن عمرو بن حريث قال صليت خلف النبي ﷺ الصبح فسمعته يقرأ [فلا اقسم بالخنس * الجوار الكنس * والليل اذا عسعس * والصبح اذا تنفس] ورواه النسائي عن بندار عن غندر عن شعبة عن الحجاج بن عاصم عن أبي الاسود عن عمرو بن حريث به نحوه

قال ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق الثوري عن أبي اسحاق عن رجل من مراد عن علي [فلا اقسم بالخنس * الجوار الكنس] قال هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل

وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت خالد بن عرعرة سمعت عليا وسئل عن لا أقسم بالخنس الجوار الكنس فقال هي النجوم تخنس بالنهار وتكنس بالليل وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن اسرائيل عن سماك عن خالد عن علي قال هي النجوم وهذا اسناد جيد صحيح الى خالد بن عرعرة وهو السهمي الكوفي قال أبو حاتم الرازي روي عن علي وروى عنه سماك والقاسم بن عوف الشيباني ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا فالله أعلم، وروى يونس عن أبي اسحاق عن الحارث عن علي أنها النجوم رواه ابن أبي حاتم وكذا روي عن ابن عباس ومجاهد والحسن وعبادة والسدي وغيرهم أنها النجوم

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا هوذة بن خليفة حدثنا عوف عن بكر بن عبد الله في قوله تعالى [فلا أقسم بالخنس * الجوار الكنس] قال هي النجوم الدرارى التي تجرى تستقبل المشرق وقال بعض الأئمة إنما قيل للنجوم الخنس أي في حال طلوعها ثم هي جوار في فلكها وفي حال غيبوبتها يقال لها كنس من قول العرب أوى الظبي الى كناسه اذا تغيب فيه وقال لاعمش عن ابراهيم قال قال عبد الله فلا أقسم بالخنس قال بقر الوحش وكذا قال الثوري عن أبي اسحاق عن أبي ميسرة

قتادة هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار فتخفى فلا ترى وعن علي أيضا انها الكوكب تخنس بالنهار فلا ترى وتكنس بالليل فتأوي الى مجاريها، وقال قوم هي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تخنس في مجراها أى ترجع وراءها وتكنس تستتر وقت اختفائها وغروبها كما تكنس الظباء في مغارها وقال ابن زيد معنى الخنس انها تخنس أي تتأخر عن مطالعها في كل عام تأخرا تتأخره عن تعجيل ذلك الطلوع تخنس عنه بتأخرها والكنس أي تكنس بالنهار فلا ترى وروى الاعمش عن ابراهيم عن عبد الله انها هي الوحش، وقال سعيد بن جبير هي الظباء وهي رواية العوفي عن ابن عباس وأصل الخنوس الرجوع الى وراء والكنوس أن تأوى الى مكانسها وهي المواضع التي تأوى اليها الوحوش

عن عبد الله فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ماهي ياعمرو ؟ قلت البقر قال وأنا أرى ذلك وكذا روى يونس عن أبي أسحاق عن أبيه

وقال أبو داود الطيالسي عن عمرو عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الجوار الكنس قال البقر تكنس الي الظل وكذا قال سعيد بن جبير، وقال العوفي عن ابن عباس هي الظباء وكذا قال سعيد أيضاً ومجاهد والضحاك وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد هي الظباء والبقر

وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا سفيان عن ابراهيم ومجاهد أنهما تذاكرا هذه الآية (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) فقال ابراهيم لمجاهد قل فيها ما سمعت ، قال فقال مجاهد كنا نسمع فيها شيئا وناس يقولون انها النجوم قال فقال ابراهيم قل فيها بما سمعت ، قال فقال مجاهد كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكنس في حجرتها ، قال فقال ابراهيم انهم يكذبون على علي هذا كما رووا عن علي انه ضمن الاسفل الاعلى والاعلى الاسفل ، وتوقف ابن جرير في المراد بقوله (الخنس الجوار الكنس) هل هو النجوم أو الظباء وبقر الوحش قال ويحتمل أن يكون الجميع مراداً

وقوله تعالى [والليل اذا عسعس] فيه قولان (أحدهما) اقباله بظلامه قال مجاهد أظلم وقال سعيد بن جبير اذا نشأ، وقال الحسن البصري اذا غشى الناس ، وكذا قال عطية العوفي وقال علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس (اذا عسعس اذا أدبر، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وكذا قال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن (اذا عسعس) أي اذا ذهب فتولى

وقال ابو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البحتري سمع أبا عبد الرحمن السلمي قال: خرج علينا علي رضي الله عنه حين ثوب المثوب بصلاة الصبح فقال: أين السائلون عن الوتر (والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس ؟) هذا حين أدبر حسن . وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله (اذا عسعس) اذا أدبر قال لقوله (والصبح اذا تنفس) أي أضاء واستشهد بقول الشاعر أيضاً :

حتى اذا الصبح له تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

أي أدبر وعندي أن المراد بقوله (اذا عسعس) اذا أقبل وإن كان يصح استعماله في الادبار أيضاً لكن الاقبال ههنا أنسب كأنه أقسم بالليل وظلامه اذا أقبل وبالفجر وضيائه اذا أشرق كما قال تعالى [والليل اذا يغشى * والنهار اذا تجلى] وقال تعالى [والضحى والليل اذا سجى] وقال تعالى [فالق الاصباح وجعل الليل سكنا] وغير ذلك من الآيات ، وقال كثير من علماء الاصول إن لفظة عسعس تستعمل في الاقبال والادبار على وجه الاشتراك فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما والله أعلم. قال ابن جرير وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن عسعس دنا من أوله وأظلم ، وقال الفراء كان أبو البلاد النحوي ينشد بيتا :

﴿ والليل اذا عسعس ﴾ قال الحسن أقبل بظلامه ، وقال الآخرون أدبر تقول العرب عسعس الليل

عسعس حتى لو يشاء ادنا كان له من ضوئه مقبس

يريد لو يشاء إذ دنا أدغم الذال في الدال ، قال الفراء وكانوا يزعمون أن هذا البيت مصنوع ، وقوله تعالى (والصبح اذا تنفس) قال الضحاك اذا طلع ، وقال قتادة اذا أضاء وأقبل وقال سعيد بن جبير اذا نشأ وهو المروي عن علي رضي الله عنه ، وقال ابن جرير يعني وضوء النهار اذا أقبل وتبين

وقوله تعالى (انه لقول رسول كريم) يعني إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم أي ملك شريف حسن الخلق بهي المنظر وهو جبريل عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس والشعبي وميمون بن مهران والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك وغيرهم (ذي قوة) كقوله تعالى [علمه شديد القوى * ذو مرة] أي شديد الخلق شديد البطش والفعل (عند ذي العرش مكين) أي له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة ، قال أبو صالح في قوله تعالى (عند ذي العرش مكين) قال جبريل يدخل في سبعين حجابا من نور بغير اذن (مطاع ثم) أي له وجاهة وهو مسموع القول مطاع في الملأ الاعلى قال قتادة (مطاع ثم) أي في السموات يعني ليس هو من أفناد الملائكة بل هو من السادة والاشراف معتنى به انتخب لهذه الرسالة العظيمة

وقوله تعالى (أمين) صفة لجبريل بالامانة وهذا عظيم جداً أن الرب عز وجل يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل كما زكى عبده ورسوله البشري محمداً ﷺ بقوله تعالى [وما صاحبكم بمجنون] قال الشعبي وميمون بن مهران وأبو صالح ومن تقدم ذكرهم المراد بقوله [وما صاحبكم بمجنون] يعني محمداً صلى الله عليه وسلم

وقوله تعالى (ولقد رآه بالافق المبين) يعني ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله

عسعس اذا أدبر ولم يبق منه الا اليسير ﴿ والصبح اذا تنفس ﴾ أقبل وبدأ أوله وقيل امتد ضوؤه وارتفع ﴿ انه ﴾ يعني القرآن ﴿ لقول رسول كريم ﴾ يعني جبريل أي نزل به جبريل عن الله تعالى ﴿ ذي قوة ﴾ وكان من قوته انه اقتلع قريات قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها، وانه أبصر ابليس يكلم عيسى على بعض عقاب الارض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة ألقاه الى أقصى جبل بالهند، وانه صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين، وانه يهبط من السماء الى الارض ويصعد في أسرع من الطرف ﴿ عند ذي العرش مكين ﴾ في المنزلة ﴿ مطاع ثم ﴾ أي في السموات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة اياه انهم فتحوا أبواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله ﷺ وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله ﴿ أمين ﴾ على وحي الله ورسالاته الى أنبيائه ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾ يقول لاهل مكة وما صاحبكم يعني محمدا ﷺ بمجنون، وهذا أيضا من جواب القسم أقسم على ان القرآن نزل به جبريل وان محمداً ليس كما يقوله أهل مكة وذلك أنهم قالوا انه مجنون وما يقول يقوله من عند نفسه ﴿ ولقد رآه ﴾ يعني رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته ﴿ بالافق

عز وجل على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح (بالافق المبين) أي البين وهي الرؤية الاولى التي كانت بالبطحاء وهي المذكورة في قوله [علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ماأوحى] كما تقدم تفسير ذلك وتقريره والدليل عليه أن المراد بذلك جبريل عليه السلام، والظاهر والله أعلم أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الاسراء لانه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهي الاولى ، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله تعالى [ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة مايغشى] فتلك انما ذكرت في سورة النجم وقد نزلت بعد سورة الاسراء

وقوله تعالى (وما هو على الغيب بظنين) أى وما محمد على ما أنزله الله اليه بظنين أي بمتهم . ومنهم من قرأ ذلك بالضاد أي ببخيل بل يبذله لكل أحد . قال سفيان بن عيينة ظنين وضنين سواء أي ماهو بكاذب وما هو بفاجر . والظنين المتهم والضنين البخيل .وقال قتادة كان القرآن غيبا فأنزله الله على محمد فما ضن به على الناس بل نشره و بلغه وبذله لكل من أراده ،وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد واختار ابن جرير قراءة الضاد [قلت] وكلاهما متواتر ومعناه صحيح كما تقدم

المبين ﴾ وهو الافق الاعلى من ناحية المشرق قاله مجاهد وقتادة

أخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي أنا احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا محمد بن جعفر ثنا الحسن بن علويه ثنا اسماعيل بن عيسى ثنا اسحاق بن بشر أنا ابن جريج عن عكرمة ابن خالد ومقاتل عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل « اني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء ؟ » قال لن تقوى على ذلك قال « بلى » قال فأين تشاء أن أتخيل لك؟ قال « بالا بطح » قال لا يسعني قال « فههنا » قال لا يسعني قال « فبعرفات » قال ذلك بالحري أن يسعني فواعده فخرج النبي ﷺ في الوقت فاذا هو بجبريل قد أقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ مابين المشرق والمغرب ورأسه في السماء ورجلاه في الارض فلما رآه النبي ﷺ كبر وخر مغشيا عليه قال فتحول جبريل في صورته فضمه الى صدره وقال يامحمد لاتخف فكيف لك لو رأيت اسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل أحيانا من مخافة الله عز وجل حتى يصير مثل الصعو يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته »

﴿ وما هو ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿ على الغيب ﴾ أي الوحي وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عنه من الانباء والقصص ﴿ بظنين ﴾ قرأ أهل مكة والبصرة والكسائي بالظاء أى بمتهم يقال فلان يظن بمال وزن أى يتهم به والظنة التهمة ، وقرأ الآخرون بالضاد أى ببخيل يقول انه يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ماعنده حتى يأخذ عليه حلوانا

وقوله تعالى (وما هو بقول شيطان رجيم) أي وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم أى لا يقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغي له كما قال تعالى (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون) وقوله تعالى [فأين تذهبون؟] أي فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقا من عند الله عز وجل كما قال الصديق رضي الله عنه لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين وأمرهم فتلوا عليه شيئا من قرآن مسيلمة الكذاب الذي هو في غاية الهذيان والركاكة فقال : ويحكم أين تذهب عقولكم ؟ والله ان هذا الكلام لم يخرج من إل أى من إله ، وقال قتادة (فأين تذهبون) أى عن كتاب الله وعن طاعته

وقوله تعالى (إن هو الا ذكر للعالمين) أى هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون (لمن شاء منكم أن يستقيم) أى من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فانه منجاة له وهداية ولا هداية فيما سواه (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) أى ليست المشيئة موكولة اليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين

قال سفيان الثوري عن سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى لما نزلت هذه الآية (لمن شاء منكم أن يستقيم) قال أبو جهل : الامر الينا إن شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فأنزل الله تعالى (وما تشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين)

﴿ آخر تفسير سورة التكوير ولله الحمد والمنة ﴾

تقول العرب ضننت بالشيء بكسر النون أضن به ضنا وضنانة فأنا به ضنين أي بخيل ﴿ وما هو ﴾ يعني القرآن ﴿ بقول شيطان رجيم ﴾ قال الكلبي يقول إن القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش ﴿ فأين تذهبون؟ ﴾ أي أين تعدلون عن هذا القرآن وفيه الشفاء والبيان

قال الزجاج أي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم ثم بين فقال ﴿ ان هو ﴾ أي ما القرآن ﴿ الا ذكر للعالمين ﴾ موعظة للخلق أجمعين ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم ﴾ أي يتبع الحق ويقيم عليه ﴿ وما تشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ أى اعلمهم ان المشيئة في التوفيق اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشيئة الله وفيه اعلام ان أحدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله ولا شرا الا بخذلانه



تفسير سورة الانفطار وهى مكية

قال النسائي أخبرنا محمد بن قدامة حدثنا جرير عن الاعمش عن محارب بن دثار عن جابر قال قام معاذ فصلى العشاء الآخرة فطول فقال النبي ﷺ « أفتان أنت يا معاذ ؟ أين كنت عن سبح اسم ربك الاعلى والضحى وإذا السماء انفطرت ؟ » وأصل الحديث مخرج في الصحيحين ولكن ذكر (إذا السماء انفطرت في أفراد النسائي . وقد تقدم من رواية عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ قال « من سره أن ينظر الى القيامة رأى عين فليقرأ إذا الشمس كورت . وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

إذا السماء انفطرت (١) وإذا الكواكب انتثرت (٢) وإذا البحار فُجِّرت (٣) وإذا القبورُ بُعثرت (٤) علمتْ نفسٌ ما قدمتْ وأخَّرت (٥) يا أيها الانسٰن ماغرَّكَ بِربِّكَ الكريم (٦) الذي خلقك فسوّٰك فعدلك (٧) في أيِّ صورة ماشاء ركّبك (٨) كلاَّ بل تكذبون بالدين (٩) وإن عليكم لحفظين (١٠) كراما كٰتبين (١١) يعلمون ماتفعلون (١٢)

يقول تعالى (إذا السماء انفطرت) أي انشقت كما قال تعالى [السماء منفطر به] (وإذا الكواكب انتثرت) أي تساقطت [واذا البحار فجرت] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فجر الله بعضها في بعض . وقال الحسن فجر الله بعضها في بعض فذهب ماؤها ، وقال قتادة اختلط عذبها بمالحها ، وقال الكلبي ملئت [واذا القبور بعثرت] قال ابن عباس بحثت ، وقال السدي تبعثر تحرك فيخرج من فيها [علمت نفس ماقدمت وأخرت] أى اذا كان هذا حصل هذا

وقوله تعالى [ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم ؟) هذا تهديد لا كما يتوهمه بعض الناس من

سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ انشقت ﴿ واذا الكواكب انتثرت ﴾ تساقطت ﴿ واذا البحار فجرت ﴾ فجر بعضها في بعض واختلط العذب بالملح فصارت بحرا واحداً ، وقال الربيع فجرت فاضت ﴿ واذا القبور بعثرت ﴾ بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياء يقال بعثرت الحوض وبحثرته اذا قلبته فجعلت أسفله أعلاه ﴿ علمت نفس ما قدمت وأخرت ﴾ قيل ماقدمت من عمل صالح أو سيىء وما أخرت من سنة حسنة أو سيئة، وقيل ماقدمت من الصدقات وأخرت من التركات على ماذكرنا في قوله (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) ﴿ يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم ﴾ ما خدعك

انه ارشاد الى الجواب حيث قال الكريم حتى يقول قائلهم غره كرمه، بل المعنى في هذه الآية ماغرك يا ابن آدم بربك الكريم أي العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لايليق كما جاء في الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة « يا ابن آدم ماغرك بي ؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟ »

قال ابن أبى حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن ابي عمر حدثنا سفيان ان عمر سمع رجلا يقرأ [يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم] فقال عمر: الجهل. وقال أيضا حدثنا عمر بن شيبة حدثنا أبو خلف حدثنا يحيى البكاء سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) قال ابن عمر غره والله جهله، قال وروي عن ابن عباس والربيع بن خثيم والحسن مثل ذلك

وقال قتادة (ماغرك بربك الكريم) شيء ماغر ابن آدم وهذا العدو الشيطان . وقال الفضيل بن عياض لو قال لي ماغرك بي لقلت ستورك المرخاة . وقال أبو بكر الوراق لوقال لي ماغرك بربك الكريم لقلت غرني كرم الكريم . وقال بعض أهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه الاجابة ، وهذا الذى تخيله هذا القائل ليس بطائل لانه انما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لاينبغي أن يقابل الكريم بالافعال القبيحه وأعمال الفجور

وقد حكى البغوي عن الكلبي ومقاتل أنهما قالا نزلت هذه الآية في الاسود بن شريق ضرب النبي ﷺ ولم يعاقب في الحالة الراهنة فأنزل الله تعالى (ماغرك بربك الكريم)

وقوله تعالى (الذي خلقك فسواك فعدلك) أي ماغرك بالرب الكريم (الذي خلقك فسواك فعدلك) أي جعلك سويا مستقيما معتدل القامة منتصبها في أحسن الهيئات والاشكال

قال الامام احمد حدثنا ابو المغيرة حدثنا جرير حدثني عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جحاش القرشي أن رسول الله ﷺ بصق يوما في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال « قال

وسول لك الباطل حتى أضعت ماوجب عليك، والمعنى ماذا أمنك من عقابه قال عطاء نزلت في الوليد ابن المغيرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت في الاسود بن شريق ضرب النبي ﷺ فلم يعاقبه الله عز وجل فأنزل الله هذه الآية يقول (ما الذي غرك بربك الكريم) المتجاوز عنك إذا لم يعاقبك عاجلا بكفرك قال قتادة غره عدوه المسلط عليه يعني الشيطان قال مقاتل غره عفو الله حين لم يعاقبه في أول أمره وقال السدي غره رفق الله به ، وقال ابن مسعود مامنكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة فيقول يا ابن آدم ماغرك بي؟ يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟ وقيل للفضيل ابن عياض لو أقامك الله يوم القيامة فقال يافضيل ما غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول؟ قال أقول غرني ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو أقامني بين يديه فقال يايحيى ماغرك بي قلت غرني بك برك بي سالفا وآنفا ، وقال ابو بكر الوراق لو قال لي ماغرك بربك الكريم لقلت غرني بك كرم الكريم قال بعض أهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه الاجابة حتى يقول غرني كرم الكريم

الله عز وجل «يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه؟ حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة؟» وكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن جرير بن عثمان به قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي وتابعه يحيى بن حمزة عن ثور بن يزيد عن عبد الرحمن بن ميسرة وقوله تعالى (في أي صورة ماشاء ركبك) قال مجاهد في أي شبه أب أو أم أو خال أو عم

وقال ابن جرير حدثني محمد بن سنان القزاري حدثنا مطهر بن الهيثم حدثنا موسى بن علي بن رباح حدثني أبي عن جدي أن النبي ﷺ قال له «ماولد لك؟» قال يارسول الله ماعسى أن يولد لي إما غلام واما جارية، قال «فمن يشبه؟» قال يارسول الله من عسى أن يشبه؟ اما أباه واما أمه فقال النبي ﷺ عندها «مه» لاتقولن هكذا إن النطفة اذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم أما قرأت هذه الآية في كتاب الله تعالى في أي صورة ماشاء ركبك» قال شكلك وهكذا رواه ابن أبي حاتم والطبراني من حديث مطهر بن الهيثم به، وهذا الحديث لو صح لكان فيصلا في هذه الآية ولكن اسناده ليس بالثابت لان مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس كان متروك الحديث، وقال ابن حبان يروي عن موسى بن علي وغيره مالا يشبه حديث الاثبات ولكن في الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلا قال يارسول الله إن امرأتي ولدت غلاما أسود، قال «هل لك من إبل؟» قال نعم، قال «فما ألوانها؟» قال حمر، قال «فهل فيها من أورق؟» قال نعم، قال «فأنى أتاها ذلك؟» قال عسى أن يكون نزعه عرق قال «وهذا عسى أن يكون نزعه عرق» وقد قال عكرمة في قوله تعالى (في أي صورة ماشاء ركبك) إن شاء في صورة قرد وإن شاء في صورة خنزير، وكذا قال أبو صالح [في أي صورة ماشاء ركبك] إن شاء في صورة كلب وإن شاء في صورة حمار وإن شاء في صورة خنزير، وقال قتادة [في أي صورة ماشاء ركبك) قال قادر والله ربنا على ذلك، ومعنى هذا القول عند هؤلاء أن الله عز وجل قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن المنظر والهيئة.

وقوله تعالى (كلا بل تكذبون بالدين) أى انما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب

﴿الذي خلقك فسواك فعدلك﴾ قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر فعدلك بالتخفيف أي صرفك وأمالك إلى أي صورة شاء حسنا وقبيحا وطويلا وقصيرا وقرأ الآخرون بالتشديد أي قومك وجعلك معتدل الخلق والاعضاء ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ قال مجاهد والكلبي ومقاتل في أي شبه من أب وأم أو خال أو عم، وجاء في الحديث «ان النطفة إذا استقرت في الرحم أحضر كل عرق بينه وبين آدم» ثم قرأ [في أي صورة ما شاء ركبك، وذكر الفراء والزجاج قولا آخر [في أي صورة ماشاء

وقوله تعالى (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون) يعني وإن عليكم لملائكة حفظة كراما فلا تقابلوهم بالقبائح فانهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع حدثنا سفيان ومسعر عن علقمة بن مرثد عن مجاهد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين الجنابة والغائط، فاذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببعيره أو ليستره أخوه»

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار فوصله بلفظ آخر فقال حدثنا محمد بن عفان بن كرامة حدثنا عبيد الله بن موسى عن حفص بن سليمان عن علقمة بن مرثد عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات: الغائط والجنابة والغسل، فاذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجرم حائط أو ببعيره» ثم قال حفص بن سليمان لين الحديث وقد روى عنه واحتمل حديثه

وقال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا زياد بن أيوب حدثنا ميسرة بن اسماعيل الحلبي حدثنا تمام ابن نجيح عن الحسن يعني البصري عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «مامن حافظين يرفعان الى الله عزوجل ماحفظا في يوم فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفارا إلا قال الله تعالى قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة» ثم قال تفرد به تمام بن نجيح وهو صالح الحديث قلت وثقه ابن معين وضعفه البخارى وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي وابن عدي ورماه ابن حبان بالوضع وقال الامام احمد لا أعرف حقيقة أمره

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا اسحاق بن سليمان البغدادى المعروف بالفلوسي حدثنا بيان ابن حمران حدثنا سلام عن منصور بن زاذان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن لله ملائكة يعرفون بني آدم - وأحسبه - قال ويعرفون أعمالهم فاذا نظروا الى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا أفلح الليلة فلان نجا الليلة فلان، واذا نظروا الى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا هلك الليلة فلان» ثم قال البزار هذا أحسبه سلام المدائني وهو لين الحديث

ركبك] إما طويلا أو قصيرا أو حسنا أو غير ذلك، قال عكرمة وأبو صالح (في أى صورة ما شاء ركبك) ان شاء في صورة انسان وان شاء في صورة دابة او حيوان آخر ﴿كلا بل تكذبون﴾ قرأ أبو جعفر بالياء وقرأ الآخرون بالتاء لقوله (وان عليكم لحافظين) ﴿بالدين﴾ بالجزاء والحساب ﴿وان عليكم لحافظين﴾ رقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم ﴿كراما﴾ على الله ﴿كاتبين﴾ يكتبون أقوالكم وأعمالكم ﴿يعلمون ما تفعلون﴾ من خير أو شر

ان الأبرار لفي نعيم (١٣) وان الفُجّار لفي جحيم (١٤) يَصلونها يوم الدين (١٥) وماهم عنها بغائبين (١٦) وما أدراك مايوم الدين؟ (١٧) ثم ماأدراك ما يوم الدين؟ (١٨) يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله (١٩)

يخبر تعالى عما يصير الابرار اليه من النعيم وهم الذين أطاعوا الله عز وجل ولم يقابلوه بالمعاصي وقد روى ابن عساكر في ترجمة موسى بن محمد عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس بن أبي اسحاق عن عبيد الله عن محارب عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « إنما سماهم الله الابرار لانهم بروا الآباء والابناء » . ثم ذكر مايصير اليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ولهذا قالوا [يصلونها يوم الدين] أى يوم الحساب والجزاء والقيامة [وماهم عنها بغائبين] أى لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يجابون الى مايسألون من الموت أو الراحة ولو يوما واحداً

وقوله تعالى [وما أدراك مايوم الدين] تعظيم لشأن يوم القيامة ثم أكده بقوله تعالى (ثم ماأدراك مايوم الدين) ثم فسره بقوله [يوم لا تملك نفس لنفس شيئا] أى لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، ونذكر ههنا حديث « يابني هاشم انقذوا أنفسكم من النار لا أملك لكم من الله شيئا » وقد تقدم في آخر تفسير سورة الشعراء . ولهذا قال (والامر يومئذ لله) كقوله (لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار) وكقوله (الملك يومئذ الحق للرحمن) وكقوله (مالك يوم الدين) قال قتادة يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله والامر والله اليوم لله ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

قوله عز وجل ﴿ ان الابرار لفي نعيم ﴾ الابرار الذين بروا وصدقوا في أيمانهم بأداء فرائض الله عز وجل واجتناب معاصيه ﴿ وان الفجار لفي جحيم ﴾ روي ان سليمان بن عبد الملك قال لابي حازم المدني ليت شعري مالنا عند الله ؟ قال : اعرض عملك على كتاب الله فانك تعلم مالك عند الله ، قال فأين أجده في كتاب الله ؟ فقال عند قوله (ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم) قال سليمان فأين رحمة الله ؟ قال رحمة الله قريب من المحسنين

قوله عز وجل ﴿ يصلونها ﴾ يدخلونها ﴿ يوم الدين ﴾ يوم القيامة ﴿ وماهم عنها بغائبين ﴾ ثم عظم ذلك اليوم فقال ﴿ وما أدراك ما يوم الدين ﴾ ثم كرر تفخيما لشأنه فقال ﴿ ثم ما أدراك مايوم الدين * يوم لا تملك ﴾ قرأ أهل مكة والبصرة يوم برفع الميم ردا على اليوم الاول وقرأ الاخرون بنصبها أي في يوم يعني هذه الاشياء في يوم لا تملك ﴿ نفس لنفس شيأ ﴾ قال مقاتل لنفس كافرة شيأ من المنفعة ﴿ والامر يومئذ لله ﴾ أي يوم لا يملك الله في ذلك اليوم أحداً شيئا كما ملكهم في الدنيا

تفسير سورة المطففين وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين (١) الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون (٢) واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون (٣) ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون (٤) ليوم عظيم (٥) يوم يقوم الناس لرب العلمين (٦)

قال النسائي وابن ماجه أخبرنا محمد بن عقيل زاد ابن ماجه وعبد الرحمن بن بشر قالا حدثنا علي بن الحسين بن واقد حدثني أبي عن يزيد وهو ابن أبي سعيد النحوي مولى قريش عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فانزل الله تعالى (ويل للمطففين) فحسنوا الكيل بعد ذلك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن النضر بن حماد حدثنا محمد بن عبيد عن الاعمش عن عمرو ابن مرة عن عبد الله بن الحارث عن هلال بن طلق قال بينما أنا أسير مع ابن عمر فقلت من أحسن الناس هيئة واوفاهم كيلا أهل مكة وأهل المدينة قال حق لهم أما سمعت الله تعالى يقول (ويل للمطففين)

وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا ابن فضيل عن ضرار عن عبد الله المكتب عن رجل عن عبد الله قال قال له رجل يا أبا عبد الرحمن ان أهل المدينة ليوفون الكيل قال وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله تعالى (ويل للمطففين - حتى بلغ - يوم يقوم الناس لرب العالمين) والمراد

﴿ سورة المطففين مكية أو مدنية وهي ست وثلاثون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ويل للمطففين ﴾ يعني الذين ينقصون المكيال والميزان ويبخسون حقوق الناس ، قال الزجاج انما قيل للذي ينقص المكيال والميزان مطفف لانه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشيء اليسير الطفيف أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن علي الصيرفي ثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ ثنا عبد الرحمن بن بشر ثنا على بن الحسين بن واقد حدثني أبي حدثني يزيد النحوي أن عكرمة حدثه عن ابن عباس قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله عز وجل [ويل للمطففين] فأحسنوا الكيل . وقال السدي قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر

بالتطفيف ههنا البخس في المكيال والميزان إما بالازدياد ان اقتضى من الناس وإما بالنقصان ان قضاهم ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك وهو الويل بقوله تعالى (الذين اذا اكتالوا على الناس) أي من الناس (يستوفون) أي يأخذون حقهم بالوافي والزائد (واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) اي ينقصون، والاحسن أن يجعل كالوا ووزنوا متعديا ويكون هم في محل نصب، ومنهم من يجعلها ضميراً مؤكداً المستتر في قوله كالوا ووزنوا ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه وكلاهما متقارب وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان فقال تعالى (وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم * ذلك خير وأحسن تأويلا) وقال تعالى (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلف نفسا إلا وسعها) وقال تعالى (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ماكانوا يبخسون الناس في الميزان والمكيال

ثم قال متوعداً لهم (ألا يظن أولئك انهم مبعوثون * ليوم عظيم) أي مايخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر في يوم عظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب من من خسر فيه أدخل ناراً حامية

وقوله تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين) أي يقومون حفاة عراة غرلا في موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم ويغشاهم من أمر الله تعالى ماتعجز القوى والحواس عنه

قال الامام مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقوم الناس لرب العالمين

فأنزل الله هذه الآية فأراد الله تعالى جعل الويل للمطففين ثم بين ان المطففين من هم فقال ﴿ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ﴾ وأراد إذا اكتالوا من الناس أي أخذوا منهم ومن وعلى يتعاقبان ، قال الزجاج المعنى اذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل وأراد الذين اذا اشتروا لانفسهم استوفوا في الكيل والوزن ﴿ وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾ أي كالوا لهم أو وزنوا لهم أي للناس يقال وزنتك حقك وكلتك طعامك أي وزنت لك وكلت لك كما يقال نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك وكسيتك وكسيت لك ، قال أبو عبيد وكان عيسى بن عمر يجعلهما حرفين يقف على كالوا أو وزنوا ويبتدى، هم يخسرون ، قال أبو عبيد والاختيار الاول يعني ان كل واحد كلمة واحدة لانهم كتبوهما بغير ألف ولو كانتا مقطوعتين لكتب كالوا أو وزنوا بالالف كسائر الافعال مثل جاءوا وقالوا واتفقت المصاحف على إسقاط الالف ولانه يقال في اللغة كلتك ووزنتك كما يقال كلت لك ووزنت لك ، وقوله [يخسرون] أى ينقصون قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول اتق الله أوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى ان العرق ليلجمهم الى أنصاف آذانهم ﴿ ألا يظن ﴾ يستيقن ﴿ أولئك ﴾ الذين يفعلون ذلك ﴿ أنهم مبعوثون ليوم عظيم ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ يوم يقوم الناس ﴾ من قبورهم ﴿ لرب العالمين ﴾ أى لأمره ولجزائه ولحسابه

حتى يغيب أحدهم في رشحه الى انصاف أذنيه » رواه البخاري من حديث مالك وعبدالله بن عون كلاهما عن نافع به ورواه مسلم من الطريقين أيضا ، وكذلك رواه أيوب بن يحيي وصالح بن كيسان وعبدالله وعبيدالله ابنا عمر ومحمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر به . ولفظ الامام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول « يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن عز وجل يوم القيامة حتى ان العرق ليلجم الرجال الى أنصاف آذانهم »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن اسحاق حدثنا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني سليم بن عامر حدثني المقداد يعني ابن الاسود الكندي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « اذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين - قال - فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم ومنهم من يأخذه الى عقبيه ومنهم من يأخذه الى ركبتيه ومنهم من يأخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه لجاما » رواه مسلم عن الحكم بن موسى عن يحيي بن حمزة والترمذي عن سويد عن ابن المبارك كلاهما عن ابن جابر به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث بن سعد عن معاوية بن صالح أن أبا عبد الرحمن حدثه عن أبي امامة ان رسول الله ﷺ قال « تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا تغلي منها الهوام كما تغلي القدور يعرقون فيها على قدر خطاياهم ، منهم من يبلغ إلى كعبيه ومنهم من يبلغ إلى ساقيه ومنهم من يبلغ إلى وسطه ، ومنهم من يلجمه العرق » انفرد به أحمد

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو عشانة حي بن يومن انه سمع عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « تدنو الشمس من الارض فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه ومنهم من يبلغ العجز ومنهم من يبلغ الخاصرة ومنهم من يبلغ منكبيه ، ومنهم من يبلغ وسط فيه - وأشار بيده فألجمها فاه رأيت رسول الله ﷺ يشير بيده هكذا - ومنهم من يغطيه عرقه » وضرب بيده

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل أنا ابراهيم بن المنذر أنا معن حدثني مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر ان النبي ﷺ قال « يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه »

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني أنا ابو طاهر محمد بن احمد بن الحارث ثنا محمد بن يعقوب الكسائي ثنا عبد الله بن محمود ثنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبدالله بن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد عن جابر حدثني سليم بن عامر حدثني المقداد صاحب رسول الله ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر

اشارة انفرد به أحمد . وفي حديث انهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون ، وقيل يقومون ثلثمائة سنة وقيل يقومون أربعين الف سنة ويقضى بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعا «في يوم كان مقداره خمسين الف سنة»

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو عون الزيادي أخبرنا عبد السلام بن عجلان سمعت أبا يزيد المدني عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لبشير الغفاري «كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلثمائة سنه لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر ؟» قال بشير : المستعان الله ، قال «فاذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب» ورواه ابن جرير من طريق عبد السلام به

وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة . وعن ابن مسعود يقومون أربعين سنة رافعي رءوسهم الى السماء لا يكلمهم أحد قد ألجم العرق برهم وفاجرهم ، وعن ابن عمر : يقومون مائة سنة . رواهما ابن جرير

وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح عن أزهر بن سعيد الحرازي عن عاصم بن حميد عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يفتتح قيام الليل يكبر عشراً ويحمد عشراً ، ويسبح عشراً ، ويستغفر عشراً ويقول «اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني» ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة

كلا إن كتٰب الفُجار لفي سجّين (٧) وما أدرىٰك ما سجّين ؟ (٨) كتٰب مرقوم (٩) ويل يومئذ للمكذبين (١٠) الذين يكذبون بيوم الدين (١١) وما يكذب به إلا كل معتد أثيم (١٢) إذا تتلى عليه آيٰتنا قال أسٰطير الاولين (١٣) كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (١٤) كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (١٥) ثم إنهم لصالو الجحيم (١٦) ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون (١٧)

ميل او ميلين » قال سليم لا أدرى أى الميلين يعني مسافة الارض أو الميل الذى تكحل به العين ، قال « فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق بقدر أعمالهم فمنهم من يأخذه الى عقبيه ومنهم من يأخذه الى ركبتيه ومنهم من يأخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه إلجاما » فرأيت رسول الله ﷺ وهو يشير بيده الى فيه يقول « يلجمه الجاما »

قوله عز وجل ﴿ كلا ﴾ ردع أى ليس الامر على ما هم عليه فليرتدعوا وتمام الكلام ههنا ، وقال

يقول تعالى حقا (ان كتاب الفجار لفي سجين) أي ان مصيرهم ومأواهم لفي سجين فعيل من السجن وهو الضيق كما يقال فسيق وشريب وخمير وسكير ونحو ذلك ولهذا عظم أمره فقال تعالى (وما أدراك ما سجين ؟) أي هو أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم ، ثم قد قال قائلون هي تحت الارض السابعة ، وقد تقدم في حديث البراء بن عازب في حديثه الطويل : يقول الله عز وجل في روح الكافر اكتبوا كتابه في سجين وسجين هي تحت الارض السابعة . وقيل صخرة تحت السابعة خضراء ، وقيل بئر في جهنم

وقد روى ابن جرير في ذلك حديثا غريبا منكراً لا يصح فقال : حدثنا اسحاق بن وهب الواسطي حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي حدثنا نصر بن خزيمة الواسطي عن سعيد ابن صفوان عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «الفلق جب في وادي جهنم مغطى ، وأما سجين فمفتوح »

والصحيح أن سجينا مأخوذ من السجن وهو الضيق فان المخلوقات كل ماتسافل منها ضاق وكل ماتعالى منها اتسع ، فان الافلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه وكذلك الارضون كل واحدة أوسع من التي دونها حتى ينتهي السفول المطلق والمحل الاضيق أى المركز في وسط الارض السابعة ، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهي أسفل السافلين كما قال تعالى [ثم رددناه أسفل

الحسن كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا ﴿ان كتاب الفجار﴾ الذى يكتب فيه أعمالهم ﴿لفي سجين﴾ قال عبد الله بن عمرو وقتادة ومجاهد والضحاك سجين هي الارض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار

أخبرنا ابو سعيد الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أنا الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا موسى ابن محمد ثنا الحسن بن علويه انا اسماعيل بن عيسى ثنا المسيب ثنا الاعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء قال قال رسول الله ﷺ « سجين اسفل سبع ارضين وعليون في السماء السابعة تحت العرش» وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال اخبرني عن قول الله عز وجل (ان كتاب الفجار لفي سجين) فقال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ، ثم يهبط بها الى الارض فتأبى الارض ان تقبلها فتدخل تحت سبع ارضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين من تحت جند ابليس رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند ابليس لمعرفتها الهلاك لحساب يوم القيامة واليه ذهب سعيد بن جبير قال سجين تحت جند ابليس ، وقال عطاء الخراساني هي الارض السفلى وفيها ابليس وذريته ، وقال الكلبي هي صخرة تحت الارض السابعة السفلى خضراء وخضرة السماء منها يجعل كتاب الفجار تحتها . وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد أيضا قال سجين صخرة تحت الارض السفلى تقلب فيجعل كتاب الفجار فيها وقال وهب هي آخر سلطان

سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات] وقال ههنا [كلا إن كتاب الفجار لفي سجين * وما أدراك ماسجين] وهو يجمع الضيق والسفول كما قال تعالى [اذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبوراً]

وقوله تعالى (كتاب مرقوم) ليس تفسيراً لقوله (وما أدراك ماسجين) وانما هو تفسير لما كتب لهم من المصير الى سجين أي مرقوم مكتوب مفروغ منه لايزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد. قاله محمد بن كعب القرظي

ثم قال تعالى (ويل يومئذ للمكذبين) أي اذا صاروا يوم القيامة إلى ماأوعدهم الله من السجن والعذاب المهين ، وقد تقدم الكلام على قوله ويل بما أغنى عن اعادته وأن المراد من ذلك الهلاك والدمار كما يقال ويل لفلان وكما جاء في المسند والسنن من رواية بهز بن حكيم بن حيدة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك الناس ويل له ويل له »

ثم قال تعالى مفسراً للمكذبين الفجار الكفرة (الذين يكذبون بيوم الدين) أي لا يصدقون بوقوعه ولا يعتقدون كونه ويستبعدون أمره قال الله تعالى (وما يكذب به إلا كل معتد أثيم) أي معتد في أفعاله من تعاطي الحرام والمجاوزة في تناول المباح والاثيم في أقواله إن حدث كذب ، وإن وعد أخلف ، وإن خاصم فجر

وقوله تعالى (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) أي اذا سمع كلام الله تعالى من الرسول يكذب به ويظن به ظن السوء فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الاوائل كما قال تعالى [واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم؟ قالوا أساطير الاولين] وقال تعالى [وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا] قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أي ليس الامر كما زعموا ولا

ابليس ، وجاء في الحديث « الفلق جب في جهنم مغطى وسجين جب في جهنم مفتوح » وقال عكرمة لفي سجين أي لفي خسار وضلال ، وقال الاخفش هو فعيل من السجن كما يقال فسيق وشريب معناه لفي حبس وضيق شديد ﴿ وما أدراك ما سجين ﴾ قال الزجاج أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك ﴿ كتاب مرقوم ﴾ ليس هذا تفسير السجين بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله [ان كتاب الفجار] أي هو كتاب الفجار مرقوم أي مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يجازوا به ، وقال قتادة ومقاتل رقم عليه بشر كأنه أعلم بعلامة يعرف بها انه كافر وقيل مختوم بلغة حمير ﴿ ويل يومئذ للمكذبين * الذين يكذبون بيوم الدين * ومايكذب به إلا كل معتد أثيم * اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين * كلا ﴾ قال مقاتل أي لا يؤمنون ثم استأنف فقال ﴿ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾

كما قالوا ان هذا القرآن أساطير الاولين بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله صلى الله عليه وسلم وانما حجب قلوبهم عن الايمان به ماعليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ولهذا قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) والرين يعتري قلوب الكافرين والغيم للأبرار والغين للمقربين

وقد روى ابن جرير والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن العبد اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب منها صقل قلبه وإن زاد زادت » فذلك قول الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) وقال الترمذي حسن صحيح ولفظ النسائي « ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه فان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذي قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون)

وقال أحمد حدثنا صفوان بن عيسى أخبرنا ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن المؤمن اذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فان زاد زادت حتى تعلو قلبه وذاك الران الذي ذكر الله في القرآن (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) وقال الحسن البصري هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت وكذا قال مجاهد بن جبر وقتادة وابن زيد وغيرهم

وقوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أي لهم يوم القيامة منزل ونزل سجين ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم قال الامام ابو عبد الله الشافعي: وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ وهذا الذي قاله الامام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن وهو

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي ثنا ابو محمد عبد الله بن احمد بن حمويه السرخسي أنا ابراهيم بن خريم الشاشي أنا ابو محمد عبد بن حميد الكسي ثنا صفوان بن عيسى عن ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ان المؤمن اذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وان زاد زادت حتى تعلو قلبه » فذلك الران الذى ذكر الله في كتابه [كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون] وأصل الرين الغلبة يقال رانت الخمر على عقله ترين رينا وريونا اذا غلبت عليه حتى سكر ، ومعنى الآية غلبت على قلوبهم المعاصي وأحاطت بها ، قال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب ، قال ابن عباس ران على قلوبهم طبع عليها ﴿ كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ قال ابن عباس كلا يريد لا يصدقون ثم استأنف فقال انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال بعضهم عن كرامته ورحمته ممنوعون، وقال قتادة هو أن لا ينظر اليهم ولا يزكيهم ، وقال أكثر المفسرين عن رؤيته ، قال الحسن لو علم الزاهدون

استدلال بمفهوم هذه الآية كما دل عليه منطوق قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وكما دلت على ذلك الاحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة رؤية بالابصار في عرصات القيامة وفي روضات الجنان الفاخرة

وقد قال ابن جرير حدثنا ابو معمر المقري حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن عمرو بن عبيد عن الحسن في قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال يكشف الحجاب فينظر اليه المؤمنون والكافرون ثم يحجب عنه الكافرون وينظر اليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية أو كلاما هذا معناه وقوله تعالى (ثم انهم لصالو الجحيم) أي ثم هم مع هذا الحرمان عن الرؤية الرحمن من أهل النيران (ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) أي يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ والتصغير والتحقير

كلا إن كتٰب الابرار لفى عليين (١٨) وما أدريك ما عليون ؟ (١٩) كتٰب مرقوم (٢٠) يشهده المقربون (٢١) إن الابرار لفي نعيم (٢٢) على الارائك ينظرون (٢٣) تعرف في وجوههم نَضْرَةَ النعيم (٢٤) يُسقوْنَ من رحيق مختوم (٢٥) ختٰمه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون (٢٦) ومزاجه من تسنيم (٢٧) عيناً يشرب بها المقربون (٢٨)

يقول تعالى حقا ان كتاب الابرار وهم بخلاف الفجار لفي عليين أي مصيرهم إلى عليين وهو بخلاف سجين . قال الاعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف قال سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر عن سجين قال هي الارض السابعة وفيها أرواح الكفار ، وسأله عن عليين فقال هي السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين وهكذا قال غير واحد أنها السماء السابعة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (كلا إن كتاب الابرار لفي عليين) يعني الجنة

وفي رواية العوفي عنه أعمالهم في السماء عند الله وكذا قال الضحاك ، وقال قتادة عليون ساق

والعابدون انهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا ، قال الحسين بن الفضل كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته ، وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه ، وقال الشافعي رضي الله عنه في قوله [كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون] دلالة على أن أولياء الله يرون الله عيانا ، ثم أخبر ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال ﴿ ثم انهم لصالو الجحيم ﴾ لداخلو النار ﴿ ثم يقال ﴾ أي تقول لهم الخزنة ﴿ هذا ﴾ أي هذا العذاب ﴿ الذي كنتم به تكذبون * كلا ﴾ قال مقاتل لا يؤمن بالعذاب الذي يصلاه ثم بين محل كتاب الابرار فقال ﴿ ان كتاب الابرار لفي عليين ﴾ روينا عن البراء مرفوعا « إن عليين في السماء السابعة تحت العرش » وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش

العرش اليمنى ، وقال غيره عليون عند سدرة المنتهى والظاهر أن عليين مأخوذ من العلو وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع ، ولهذا قال تعالى معظما أمره ومفخما شأنه (وما أدراك ماعليون) ثم قال تعالى مؤكداً لما كتب لهم (كتاب مرقوم يشهده المقربون) وهم الملائكة قاله قتادة ، وقال العوفي عن ابن عباس يشهده من كل سماء مقربوها

ثم قال تعالى (ان الابرار لفي نعيم) أي يوم القيامة هم في نعيم مقيم وجنات فيها فضل عميم على الارائك وهي السرر تحت الحجال ينظرون قيل معناه ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد وقيل معناه (على الارائك ينظرون) إلى الله عز وجل ، وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فذكر عن هؤلاء انهم يباحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم كما تقدم في حديث ابن عمر « ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة الفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وان أعلاهم لمن ينظر إلى الله عز وجل في اليوم مرتين » وقوله تعالى (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) أي تعرف إذا نظرت اليهم في وجوههم نضرة النعيم أي صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم

وقوله تعالى (يسقون من رحيق مختوم) أي يسقون من خمر من الجنة ، والرحيق من أسماء الخمر قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وابن زيد

أعمالهم مكتوبة فيه . وقال كعب وقتادة هو قائمة العرش اليمنى وقال عطاء عن ابن عباس هو الجنة ، وقال الضحاك سدرة المنتهى وقال بعض اهل المعاني علو بعد علو وشرف بعد شرف ولذلك جمعت بالياء والنون وقال الفراء هو اسم موضوع على صيغة الجمع لا واحد له من لفظه مثل عشرين وثلاثين ﴿وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم﴾ ليس هذا بتفسير عليين بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله (ان كتاب الابرار لفي عليين) أي مكتوب أعمالهم كما ذكرنا في كتاب الفجار وقيل كتب هناك ما أعد الله لهم من الكرامة وهي معنى قول مقاتل وقيل رقم لهم بخير ، وتقدير الآية على التقديم والتأخير مجازها إن كتاب الابرار كتاب مرقوم في عليين وهو محل الملائكة ومثله كتاب الفجار كتاب مرقوم في سجين وهو محل ابليس وجنده ﴿ يشهده المقربون ﴾ يعني الملائكة الذين هم في عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب أو ذلك الكتاب إذا صعد به إلي عليين

﴿ ان الابرار لفي نعيم * على الارائك ينظرون ﴾ إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعمة وقال مقاتل ينظرون الى عدوهم كيف يعذبون ﴿ تعرف في وجوههم نضرة النعيم ﴾ اذا رأيتهم عرفت انهم من أهل النعمة مما ترى في وجوههم من النور والحسن والبياض قال الحسن النضرة في الوجه والسرور في القلب ، وقرأ ابو جعفر ويعقوب تعرف بضم التاء وفتح الراء على غير تسمية الفاعل نضرة رفع ، وقرأ الباقون بفتح التاء وكسر الراء نضرة نصب ﴿ يسقون من رحيق ﴾ خمر

قال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا زهير عن سعد أبي المجاهد الطائي عن عطية بن سعيد العوفي عن أبي سعيد الخدري أراه قد رفعه إلى النبي ﷺ قال « أيما مؤمن سقى مؤمنا شربة ماء على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مؤمن كسا مؤمنا ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة » وقال ابن مسعود في قوله (ختامه مسك) أي خلطه مسك ، وقال العوفي عن ابن عباس طيب الله لهم الخمر فكان آخر شيء جعل فيها مسك ختم بمسك ، وكذا قال قتادة والضحاك ، وقال ابراهيم والحسن ختامه مسك أي عاقبته مسك

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا ابو حمزة عن جابر عن عبدالرحمن ابن سابط عن أبي الدرداء ختامه مسك قال شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (ختامه مسك) قال طيبه مسك

وقوله تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) أى وفي مثل هـذا الحال فليتفاخر المتفاخرون وليتباهى ويكاثر ويستبق إلى مثله المستبقون كقوله تعالى (لمثل هذا فليعمل العاملون)

وقوله تعالى (ومزاجه من تسنيم) أي ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم أى من شراب يقال له تسنيم وهو أشرف شراب أهل الجنـة وأعلاه قاله أبو صالح والضحاك ولهـذا قال (عينا

صافية طيبة قال مقاتل الخمر البيضاء ﴿ مختوم ﴾ ختم ومنع من أن تمسه يد الى أن يفك ختمه الابرار قال مجاهد مختوم أي مطين ﴿ ختامه ﴾ أي طينه ﴿ مسك ﴾ كأنه ذهب الى هذا المعنى قال ابن زيد ختامه عند الله مسك وختام الدنيا طين ، وقال ابن مسعود مختوم أي ممزوج ختامه أي آخر طعمه وعاقبته مسك فالمختوم الذي له ختام أي آخر وختم كل شيء الفراغ منه، وقال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك وقراءة العامة ختامه مسك بتقديم التاء وقرأ الـكسائي خاتمه وهي قراءة علي وعلقمة ومعناهما واحد كما يقال فلان كريم الطابع والطباع، والخاتم والختام آخر كل شيء ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله عز وجل، وقال مجاهد فليعمل العاملون نظيره قوله تعالى (لمثل هذا فليعمل العاملون) وقال مقاتل بن سليمان فليتنازع المتنازعون

وقال عطاء فليستبق المستبقون وأصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أى يضن ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ شراب ينصب عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم وقيل يجرى في الهواء متسنما فينصب في أواني أهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلأت أمسك وهذا معنى قول قتادة وأصل كلمة السنام من العلو يقال للشيء المرتفع سنام ومنه سنام البعير قال الضحاك هو شراب اسمه تسنيم وهو أشرف من الشراب ، قال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونه صرفا ويمزج لسائر أهل الجنـة وهو قوله ومزاجه من تسنيم ﴿ عينا يشرب بها

يشرب بها المقربون) أي يشربها المقربون صرفا وتمزج لأصحاب اليمين مزجا قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم

إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون (٢٩) وإذا مروا بهم يتغامزون (٣٠)

واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين (٣١) واذا رأوهم قالوا انّ هؤلاء لضالون (٣٢) وما

أرسلوا عليهم حفظين (٣٣) فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (٣٤) على الارآئك

ينظرون (٣٥) هل ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون (٣٦)

يخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين أى يستهزئون بهم ويحتقرونهم ، واذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم أي محتقرين لهم (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين) أى واذا انقلب أى رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم انقلبوا اليها فاكهين أى مهما طلبوا وجدوا ومع هذا ماشكروا نعمة الله عليهم بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحتقرونهم ويحسدونهم (وإذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) أي لكونهم على غير دينهم

قال الله تعالى (وما ارسلوا عليهم حافظين) أي وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين مايصدر منهم من أعمالهم وأقوالهم ولا كلفوا بهم فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم كما قال تعالى (اخسؤا فيها ولا تكلمون * إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين * فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون * إني جزيتهم

المقربون ﴾ وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله من تسنيم قال هذا مما قال الله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) عينا نصب على الحال ﴿ يشرب بها ﴾ أى منها وقيل يشربها المقربون صرفا

قوله عز وجل ﴿ ان الذين أجرموا ﴾ أشركوا يعني كفار قريش أبا جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم من مترفي مكة ﴿ كانوا من الذين آمنوا ﴾ عمار وخباب وصهيب وبلال وأصحابهم من فقراء المؤمنين ﴿ يضحكون ﴾ وبهم يستهزئون ﴿ واذا مروا بهم ﴾ يعني مر المؤمنون بالكفار ﴿ يتغامزون ﴾ والغمز الاشارة بالجفن والحاجب أى يشيرون اليهم بالاعين استهزاء ﴿ واذا انقلبوا ﴾ يعني الكفار ﴿ الى أهلهم انقلبوا فكهين ﴾ معجبين بماهم فيه يتفكهون بذكرهم ﴿ واذا رأوهم ﴾ رأوا أصحاب النبي ﷺ ﴿ قالوا ان هؤلاء لضالون ﴾ يأتون محمداً ﷺ يرون انهم على شيء ﴿ وما أرسلوا ﴾ يعني المشركين ﴿ عليهم ﴾ يعني على المؤمنين ﴿ حافظين ﴾ أعمالهم أى لم يوكلوا بحفظ

اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) ولهذا قال ههنا (فاليوم) يعني يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) أي في مقابلة ما ضحك بهم أولئك (على الارائك ينظرون) أي إلى الله عز وجل في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ليسوا بضالين بل هم من أولياء الله المقربين ينظرون الى ربهم في دار كرامته

وقوله تعالى (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون؟) أي هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أم لا؟ يعني قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله

﴿ آخر تفسير سورة المطففين ولله الحمد والمنة ﴾

أعمالهم ﴿ فاليوم ﴾ يعنى في الآخرة ﴿ الذين آمنوا من الكفار يضحكون ﴾ قال أبو صالح وذلك أنه يفتح للكفار في النار أبوابها ويقال لهم اخرجوا فاذا رأوها مفتوحة أقبلوا اليها ليخرجوا والمؤمنون ينظرون اليهم فاذا انتهوا الى أبوابها غلقت دونهم يفعل بهم ذلك مراراً والمؤمنون يضحكون، وقال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا أراد المؤمن أن ينظر الى عدوله كان في الدنيا اطلع عليه من تلك الكوى كما قال (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) فاذا اطلعوا في الجنة إلى أعدائهم وهم يعذبون في النار ضحكوا فذلك قوله عز وجل (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) ﴿ على الارائك ﴾ من الدر والياقوت ﴿ ينظرون ﴾ اليهم في النار

قال الله تعالى ﴿ هل ثوب ﴾ هل جوزي ﴿ الكفار ما كانوا يفعلون ﴾ أي جزاء استهزائهم بالمؤمنين ومعنى الاستفهام ههنا التقرير وثوب وأثاب بمعنى واحد



تفسير سورة الانشقاق وهى مكية

قال مالك عن عبد الله بن يزيد عن أبي سلمة أن أبا هريرة قرأ بهم (اذا السماء انشقت) فسجد فيها فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله ﷺ سجد فيها رواه مسلم والنسائي من طريق مالك به وقال البخارى حدثنا أبو النعمان حدثنا معتمر عن أبيه عن بكر عن أبي رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ (اذا السماء انشقت) فسجد فقلت له فقال سجدت خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه ورواه أيضا عن مسدد عن معتمر به ثم رواه عن مسدد عن يزيد بن زريع عن التيمي عن بكر عن أبي رافع فذكره، وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن سليمان بن طرخان التيمي به وقد رواه مسلم وأهل السنن من حديث سفيان بن عيينة زاد النسائي وسفيان الثورى كلاهما عن أيوب بن موسى عن عطاء بن ميناء عن أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في (اذا السماء انشقت -واقرأ باسم ربك الذى خلق)

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا السماء انشقت (١) وأذنت لربها وحُقت (٢) واذا الأرض مُدَّت (٣) وألقت مافيها وتخلت (٤) وأذنت لربها وحُقت (٥) ياأيها الانسن انك كادح الى ربك كدحا فملقيه (٦) فأما من أوتي كتٰبه بيمينه (٧) فسوف يُحاسَب حسابا يسيراً (٨) وينقلب الى أهله مسروراً (٩) وأما من أوتِىَ كتٰبه وراء ظهره (١٠) فسوف يدعو ثبُوراً (١١) ويَصلى سَعيراً (١٢) انه كان في أهله مسروراً (١٣) انه ظن أن لن يَحور (١٤) بلى ان ربه كان به بصيراً (١٥)

يقول تعالى (اذا السماء انشقت) وذلك يوم القيامة (وأذنت لربها) أى استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق وذلك يوم القيامة (وحقت) أي وحق لها أن تطيع أمره لانه العظيم الذي لايمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيء وذل له كل شيء ثم قال (واذا الارض مدت) أي بسطت وفرشت ووسعت

﴿ سورة الانشقاق مكية وهي خمس وعشرون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اذا السماء انشقت ﴾ انشقاقها من علامات القيامة ﴿ وأذنت لربها ﴾ أي سمعت أمر ربها بالانشقاق وأطاعته من الاذن وهو الاستماع ﴿ وحقت ﴾ أي وحق لها أن تطيع ربها ﴿ واذا الارض

قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الزهري عن علي بن الحسين أن النبي ﷺ قال « اذا كان يوم القيامة مد الله الارض مد الاديم حتى لايكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن والله مارآه قبلها فأقول يارب إن هذا أخبرني أنك أرسلته إلي فيقول الله عز وجل صدق ثم أشفع فأقول يارب عبادك عبدوك في أطراف الارض قال وهو المقام المحمود »

وقوله تعالى (وألقت مافيها وتخلت) أي ألقت مافي بطنها من الاموات وتخلت منهم قاله مجاهد وسعيد وقتادة (وأذنت لربها وحقت] كما تقدم . وقوله [يا أيها الانسان إنك كادح الى ربك كدحا] أى إنك ساع الى ربك سعيا وعامل عملا [فملاقيه] ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أوشر . ويشهد لذلك مارواه أبو داود الطيالسي عن الحسن بن أبي جعفر عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « قال جبريل يامحمد عش ماشئت فانك ميت ، واحبب من شئت فانك مفارقه ، واعمل ماشئت فانك ملاقيه » ومن الناس من يعد الضمير على قوله ربك أي فملاق ربك ومعناه فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك ، وعلى هذا فكلا القولين متلازم قال العوفي عن ابن عباس (يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا) يقول تعمل عملا تلقى الله به خيراً كان أو شراً وقال قتادة (يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا)ان كدحك يا ابن آدم لضعيف فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل ولا قوة إلا بالله

ثم قال تعالى [فأمامن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيراً] أى سهلا بلا تعسير أى لايحقق عليه جميع دقائق أعماله فان من حوسب كذلك هلك لامحالة

وقال الامام أحمد : حدثنا اسماعيل أخبرنا أيوب عن عبدالله بن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « من نوقش الحساب عذب » قالت فقلت : أفليس قال الله تعالى

مدت ﴾ مد الاديم العكاظي زيد في سعتها وقال مقاتل سويت كمد الاديم فلا يبقى فيها بناء ولاجبل ﴿ وألقت ﴾ أخرجت ﴿ ما فيها ﴾ من الموتى والكنوز ﴿ وتخلت ﴾ خلت منها ﴿ وأذنت لربها وحقت ﴾ واختلفوا في جواب اذا فقيل جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه الأشياء يرى الانسان تحقق الثواب والعقاب، وقيل جوابه ﴿ يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا ﴾ ومجازه إذا السماء انشقت لقي كل كادح ما عمله وقيل جوابه وأذنت وحينئذ تكون الواو زائدة، ومعنى قوله كادح الى ربك كدحا أي ساع اليه في عملك والكدح سعي الانسان وجهده في الامر من الخير والشر حتى يكدح ذلك فيه أي يؤثر . وقال قتادة والكلبي والضحاك عامل لربك عملا ﴿ فملاقيه ﴾ أي ملاقي جزاء عملك خيراً كان أو شراً ﴿ فأما من أوتي كتابه ﴾ ديوان أعماله ﴿ بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾

(فسوف يحاسب حسابا يسيرا ؟) قال « ليس ذاك بالحساب ولكن ذاك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » وهكذا رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير من حديث أيوب السختياني به

وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو عامر الخزاز عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « انه ليس أحد يحاسب يوم القيامة الا معذبا» فقلت أليس الله يقول (فسوف يحاسب حسابا يسيرا ؟) قال « ذاك العرض انه من نوقش الحساب عذب » وقال بيده على أصبعه كأنه ينكت ، وقد رواه أيضا عن عمرو بن علي عن ابن أبي عدي عن أبي يونس القشيري عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة فذكر الحديث أخرجاه من طريق أبي يونس القشيري واسمه حاتم بن أبي صغيرة به

قال ابن جرير : وحدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا مسلم عن الحريش بن الخريت أخا الزبير عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت من نوقش الحساب - أو من حوسب - عذب . قال ثم قالت انما الحساب اليسير عرض على الله تعالى وهو يراهم

وقال أحمد حدثنا اسماعيل حدثنا محمد بن اسحاق حدثني عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله ابن الزبير عن عباد بن عبدالله بن الزبير عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته « اللهم حاسبني حسابا يسيرا » فلما انصرف قلت يارسول الله ما الحساب اليسير ؟ قال « أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه انه من نوقش الحساب ياعائشة يومئذ هلك » صحيح على شرط مسلم

وقوله تعالى (وينقلب الى أهله مسرورا) أي ويرجع الى أهله في الجنة ، قاله قتادة والضحاك . مسروراً أي فرحا مغتبطا بما أعطاه الله عز وجل . وقد روى الطبراني عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ انه قال « انكم تعملون أعمالا لا تعرف ويوشك الغائب أن يثوب الى أهله فمسرور ومكظوم»

وقوله تعالى (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) أي بشماله من وراء ظهره تثني يده الى ورائه

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا سعيد بن أبي مريم أنا نافع عن ابن عمر حدثني ابن أبي مليكة أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه وإن النبي ﷺ قال « من حوسب عذب » قالت عائشة رضي الله عنها فقلت يارسول الله أوليس يقول الله عز وجل (فسوف يحاسب حسابا يسيراً ؟) قالت فقال « انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك » ﴿ وينقلب إلى أهله ﴾ يعني في الجنة من الحور العين والآدميات ﴿ مسرورا ﴾ بما أوتي من الخير والكرامة ﴿ وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ﴾ فتغل يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده الشمال وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره ، وقال مجاهد تخلع يده اليسرى من وراء ظهره ﴿ فسوف يدعو ثبورا ﴾ ينادي بالويل

ويعطى كتابه بها كذلك [فسوف يدعو ثبورا] أي خسارا وهلاكا [ويصلى سعيرا انه كان في اهله مسرورا] أي فرحا لا يفكر في العواقب ولا يخاف مما أمامه فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل [انه ظن أن لن يحور] أي كان يعتقد انه لا يرجع الى الله ولا يعيده بعد موته . قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما . والحور هو الرجوع قال الله [بلى ان ربه كان به بصيرا] يعني بلى سيعيده الله كابدأه ويجازيه على أعماله خيرها وشرها فانه كان به بصيرا أي عليما خبيرا

فلا أقسم بالشفق (١٦) والليل وما وسق (١٧) والقمر إذا اتّسق (١٨) لتركبُنّ طبقاً عن طبق (١٩) فما لهم لا يؤمنون ؟(٢٠) وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون (٢١) بل الذين كفروا يكذّبون (٢٢) والله أعلم بما يوعُون (٢٣) فبشرهم بعذاب أليم (٢٤) إلا الذين آمنوا وعملوا الصّلحت لهم أجر غير ممنون (٢٥)

روي عن علي وابن عباس وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وشداد بن أوس وابن عمر ومحمد ابن علي بن الحسين ومكحول وبكر بن عبد الله المزني وبكير بن الاشج ومالك وابن ابي ذئب

والهلاك إذا قرأ كتابه يقول يا ويلاه ياثبوراه لقوله تعالى (دعوا هنالك ثبورا) ﴿ ويصلى سعيراً ﴾ قرأ أبو جعفر وأهل البصرة وعاصم وحمزة ويصلى بفتح الياء خفيفا كقوله (يصلى النار الكبرى) وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام كقوله (وتصلية جحيم ـ ثم الجحيم صلوه) ﴿ انه كان في أهله مسرورا ﴾ يعني في الدنيا باتباع هواه وركوب شهواته ﴿ انه ظن أن لن يحور ﴾ انه لن يرجع الينا ولن يبعث ثم قال ﴿ بلى ﴾ أي ليس كما ظن بل يحور الينا ويبعث ﴿ ان ربه كان به بصيراً ﴾ من يوم خلقه الى أن بعثه

قوله عز وجل ﴿ فلا أقسم بالشفق ﴾ قال مجاهد هو النهار كله ، وقال عكرمة ما بقي من النهار ، وقال ابن عباس وأكثر المفسرين هو الحمرة التي تبقى في الافق بعد غروب الشمس ، وقال قوم هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة ﴿ والليل وما وسق ﴾ أي جمع وضم يقال وسقته أسقه وسقا أي جمعته استوسقت الابل إذا اجتمعت وانضمت، والمعنى والليل وما جمع وضم ما كان بالنهار منتشراً من الدواب وذلك ان الليل اذا أقبل أوى كل شيء الى مأواه ، روى منصور عن مجاهد قال ما لف وضم وأظلم عليه ، وقال مقاتل ابن حيان ما أقبل من ظلمة أو كوكب ، وقال سعيد بن جبير وما عمل فيه ﴿ والقمر اذا اتسق ﴾ اجتمع واستوى وتم نوره وهو في الايام البيض، وقال قتادة استدار وهو افتعل من الوسق الذي هو الجمع ﴿ لتركبن طبقا عن طبق ﴾ قرأ أهل مكة وحمزة والكسائي لتركبن بفتح الباء يعني

وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون انهم قالوا: الشفق الحمرة وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن خثيم عن ابن لبيبة عن أبي هريرة قال الشفق البياض، فالشفق هو حمرة الافق إما قبل طلوع الشمس كما قاله مجاهد وإما بعد غروبها كما هو معروف عند أهل اللغة

قال الخليل بن أحمد: الشفق الحمرة من غروب الشمس إلي وقت العشاء الآخرة فاذا ذهب قيل غاب الشفق. وقال الجوهري: الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب من العتمة، وكذا قال عكرمة: الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ انه قال «ووقت المغرب مالم يغب الشفق» ففي هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهري والخليل. ولكن صح عن مجاهد انه قال في هذه الآية (فلا أقسم بالشفق) هو النهار كله وفي رواية عنه أيضا انه قال الشفق الشمس، رواهما ابن أبي حاتم، وانما حمله على هذا قرنه بقوله تعالى [والليل وما وسق] أي جمع كأنه أقسم بالضياء والظلام، وقال ابن جرير: أقسم الله بالنهار مدبراً وبالليل مقبلا. وقال ابن جرير: وقال آخرون الشفق اسم للحمرة، والبياض، وقالوا هو من الاضداد

قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة [وما وسق] وما جمع قال قتادة وما جمع من نجم ودابة واستشهد ابن عباس بقول الشاعر * مستوسقات لو يجدن سائقا *

وقد قال عكرمة (والليل ومارسق) يقول ماساق من ظلمة إذا كان الليل ذهب كل شيء الى مأواه وقوله تعالى [والقمر اذا اتسق] قال ابن عباس اذا اجتمع واستوى وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد ابن جبير ومسروق وأبو صالح والضحاك وابن زيد [والقمر اذا اتسق] اذا استوى. وقال الحسن اذا اجتمع اذا امتلأ. وقال قتادة اذا استدار. ومعنى كلامهم انه اذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلا لليل وماوسق. وقوله تعالى (لتركبن طبقا عن طبق)

قال البخاري أخبرنا سعيد بن النضر أخبرنا هشيم أخبرنا ابو بشر عن مجاهد قال: قال ابن عباس (لتركبن طبقا عن طبق) حالا بعد حال قال هذا نبيكم ﷺ هكذا رواه البخاري بهذا اللفظ

لتركبن يا محمد قال الشعبي ومجاهد سماء بعد سماء، قال الكلبي يعني تصعد فيها، ويجوز أن يكون درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى والرفعة

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا سعيد بن النضر أنا هيثم أنا أبو بشر عن مجاهد قال قال ابن عباس (لتركبن طبقا عن طبق) حالا بعد حال، قال هذا نبيكم ﷺ وقيل اراد به السماء تتغير لونا بعد لون فتصير تارة كالدهان وتارة كالمهل فتنشق بالغمام مرة وتطوى أخرى، وقرأ الآخرون بضم الباء لان المعنى بالناس أشبه

وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبي ﷺ كأنه قال سمعت هذا من نبيكم ﷺ فيكون قوله نبيكم مرفوعا على الفاعلية من قال وهو الاظهر والله أعلم كما قال أنس لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه سمعته من نبيكم ﷺ

وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم أخبرنا ابو بشر عن مجاهد أن ابن عباس كان يقول (لتركبن طبقا عن طبق) قال يعني نبيكم ﷺ يقول حالا بعد حال هذا لفظه، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس طبقا عن طبق حالا بعد حال، وكذا قال عكرمة ومرة الطيب ومجاهد والحسن والضحاك ومسروق وأبو صالح ويحتمل أن يكون المراد لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال قال هذا يعني المراد بهذا نبيكم ﷺ فيكون مرفوعا على أن هذا ونبيكم يكونان مبتدأ وخبرا والله أعلم ولعل هذا قد يكون هو المتبادر إلى كثير من الرواة كما قال ابو داود الطيالسي وغندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لتركبن طبقا عن طبق قال محمد ﷺ ويؤيد هذا المعنى قراءة عمر وابن مسعود وابن عباس وعامة أهل مكة والكوفة لتركبن بفتح التاء والباء

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا أبو أسامة عن اسماعيل عن الشعبي (لتركبن طبقا عن طبق) قال لتركبن يا محمد سماء بعد سماء، وهكذا روى عن ابن مسعود ومسروق وأبي العالية (طبقا عن طبق) سماء بعد سماء (قلت) يعنون ليلة الاسراء؟ وقال أبو اسحاق عن السدي عن رجل عن ابن عباس (طبقا عن طبق) منزلا على منزل، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس مثله وزاد ويقال أمراً بعد أمر وحالا بعد حال، وقال السدي نفسه (لتركبن طبقا عن طبق) أعمال من قبلكم منزلا بعد منزل قلت كأنه أراد معنى الحديث الصحيح «لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال «فمن؟» وهذا محتمل

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا ابن جابر أنه سمع مكحولا يقول في قول الله [لتركبن طبقا عن طبق] قال في كل عشرين سنة تحدثون أمراً لم تكونوا عليه

وقال الاعمش حدثنا ابراهيم قال: قال عبد الله [لتركبن طبقا عن طبق] قال السماء تنشق ثم تحمر ثم تكون لونا بعد لون، وقال الثوري عن قيس بن وهب عن مرة عن ابن مسعود [طبقا عن طبق] قال السماء مرة كالدهان ومرة تنشق

لانه ذكر من قبل من أوتي كتابه بيمينه وشماله وذكر من بعد (فما لهم لا يؤمنون) وأراد لتركبن حالا بعد حال وأمرا بعد أمر في موقف القيامة يعني الاحوال تتقلب بهم فيصيرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا، وعن بمعنى بعد، وقال مقاتل يعني الموت ثم الحياة ثم الموت ثم الحياة، وقال عطاء مرة فقيرا ومرة غنيا، وقال عمرو بن دينار عن ابن عباس يعني الشدائد والاهوال الموت ثم البعث ثم العرض، وقال عكرمة حالا بعد حال، رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب

وروى البزار من طريق جابر الجعفي عن الشعبي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود (لتركبن طبقا عن طبق) يا محمد يعني حالا بعد حال ثم قال ورواه جابر عن مجاهد عن ابن عباس

وقال سعيد بن جبير (لتركبن طبقا عن طبق) قال قوم كانوا في الدنيا خسيس أمرهم فارتفعوا في الآخرة ، وآخرون كانوا أشرافا في الدنيا فاتضعوا في الآخرة ، وقال عكرمة (طبقا عن طبق) حالا بعد حال ، فطيما بعد ما كان رضيعا ، وشيخا بعد ما كان شابا ، وقال الحسن البصري (طبقا عن طبق) يقول حالا بعد حال ، رخاء بعد شدة ، وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر ، وفقراً بعد غنى وصحة بعد سقم ، وسقما بعد صحة

وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عبد الله بن زاهر حدثني أبي عن عمرو بن شمر عن جابر هو الجعفي عن محمد بن علي عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن ابن آدم لفي غفلة مما خلق له إن الله تعالى اذا أراد خلقه قال للملك اكتب رزقه ، اكتب أجله ، اكتب أثره ، اكتب شقيا أو سعيداً ، ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله ملكا آخر فيحفظه حتى يدرك ، ثم يرتفع ذلك الملك ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته فاذا حضره الموت ارتفع ذانك الملكان وجاءه ملك الموت فقبض روحه فاذا دخل قبره رد الروح في جسده ثم ارتفع ملك الموت وجاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فاذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فانتشطا كتابا معقوداً في عنقه ثم حضرا معه واحدا سائقا وآخر شهيداً ، ثم قال الله تعالى (لقد كنت في غفلة من هذا) قال رسول الله ﷺ (لتركبن طبقا عن طبق) قال حالا بعد حال ثم قال النبي ﷺ « إن قدامكم لأمراً عظيما لا تقدرونه فاستعينوا بالله العظيم » هذا حديث منكر واسناده فيه ضعفاء ولكن معناه صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم قال ابن جرير بعد ما حكى أقوال الناس في هذه الآية من القراء والمفسرين : والصواب من التأويل قول من قال لتركبن أنت يا محمد حالا بعد حال وأمراً بعد أمر من الشدائد والمراد بذلك وإن كان الخطاب موجها إلى رسول الله ﷺ جميع الناس وأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحواله أهوالا . وقوله تعالى (فما لهم لا يؤمنون ؟ * واذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون) أي فماذا يمنعهم

ثم شيخ ، وقال أبو عبيدة لتركبن سنن من كان قبلكم واحوالهم

اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن عبد العزيز أنا أبو عمرو الصنعاني من اليمن عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم » قيل يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال « فمن ؟ »

قوله عز وجل ﴿ فما لهم لا يؤمنون ﴾ استفهام انكار ﴿ واذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون ﴾

من الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر وما لهم اذا قرئت عليهم آيات الله وكلامه وهو هـذا القرآن لا يسجدون اعظاما واكراما واحتراما

وقوله تعالى (بل الذين كفروا يكذبون) أي من سجيتهم التكذيب والعناد والمخالفـة للحق (والله أعلم بما يوعون) قال مجاهد وقتادة يكتمون في صدورهم (فبشرهم بعذاب اليم) أى فاخبرهم يامحمد بأن الله عز وجل قد أعد لهم عذابا اليما

وقوله تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) هذا استثناء منقطع يعني لـكن الذين آمنوا أى بقلوبهم وعملوا الصالحات أى بجوارحهم لهم أجر أي في الدار الآخرة غير ممنون قال ابن عباس غير منقوص، وقال مجاهد والضحاك غير محسوب ، وحاصل قولهما انه غير مقطوع كما قال تعالى [عطاء غير مجذوذ] وقال السدى قال بعضهم غير ممنون غير منقوص ، وقال بعضهم غير ممنون عليهم وهذا القول الاخير عن بعضهم قد أنكره غير واحد فان الله عز وجل له المنة على أهل الجنة في كل حال وآن ولحظة وانما دخلوها بفضله ورحمته لا باعمالهم فله عليهم المنة دائما سرمداً والحمد لله وحده أبداً ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

﴿ آخر تفسير سورة الانشقاق ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة ﴾

قال الكلبي ومقاتل لا يصلون

أخبرنا ابو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أنا ابو محمد عبدالجبار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس محمد بن احمد المحبوبي ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا قتيبة ثنا سفيان بن عيينة عن أيوب بن موسى عن عطاء بن مينا عن أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله ﷺ في اقرأ باسم ربك- وإذا السماء انشقت

اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا مسدد أنا معمر قال سمعت أبي قال حدثني بكر عن أبي رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ (إذا السماء انشقت) فسجد ، فقلت ما هذه ؟ قال سجدت بها خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه ﴿ بل الذين كفروا يكذبون ﴾ بالقرآن والبعث ﴿ والله أعلم بما يوعون ﴾ في صدورهم من التكذب، قال مجاهد يكتمون ﴿ فبشرهم بعذاب أليم * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴾ غير مقطوع ولا منقوص

تفسير سورة البروج وهى مكيه

قال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا زربق بن أبي سلمة حدثنا ابو المنهزم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج والسماء والطارق

وقال احمد حدثنا ابو سعيد مولى بني هاشم حدثنا حماد بن عباد السدوسي سمعت أبا المنهزم يحدث عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ أمر أن يقرأ بالسموات في العشاء تفرد به أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البرُوج (١) واليوم الموعود (٢) وشاهدٍ ومشهود (٣) قُتِل أصحاب الاخدود (٤) النار ذات الوَقود (٥) اذ هم عليها قُعود (٦) وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود (٧) وما نقَموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد (٨) الذي له مُلك السموٰت والارض والله على كل شيء شهيد (٩) ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنٰتِ ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق (١٠)

يقسم تعالى بالسماء وبروجها وهي النجوم العظام كما تقدم بيان ذلك في قوله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمراً منيرا) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة والسدي البروج النجوم ، وعن مجاهد أيضا البروج التي فيها الحرس وقال يحيى بن رافع البروج قصور في السماء ، وقال المنهال بن عمرو (والسماء ذات البروج) الخلق الحسن واختار ابن جرير أنها منازل الشمس والقمر وهي اثنا عشر برجا تسير الشمس في كل واحد منها شهراً ويسير

﴿ سورة البروج مكية وهي اثنتان وعشرون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والسماء ذات البروج * واليوم الموعود ﴾ هو يوم القيامة ﴿ وشاهد ومشهود ﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا ابو منصور محمد بن محمد بن سمعان انا ابو جعفر محمد بن احمد ابن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم افضل منه ، فيه ساعة لا يوافقها

القمر في كل واحد منها يومين وثلثا فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستسر ليلتين وقوله تعالى (واليوم الموعود وشاهد ومشهود) اختلف المفسرون في ذلك

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا عبدالله بن محمد بن عمرو الغزي حدثنا عبيد الله يعني ابن موسى حدثنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الانصاري عن عبدالله بن رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد يوم الجمعة وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه ولا يستعيذ فيها من شر الا أعاذه ومشهود يوم عرفة » وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف الحديث ، وقد روي موقوفا على أبي هريرة وهو أشبه

وقال الامام احمد حدثنا محمد حدثنا شعبة سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار مولى بني هاشم عن أبي هريرة اما علي فرفعه إلى النبي ﷺ وأما يونس فلم يعد أبا هريرة انه قال في هذه الآية وشاهد ومشهود قال يعني الشاهد يوم الجمعة ويوم مشهود يوم القيامة

وقال احمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن يونس سمعت عماراً مولى بني هاشم يحدث عن أبي هريرة أنه قال في هذه الآية وشاهد ومشهود قال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة والموعود يوم القيامة ، وقد روي عن أبي هريرة أنه قال اليوم الموعود يوم القيامة وكذلك قال الحسن وقتادة وابن زيد ولم أرهم يختلفون في ذلك ولله الحمد

ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عوف حدثنا محمد بن اسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثنا ضمضم ابن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الاشعري قال : قال رسول الله ﷺ « اليوم الموعود يوم القيامة وان الشاهد يوم الجمعة وان المشهود يوم عرفة ويوم الجمعة ذخره الله لنا »

ثم قال ابن جرير حدثنا سهل بن موسى الرازي حدثنا ابن أبي فديك عن ابن حرملة عن سعيد

عبد مؤمن يدعو الله فيها بخير الا استجاب الله له ولا يستعيذه من شيء إلا أعاذه منه » وهذا قول ابن عباس ، والاكثرون ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة ، وروي عن ابن عمر الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر ، قال سعيد بن المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة ، وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة ثم تلا (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) وقال (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وقال عبد العزيز بن يحيى الشاهد محمد ﷺ والمشهود الله عز وجل ، بيانه قوله [وجئنا بك على هؤلاء شهيدا]

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الشاهد آدم والمشهود يوم القيامة ، وقال عكرمة الشاهد

ابن المسيب أنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن سيد الايام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهود يوم عرفة وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب

ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن شعبة عن علي بن زيد عن يوسف المكي عن ابن عباس قال : الشاهد هو محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة . ثم قرأ (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وحدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن شباك قال سأل رجل الحسن بن علي عن (وشاهد ومشهود) قال سألت أحداً قبلي ؟ قال نعم سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا يوم الذبح ويوم الجمعة فقال لا ولكن الشاهد محمد ﷺ ثم قرأ (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) والمشهود يوم القيامة ثم قرأ (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وهكذا قال الحسن البصري وقال سفيان الثوري عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب ومشهود يوم القيامة وقال مجاهد وعكرمة والضحاك الشاهد ابن آدم والمشهود يوم القيامة وعن عكرمة أيضاً الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم الجمعة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الشاهد الله والمشهود يوم القيامة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس (وشاهد ومشهود) قال الشاهد الانسان والمشهود يوم الجمعة هكذا رواه ابن أبي حاتم

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس (وشاهد ومشهود) الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيامة ، وبه عن سفيان الثوري عن مغيرة عن ابراهيم قال يوم الذبح ويوم عرفة يعني الشاهد والمشهود ، قال ابن جرير وقال آخرون المشهود يوم الجمعة ورووا في ذلك ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني عمي عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة » وعن سعيد بن جبير

الانسان والمشهود يوم القيامة ، وعنه أيضا الشاهد الملك يشهد على ابن آدم والمشهود يوم القيامة ، وتلا [وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد — وذلك يوم مشهود] وقيل الشاهد الحفظة والمشهود بنو آدم وقال عطاء بن يسار الشاهد آدم وذريته والمشهود يوم القيامة ، وروى الوالبي عن ابن عباس الشاهد هو الله عز وجل والمشهود يوم القيامة ، وقال الحسين بن الفضل الشاهد هذه الامة والمشهود سائر الامم بيانه [وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس] وقال سالم بن عبد الله سألت سعيد ابن جبير عن قوله وشاهد ومشهود فقال الشاهد هو الله والمشهود نحن بيانه (وكفى بالله شهيدا) وقيل الشاهد أعضاء ابن آدم والمشهود ابن آدم بيانه (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وارجلهم) الآية وقيل الشاهد الانبياء والمشهود محمد ﷺ بيانه قوله (واذ أخذ الله ميثاق النبيين — الى قوله —

الشاهد الله وتلا (وكفى بالله شهيدا) والمشهود نحن حكاه البغوي وقال الا كثرون على أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة

وقوله تعالى (قتل أصحاب الاخدود) أي لعن أصحاب الاخدود وجمعه أخاديد وهي الحفير في الارض وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا الى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم فحفروا لهم في الارض اخدوداً وأججوا فيه ناراً وأعدوا لها وقوداً يسعرونها به ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها ولهذا قال تعالى (قتل أصحاب الاخدود * النار ذات الوقود * اذهم عليها قعود * وهم على مايفعلون بالمؤمنون شهود) أي مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين

قال الله تعالى (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) أي وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابه المنيع الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وان كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به فهو العزيز الحميد وان خفي سبب ذلك على كثير من الناس

ثم قال تعالى (الذي له ملك السموات والارض) من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات و لارض وما فيهما (وما بينهما والله على كل شيء شهيد) أي لا يغيب عنه شيء في جميع السموات والارض ولا تخفى عليه خافية

وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة من هم فعن علي أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم فامتنع عليه علماؤهم فعمد الى حفر أخدود فقذف فيه من أنكر عليه منهم واستمر فيهم تحليل المحارم الى اليوم، وعنه أنهم كانوا قوما باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم فغلب مؤمنوهم على كفارهم ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين فخدوا لهم الاخاديد واحرقوهم فيها ،وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة واحدهم حبشي وقال العوفي عن ابن عباس نبيهم (قتل أصحاب الاخدود * النار ذات

فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) ﴿ قتل أصحاب الاخدود ﴾ أي لعن والاخدود الشق المستطيل في الارض كالنهر وجمعه أخاديد واختلفوا فيهم

أخبرنا ابو حامد احمد بن عبد الله الصالحي انا ابو الحسن علي بن احمد بن أبي عبد الله بن سعدان الخطيب اخبرني أبو احمد محمد بن احمد بن محمد بن قريش بن نوح بن رستم ثنا ابو عبد الله محمد ابن ابراهيم البوشنجي ثنا هدبة بن خالد ثنا حماد سلمة ثنا ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب ان رسول الله ﷺ قال « كان ملك في اليمن فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال الملك إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان في طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فأعجبه وكان اذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا أتى الساحر

الوقود) قال ناس من بني اسرائيل خدوا أخدوداً في الارض ثم أوقدوا فيه ناراً ثم أقاموا على ذلك الاخدود رجالا ونساء فعرضوا عليها وزعموا أنه دانيال وأصحابه وهكذا قال الضحاك ابن مزاحم وقيل غير ذلك

وقد قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال « كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك إني قد كبر سني وحضر أجلي فادفع إلي غلاما لأعلمه السحر فدفع اليه غلاما كان يعلمه السحر وكان بين الساحر وبين الملك راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه وكان اذا أتى الساحر ضربه وقال ماحبسك واذا أتى أهله ضربوه وقالوا ماحبسك فشكا ذلك الى الراهب فقال اذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسني أهلي واذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسني الساحر قال فبينما هو ذات يوم اذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا فقال اليوم أعلم أمر الراهب أحب الى الله أم أمر الساحر ، قال فأخذ حجراً فقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس ورماها فقتلها ومضى الناس فأخبر الراهب بذلك فقال أي بني أنت أفضل مني وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي ، فكان الغلام يبرىء الاكمه والابرص وسائر الادواء ويشفيهم ، وكان للملك جليس فعمي فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال اشفني ولك ما ههنا أجمع ، فقال ما أنا أشفي أحداً انما يشفي الله عز وجل فان آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن فدعا الله فشفاه ، ثم أتى الملك فجلس منه نحو ماكان يجلس فقال له الملك يا فلان من رد عليك بصرك ؟ فقال ربي ، فقال أنا؟ قال لا ، ربي وربك الله قال ولك رب غيري ؟ قال نعم ربي

ضربه واذا رجع من عند الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا أتى أهله ضربوه فشكا الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي واذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر فأخذ حجرا ثم قال اللهم إن كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فأتى الراهب فأخبره ، فقال له الراهب أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ماأرى وانك ستبتلى، فان ابتليت فلا تدل علي ، وكان الغلام يبرىء الاكمه والابرص ويداوي الناس من سائر الادواء ، فسمع به جليس للملك وكان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال ماهذا ؟ قال هذا لك أجمع ان انت شفيتني ، قال اني لا أشفي أحداً انما يشفي الله ، فان آمنت بالله دعوت الله لك فشفاك فآمن بالله فشفاه الله ، فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس ، فقال له الملك من رد عليك بصرك ؟ قال ربي عز وجل ، قال أولك رب غيري ؟ قال ربي وربك الله . فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على

وربك الله فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فبعث اليه فقال أي بني بلغ من سحرك أن تبرىء الاكمه والابرص وهذه الادواء ؟ قال ماأشفي أحدا انما يشفي الله عز وجل ، قال أنا ؟ قال لا . قال أولك رب غيري ؟ قال ربي وربك الله ، فأخذه أيضا بالعذاب فلم يزل به حتى دل على الراهب فأتي بالراهب فقال ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه ، وقال للاعمى ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه الى الارض . وقال للغلام ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر الى جبل كذا وكذا وقال اذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه وإلا فدهدهوه فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال : اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال مافعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى فبعث به مع نفر في قرقور فقال اذا لججتم به البحر فان رجع عن دينه والا فغرقوه في البحر فلججوا به البحر فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت فغرقوا أجمعون وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال مافعل أصحابك فقال كفانيهم الله تعالى

ثم قال للملك : انك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به فان أنت فعلت ما آمرك به قتلتني وإلا فانك لاتستطيع قتلي ، قال وماهو ؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي ثم قل بسم الله رب الغلام فانك اذا فعلت ذلك قتلتني . ففعل ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه وقال بسم الله رب الغلام فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات فقال الناس آمنا برب الغلام . فقيل للملك أرأيت ما كنت تحذر فقد والله نزل بك قد آمن الناس كلهم فأمر بأفواه السكك فخدت فيها الاخاديد وأضرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه وإلا فاقحموه فيها ، قال فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكأنها تقاعست أن تقع في النار فقال الصبي اصبري ياأماه فانك على الحق

الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك أي بني قد بلغ من سحرك ماتبرىء به الاكمه والابرص وتفعل كذا وتفعل كذا . قال إني لا أشفي أحدا انما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى ، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى ، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه . فذهبوا به فصعدوا به الجبل . فقال اللهم اكفنيهم بما شئت . فرجف بهم الجبل فسقطوا ، فجاء يمشي الى الملك فقال له الملك . ما فعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه وإلا فاقذفوه ، فذهبوا به فقال اللهم

وهكذا رواه مسلم في آخر الصحيح عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به نحوه ، ورواه النسائي عن أحمد بن سليمان عن عفان عن حماد بن سلمة . ومن طريق حماد بن زيد كلاهما عن ثابت به واختصروا أوله ، وقد جوده الامام أبو عيسى الترمذي فرواه في تفسير هذه السورة عن محمود بن غيلان وعبد ابن حميد ـ المعنى واحد ـ قالا أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر همس والهمس في بعض قولهم تحريك شفتيه كأنه يتكلم فقيل له انك يا رسول الله اذا صليت العصر همست قال « ان نبيا من الانبياء كان أعجب بأمته فقال من يقوم لهؤلاء فأوحى الله اليه أن خيرهم بين أن انتقم منهم وبين أن أسلط عليهم عدوهم فاختاروا النقمة فسلط الله عليهم الموت فمات منهم في يوم سبعون الفا » قال وكان اذا حدث بهذا الحديث حدث بهذا الحديث الآخر قال : كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يتكهن له فقال الكاهن انظروا لي غلاما فهما أو قال فطنا لقنا فأعلمه علمي هذا ، فذكر القصة بتمامها وقال في آخره يقول الله عز وجل (قتل أصحاب الاخدود * النار ذات الوقود ـ حتى بلغ ـ العزيز الحميد) قال فأما الغلام فانه دفن فيذكر انه أخرج في زمان عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل ، ثم قال الترمذي حسن غريب ، وهذا السياق ليس فيه صراحة أن سياق هذه القصة من كلام النبي ﷺ قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : فيحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومي فانه كان عنده علم من أخبار النصارى والله أعلم

وقد أورد محمد بن اسحاق بن يسار هذه القصة في السيرة بسياق آخر فيها مخالفة لما تقدم فقال حدثني زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي وحدثني أيضا بعض أهل نجران عن أهلها ان أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الاوثان وكان في قرية من قراها قريبا من نجران

اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي الى الملك . فقال له الملك ما فعل أصحابك . قال كفانيهم الله فقال للملك انك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به . قال وما هو ؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس وقل بسم الله رب الغلام ثم ارمني فانك ان فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد قوسه ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه في موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام ثلاثا . فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالاخدود بأفواه السكك فخدت وأضرم النيران . وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها أو قيل له اقتحم قال ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أماه اصبري فانك على الحق » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم بن الحجاج عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة

- ونجران هي القرية العظمى التي اليهـا جماع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيمون ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منبه قالوا نزلهـا رجل فابتنى خيمـة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم الى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث التامر ابنه عبد الله بن التامر مع غلمان أهل نجران فكان اذا مر بصاحب الخيمة أعجبه مايرى من عبادته وصلاته فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبده وجعل يسأله عن شرائع الاسلام حتى اذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الاعظم وكان يعلمه فكتمه إياه وقال له يا ابن أخي انك لن تحمله أخشى ضعفك عنه والتامر ابو عبد الله لايظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضعفه فيه عمد إلى أقداح فجمعها ثم لم يبق لله اسما يعلمه إلا كتبه في قدح لكل اسم قدح حتى اذا أحصاها أوقد ناراً ثم جعل يقذفها فيها قدحا قدحا حتى اذا مر بالاسم الاعظم قذف فيها بقدحه فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شيء فأخذه ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الاعظم الذي قد كتمه فقال وما هو ؟ قال هو كذا وكذا ، قال وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع فقال أي ابن أخي قد أصبته فأمسك على نفسك وما أظن أن تفعل فجعل عبد الله بن التامر اذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر إلا قال له ياعبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني وأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول نعم فيوحد الله ويسلم فيدعو الله له فيشفى حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ودعا له فعوفي حتى رفع شأنه إلى ملك نجران فدعاه فقال له أفسدت علي أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لأمثلن بك ، قال لاتقدر على ذلك قال فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع إلى الارض مابه بأس وجعل يبعث به إلى مياه بنجران بحور لايلقى فيها شيء إلا هلك فيلقي به فيهـا فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبـه قال له عبـد الله بن التامر انك والله

وذكر محمد ابن اسحاق عن وهب بن منبه ان رجلا كان قد بقي على دين عيسى فوقع الى نجران فدعاهم فأجابوه فسار اليه ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فأبوا عليه فخد الاخاديد وأحرق ثنى عشر الفا ثم غلب أرياط على اليمن فخرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق ، قال الكلبي وذو نواس قتل عبد الله ابن التامر ، وقال محمد بن اسحاق عن عبد الله ابن أبي بكر ان خربة احتفرت في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله بن التامر واضعا يده على ضربة في رأسـه إذا أميطت يده عنها انبعثت دما وإذا تركت ارتدت مكانهـا ، وفي يده خاتم من حديد مكتوب فيه ربي الله فبلغ ذلك عمر فكتب ان أعيدوا عليه الذي وجدتم عليه

وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شراحيل في الفترة قبل مولد النبي ﷺ بسبعين سـنة وكان في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان أبوه قد سلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بداً من

لا تقدر على قتلي حتى تؤمن بما آمنت به وتوحد الله فانك إن فعلت سلطت علي فقتلتني قال فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ثم ضربه بعصا في يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر وكان على ماجاء به عيسى بن مريم عليه السلام من الانجيل وحكمه ثم أصابهم ماأصاب أهل دينهم من الاحداث فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران

قال ابن اسحاق فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر فالله أعلم أي ذلك كان ، قال فسار اليهم ذو نواس بجنده فدعاهم إلى اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاختاروا القتل فخد الاخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ففي ذي نواس وجنده أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ (قتل أصحاب الاخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد)

هكذا ذكر محمد بن اسحاق في السيرة أن الذي قتل أصحاب الاخدود هو ذو نواس واسمه زرعة ( ) ويسمى في زمان مملكته بيوسف وهو ابن بيان أسعد ابي كريب وهو تبع الذي غزا المدينة وكسى الكعبة واستصحب معه حبرين من يهود المدينة فكان تهود من تهود من أهل اليمن على يديهما كما ذكره ابن اسحاق مبسوطا فقتل ذو نواس في غداة واحدة في الاخدود عشرين ألفا ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له دوس ذو ثعلبان ذهب فارسا وطردوا وراءه فلم يقدروا عليه فذهب إلى قيصر ملك الشام

طاعة أبيه فجعل يختلف الى المعلم وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فأعجبه ذلك وذكر قريبا من معنى حديث صهيب الى أن قال الغلام للملك انك لا تقدر على قتلي إلا أن تفعل ما أقول لك قال فكيف أقتلك؟ قال تجمع اهل مملكتك وأنت على سريرك فترميني بسهم باسم الهي ففعل الملك فقتله فقال الناس لا إله إلا الله إله عبد الله بن تامر لا دين الا دينه ، فغضب الملك وأغلق باب المدينة وأخذ افواه السكك وخد أخدودا وملأه نارا ثم عرضهم رجلا رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن قال ديني دين عبد الله بن تامر ألقاه في الاخدود فأحرقه وكان في مملكته امرأة أسلمت فيمن أسلم ولها اولاد ثلاثة أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك والا ألقيتك وأولادك في النار فأبت فأخذ ابنها الاكبر فألقاه في النار ثم قال لها ارجعي عن دينك فأبت فألقى الثاني في النار ثم قال لها ارجعي فأبت فأخذوا منها الصبي ليلقوه في النار فهمت المرأة بالرجوع فقال الصبي يا أماه لا ترجعي عن الاسلام فانك على الحق ولا بأس عليك فالقي الصبي في النار وألقيت أمه في أثره

وقال سعيد بن جبير وابن ابزى لما انهزم أهل اسفيدهار قال عمر بن الخطاب أي شيء يجري على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب؟ فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه بلى قد كان

فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة فأرسل معه جيشا من نصارى الحبشة يقدمهم أرياط وأبرهة فاستنقذوا اليمن من أيدي اليهود وذهب ذونواس هاربا فلجج في البحر فغرق واستمر ملك الحبشة في أيدي النصارى سبعين سنة ثم استنقذه سيف بن ذي يزن الحميري من أيدي النصارى لما استجاش بكسرى ملك الفرس فأرسل معه من في السجون فكانوا قريبا من سبعمائة ففتح بهم اليمن ورجع الملك إلى حمير وسنذكر طرفا من ذلك إن شاء الله في تفسير سورة ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل

وقال ابن اسحاق وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم انه حدث أن رجلا من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته فوجد عبد الله بن الثامر تحت دفن فيها قاعداً واضعا يده على ضربة في رأسه ممسكا عليها بيده فاذا أخذت يده عنها تنبعث دما ، واذا أرسلت يده ردت عليها فأمسكت دمها وفي يده خاتم مكتوب فيه ربي الله فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمره فكتب عمر اليهم أن أقروه على حاله وردوا عليه الذي كان عليه ففعلوا

وقد قال ابو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا رحمه الله حدثنا أبو بلال الاشعري حدثنا ابراهيم ابن محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب حدثني بعض أهل العلم ان اباموسى لما افتتح اصبهان وجد حائطا من حيطان المدينة قد سقط فبناه فسقط ثم بناه فسقط فقيل له إن تحته رجلا صالحا فحفر الاساس فوجد فيه رجلا قائما معه سيف فيه مكتوب أنا الحارث بن مضاض نقمت على أصحاب الاخدود فاستخرجه أبو موسى وبنى الحائط فثبت (قلت) هو الحارث بن مضاض بن عمرو بن مضاض الجرهمي أحد ملوك جرهم الذين ولوا مر الكعبة بعد ولد ثابت بن اسماعيل بن ابراهيم وولد الحارث هذا هو عمرو بن الحارث بن مضاض

لهم كتاب وكانت الخمر أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبته على عقله فتناول أخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هـذا الذي أتيت وما المخرج منه؟ قالت المخرج منه أن تخطب الناس وتقول ان الله قد أحل نكاح الاخوات فاذا ذهب في الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته فقام خطيبا فقال ان الله قد أحل لكم نكاح الاخوات فقال الناس بأجمعهم معاذ الله أن نؤمن بهـذا أو نقر به وما جاءنا به نبي ولا أنزل علينا فيه كتاب فبسـط فيهم السوط فأبوا ان يقروا فجرد فيهم السيف فأبوا ان يقروا فخد لهم أخدودا وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن أبى ولم يطعه قذفه في النار ومن أجاب خلى سبيله

وقال الضحاك أصحاب الاخدود من بني اسرائيـل أخذوا رجالا ونساء فخدوا لهم أخدودا ثم أوقدوا فيها النيران فأقاموا المؤمنين عليها فقالوا أتكفرون أم نقذفكم في النار ، ويزعمون انه دانيال وأصحابه وهذه رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما

وقال ابو الطفيل عن علي رضي الله عنه كان أصحاب الاخدود نبيهم حبشي بعث من الحبشة الى قومه ثم قرأ علي رضي الله عنه (ولقد أرسلنا رسـلا من قبلك منهم من قصصنا عليك الآية) فدعاهم

هو آخر ملوك جرهم بمكة لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم الى اليمن وهو القائل في شعره الذي قال ابن هشام إنه أول شعر قالته العرب

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا   أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا   صروف الليالي والجدود العواثر

وهذا يقتضي أن هذه القصة كانت قديما بعد زمان اسماعيل عليه السلام بقرب من خمسمائة سنة أو نحوها، وما ذكره ابن اسحاق يقتضي أن قصتهم كانت في زمن الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما من الله السلام وهو أشبه والله أعلم

وقد يحتمل أن ذلك قد وقع في العالم كثيراً كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان أخبرنا صفوان بن عبد الرحمن بن جبير قال كانت الاخدود في اليمن زمان تبع وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد فاتخذوا أتونا وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد، وفي العراق في أرض بابل بختنصر الذي صنع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له فامتنع دانيال وصاحباه عزريا وميشائيل فاوقد لهم أتونا والقى فيها الحطب والنار ثم ألقاهما فيه فجعلها الله تعالى عليهما برداً وسلاما وأنقذهما منها والقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط فأكلتهم النار . وقال اسباط عن السدي في قوله تعالى (قتل أصحاب الاخدود] قال كانت الاخدود ثلاثة : خد بالعراق وخد بالشام ، وخد باليمن رواه ابن أبي حاتم

وعن مقاتل قال كانت الاخدود ثلاثة : واحدة بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس حرقوا بالنار أما التي بالشام فهو انطنانوس الرومي وأما التي بفارس فهو بختنصر، وأما التي بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس فأما التي بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهم قرآنا وأنزل في التي كانت بنجران

فتابعه ناس فقاتلهم فقتل اصحابه فأخذوا وأوثقوا من أفلت منهم فخدوا اخدودا فملأوها نارا ، فمن اتبع النبي رمي فيها ومن تابعهم تركوه فجاءوا بامرأة ومعها صبي رضيع فجزعت فقال الصبي يا أماه مري ولا تنافقي ، وقال عكرمة كانوا من النبط أحرقوا بالنار

وقال مقاتل كانت الاخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس أما التي بالشام فهو انطيوخوس الرومي وأما التي بفارس فبختنصر وأما التي بارض العرب فهو ذو نواس يوسف، فاما التي بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهما قرآنا وأنزل في التي كانت بنجران ، وذلك ان رجلا مسلما ممن يقرأ الانجيل آجر نفسه في عمل وجعل يقرأ الانجيل فرأت بنت المستأجر النور يضيء من قراءة الانجيل فذكرت ذلك لابيها فرمقه حتى رآه فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين والاسلام فتابعه هو وسبعة وثمانون انسانا من بين رجل وامرأة وهذا بعد مارفع عيسى عليه السلام الى السماء فسمع ذلك يوسف ذو نواس فخد لهم في الارض وأوقد فيها نارا فعرضهم على الكفر فمن

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدستكي حدثنا عبد الله بن جعفر عن الربيع هو ابن أنس في قوله تعالى [قتل أصحاب الاخدود] قال سمعنا أنهـم كانوا قوما في زمان الفترة فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنة والشر وصاروا أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون اعتزلوا الي قرية سكنوها وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين وحدث حديثهم فأرسل اليهم فأمرهم أن يعبدوا الاوثان التي اتخذوا وإنهم أبوا عليه كلهم وقالوا لانعبد إلا الله وحده لا شريك له فقال لهم إن لم تعبدوا هـذه الآلهة التي عبدت فاني قاتلكم فأبوا عليه فخد أخدوداً من نار وقال لهم الجبار ووقفهم عليها اختاروا هذه أو الذي نحن فيه فقالوا هذه أحب الينا وفيهم نساء وذرية ففزعت الذرية فقالوا لهم أي آباؤهم لانار من بعد اليوم فوقعوا فيها فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسهم حرها وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين فأحرقهم الله بها ففي ذلك أنزل الله عز وجل (قتـل أصحاب الاخدود* النار ذات الوقود* اذ هم عليها قعود* وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود* وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد* الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد) ورواه ابن جرير حدثت عن عمار عن عبدالله بن أبي جعفر به نحوه

وقوله تعالى (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أى حرقوا قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة

أبى أن يكفر قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه وان امرأة جاءت ومعها ولد صـغير لا يتكلم فلما قامت على شـفير الخندق نظرت الى ابنها فرجعت عن النار فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات فلما كانت في الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها يا أماه اني أرى أمامك نارا لا تطفأ فلما سمعت ذلك قذفا جميعا أنفسهما في النار فجعلها الله وابنها في الجنة فقذف في النار في يوم واحد سبعة وسبعون الف انسان فذلك قوله عز وجل (قتل أصحاب الاخدود) ﴿ النار ذات الوقود﴾ بدل من الاخدود ، وقال الربيع بن أنس نجى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار بقبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار وخرجت النار الى من على شفير الاخدود من الكفار فأحرقتهم ﴿ اذهم عليها قعود ﴾ أي عند النار جلوس يعذبون المؤمنين ، قال مجاهد كانوا قعودا على الكرامي عند الاخدود ﴿وهم﴾ يعني الملك واصحابه الذين خدوا الاخدود ﴿ على ما يفعلون بالمؤمنين ﴾ من عرضهم على النار وارادتهم أن يرجعوا الى دينهم ﴿ شهود ﴾ حضور وقال مقاتل يعني يشهدون ان المؤمنين ضـلال حين تركوا عبادة الصنم ﴿ وما نقموا منهم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ما كرهوا منهم ﴿ الا أن يؤمنوا بالله ﴾ قال مقاتل ما عابوا منهم وقيل ما علموا فيهم عيبا ، قال الزجاج ما أنكروا عليهم ذنبا الا ايمانهم بالله ﴿ العزيز الحميـد * الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء ﴾ من أفعالهم ﴿ شهيد * إن الذين فتنوا ﴾ عذبوا وحرقوا ﴿ المؤمنين والمؤمنات ﴾ يقال فتنت الشيء أي أحرقتـه نظيره (يومهم

والضحاك وابن أبزى (ثم لم يتوبوا) أي لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا (فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) وذلك أن الجزاء من جنس العمل قال الحسن البصري انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة

إن الذين آمنوا وعملوا الصٰلحٰت لهم جنٰت تجري من تحتها الأنهٰر ذلك الفوز الكبير (١١) إن بطش ربك لشديد (١٢) إنه هو يُبدىء ويُعيد (١٣) وهو الغفور الودود (١٤) ذو العرش المجيد (١٥) فعّال لما يريد (١٦) هل أتاك حديث الجنود؟ (١٧) فرعونَ وثمود (١٨) بل الذين كفروا في تكذيب (١٩) والله من ورائهم مُحيط (٢٠) بل هو قرآن مَجيد (٢١) في لَوح محفوظ (٢٢)

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم ولهذا قال (ذلك الفوز الكبير)

ثم قال تعالى (إن بطش ربك لشديد) أي إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوي فانه تعالى ذو القوة المتين الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر أو هو أقرب ولهذا قال تعالى (إنه هو يبدىء ويعيد) أي من قوته وقدرته التامة يبدىء الخلق ويعيده كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع (وهو الغفور الودود) أي يغفر ذنب من تاب اليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أي شيء كان والودود قال ابن عباس وغيره هو الحبيب (ذو العرش) أي صاحب العرش

على النار يفتنون) ﴿ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم﴾ بكفرهم ﴿ولهم عذاب الحريق﴾ بما أحرقوا المؤمنين وقيل (ولهم عذاب الحريق) في الدنيا وذلك ان الله أحرقهم بالنار التي احرقوا بها المؤمنين ارتفعت اليهم من الاخدود، قاله الربيع بن أنس والكلبي، ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير﴾ واختلفوا في جواب القسم فقال بعضهم جوابه (قتل أصحاب الاخدود) يعني لقد قتل وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره قتل أصحاب الاخدود والسماء ذات البروج، وقال قتادة جوابه ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ قال ابن عباس إن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة لشديد كقوله (ان أخذه أليم شديد) ﴿انه هو يبدىء ويعيد﴾ أي يخلقهم أولا في الدنيا ثم يعيدهم أحياء بعد الموت ﴿وهو الغفور﴾ لذنوب المؤمنين ﴿الودود﴾ المحب لهم وقيل معناه المودود كالحلوب والركوب بمعنى المحلوب والمركوب، وقيل يغفر ويود أن يغفر وقيل المتودد إلى أوليائه بالمغفرة ﴿ذو العرش المجيد﴾ قرأ حمزة والكسائي المجيد بالجر

العظيم العالي على جميع الخلائق والمجيد فيه قراءتان الرفع على انه صفة للرب عز وجل والجر على أنه صفة للعرش وكلاهما معنى صحيح (فعال لما يريد) أي مهما أراد فعله لا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله كما روينا عن أبي بكر الصديق أنه قيل له وهو في مرض الموت هل نظر اليك الطبيب ؟ قال نعم، قالوا فما قال لك ، قال قال لي إني فعال لما أريد

وقوله تعالى (هل أتاك حديث الجنود ؟ فرعون وثمود) اي هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس وأنزل عليهم من النقمة التي لم يردها عنهم أحد ؟ وهذا تقرير لقوله تعالى (إن بطش ربك لشديد) أي اذا أخذ الظالم أخذه أخذاً أليما شديداً أخذ عزيز مقتدر

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا ابو بكر بن عياش عن ابي اسحاق عن عمرو بن ميمون قال مر النبي ﷺ على امرأة تقرأ (هل أتاك حديث الجنود ؟) فقام يستمع فقال « نعم قد جاءني »

وقوله تعالى (بل الذين كفروا في تكذيب) أي هم في شك وريب وكفر وعناد (والله من ورائهم محيط) أي هو قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه (بل هو قرآن مجيد) أي عظيم كريم (في لوح محفوظ) اي هو في الملأ الاعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل

قال ابن جرير حدثنا عمرو بن علي حدثنا قرة بن سليمان حدثنا حرب بن شريح حدثنا عبدالعزيز ابن صهيب عن أنس بن مالك في قوله تعالى (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) قال ان اللوح المحفوظ الذي ذكر الله (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) في جبهة اسرافيل

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابو صالح ثنا معاوية بن صالح ان أبا الاعبس هو عبد الرحمن

على صفة العرش أي السرير العظيم وقيل أراد حسنه فوصفه بالمجد كما وصفه بالكرم فقال رب العرش الكريم ، ومعناه الكمال والعرش أحسن الاشياء وأكملها ، وقرأ الآخرون بالرفع على صفة ذوالعرش ﴿فعال لما يريد﴾ لا يعجزه شيء يريده ولا يمتنع منه شيء طلبه

قوله عز وجل ﴿هل أتاك حديث الجنود؟﴾ قد أتاك خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الانبياء ثم بين من هم فقال ﴿فرعون وثمود بل الذين كفروا﴾ من قومك يامحمد ﴿في تكذيب﴾ لك وللقرآن كدأب من قبلهم ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار ﴿والله من ورائهم محيط﴾ عالم بهم لا يخفى عليه شيء من أعمالهم يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ كريم شريف كثير الخير ليس كما زعم المشركون انه شعر وكهانة ﴿في لوح محفوظ﴾ قرأ نافع محفوظ بالرفع على نعت القرآن فان القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف قال الله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وقرأ الآخرون بالجر على نعت اللوح وهو الذي يعرف باللوح المحفوظ وهو أم الكتاب ومنه تنسخ الكتب محفوظ من الشياطين ومن الزيادة فيه والنقصان

ابن سلمان قال: ما من شيء قضى الله القرآن فما قبله وما بعده إلا وهو في اللوح المحفوظ واللوح المحفوظ بين عيني اسرافيل لا يؤذن له بالنظر فيه ، وقال الحسن البصري إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه

وقد روى البغوي من طريق اسحاق بن بشر أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة قال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافتاه من الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء ، وقلمه نور ، وكلامه معقود بالعرش وأصله في حجر ملك ، وقال مقاتل اللوح المحفوظ عن يمين العرش

وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا ابراهيم بن يوسف حدثنا زياد بن عبد الله عن ليث عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « إن الله تعالى خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء ، قلمه نور ، وكتابه نور ، لله في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة ، يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء »

﴿ آخر تفسير سورة البروج ولله الحمد والمنة ﴾

أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا الحسين بن محمد بن فنجويه أنا مخلد بن جعفر ثنا الحسن بن علويه أنا اسماعيل بن عيسى ثنا اسحاق بن بشر أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال : إن في صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة، قال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق الى المغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور وكلامه قديم وكل شيء فيه مستور وقيل أعلاه معقود بالعرش وأصله في حجر ملك قال مقاتل اللوح المحفوظ عن يمين العرش



تفسير سورة الطارق وهى مكية

قال عبد الله بن الامام احمد حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن محمد قال عبد الله وسمعته أنا منه حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي حبل العدواني عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أوعصى حين أتاهم يبتغي عندهم النصر فسمعته يقول « والسماء والطارق » حتى ختمها قال فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها في الاسلام قال فدعتني ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم فقال من معهم من قريش نحن أعلم بصاحبنا لو كنا نعلم مايقول حقا لاتبعناه

وقال النسائي حدثنا عمرو بن منصور حدثنا أبو نعيم ن مسعر عن محارب بن دثار عن جابر قال صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء فقال النبي ﷺ « أفتان أنت يامعاذ ؟ ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق والشمس وضحاها ونحوها ؟ »

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق (١) وما أدراك ما الطارق؟ (٢) النجم الثاقب (٣) إنْ كلُّ نفس لمّا عليها حافظ (٤) فلينظر الانسن مِمّ خلق (٥) خلق من ماء دافق (٦) يخرج من بين الصُّلب والترائب (٧) انه على رجعه لقادر (٨) يوم تُبلَى السرائر (٩) فما له من قوّة ولا ناصر (١٠)

يقسم تبارك وتعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ولهذا قال تعالى (والسماء والطارق) ثم قال (وما أدراك ما الطارق) ثم فسره بقوله (النجم الثاقب) قال قتادة وغيره انما سمي النجم طارقا

﴿ سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والسماء والطارق ﴾ قال الكلبي نزلت في أبي طالب وذلك انه أتى النبي ﷺ فاتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل اذ انحط نجم فامتلأ ماء ثم نارا ففزع أبو طالب وقال أي شيء هـذا ؟ فقال رسول الله ﷺ «هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله عز وجل» فعجب أبو طالب فأنزل الله عز وجل (والسماء والطارق) وهذا قسم والطارق النجم يظهر بالليل وما أتاك ليلا فهو طارق ﴿ وما أدراك ما الطارق ؟ ﴾ ثم فسره فقال ﴿ النجم الثاقب ﴾ أي المضيء المنير قال مجاهد المتوهج قال ابن زيد أراد به الثريا والعرب تسميه النجم وقيل هو زحل سمي بذلك لارتفاعه تقول العرب للطائر إذا لحق

لأنه انما يرى بالليل ويختفي بالنهار ويؤيده ماجاء في الحديث الصحيح نهى أن يطرق الرجل أهله طروقا أي يأتيهم فجأة بالليل ، وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء « إلا طارقا يطرق بخير يارحمن »

وقوله تعالى (الثاقب) قال ابن عباس المضيء وقال السدي يثقب الشياطين اذا أرسل عليها وقال عكرمة هو مضيء ومحرق للشيطان

وقوله تعالى [ان كل نفس لما عليها حافظ] أي كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات كما قال تعالى [له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله]

وقوله تعالى (فلينظر الانسان مم خلق؟) تنبيه للانسان على ضعف أصله الذي خلق منه وارشاد له الى الاعتراف بالمعاد لان من قدر على البداءة فهو قادر على الاعادة بطريق الاولى كما قال تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)

وقوله تعالى (خلق من ماء دافق) يعنى المني يخرج دفقا من الرجل ومن المرأة فيتولد منهما الولد باذن الله عز وجل ولهذا قال (يخرج من بين الصلب والترائب) يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها ، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس [يخرج من بين الصلب والترائب] صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيقا لا يكون الولد الا منهما ، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس (يخرج من بين الصلب والترائب) قال هذه الترائب ووضع يده على صدره . وقال الضحاك وعطية عن ابن عباس تريبة المرأة موضع القلادة ، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الترائب بين ثدييها ، وعن مجاهد الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر وعنه أيضا الترائب أسفل من التراقي ، وقال سفيان الثوري فوق الثديين ، وعن سعيد بن جبير الترائب أربعة

بيطن السماء ارتفاعا قد ثقب « ان كل نفس » جواب القسم « لما عليها حافظ » قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة (لما) بالتشديد يعنون ما كل نفس الا عليها حافظ وهي لغة هذيل يجعلون لما بمنزلة إلا يقولون نشدتك الله لما قمت أي الا قمت وقرأ الآخرون بالتخفيف جعلوا ما صلة ، مجازه ان كل نفس لعليها حافظ ، وتأويل الآية كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر ، قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة وقال الكلبي حافظ من الله يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها الى المقادير ثم يخلي عنها « فلينظر الانسان مم خلق » أي فليتفكر من أي شيء خلقه ربه فلينظر نظر المتفكر ثم بين فقال « خلق من ماء دافق » مدفوق أي مصبوب في الرحم وهو المني فاعل بمعنى مفعول كقوله (عيشة راضية) والدفق الصب وأراد ماء الرجل وماء المرأة لان الولد مخلوق منهما وجعله واحدا لامتزاجهما « يخرج من بين الصلب والترائب » يعني صلب الرجل

أضلاع من هذا الجانب الاسفل ، وعن الضحاك الترائب بين الثديين والرجلين والعينين ، وقال الليث بن سعد عن معمر بن أبي حية المدني أنه بلغه في قول الله عز وجل (يخرج من بين الصلب والترائب) قال هو عصارة القلب من هناك يكون الولد. وعن قتادة (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلبه ونحره

وقوله تعالى [انه على رجعه لقادر] فيه قولان (أحدهما) على رجع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما [والقول الثاني] انه على رجع هذا الانسان المخلوق من ماء دافق أي اعادته وبعثه الى الدار الآخرة لقادر لان من قدر على البداءة قدر على الاعادة ،وقد ذكر عز وجل هذا الدليل في القرآن في غير ماموضع ،وهذا القول قال به الضحاك واختاره ابن جرير ولهذا قال تعالى [يوم تبلى السرائر] أي يوم القيامة تبلى فيه السرائر أي تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والمكنون مشهوراً،وقد ثبت في الصحيح عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « يرفع لكل غادر لواء عند استه يقال هذه غدرة فلان بن فلان »

وقوله تعالى [فماله] أي الانسان يوم القيامة [من قوة] أي في نفسه [ولا ناصر] أي من خارج منه أي لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله ولا يستطيع له أحد ذلك

والسماء ذات الرَّجع (١١) والارض ذات الصَّدع (١٢) انه لقولٌ فصل (١٣)

وترائب المرأة والترائب جمع التريبة وهي عظام الصدر والنحر ، قال ابن عباس هي موضع القلادة من الصدر وروى الوالبي عنه بين ثديي المرأة وقال قتادة النحر وقال ابن زيد الصدر ﴿ انه على رجعه لقادر ﴾ قال مجاهد على رد النطفة في الاحليل وقال عكرمة على رد الماء في الصلب الذي خرج منه وقال الضحاك انه على رد الانسان ماء كما كان من قبل لقادر ،وقال مقاتل بن حيان ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة، وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء لقادر حتى لا يخرج وقال تعالى ان الله على بعث الانسان واعادته بعد الموت قادر وهذا أولى الاقاويل لقوله ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ وذلك يوم القيامة تبلى السرائر تظهر الخفايا قال قتادة ومقاتل تختبر قال عطاء بن أبي رباح السرائر فرائض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والاغتسال من الجنابة فانها سرائر بين الله تعالى وبين العبد فلو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت ولم يغتسل فيختبر حتى يظهر من اداها ممن ضيعها قال ابن عمر يبدي الله عز وجل يوم القيامة كل سر فيكون زينا في وجوه وشينا في وجوه يعني من أداها كان وجهه مشرقا ومن ضيعها كان وجهه أغبر ﴿ فما له من قوة ولا ناصر ﴾ أي ما لهذا الانسان المنكر للبعث من قوة يمتنع بها من عذاب الله ولا ناصر ينصره من الله ثم ذكر قسما آخر فقال ﴿ والسماء ذات الرجع ﴾ أي ذات المطر لانه يرجع كل عام

وما هو بالهزل (١٤) إنهم يكيدون كيداً (١٥) وأكيد كيداً (١٦) فمهل الكفرين أمهلهم رويداً (١٧)

قال ابن عباس الرجع المطر وعنه هو السحاب فيه المطر وعنه (والسماء ذات الرجع) تمطر ثم تمطر وقال قتادة ترجع رزق العباد كل عام ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم، وقال ابن زيد ترجع نجومها وشمسها وقمرها يأتين من ههنا [والارض ذات الصدع] قال ابن عباس هو انصداعها عن النبات و كذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والسدي وغير واحد

وقوله تعالى (انه لقول فصل) قال ابن عباس حق وكذا قال قتادة وقال آخر حكم عدل (وما هو بالهزل) أي بل هو جد حق، ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله فقال انهم يكيدون كيداً) أي يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن، ثم قال تعالى (فمهل الكافرين) أي أنظرهم ولا تستعجل لهم (أمهلهم رويدا) أي قليلا أي وسترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك كما قال تعالى (نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ)

﴿آخر تفسير سورة الطارق ولله الحمد والمنة﴾

ويتكرر وقال ابن عباس هو السحاب يرجع بالمطر ﴿والارض ذات الصدع﴾ أي تتصدع وتنشق عن النبات والاشجار والانهار، وجواب القسم قوله ﴿انه﴾ يعني القرآن ﴿لقول فصل﴾ حق وجد يفصل بين الحق والباطل ﴿وما هو بالهزل﴾ باللعب والباطل ثم أخبر عن مشركي مكة فقال ﴿انهم يكيدون كيداً﴾ يخاتلون النبي ﷺ ويظهرون ما هم على خلافه ﴿وأكيد كيداً﴾ وكيد الله استدراجه إياهم من حيث لا يعلمون ﴿فمهل الكافرين﴾ قال ابن عباس هذا وعيد من الله عز وجل لهم ﴿أمهلهم رويدا﴾ قليلا ومعنى مهل وأمهل أنظر ولا تعجل فأخذهم الله يوم بدر ونسخ الامهال بآية السيف



تفسير سورة سبح وهى مكية

والدليل على ذلك ما رواه البخاري حدثنا عبدان أخبرني أبي عن شعبة عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرئاننا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله ﷺ قد جاء فما جاء حتى قرأت (سبح اسم ربك الاعلى) في سورة مثلها

وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة (سبح اسم ربك الاعلى) تفرد به احمد . وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ « هلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى ، والشمس وضحاها ، والليل اذا يغشى »

وقال الامام احمد حدثنا سفيان عن ابراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قرأ في العيدين بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية ؟ وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعا . هكذا وقع في مسند الامام احمد اسناد هذا الحديث ، وقد رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي عوانة وجرير وشعبة ثلاثتهم عن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم بن النعمان بن بشير به ، قال الترمذي و كذا رواه الثوري ومسعر عن ابراهيم قال ورواه سفيان بن عيينة عن ابراهيم عن أبيه حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان ولا يعرف لحبيب رواية عن أبيه ، وقد رواه ابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان بن عيينة عن ابراهيم بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان به كما رواه الجماعة فالله أعلم ، ولفظ مسلم وأهل السنن كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما

وقد روى الامام أحمد في مسنده من حديث أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبدالرحمن بن أبزى وعائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد زادت عائشة والمعوذتين . وهكذا روي هذا الحديث من طريق جابر وأبي امامة صدي بن عجلان وعبد الله بن مسعود وعمران بن حصين وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، ولولا خشية الاطالة لاوردنا ماتيسر لنا من أسانيد ذلك ومتونه ولكن في الارشاد بهذا الاختصار كفاية والله أعلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

سبح اسمَ ربك الاعلى (١) الذي خلق فسوّى (٢) والذي قدّر فهدى (٣) والذي أخرج المرعى (٤) فجعله غُثاء أحوى (٥) سنقرئك فلا تنسى (٦) إلا ماشاء الله انه يعلم الجهر ومايخفى (٧) ونيسرك لليسرى (٨) فذكّر إن نفعت الذكرى (٩) سيذكّر من يخشى (١٠) ويتجنبها الاشقى (١١) الذي يَصلى النار الكبرى (١٢) ثم لا يموت فيها ولا يحيى (١٣)

قال الامام احمد حدثنا ابو عبدالرحمن حدثنا موسى يعني ابن أيوب الغافقي حدثنا عمي اياس بن عامر سمعت عقبة بن عامر الجهني لما نزلت (فسبح باسم ربك العظيم) قال لنا رسول الله ﷺ « اجعلوها في ركوعكم » فلما نزلت (سبح اسم ربك الاعلى) قال « اجعلوها في سجودكم » ورواه ابو داود وابن ماجه من حديث ابن المبارك عن موسى بن أيوب به

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن أبي اسحاق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ (سبح اسم ربك الاعلى) قال « سبحان ربي الاعلى » وهكذا رواه ابو داود عن زهير بن حرب عن وكيع به قال وخولف فيه وكيع رواه ابو وكيع وشعبة عن أبي إسحاق عن سعيد عن ابن عباس موقوفا ، وقال الثوري عن السدي عن عبد خير قال سمعت عليا قرأ (سبح اسم ربك الاعلى) فقال سبحان ربي الاعلى

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام عن عنبسة عن أبي إسحاق الهمداني أن ابن عباس

سورة الأعلى مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سبح اسم ربك الاعلى ﴾ يعني قل سبحان ربي الاعلى والى هذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين أخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي أنا احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنا عبد الله بن حامد أنا احمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبد الله ثنا عبد الله بن عمر بن أبان ثنا وكيع عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان النبي ﷺ قرأ (سبح اسم ربك الاعلى) فقال « سبحان ربي الاعلى » وقال قوم معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه به الملحدون وجعلوا الاسم صلة ويحتج بهذا من يجعل الاسم والمسمى واحدا لان احدا لا يقول سبحان اسم الله وسبحان

كان إذا قرأ (سبح اسم ربك الاعلى) يقول سبحان ربي الاعلى واذا قرأ (لا أقسم بيوم القيامة) فأتى على آخرها (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) يقول سبحانك وبلى، وقال قتادة سبح اسم ربك الاعلى ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان اذا قرأها قال سبحان ربي الاعلى وقوله تعالى (الذي خلق فسوى أي خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات

وقوله تعالى (والذي قدر فهدى) قال مجاهد هدى الانسان للشقاوة والسعادة وهدى الانعام لمراتعها وهـذه الآية كقوله تعالى إخباراً عن موسى أنه قال لفرعون (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) أي قدر قدراً وهدى الخلائق اليه كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء »

وقوله تعالى (والذي أخرج المرعى) أي من جميع صنوف النباتات والزروع (فجعله غثاء أحوى) قال ابن عباس هشيما متغيراً وعن مجاهد وقتادة وابن زيد نحوه

قال ابن جرير وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم وأن معنى الـكلام والذي أخرج المرعى أحوى أخضر الى السواد فجعله غثاء بعـد ذلك ثم قال ابن جرير وهذا وان كان محتملا إلا أنه غير صواب لمخالفته أقوال أهل التأويل

وقوله تعالى (سنقرئك) أي يامحمد (فلا تنسى) وهذا اخبار من الله تعالى ووعد منه له بأنه

اسم ربنا إنما يقولون سبحان الله وسبحان ربنا، وكأن معنى سبح اسم ربك سبح ربك، وقال آخرون نزه تسيمة ربك بأن تذكره وأنت له معظم ولذكره محترم وجعلوا الاسم بمعنى التسمية، وقال ابن عباس سبح أي صل بأمر ربك الاعلى ﴿ الذي خلق فسوى ﴾ قال الكلبي خلق كل ذي روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقال الزجاج خلق الانسان مستويا ومعنى سوى عدل قامته ﴿والذي قدر فهدى﴾ قرأ الكسائي قدر بتخفيف الدال وشددها الآخرون وهما بمعنى واحد وقال مجاهد هدى الانسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وهدى الانعام لمراتعها، وقال مقاتل والكلبي قدر لكل شيء مسلكه فهدى عرفها كيف يأتي الذكر الانثى وقيل قدر الارزاق فهدى لاكتساب الارزاق والمعاش وقيل خلق المنافع في الاشيا. وهدى الانسان لوجه استخراجها منها، وقال السدي قدر مدة الجنين في الرحم ثم هداه للخروج من الرحم وقال الواسطي قدر السعادة والشقاوة عليهم ثم يسر لكل واحد من الطائفتين سلوك سبيل ما قدر عليه ﴿ والذي أخرج المرعى ﴾ أنبت العشب وما ترعاه النعم من بين أخضر واصفر وأحمر وأبيض ﴿ فجعله ﴾ بعد الخضرة ﴿ غثاء ﴾ هشـيما باليا كالغثاء الذي تراه فوق السيل ﴿ أحوى ﴾ أسود بعد الخضرة وذلك أن الكلأ اذا جف ويبس اسود ﴿سنقرئك﴾ سنعلمك بقراءة جبريل عليك ﴿ فلا تنسى إلا ما شاء الله ﴾ أن تنساه وهو ما نسخ الله تلاوته من القرآن كما قال

سيقرئه قراءة لاينساها (إلا ماشاء الله) وهذا اختيار ابن جرير وقال قتادة كان رسول الله ﷺ لاينسى شيئا إلا ماشاء الله وقيل المراد بقوله (فلا تنسى) طلب وجعلوا معنى الاستثناء على هذا مايقع من النسخ أي لاتنسى ماتقرئك إلا مايشاء الله رفعه فلا عليك أن تتركه

وقوله تعالى (إنه يعلم الجهر وما يخفى) أي يعلم مايجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه من ذلك شيء . وقوله تعالى [ونيسرك لليسرى] أي نسهل عليك أفعال الخير وأقواله ونشرع لك شرعا سهلا سمحا مستقيما عدلا لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر

وقوله تعالى [فذكر ان نفعت الذكرى] أي ذكر حيث تنفع التذكرة، ومن ههنا يؤخذ الادب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ما أنت بمحدث قوماً حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم ، وقال حدث الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ وقوله تعالى [سيذكر من يخشى] أي سيتعظ بما تبلغه يامحمد من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه [ويتجنبها الاشقى * الذى يصلى النار الكبرى * ثم لايموت فيها ولا يحيى] أي لايموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه بل هي مضرة عليه لان بسببها يشعر مايعاقب به من أليم العذاب وأنواع النكال

قال الامام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن سليمان يعني التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ « أما أهل النار الذين هم أهلها لايموتون ولا يحيون وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم في النار فيدخل عليهم الشفعاء فيأخذ الرجل الضبارة فينبتهم – أو قال – ينبتون في نهر الحيا – أو قال الحياة – أو قال الحيوان – أو قال نهر الجنة – فينبتون نبات الحبة في حميل السيل » قال وقال النبي ﷺ « أما ترون الشجرة تكون خضرا ثم تكون صفراء ثم تكون خضراء؟ » قال فقال بعضهم كأن النبي ﷺ كان بالبادية

(ما ننسخ من آية أو ننسها) والانساء نوع من النسخ وقال مجاهد والكلبي كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله ﷺ بأولها مخافة أن ينساها فأنزل الله (سنقرئك فلا تنسى) فلم ينس بعد ذلك شيئا ﴿ انه يعلم الجهر ﴾ من القول والفعل ﴿ وما يخفى ﴾ منهما والمعنى انه يعلم السر والعلانية ﴿ ونيسرك لليسرى ﴾ قال مقاتل نهون عليك عمل الجنة وهو معنى قول ابن عباس نيسرك لان تعمل خيراً واليسرى عمل الخير وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة، وقيل هو متصل بالكلام الاول معناه انه يعلم الجهر مما تقرأه على جبريل إذا فرغ من التلاوة وما يخفى ما تقرأ في نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى أي نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعلمه ﴿ فذكر ﴾ عظ بالقرآن ﴿ إن نفعت الذكرى ﴾ الموعظة والتذكير والمعنى نفعت أو لم تنفع ولم يذكر الحالة الثانية كقوله (سرابيل تقيكم الحر) وأراد الحر والبرد جميعا ﴿ سيذكر ﴾ سيتعظ ﴿ من يخشى ﴾ الله عز وجل ﴿ ويتجنبها ﴾ أي يتجنب الذكرى ويتباعد عنها

وقال أحمد أيضا حدثنا اسماعيل حدثنا سعيد بن أبي يزيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ « أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لايموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس - أو كما قال - تصيبهم النار بذنوبهم - أو قال بخطاياهم فيميتهم إماتة حتى اذا صاروا فحما أذن في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة فيقال يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل » قال فقال رجل من القوم حينئذ كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية ورواه مسلم من حديث بشر بن المفضل وشعبة كلاهما عن أبي سلمة سعيد بن يزيد به مثله ورواه أحمد أيضا عن يزيد عن سعيد بن إياس الجريرى عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « إن أهل النار الذين لا يريد الله اخراجهم لايموتون فيها ولا يحيون وان أهل النار الذين يريد الله اخراجهم يميتهم فيها إماتة حتى يصيروا فحما ثم يخرجون ضبائر فيلقون على أنهار الجنة فيرش عليهم من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل »

وقد قال الله تعالى اخباراً عن أهل النار [ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال إنكم ما كثون] وقال تعالى [لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها] الى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى

قد أفلح من تزكى (١٤) وذكر اسم ربه فصلى (١٥) بل تؤثرون الحيوة الدنيا (١٦) والآخرة خير وأبقى (١٧) إن هذا لفي الصحف الاولي (١٨) صحف ابراهيم وموسى (١٩)

يقول تعالى [قد أفلح من تزكى] أى طهر نفسه من الاخلاق الرذيلة وتابع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه [وذكر اسم ربه فصلى] أى أقام الصلاة في أوقاتها ابتغاء رضوان الله وطاعة لامر الله وامتثالا لشرع الله

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن أحمد العزرمي حدثنا عمي محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال [قد أفلح من تزكى] قال « من شهد أن لا إله إلا الله ، وخلع الانداد ، وشهد أني رسول الله » [وذكر اسم

﴿ الاشقى ﴾ الشقي في علم الله ﴿ الذي يصلى النار الكبرى ﴾ العظيمة والفظيعة لانها أعظم وأشد حراً من نار الدنيا ﴿ ثم لا يموت فيها ﴾ فيستريح ﴿ ولا يحيى ﴾ حياة تنفعه ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾ تطهر من الشرك وقال لا إله إلا الله هذا قول عطاء وعكرمة ورواية الوالبي وسعيد بن جبير عن ابن عباس وقال الحسن من كان عمله زاكيا وقال آخرون هو صدقة الفطر

روي عن أبي سعيد الخدري في قوله (قد أفلح من تزكى) قال أعطى صدقة الفطر ﴿ وذكر اسم ربه فصلى ﴾ قال خرج إلى العيد فصلى صلاته وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ثم يقرأ هذه الآية وقال نافع كان ابن عمر إذا صلى الغداة يعني من يوم العيد قال يانافع أخرجت الصدقة فان قلت نعم مضى الي المصلي وان قلت لا قال فالآن فاخرج فانما نزلت هذه الآية في هذا (قد أفلح من تزكي

ربه فصلى] « قال هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها » ثم قال لايروى عن جابر إلا من هذا الوجه وكذا قال ابن عباس أن المراد بذلك الصلوات الخمس واختاره ابن جرير

وقال ابن جرير حدثني عمرو بن عبد الحميد الايلي حدثنا مروان بن معاوية عن أبي خلدة قال دخلت على أبي العالية فقال لي اذا غدوت غداً الى العيد فمر بي قال فمررت به فقال هل طعمت شيئاً؟ قلت نعم قال أفضت على نفسك من الماء ؟ قلت نعم قال فاخبرني مافعلت زكاتك ؟ قلت قدوجهتها قال إنما أردتك لهذا ثم قرأ [قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى] وقال ان أهل المدينة لايرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء [قلت] وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس باخراج صدقة الفطر ويتلو هذه الآية [قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى] وقال أبو الاحوص اذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة فليقدم بين يدي صلاته زكاة فان الله تعالى يقول [قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى] وقال قتادة في هذه الآية [قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى] زكى ماله وأرضى خالقه

ثم قال تعالى (بل تؤثرون الحياة الدنيا) أي تقدمونها على أمر الآخرة وتبدونها على مافيه نفعكم وصلاحكم في معاشكم ومعادكم (والآخرة خير وأبقى) أي ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى فان الدنيا دانية فانية والآخرة شريفة باقية فكيف يؤثر عاقل مايفنى على مايبقى ويهتم بما يزول عنه قريبا ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد

قال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا دريد عن أبي اسحاق عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ « الدنيا دار من لادار له ، ومال من لامال له ولها يجمع من لاعقل له »

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا أبو حمزة عن عطاء عن عرفجة

وذكر اسم ربه فصلى) وهو قول أبي العالية وابن سيرين وقال بعضهم لاأدري ماوجه هذا التأويل لان هذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قال الشيخ الامام محيي السنة رحمه الله يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم كما قال (وأنت حل بهذا البلد) فالسورة مكية وظهر أثر الحل يوم الفتح حتى قال عليه الصلاة والسلام « أحلت لي ساعة من نهار » وكذلك نزل بمكة (سيهزم الجمع ويولون الدبر) قال عمر بن الخطاب كنت لا أدري أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر ورأيت النبي ﷺ يثب في الدرع ويقول « سيهزم الجمع ويولون الدبر » (وذكر اسم ربه فصلى) أي وذكر ربه فصلى وقيل الذكر تكبيرات العيد والصلاة صلاة العيد وقيل الصلاة ههنا الدعاء ﴿ بل تؤثرون ﴾ قرأ ابو عمرو ويعقوب بالياء يعني الاشقين الذين ذكروا ، وقرأ الآخرون بالتاء دليله قراءة أبي بن كعب بل أنتم تؤثرون ﴿ الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ﴾ قال عرفجة الاشجعي كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة ؟ قلنا لا قال لان الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها

الثقفي قال : استقرأت ابن مسعود (سبح اسم ربك الاعلى — فلما بلغ — بل تؤثرون الحياة الدنيا) ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال آثرنا الدنيا على الآخرة فسكت القوم فقال آثرنا الدنيا لانا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل، وهذا منه على وجه التواضع والهضم أو هو اخبار عن الجنس من حيث هو والله أعلم

وقد قال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود الهاشمي حدثنا اسماعيل بن جعفر أخبرني عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله عن أبي موسى الاشعري أن رسول الله ﷺ قال « من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا مايبقى على مايفنى » تفرد به أحمد ، وقد رواه أيضاً عن أبي سلمة الخزاعي عن الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو به مثله سواء ، وقوله تعالى (إن هذا لفي الصحف الاولى * صحف ابراهيم وموسى)

قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا نصر بن علي حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (إن هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) قال النبي ﷺ « كان كل هذا — أو كان هذا — في صحف ابراهيم وموسى » ثم قال لا نعلم أسند الثقاة عن عطاء ابن السائب عن عكرمة عن ابن عباس غير هذا وحديثا آخر رواه مثل هذا

وقال النسائي أخبرنا زكريا بن يحيي أخبرنا نصر بن علي حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (سبح اسم ربك الاعلى) قال كلها في صحف ابراهيم وموسى، ولما نزلت (وابراهيم الذي وفى) قال وفى ابراهيم [ألا تزر وازرة وزر أخرى] يعني أن هذه الآية كقوله تعالى في سورة النجم [أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للانسان إلا ماسعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الاوفى * وأن إلى ربك المنتهي] الآيات إلى آخرهن ، وهكذا قال عكرمة فيما رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة في قوله تعالى (إن هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) يقول الآيات التي في سبح اسم ربك الاعلى ، وقال أبو العالية قصة هذه

ونساؤها ولذاتها وبهجتها وان الآخرة نعتت لنا وزويت عنا فاحببنا العاجل وتركنا الآجل ﴿ ان هذا ﴾ يعني ما ذكر من قوله (قد أفلح من تزكي) إلى أربع آيات ﴿ لفي الصحف الاولى ﴾ أي الكتب الاولى التي أنزلت قبل القرآن ذكر فيها فلاح المتزكي والمصلي وإيثار الخلق الدنيا وان الآخرة خير وأبقى ثم بين الصحف فقال ﴿ صحف ابراهيم وموسى ﴾ قال عكرمة والسدي هذه السورة في صحف ابراهيم وموسى

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا ابو بكر احمد بن الحسن الحيري أنا محمد بن احمد بن معقل الميداني ثنا محمد بن يحيي ثنا سعيد بن كثير بن غفير ثنا يحيى بن أيوب عن يحيى بن سعيد عن

السورة في الصحف الاولى ، واختار ابن جرير أن المراد بقوله إن هذا اشارة إلى قوله [قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى] ثم قال تعالى (إن هذا) أي مضمون هذا الكلام (لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) وهذا الذي اختاره حسن قوي وقد روي عن قتادة وابن زيد نحوه والله أعلم

﴿ آخر تفسير سورة سبح ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة ﴾

تفسير سورة الغاشية وهى مكية

قد تقدم عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بسبح اسم ربك الاعلى والغاشية في صلاة العيد ويوم الجمعة

وقال الامام مالك عن ضمرة بن سعيد عن عبيد الله بن عبد الله أن الضحاك بن قيس سأل النعمان ابن بشير بم كان رسول الله ﷺ يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة ؟ قال : هل أتاك حديث الغاشية . رواه أبو داود عن القعنبي والنسائي عن قتيبة كلاهما عن مالك به ، ورواه مسلم وابن ماجه من حديث سفيان ابن عيينة عن ضمرة بن سعيد به

بسم الله الرحمن الرحيم

هل أتـاك حديث الغاشية ؟ (١) وجوه يومئذ خشعة (٢) عاملة ناصبة (٣) تَصلى ناراً حامية (٤) تُسقى من عين آنية (٥) ليس لهم طعام إلا من ضريع (٦) لا يُسْمن ولا يغني من جوع (٧)

عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين اللتين يوتر بعدهما بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون ، وفي الوتر بقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس

﴿ سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ هل أتاك حديث الغاشية ؟ ﴾ قد أتاك حديث القيامة تغشى كل شيء بالاهوال ﴿ وجوه يومئذ ﴾

الغاشية من أسماء يوم القيامة . قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد لانها تغشى الناس وتعمهم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة تقرأ (هل أتاك حديث الغاشية؟) فقام يستمع ويقول « نعم قد جاءني »

وقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة) أي ذليلة قاله قتادة ،وقال ابن عباس تخشع ولا ينفعها عملها وقوله تعالى (عاملة ناصبة) أي قد عملت عملا كثيراً ونصبت فيه وصليت يوم القيامة نارا حامية

قال الحافظ أبو بكر البرقاني حدثنا ابراهيم بن محمد المزكى حدثنا محمد بن اسحاق السراج حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر قال سمعت أبا عمران الجوني يقول مر عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بدير راهب قال فناداه يا راهب فأشرف قال فجعل عمر ينظر اليه ويبكي فقيل له ياأمير المؤمنين مايبكيك من هذا؟ قال ذكرت قول الله عز وجل في كتابه [عاملة ناصبة * تصلى نارا حامية] فذاك الذي أبكاني

وقال البخاري قال ابن عباس (عاملة ناصبة) النصارى ، وعن عكرمة والسدي عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار بالعذاب والاهلاك ، قال ابن عباس والحسن وقتادة (تصلى نارا حامية) أي حارة شديدة الحر (تسقى من عين انية) أي قد انتهى حرها وغليانها ، قاله ابن عباس ومجاهد والحسن والسدي

يعني يوم القيامة ﴿ خاشعة ﴾ ذليلة ﴿ عاملة ناصبة ﴾ قال عطاء عن ابن عباس يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الاسلام من عبدة الاوثان وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم لايقبل الله منهم اجتهاداً في ضلالة يدخلون النار يوم القيامة وهو قول سعيد بن جبير وزيد بن أسلم ومعنى النصب الدأب في العمل بالتعب

وقال عكرمة والسدي عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في الآخرة في النار ، وقال بعضهم عاملة في النار ناصبة فيها قال الحسن لم تعمل لله في الدنيا فأعملها وانصبها في النار بمعالجة السلاسل والاغلال وبه قال قتادة وهي رواية العوفي عن ابن عباس قال ابن مسعود تخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل قال الكلبي يجرون على وجوههم في النار وقال الضحاك يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار والكلام خرج على الوجوه والمراد منها أصحابها ﴿ تصلى نارا ﴾ قرأ أهل البصرة وأبو بكر تصلى بضم التاء اعتبارا بقوله (تسقى من عين آنية) وقرأ الآخرون بفتح التاء ﴿ حامية ﴾ قال ابن عباس قد حميت فهي تتلظى على أعداء الله ﴿ تسقى من عين آنية ﴾ متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم منذ خلقت فدفعوا اليها وردا عطاشا قال المفسرون لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت

وقوله تعالى (ليس لهم طعام إلا من ضريع) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس شجر من النار ، وقال سعيد بن جبير هو الزقوم وعنه أنها الحجارة ، وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابو الجوزاء وقتادة هو الشبرق ، قال قتادة : قريش تسميه في الربيع الشبرق وفي الصيف الضريع ، قال عكرمة وهو شجرة ذات شوك لاطئة بالارض

وقال البخاري قال مجاهد الضريع نبت يقال له الشبرق يسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس وهو سم ، وقال معمر عن قتادة (ليس لهم طعام الا من ضريع) هو الشبرق اذا يبس سمي الضريع ، وقال سعيد عن قتادة (ليس لهم طعام إلا من ضريع) من شر الطعام وأبشعه وأخبثه ، وقوله تعالى (لا يسمن ولا يغني من جوع) يعني لا يحصل به مقصود ولا يندفع به محذور

وجوهٌ يومئذ ناعمة (٨) لسعيها راضية (٩) في جنة عالية (١٠) لا تَسمع فيها لاغيةً (١١) فيها عَين جارية (١٢) فيها سُرُر مرفوعة (١٣) وأكواب موضوعةٌ (١٤) ونمارقُ مصفوفة (١٥) وزرابيُّ مبثوثة (١٦)

لما ذكر حال الاشقياء ثنى بذكر السعداء فقال (وجوه يومئذ) أي يوم القيامة (ناعمة) أي يعرف النعيم فيها وانما حصل لها ذلك بسعيها ، وقال سفيان (لسعيها راضية) قد رضيت عملها

هذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال ﴿ ليس لهم طعام إلا من ضريع ﴾ قال مجاهد وعكرمة وقتادة هو نبت ذو شوكة لاطيء بالارض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو أخبث طعام وأبشعه وهو رواية العوفي عن ابن عباس قال الكلبي لا تقربه دابة اذا يبست قال ابن زيد أما في الدنيا فان الضريع الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة شوك من نار

وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه « الضريع شيء في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حرا من النار » قال أبو الدرداء والحسن ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم الف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنيئة ولا مريئة فلما أدنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها فاذا وصل الى بطونهم قطعها فذلك قوله [وسقوا ماء حميا فقطع امعاءهم] قال المفسرون فلما نزلت هذه الاية قال المشركون ان إبلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فان الابل انما ترعاه ما دام رطبا يسمى شبرقا فاذا يبس لا يأكله شيء فأنزل الله ﴿ لا يسمن ولا يغني من جوع ﴾ ثم وصف أهل الجنة فقال ﴿ وجوه يومئذ ناعمة ﴾ قال مقاتل في نعمة وكرامة ﴿ لسعيها ﴾ في الدنيا ﴿ راضية ﴾ في

وقوله تعالى (في جنةعالية) أي رفيعة بهية في الغرفات آمنون (لاتسمع فيها لاغية) أي لاتسمع في الجنة التي هم فيها كلمة لغو كما قال تعالى (لا يسمعون فيها لغوا الاسلاما) وقال تعالى (لا لغو فيها ولا تأثيم) وقال تعالى (لايسمعون فيها لغوا ولاتأثيما الا قيلا سلاما سلاما) [فيها عين جارية] أي سارحة وهذه نكرة في سياق الاثبات وليس المراد بها عينا واحدة وانما هذا جنس يعنى فيها عيون جاريات قال ابن أبي حاتم قرىء على الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « أنهار الجنة تفجر من تحت تلال -أو من تحت جبال- المسك » [فيهاسرر مرفوعة] أي عالية ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السمك عليها الحور العين قالوا فاذا أراد ولي الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له (وأكواب موضوعة) يعني أواني الشرب معدة موضوعة لمن أرادوها من أربابها (ونمارق مصفوفة) قال ابن عباس النمارق الوسائد وكذاقال عكرمة وقتادة والضحاك والسدي والثوري وغيرهم

وقوله تعالى (وزرابي مبثوثة) قال ابن عباس الزرابي البسط وكذا قال الضحاك وغير واحد ومعنى مبثوثة أى ههنا وههنا لمن أراد الجلوس عليها ، ونذكر ههنا هذا الحديث الذي رواه أبو بكر ابن أبي داود حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبي عن محمد بن مهاجر عن الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى حدثي كريب انه سمع أسامة بن زيد يقول قال رسول الله ﷺ « ألا هل من مشمر للجنة فان الجنة لا خطر لها ، هي ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام في أبد في دار سليمة ، وفاكهة وخضرة ، وحبرة ونعمة ، في محلة عالية بهية ؟ » قالوا نعم يارسول الله نحن المشمرون لها قال « قولوا إن شاء الله » قال القوم إن شاء الله ، ورواه ابن ماجه عن العباس بن عثمان الدمشقي عن الوليد بن مسلم بن محمد بن مهاجر به

أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت ؟ (١٧) وإلى السماء كيف رفعت ؟ (١٨)

الاخرة حين اعطيت الجنة بعملها ﴿ في جنة عالية * لا تسمع فيها لاغية ﴾ لغوا وباطلا قرأ أهل مكة والبصرة لا يسمع بالياء وضمها لاغية رفع ، وقرأ نافع بالتاء وضمها لاغيـة رفع وقرأ الاخرون بالتاء وفتحها لاغية بالنصب على الخطاب للنبي ﷺ ﴿ فيها عين جارية * فيهاسرر مرفوعة ﴾ قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة ما لم يجيء أهلها فاذا أرادان يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع الى موضعها ﴿ وأكواب موضوعة ﴾ عندهم ﴿ ونمارق ﴾ وسائد ومرافق ﴿ مصفوفة ﴾ بعضها بجنب بعض واحدتها نمرقة بضم النون ﴿ وزرابي ﴾ يعني البسط العريضة قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل واحدتها زربية ﴿ مبثوثة ﴾ مبسوطة وقيل متفرقة في المجالس ﴿ أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت؟ ﴾ قال أهل التفسير لما نعت الله تعالى في هذه السورة مافي الجنة

وإلى الجبال كيف نُصبت (١٩) وإلى الارض كيف سُطحت (٢٠) فذكّر إنما أنت مُذكّر (٢١) لستَ عليهم بمصيطِر (٢٢) إلا من تولى و كفر (٢٣) فيعذبه الله العذابَ الاكبر (٢٤) إن الينا إيابهم (٢٥) ثم إن علينا حسابهم (٢٦)

يقول تعالى آمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته (أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت ؟) فانها خلق عجيب وتركيبها غريب فانها في غاية القوة والشدة وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف وتؤكل وينتفع بوبرها ويشرب لبنها ونبهوا بذلك لان العرب غالب دوابهم كانت الابل وكان شريح القاضي يقول اخرجوا بنا حتى ننظر الى الابل كيف خلقت ؟ والى السماء كيف رفعت ؟ أي كيف رفعها الله عز وجل عن الارض هذا الرفع العظيم كما قال تعالى (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) (والى الجبال كيف نصبت) أى جعلت منصوبة فانها ثابتة راسية لئلا تميد الارض بأهلها، وجعل فيها ماجعل من المنافع والمعادن (والى الارض كيف سطحت؟) أي كيف بسطت ومدت ومهدت ؟ فنبه البدوي على الاستدلال بمايشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه والسماء التي فوق رأسه والجبل الذي تجاهه والارض التي تحته على قدرة خالق ذلك وصانعه وانه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف وانه الاله الذي لا يستحق العبادة سواه، وهكذا أقسم ضمام في سؤاله على رسول الله ﷺ كما رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا هاشم ابن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن

عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه فذكر لهم الله تعالى صنعه فقال (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ؟) وكانت الابل أعظم عيش العرب لهم فيها منافع كثيرة فكما صنع لهم ذلك في الدنيا صنع لاهل الجنة فيها ما صنع، وتكلمت الحكماء في وجه تخصيص الابل من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لانهم لم يروا بهيمة قط أعظم منها ولم يشاهدوا الفيل إلا الشاذ منهم، وقال الكلبي لانها تنهض بحملها وهي باركة، وقال قتادة ذكر الله ارتفاع سرر الجنة وفرشها فقالوا كيف نصعدها فأنزل الله هذه الآية وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل أعظم في الاعجوبة؟ فقال أما الفيل فالعرب بعيدة العهد بها ثم هو خنزير لا يركب ظهرها ولا يؤكل لحمها ولا يحلب درها والابل من أعز مال العرب وأنفسها تأكل النوى والقت وتخرج اللبن، وقيل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى ان الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء، وكان شريح القاضي يقول اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر إلى الابل كيف خلقت؟ ﴿والى السماء كيف رفعت؟﴾ عن الارض حتى لا ينالها شيء بغير عمد ﴿والى الجبال كيف نصبت؟﴾ على وجه الارض مرساة لا تزول ﴿والى الارض كيف سطحت؟﴾

شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال يامحمد انه أتانا رسولك فزعم لنا انك تزعم أن الله أرسلك قال « صدق » قال فمن خلق السماء ؟ قال « الله » قال فمن خلق الارض ؟ قال « الله » قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ماجعل ؟ قال « الله » قال فبالذي خلق السماء والارض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك ؟ قال « نعم » قال وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا قال « صدق » قال فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال « نعم » قال وزعم رسولك ان علينا زكاة في أموالنا قال « صدق » قال فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا قال « نعم » قال وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال « صدق » قال ثم ولى فقال والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن شيئا ولا أنقص منهن شيئا فقال النبي ﷺ « ان صدق ليدخلن الجنة » وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد عن أبي النضر هاشم بن القاسم به وعلقه البخاري ورواه الترمذي والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة به

ورواه الامام احمد والبخاري وابو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الليث بن سعد عن سعيد المقبري عن شريك بن عبدالله بن أبي نمر عن أنس به بطوله ، وقال في آخره وأنا ضمام ابن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا إسحاق حدثنا عبدالله بن جعفر حدثني عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال كان رسول الله ﷺ كثيرا ما كان يحدث عن امرأة في الجاهلية على رأس جبل معها ابن صغير لها ترعى غنما فقال لها ابنها ياأمه من خلقك ؟ قالت الله قال فمن خلق أبي ؟ قالت الله قال فمن خلقني ؟ قالت الله قال فمن خلق السماء قالت الله قال فمن خلق الارض قالت الله قال فمن خلق الجبل ؟ قالت الله قال فمن خلق هذه الغنم ؟ قالت الله قال فاني لأسمع لله شأنا وألقى نفسه من الجبل فتقطع قال ابن عمر [كان رسول الله ﷺ كثيرا ما يحدثنا هذا . قال ابن دينار كان ابن عمر كثيرا مايحدثنا بهذا في إسناده ضعف وعبدالله بن جعفر هذا هو المديني ضعفه ولده الامام علي بن المديني وغيره

وقوله تعالى (فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) أي فذكر يامحمد الناس بما أرسلت به اليهم (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) ولهذا قال [لست عليهم بمسيطر] قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما [لست عليهم بجبار] أي لست تخلق الايمان في قلوبهم ، وقال ابن زيد لست بالذي تكرههم على الايمان

قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها

بسطت قال عطاء عن ابن عباس هل يقدر أحد أن يخلق مثل الابل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو يسطح مثل الارض غيري ؟ ﴿ فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ﴾ بمسلط فتقتلهم

وحسابهم على الله عز وجل » ثم قرأ [فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر] وهكذا رواه مسلم في كتاب الايمان والترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننيهما من حديث سفيان بن سعيد الثوري به بهذه الزيادة وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من رواية أبي هريرة بدون ذكر هذه الآية

وقوله تعالى [إلا من تولى وكفر] أي تولى عن العمل باركانه وكفر بالحق بجنانه ولسانه وهذه كقوله تعالى [فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى] ولهذا قال [فيعذبه الله العذاب الاكبر]

قال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن سعيد بن أبي هلال عن علي بن خالد أن أبا امامة الباهلي مر على خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد عن الله شراد البعير على أهله » تفرد باخراجه الامام احمد وعلي بن خالد هذا ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه ولم يزد على ماههنا روى عن أبي امامة وعنه سعيد بن أبي هلال

وقوله تعالى [إن الينا إيابهم] اى مرجعهم ومنقلبهم [ثم إن علينا حسابهم] أى نحن نحاسبهم على اعمالهم ونجازيهم بها ان خيراً فخير وان شراً فشر

﴿ آخر تفسير سورة الغاشية ولله الحمد والمنة ﴾

وتكرههم على الايمان نسختها آية القتال ﴿ الا من تولى ﴾ استثناء منقطع عما قبله معناه لكن من تولى ﴿ وكفر ﴾ بعد التذكير ﴿ فيعذبه الله العذاب الاكبر ﴾ وهو أن يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والقتل والاسر ﴿ إن إلينا إيابهم ﴾ رجوعهم بعد الموت يقال آب يؤب أوبا وإيابا، وقرأ أبو جعفر إيابهم بتشديد الياء وهو شاذ لم يجزه أحد غير الزجاج فانه قال يقال أيب إيابا على فعل فيعالا ﴿ ثم ان علينا حسابهم ﴾ يعني جزاءهم بعد المرجع الى الله عز وجل



تفسير سورة الفجر وهى مكية

قال النسائي أنا عبد الوهاب بن الحكم أخبرني يحي بن سعيد عن سليمان عن محارب بن دثار وأبي صالح عن جابر قال صلى معاذ صلاة فجاء رجل فصلى معه فطول فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف فبلغ ذلك معاذاً فقال منافق فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فسأل الفتى فقال يارسول الله جئت أصلي معه فطول علي فانصرفت وصليت في ناحية المسجد فعلفت ناقتي فقال رسول الله ﷺ «أفتانا يامعاذ؟ أين أنت من سبح اسم ربك الاعلى - والشمس وضحاها - والفجر - والليل اذا يغشى»

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر (١) وليال عشر (٢) والشفع والوتر (٣) والليل اذا يسر (٤) هل في ذلك قسم لذي حجر؟ (٥) ألم تر كيف فعل ربك بعاد؟ (٦) إرم ذات العماد (٧) التي لم يخلق مثلها في البلد (٨) وثمود الذين جابوا الصخر بالواد (٩) وفرعون ذي الاوتاد (١٠) الذين طغوا في البلد (١١) فأكثروا فيها الفساد (١٢) فصب عليهم ربك سوط عذاب (١٣) إن ربك لبالمرصاد (١٤)

أما الفجر فمعروف وهو الصبح قاله علي وابن عباس وعكرمة ومجاهد والسدي وعن مسروق ومحمد بن كعب المراد به فجر يوم النحر خاصة وهوخاتمة الليالي العشر، وقيل المراد بذلك الصلاة التي تفعل عنده كما قاله عكرمة وقيل المراد به جميع النهار وهو رواية عن ابن عباس، والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف

وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس مرفوعا «مامن أيام العمل الصالح أحب الى الله فيهن من هـذه الايام» يعني عشر ذي الحجة قالوا ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء» وقيل المراد بذلك العشر الاول

﴿سورة الفجر مكية وهى ثلاثون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والفجر﴾ أقسم الله عز وجل بالفجر روى أبو صالح عن ابن عباس قال هو انفجار الصبح كل يوم وهو قول عكرمة وقال عطية عنه صلاة الصبح وقال قتادة هو فجر أول يوم من المحرم تنفجر

من المحرم حكاه أبو جعفر ابن جرير ولم يعزه الى أحد وقد روى أبو كدينة عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس (وليال عشر) قال هو العشر الاول من رمضان

والصحيح القول الاول . قال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عياش بن عقبة حدثني خير بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال « إن العشر عشر الاضحى ، والوتر يوم عرفة ، والشفع يوم النحر » ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبدة بن عبد الله وكل منهما عن زيد ابن الحباب به ، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زيد بن الحباب به وهذا اسناد رجاله لا بأس بهم وعندي أن المتن في رفعه نكارة والله أعلم

وقوله تعالى (والشفع والوتر) قد تقدم في هذا الحديث أن الوتر يوم عرفة لكونه التاسع وان الشفع يوم النحر لكونه العاشر وقاله ابن عباس وعكرمة والضحاك أيضاً

﴿ قول ثان ﴾ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثني عقبة بن خالد عن واصل بن السائب قال سألت عطاء عن قوله تعالى (والشفع والوتر) قلت صلاتنا وترنا هذا؟ قال لا ولكن الشفع يوم عرفة والوتر ليلة الاضحى

﴿ قول ثالث ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عامر بن ابراهيم الاصبهاني حدثني أبي عن النعمان يعني ابن عبد السلام عن أبي سعيد بن عوف حدثني بمكة قال سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن الشفع والوتر فقال الشفع قول الله تعالى (فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه) والوتر قوله تعالى (ومن تأخر فلا اثم عليه) وقال ابن جريج أخبرني محمد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول الشفع أوسط أيام التشريق والوتر آخر أيام التشريق . وفي الصحيحين من رواية أبي هريرة عن رسول الله ﷺ « إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر »

﴿ قول رابع ﴾ قال الحسن البصري وزيد بن أسلم الخلق كلهم شفع ووتر أقسم تعالى بخلقه وهو رواية عن مجاهد والمشهور عنه الاول وقال العوفي عن ابن عباس (والشفع والوتر) قال الله وتر واحد وأنتم شفع ويقال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب

منه السنة وقال الضحاك فجر ذي الحجة لانه قرن به الليالي العشر ﴿ وليال عشر ﴾ روي عن ابن عباس انها العشر الاول من ذي الحجة وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك والسدي والكلبي وقال أبو روق عن الضحاك هي العشر الاول من شهر رمضان وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال هي العشر الاواخر من شهر رمضان ، وقال يمان بن رباب هي العشر الاول من المحرم التي عاشرها يوم عاشوراء ﴿ والشفع والوتر ﴾ قرأ حمزة والكسائي الوتر بكسر الواو وقرأ الاخرون بفتحها ، واختلفوا في الشفع والوتر قيل الشفع الخلق قال الله تعالى (وخلقناكم أزواجا) والوتر هو الله عز وجل روي ذلك عن أبي سعيد

﴿ قول خامس ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد[١] والشفع والوتر) قال الشفع الزوج والوتر الله عز وجل وقال أبو عبد الله عن مجاهد الله الوتر وخلقه الشفع الذكر والانثى وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله (والشفع والوتر) كل شيء خلقه الله شفع، السماء والارض والبر والبحر والجن والانس والشمس والقمر ونحو هذا ونحا مجاهد في هذا ماذكروه في قوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) أي لتعلموا أن خالق الازواج واحد

﴿ قول سادس ﴾ قال قتادة عن الحسن والشفع والوتر هو العدد منه شفع ومنه وتر

﴿ قول سابع في الآية الكريمة ﴾ رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن جريج ، ثم قال ابن جرير وروي عن النبي ﷺ خبر يؤيد القول الذي ذكرنا عن ابي الزبير حدثني عبد الله بن أبي زياد القطواني حدثنا زيد بن الحباب أخبرني عياش بن عتبة حدثني حر بن نعيم عن ابي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال « الشفع اليومان والوتر اليوم الثالث » هكذاورد هذا الخبر بهذا اللفظ وهو مخالف لما تقدم من اللفظ في رواية أحمد والنسائي وابن أبي حاتم وما رواه هو أيضا والله أعلم

قال أبو العالية والربيع بن أنس وغيرهما هي الصلاة منها شفع كالرباعية والثنائية ومنها وتر كالمغرب فانها ثلاث وهي وتر النهار وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجد من الليل

وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن عمران بن حصين (والشفع والوتر) قال هي الصلاة المكتوبة منها شفع ومنها وتر وهذا منقطع وموقوف ولفظه خاص بالمكتوبة وقد روي متصلا مرفوعا إلى النبي ﷺ ولفظه عام

قال الامام أحمد حدثنا أبو داود هو الطيالسي حدثنا همام عن قتادة عن عمران بن عصام أن شيخنا حدثه من أهل البصرة عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ سئل عن الشفع والوتر فقال « هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر » هكذا وقع في المسند ، وكذا رواه ابن جرير عن بندار عن عفان

الخدري وهو قول عطية العوفي ، وقال مجاهد ومسروق الشفع الخلق كله كما قال الله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين) الكفر والايمان والهدى والضلال والسعادة والشقاء والليل والنهار والسماء والارض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والانس ، والوتر هو الله

قال الله تعالى (قل هو الله أحد) قال الحسن وابن زيد الشفع والوتر الخلق كله منه شفع ومنه وتر وروى قتادة عن الحسن قال هو العدد منه شفع ومنه وتر ، وقال قتادة هما الصلوات منها شفع ومنها وتر وروي ذلك عن عمران بن حصين مرفوعا ، وروى عطية عن ابن عباس الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب ، وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع يوم النفر الاول والوتر يوم النفر الاخير ، روي أن رجلا سأله عن الشفع والوتر والليالي العشر فقال ، أما الشفع والوتر فقول الله عز وجل (فمن تعجل

وعن أبي كريب عن عبيد الله بن موسى كلاهما عن همام وهو ابن يحيي عن قتادة عن عمران بن عصام عن شيخ عن عمران بن حصين ، وكذا رواه أبو عيسى الترمذي عن عمرو بن علي عن ابن مهدي وأبي داود كلاهما عن همام عن قتادة عن عمران بن عصام عن رجل من أهل البصرة عن عمران بن حصين به ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة ، وقد رواه خالد بن قيس أيضا عن قتادة وقد روي عن عمران بن عصام عن عمران نفسه والله أعلم

(قلت) ورواه ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا همام عن قتادة عن عمران بن عصام الضبعي شيخ من أهل البصرة عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ فذكره هكذا رأيته في تفسيره فجعل الشيخ البصري هو عمران بن عصام

وهكذا رواه ابن جرير أخبرنا نصر بن علي حدثني أبي حدثني خالد بن أويس [1] عن قتادة عن عمران ابن عصام عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ في الشفع والوتر قال « هي الصلاة منها شفع ومنها وتر » فأسقط ذكر الشيخ المبهم وتفرد به عمران بن عصام الضبعي أبو عمارة البصري امام مسجد بني ضبيعة وهو والد أبي جمرة نصر بن عمران الضبعي روى عنه قتادة وابنه أبو جمرة والمثنى بن سعيد وأبو التياح يزيد بن حميد وذكره ابن حبان في كتاب الثقاة وذكره خليفة بن خياط في التابعين من أهل البصرة وكان شريفا نبيلا حظيا عند الحجاج بن يوسف ثم قتله يوم الراوية سنة ثنتين وثمانين لخروجه مع ابن الاشعث وليس له عند الترمذي سوى هذا الحديث الواحد، وعندي أن وقفه على عمران ابن حصين أشبه والله أعلم ولم يجزم ابن جرير بشيء من هذه الاقوال في الشفع والوتر

وقوله تعالى (والليل اذا يسر) قال العوفي عن ابن عباس أي اذا ذهب ، وقال عبد الله بن الزبير (والليل اذا يسر) حتى يذهب بعضه بعضا ، وقال مجاهد وأبو العالية وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد (والليل اذا يسر) اذا سار وهذا يمكن حمله على ماقال ابن عباس أي ذهب ويحتمل أن يكون المراد اذا سار أي أقبل وقد يقال ان هذا أنسب لانه في مقابلة قوله (والفجر) فان

(١) هكذا في النسخة المكية ولكن في تفسير ابن جرير أنه خالد بن قيس وهو أشبه

في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه) فهما الشفع والوتر ، وأما الليالي العشر فالثمان وعرفة والنحر وقال مقاتل بن حيان الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيامة وقال الحسين بن الفضل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها سبع كانه أقسم بالجنة والنار ، وسئل أبو بكر الوراق عن الشفع والوتر فقال الشفع تضاد اوصاف المخلوقين من العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر والعمى والحياة والموت ، والوتر انفراد صفات الله عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل وحياة بلا موت ﴿ والليل إذا يسر ﴾ أي اذا سار وذهب كما قال (والليل إذ أدبر) وقال قتادة اذا جاء وأقبل وأراد كل ليلة وقال

الفجر هو اقبال النهار وادبار الليل فاذا حمل قوله (والليل اذا يسر) على اقباله كان قسما باقبال الليل وادبار النهار وبالعكس كقوله [والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس] وكذا قال الضحاك (والليل اذا يسر) أي يجري ، وقال عكرمة (والليل اذا يسر) يعني ليلة جمع ليلة المزدلفة . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عامر عن كثير بن عبد الله بن عمرو قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول في قوله (والليل اذا يسر) قال اسر ياسار ولا تبيتن الا بجمع وقوله تعالى (هل في ذلك قسم لذي حجر ؟) أي لذي عقل ولب ودين وحجى ، وانما سمي العقل حجراً لأنه يمنع الانسان من تعاطي مالا يليق به من الافعال والاقوال ، ومنه حجر البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامي ، ومنه حجر اليمامة ، وحجر الحاكم على فلان اذا منعه التصرف (ويقولون حجراً محجوراً) كل هذا من قبيل واحد ومعنى متقارب ، وهذا القسم هو بأوقات العبادة وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التي يتقرب بها اليه عباده المتقون المطيعون له الخائفون منه المتواضعون لديه الخاشعون لوجهه الكريم

ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ؟) وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين خارجين عن طاعته مكذبين لرسله جاحدين لكتبه فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم وجعلهم أحاديث وعبراً فقال (ألم تر كيف فعل ربك بعاد * ارم ذات العماد ؟) وهؤلاء عاد الاولى وهم ولد عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح . قاله ابن اسحاق وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هوداً عليه السلام فكذبوه وخالفوه فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلكهم بريح صرصر

مجاهد وعكرمة والكلبي هي ليلة المزدلفة ، قرأ أهل الحجاز والبصرة يسري بالياء في الوصل ويقف ابن كثير ويعقوب بالياء أيضا والباقون يحذفونها في الحالين ، فمن حذف فلوفاق رءوس الآي ومن أثبت فلأنها لام الفعل والفعل لا يحذف منه في الوقف نحو قوله هو يقضي وأنا أقضي وسئل الاخفش عن العلة في سقوط الياء فقال الليل لا يسري ولكن يسرى فيه فهو مصروف فلما صرفه بخسه حقه من الاعراب كقوله (وما كانت أمك بغيا) ولم يقل بغية لانه صرف من باغية ﴿ هل في ذلك ﴾ أي فيما ذكرت ﴿ قسم ﴾ أي مقنع ومكتفى في القسم ﴿ لذي حجر ؟ ﴾ لذي عقل سمي بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا يجمل كما يسمى عقلا لانه يعقله عن القبائح ونهى لانه ينهى عما لا ينبغي وأصل الحجر المنع ، وجواب القسم قوله (ان ربك لبالمرصاد) واعترض بين القسم وجوابه قوله عز وجل ﴿ ألم تر ﴾ قال الفراء ألم تخبر وقال الزجاج ألم تعلم ومعناه التعجب ﴿ كيف فعل ربك بعاد إرم ؟ ﴾ يخوف أهل مكة يعني كيف أهلكهم وهم كانوا أطول أعمارا وأشد قوة من هؤلاء ، واختلفوا في إرم فقال سعيد بن المسيب إرم ﴿ ذات العماد ﴾ دمشق وبه قال عكرمة وقال القرظي هي الاسكندرية وقال مجاهد

عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية ؟ وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع ليعتبر بمصرعهم المؤمنون فقوله تعالى (ارم ذات العماد) عطف بيان زيادة تعريف بهم

وقوله تعالى [ذات العماد] لانهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالاعمدة الشداد وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشا ، ولهذا ذكرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم الى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم فقال (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين) وقال تعالى (فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ؟) وقال ههنا [التي لم يخلق مثلها في البلاد] أي القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم ، قال مجاهد إرم أمة قديمة يعني عادا الاولى قال قتادة بن دعامة والسدي ان إرم بيت مملكة عاد ، وهذا قول حسن جيد قوي

وقال مجاهد وقتادة والكلبي في قوله [ذات العماد] كانوا أهل عمد لا يقيمون ، وقال العوفي عن ابن عباس انما قيل لهم ذات العماد لطولهم ، واختار الاول ابن جرير ورد الثاني فأصاب

وقوله تعالى [التي لم يخلق مثلها في البلاد] أعاد ابن زيد الضمير على العماد لارتفاعها وقال بنوا عمداً بالاحقاف لم يخلق مثلها في البلاد ، وأما قتادة وابن جرير فأعاد الضمير على القبيلة أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في البلاد يعني في زمانهم ، وهذا القول هو الصواب ، وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه ضعيف لانه لو كان المراد ذلك لقال التي لم يعمل مثلها في البلاد وانما قال (لم يخلق مثلها في البلاد)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني معاوية بن صالح عمن حدثه عن المقدام عن النبي ﷺ انه ذكر إرم ذات العماد فقال « كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم » ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو الطاهر حدثنا أنس بن عياض عن ثور بن زيد الديلي قال قرأت كتابا قد سمى حيث قرأه أنا شداد بن عاد وأنا الذي رفعت العماد وأنا الذي شددت بذراعي نظر واحد وأنا الذي كنزت كنزا على سبعة أذرع لا يخرجه إلا امة محمد

هي ابه وقيل معناها القديمة وقال قتادة ومقاتل هم قبيلة من عاد قال مقاتل كان فيهم الملك وكانوا بمهرة وكان عاد أباهم فنسبهم اليه وهو ارم بن عاد بن سيم بن سام بن نوح ، وقال محمد بن اسحاق هو جد عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ، وقال الكلبي ارم هو الذي يجتمع اليه نسب عاد وثمود واهل السواد وأهل الجزيرة كان يقال عاد ارم وثمود ارم فأهلك الله عادا ثم ثمود وبقي أهل السواد والجزيرة وكانوا أهل عمد وخيام وماشية سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا أهل جنان وزروع ومنازلهم بوادي القرى وهي التي يقول الله فيها ﴿ التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾

ﷺ [قلت] فعلى كل قول سواء كانت العماد أبنية بنوها أو أعمدة بيوتهم للبدو أو سلاحا يقاتلون به أو طول الواحد منهم فهم قبيلة وأمة من الامم وهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع المقرونون بثمود كما ههنا والله أعلم

ومن زعم أن المراد بقوله (إرم ذات العماد) مدينة إما دمشق كما روي عن سعيد بن المسيب وعكرمة أو اسكندرية كما روي عن القرظي أو غيرهما ففيه نظر فانه كيف يلتئم الكلام على هذا (ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد؟) ان جعل ذلك بدلا أو عطف بيان ؟ فانه لا ينسق الكلام حينئذ ، ثم المراد انما هو الاخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد لا أن المراد الاخبار عن مدينة أو إقليم . وانما نبهت على ذلك لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها إرم ذات العماد مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها وان حصباءها لآلئ وجواهر وترابها بنادق المسك وأنهارها سارحة وثمارها ساقطة ودورها لا أنيس بها وسورها وأبوابها تصفر ليس بها داع ولا مجيب ، وانها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام وتارة باليمن وتارة بالعراق وتارة بغير ذلك من البلاد فان هذا كله من خرافات الاسرائيليين من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك القول الجهلة من الناس ان تصدقهم في جميع ذلك

وذكر الثعلبي وغيره ان رجلا من الاعراب وهو عبدالله بن قلابة في زمان معاوية ذهب في طلب أباعر له شردت فبينما هو يتيه في ابتغائها اذا طلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب فدخلها فوجد فيها قريبا مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التي تقدم ذكرها وانه رجع فأخبر الناس فذهبوا معه الى المكان الذي قال فلم يروا شيئا . وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة إرم ذات العماد ههنا مطولة جدا فهذه الحكاية ليس يصح اسنادها ولو صح الى ذلك الاعرابي فقد يكون اختلق ذلك أو انه أصابه نوع من الهوس والخبال فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج وليس كذلك، وهذا مما يقطع بعدم صحته ، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيلين من وجود مطالب تحت الارض فيها قناطير الذهب والفضة وألوان الجواهر واليواقيت واللآلي والاكسير الكبير لكن عليها موانع تمنع من الوصول اليها والاخذ منها فيحتالون على أموال الاغنياء والضعفة والسفهاء فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاقير ونحو ذلك من الهذيانات ويطنزون بهم، والذي يجزم به أن في الارض دفائن جاهلية واسلامية وكنوزاً

وسموا ذات العماد لهذا لأنهم كانوا اهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي ورواية عطاء عن ابن عباس وقال بعضهم سموا ذات العماد لطول قامتهم قال ابن عباس يعني طولهم مثل العماد وقال مقاتل كان طول احدهم اثني عشر ذراعا

وقوله (لم يخلق مثلها في البلاد) أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وهم الذين قالوا (من أشد منا قوة ؟) وقيل سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيد عمده ورفع بناءه يقال بناه شداد بن عاد

كثيرة من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله ،فأما على الصفة التي زعموها فكذب وافتراء وبهت ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم والله سبحانه وتعالى الهادى للصواب وقول ابن جرير يحتمل أن يكون المراد بقوله (إرم ذات العماد) قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تصرف .فيه نظر لان المراد من السياق إنما هو الاخبار عن القبيلة ولهذا قال بعده (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) يعني يقطعون الصخر بالوادي قال ابن عباس ينحتونها ويخرقونها وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد ومنـه يقال مجتابي النمار اذا خرقوها واجتاب الثوب اذا فتحه ومنه الجيب أيضا وقال الله تعالى (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) وأنشد ابن جرير وابن أبي حاتم ههنا قول الشاعر

ألا كل شيء ماخلا الله بائد　　كما باد حي من شنيف ومارد

هم ضربوا في كل صماء صعدة　　بأيد شداد أيدات السواعد

وقال ابن اسحاق كانوا عربا وكان منزلهم بوادي القرى وقد ذكرنا قصة عاد مستقصاة في سورة الاعراف بما أغنى عن إعادته . وقوله تعالى (وفرعون ذي الاوتاد) قال العوفي عن ابن عباس الاوتاد

على صفة لم يخلق في الدنيا مثله وسار اليه في قومه فلما كان منه على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى قومه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا ﴿وثمود﴾ أي وبثمود ﴿الذين جابوا الصخر﴾ قطعوا الحجر واحدتها صخره ﴿ بالواد ﴾ يعنى وادي القرى كانوا يقطعون الجبال فيجعلون فيها بيوتا ، وأثبت ابن كثير ويعقوب الياء في الوادي وصلا ووقفا على الاصـل وأثبتها ورش وصلا والآخرون يحـذفونها في الحالين على وفق رءوس الآي ﴿ وفرعون ذي الاوتاد ﴾ سمي بذلك لانه كان يعذب الناس بالاوتاد وقد ذكرناه في سورة ص

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا ابن فنجويه ثنا مخلد بن جعفر ثنا الحسن ابن علويه ثنا اسماعيل بن عيسى ثنا إسحاق بن بشر عن ابن سمعان عن عطاء عن ابن عباس أن فرعون انما سمي ذا الاوتاد لانه كانت له امرأة وهي امرأة خازنه حزبيل وكان مؤمنا كتم إيمانه مائة سنة وكانت امرأته ماشطة تمشط بنت فرعون، فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من إله غير أبي ؟ فقالت إلهي وإله أبيك وإله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت فدخلت على أبيها وهي تبكي فقال مايبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم أن إلهك وإلهها وإله السموات والارض واحد لاشريك له ،فارسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفري بالهك وأقري بأني إلهك قالت لاأفعل فمدها بين أربعة أوتادا ثم أرسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والا عذبتك بهـذا العذاب شهرين فقالت له لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى

الجنود الذين يشدون له أمره ويقال كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها وكذا قال مجاهد كان يوتد الناس بالاوتاد وهكذا قال سعيد بن جبير والحسن والسدي قال السدي كان يربط الرجل في كل قائمة من قوائمه في وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فيشدخه وقال قتادة بلغنا أنه كان له مطال وملاعب يلعب له تحتها من أوتاد وحبال وقال ثابت البناني عن أبي رافع قيل لفرعون ذي الاوتاد لانه ضرب لامرأته أربعة أوتاد ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت

وقوله تعالى (الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد) أي تمردوا وعتوا وعاثوا في الارض

فذبحا على فيها وقال لها اكفري بالله وإلا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعاً فقالت لو ذبحت من على وجه الارض على في ما كفرت بالله عز وجل فأتى بابنتها الصغرى فلما اضجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة، فأطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا أطفالا فقالت يا أماه لا تجزعي فان الله قد بنى لك بيتاً في الجنة اصبري فانك تفضين إلى رحمة الله وكرامته فذبحت فلم تلبث أن ماتت فأسكنها الله الجنة، قال وبعث في طلب زوجها حزبيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه قد رئي في موضع كذا في جبل كذا وكذا فبعث رجلين في طلبه فانتهيا اليه وهو يصلي ويليه صفوف من الوحش خلفه يصلون ولما رأيا ذلك انصرفا فقال حزبيل اللهم انك تعلم أني كتمت إيماني مائة سنة ولم يظهر علي أحد فأيما هذين الرجلين كتم علي فاهده إلى دينك وأعطه من الدنيا سؤله وأيما هذين الرجلين أظهر علي فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الآخرة إلى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فأما أحدهما فاعتبر وآمن وأما الآخر فأخبر فرعون بالقصة على رءوس الملأ فقال له فرعون وهل كان معك غيرك؟ قال نعم فلان فدعا به فقال أحق مايقول هذا؟ قال لا مارأيت مما قال شيئاً فأعطاه فرعون وأجزل وأما الآخر فقتله ثم صلبه. قال وكان فرعون قد تزوج امرأة من أجمل نساء بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ماصنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعني أن أصبر على ما يأتي من فرعون وأنا مسلمة وهو كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يافرعون أنت شر الخلق وأخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي كان بها قالت مابي من جنون وان الهي والهها والهك واله السموات والارض واحد لاشريك له فمزق عليها ثيابها وضربها وأرسل الى أبويها فدعاهما فقال لهما ألا تريان أن الجنون الذي كان بالماشطة أصابها؟ قالت أعوذ بالله من ذلك إني أشهد أن ربي وربك ورب السموات والارض واحد لاشريك له فقال أبوها يا آسية ألست من خير نساء العماليق وزوجك إله العماليق؟ قالت أعوذ بالله من ذلك ان كان ماتقول حقا فقولا له أن يتوجني تاجا تكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجا عني فمدها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها مايصنع بها فرعون فعند ذلك قالت (رب ابن لي عندك بيتها في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني

بالافساد والاذية للناس (فصب عليهم ربك سوط عذاب) أي أنزل عليهم رجزاً من السماء وأحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين

وقوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) قال ابن عباس يسمع ويرى يعني يرصد خلقه فيما يعملون ويجازي كلا بسعيه في الدنيا والاخرى وسيعرض الخلائق كلهم عليه فيحكم فيهم بعدله ويقابل كلا بما يستحقه وهو المنزه عن الظلم والجور

وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا جداً وفي اسناده نظر ، وفي صحته فقال حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا يونس الحذاء عن أبي حمزة البيساني عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ « يامعاذ إن المؤمن لدى الحق أسير ، يامعاذ إن المؤمن لا يسكن روعه ولا يأمن اضطرابه حتى يخلف جسر جهنم خلف ظهره ، يامعاذ إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته وعن أن يهلك فيها هو باذن الله عز وجل فالقرآن دليله ، والخوف محجته ، والشوق مطيته ، والصلاة كهفه ، والصوم جنته ، والصدقة فكاكه ، والصدق أميره ، والحياء وزيره ، وربه عز وجل من وراء ذلك كله بالمرصاد » قال ابن أبي حاتم يونس الحذاء وأبو حمزة مجهولان وأبو حمزة عن معاذ مرسل ولو كان عن أبي حمزة لكان حسنا أي لو كان من كلامه لكان حسنا

ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أيفع عن ابن عبد الكلاعي أنه سمعه وهو يعظ الناس يقول إن لجهنم سبع قناطر قال والصراط عليهن قال فيحبس الخلائق عند القنطرة الاولى فيقول (قفوهم إنهم مسؤولون) قال فيحاسبون على الصلاة ويسئلون عنها قال فيهلك فيها من هلك وينجو من نجا ، فاذا بلغوا القنطرة الثانية حوسبوا على الامانة كيف أدوها وكيف خانوها قال فيهلك من هلك وينجو من نجا ، فاذا بلغوا القنطرة الثالثة سئلوا عن الرحم كيف وصلوها وكيف قطعوها قال فيهلك من هلك وينجو من نجا ، قال والرحم يومئذ متدلية الى الهوي في جهنم تقول اللهم من وصلني فصله ، ومن قطعني فاقطعه قال وهي التي يقول الله عز وجل (إن ربك لبالمرصاد) هكذا أورد هذا الأثر ولم يذكر تمامه

من القوم الظالمين فقبض الله روحها وأسكنها الجنة ﴿الذين طغوا في البلاد﴾ يعني عاداً وثمود وفرعون عملوا في الارض بالمعاصي وتجبروا ﴿فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾ قال قتادة يعني لونا من العذاب صبه عليهم قال أهل المعاني هذا على الاستعارة لان السوط عندهم غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع من العذاب قال الزجاج جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ قال ابن عباس يعني بحيث يرى ويسمع ويبصر ما تقول وتفعل وتهجس به العباد قال الكلبي عليه طريق العباد لا يفوته أحد قال مقاتل ممر الناس عليه والمرصاد والمرصد الطريق وقيل مرجع الخلق إلى حكمه وأمره واليه مصيرهم

فاما الانسن اذا ما ابتلٰه ربه فاكرمه و نعَّمه فيقول ربى أكرمن (١٥) وأما إذا ما ابتلٰه

فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهٰنن (١٦) كلا بل لا تكرمون اليتيم (١٧) ولا تحٰضون على

طعام المسكين (١٨) وتأكلون التراث أكلا لمًّا (١٩) وتحبون المال حبا جمًّا (٢٠)

يقول تعالى منكراً على الانسان في اعتقاده اذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في ذلك فيعتقد أن ذلك من الله اكرام له وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى (أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وكذلك في الجانب الآخر اذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له قال الله تعالى (كلا) أي ليس الامر كما زعم لا في هذا ولا في هذا فان الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب ويضيق على من يحب ومن لا يحب وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين اذا كان غنيا بأن يشكر الله على ذلك واذا كان فقيراً بأن يصبر

وقوله تعالى (بل لا تكرمون اليتيم) فيه أمر بالاكرام له كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله ابن المبارك عن سعيد بن أيوب عن يحيى بن سليمان عن يزيد بن أبي غياث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه - ثم قال بأصبعه - أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا »

وقال الحسن وعكرمة يرصد أعمال بني آدم، والمعنى انه لا يفوته شيء من أعمال العباد كما لا يفوت من هو بالمرصاد وقال السدي أرصد الله النار على طريقهم حتى يهلكهم ﴿ فأما الانسان إذا ما ابتلاه ﴾ امتحنه ﴿ ربه ﴾ بالنعمة ﴿ فأكرمه ﴾ بالمال ﴿ ونعمه ﴾ بما وسع عليه ﴿ فيقول ربي أكرمن ﴾ بما أعطاني ﴿ وأما اذا ما ابتلاه ﴾ بالفقر ﴿ فقدر عليه رزقه ﴾ قرأ ابو جعفر وابن عامر فقدر بتشديد الدال وقرأ الآخرون بالتخفيف وهما لغتان أي ضيق عليه رزقه وقيل قدر بمعنى قتر وأعطاه قدر ما يكفيه ﴿ فيقول ربي أهانن ﴾ أذلني بالفقر وهذا يعني به الكافر تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته، قال الكلبي ومقاتل نزلت في أمية بن خلف الجمحي الكافر فرد الله على من ظن أن سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة فقال ﴿ كلا ﴾ لم أبتله بالغنى لكرامته ولم أبتله بالفقر لهوانه فأخبر أن الاكرام والاهانة لا تدور على المال وسعة الرزق ولكن الفقر والغنى بتقديره فيوسع على الكافر لا لكرامته ويقدر على المؤمن لا لهوانه انما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته، قرأ أهل الحجاز والبصرة أكرمني وأهانني باثبات الياء في الوصل ويقف ابن كثير ويعقوب بالياء والآخرون يحذفونها وصلا ووقفا ﴿ بل لا تكرمون اليتيم ﴾ قرأ أهل البصرة يكرمون ويحضون ويأكلون ويحبون بالياء فيهن . وقرأ

وقال أبو داود حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان أخبرنا عبد العزيز يعني ابن أبي حازم حدثني أبي عن سهل يعني ابن سعيد أن رسول الله ﷺ قال « أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة » وقرن بين أصابعه الوسطى والتي تلي الابهام (ولا تحاضون على طعام المسكين) يعني لا يأمرون بالاحسان الى الفقراء والمساكين ويحث بعضهم على بعض في ذلك (وتأكلون التراث) يعني الميراث (أكلا لما) أي من أي جهة حصل لهم من حلال أو حرام (وتحبون المال حبا جما) أي كثيرا زاد بعضهم فاحشا

كلا إذا دُكَّتِ الارض دَكًّا دَكًّا (٢١) وجاء ربك والملك صَفًّا صَفًّا (٢٢) وجيء يومئذ بجهنم ، يومئذ يتذكرُ الانسن وأنّى له الذكرى (٢٣) يقول يٰليتني قدَّمت لحياتي (٢٤) فيومئذ لا يعذِّب عذابَه أحد (٢٥) ولا يوثِقُ وثاقه أحد (٢٦) يا أيتُّها النفس المطمئنة (٢٧) ارجعي إلى ربك راضية مَرْضية (٢٨) فادخلي في عبٰدي (٢٩) وادخلي جَنتي (٣٠)

يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الاهوال العظيمة فقال تعالى [كلا] أي حقا [اذا دكت الارض دكا دكا] أي وطئت ومهدت وسويت الارض والجبال وقام الخلائق من قبورهم لربهم [وجاء ربك] يعني لفصل القضاء بين خلقه ، وذلك بعد ما يستشفعون اليه بسيد ولد آدم على الاطلاق محمد صلوات الله وسلامه عليه بعد ما يسألون أولي العزم من الرسل واحدا بعد واحدا فكلهم يقول لست بصاحب ذاكم حتى تنتهي النوبة إلى محمد ﷺ فيقول « أنا لها أنا لها » فيذهب فيشفع عند الله تعالى في أن

الآخرون بالتاء . لا تكرمون اليتيم لا تحسنون اليه وقيل لا تعطونه حقه ، قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما في حجر أمية بن خلف فكان يدفعه عن حقه ﴿ ولا تحاضون على طعام المسكين ﴾ أي لا تأمرون باطعامه وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة تحاضون بفتح الحاء وألف بعدها أي لا يحض بعضكم بعضا عليه ﴿ وتأكلون التراث ﴾ أي الميراث ﴿ أكلا لما ﴾ شديداً يأكل نصيبه ونصيب غيره ، وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون نصيبهم ، قال ابن زيد الاكل اللم الذي يأكل كل شيء يجده لا يسأل عنه أحلال هو أم حرام ويأكل الذي له ولغيره يقال لممت ما على الخوان اذا أتيت ما عليه فأكلته ﴿ وتحبون المال حبا جما ﴾ أي كثيراً يعني يحبون جمع المال ويولعون به يقال جم الماء في الحوض إذا كثر واجتمع ﴿ كلا ﴾ ما هكذا ينبغي أن يكون الامر وقال مقاتل أي لا يفعلون ما أمروا به من إكرام اليتيم وإطعام المسكين ، ثم أخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم فقال عز من قائل ﴿ إذا دكت الارض دكا دكا ﴾ مرة بعد مرة وكسر كل شيء على ظهرها من جبل وبناء وشجر فلم يبق على ظهرها شيء ﴿ وجاء ربك ﴾ قال الحسن جاء أمره وقضاؤه وقال الكلبي ينزل حكمه ﴿ والملك ﴾

يأتي لفصل القضاء فيشفعه الله تعالى في ذلك وهي أول الشفاعات وهي المقام المحمود كما تقدم بيانه في سورة سبحان فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء والملائكة يجيئون بين يديه صفوفا صفوفا وقوله تعالى (وجيء يومئذ بجهنم) قال الامام مسلم بن الحجاج في صحيحه حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي عن العلاء بن خالد الكاهلي عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها» وهكذا رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن عمر بن حفص به ورواه أيضا عن عبد بن حميد عن أبي عامر عن سفيان الثوري عن العلاء بن خالد عن شقيق بن سلمة وهو أبو وائل عن عبد الله بن مسعود قوله ولم يرفعه وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن مروان بن معاوية الفزاري عن العلاء بن خالد عن شقيق عن عبد الله قوله

وقوله تعالى (يومئذ يتذكر الانسان) أي عمله وما كان أسلفه في قديم دهره وحديثه (وأنى له الذكرى) أي وكيف تنفعه الذكرى؟ (يقول ياليتني قدمت لحياتي) يعني يندم على ما كان سلف منه من المعاصي إن كان عاصيا ويود لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعا كما قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا علي بن اسحاق حدثنا عبد الله يعني ابن المبارك حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن جبير ابن نفير عن محمد بن عمرة وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قال لو أن عبداً خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت في طاعة الله لحقره يوم القيامة ولود أنه رد الى الدنيا كيما يزداد من الاجر والثواب. قال الله تعالى (فيومئذ لايعذب عذابه احد) أي ليس أحد أشد عذابا من تعذيب الله من عصاه (ولا يوثق وثاقه أحد) أي وليس أحد أشد قبضا ووثقا من الزبانية لمن كفر بربهم عز وجل وهذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين، فأما النفس الزكية المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق

صفا صفا ﴾ قال عطاء يريد صفوف الملائكة وأهل كل سماء صف على حدة ، قال الضحاك أهل كل سماء إذا نزلوا يوم القيامة كانوا صفا مختلطين بالارض ومن فيها فيكون سبع صفوف ﴿ وجيء يومئذ بجهنم ﴾ قال عبد الله ابن مسعود ومقاتل في هذه الآية تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام بيد سبعين ألف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب على يسار العرش ﴿ يومئذ ﴾ يعني يوم يجاء بجهنم ﴿ يتذكر الانسان ﴾ يتعظ ويتوب الكافر ﴿ وأنى له الذكرى ﴾ قال الزجاج يظهر التوبة ومن أين له التوبة ﴿ يقول ياليتني قدمت لحياتي ﴾ أي قدمت الخير والعمل الصالح لحياتي في الآخرة أي لآخرتي التي لاموت فيها ﴿ فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد ﴾ قرأ الكسائي ويعقوب لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء على معنى لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله يومئذ ولا يوثق كوثاقه يومئذ ، وقيل هو رجل بعينه وهو أمية بن خلف يعني لا يعذب كعذاب هذا الكافر أحد ولا يوثق كوثاقه احد ، وقرأ الآخرون بكسر الذال والثاء أي لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ ولا يوثق كوثاقه احد يعني لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب والوثاق وهو الاسار في السلاسل والاغلال

فيقال لها [يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك] أي إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته (راضية) أي في نفسها [مرضية] أي قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها [فادخلي في عبادي] أي في جملتهم [وادخلي جنتي] وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة أيضا كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره فكذلك ههنا

ثم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فروى الضحاك عن ابن عباس نزلت في عثمان بن عفان ، وعن بريدة بن الحصيب نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه . وقال العوفي عن ابن عباس يقال للارواح المطمئنة يوم القيامة (ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك) يعني صاحبك وهو بدنها الذي كانت تعمره في الدنيا راضية مرضية . وروي عنه انه كان يقرؤها (فادخلي في عبدي) وادخلي جنتي) وكذا قال عكرمة والكلبي واختاره ابن جرير وهو غريب والظاهر الاول لقوله تعالى (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق * وان مردنا إلى الله) أي إلى حكمه والوقوف بين يديه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدستكي حدثني أبي عن أبيه عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) قال نزلت وأبو بكر جالس فقال يارسول الله ما أحسن هذا فقال « أما انه سيقال لك هذا » ثم قال حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن يمان عن أشعث عن سعيد بن جبير قال : قرأت عند النبي ﷺ (ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) فقال أبو بكر رضي الله عنه إن هذا لحسن ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « أما إن الملك سيقول لك هذا عند الموت » وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن يمان به وهذا مرسل حسن

قوله عز وجل ﴿ياأيتها النفس المطمئنة﴾ الى ما وعد الله المصدقة بما قال الله قال مجاهد المطمئنة التي أيقنت ان الله تعالى ربها وصبرت خاشعة لامره وطاعته وقال الحسن المؤمنة الموقنة، وقال عطية الراضية بقضاء الله تعالى، وقال الكلبي الآمنة من عذاب الله ، وقيل المطمئنة بذكر الله بيانه قوله (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) واختلفوا في وقت هذه المقالة فقال قوم يقال لها ذلك عند الموت فيقال لها ﴿ارجعي الى ربك﴾ الى الله ﴿راضية﴾ بالثواب ﴿مرضية﴾ عنك ، وقال الحسن اذا أراد الله قبضها اطمأنت الى الله ورضيت عن الله ورضي الله عنها

قال عبد الله بن عمرو اذا توفي العبد المؤمن أرسل الله عز وجل ملكين وأرسل اليه بتحفة من الجنة فيقال لها اخرجي ياأيتها النفس المطمئنة اخرجي الى روح وريحان ورب عنك راض فتخرج كأطيب ريح مسك وجده احد في أنفه والملائكة على ارجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن فتسجد ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ له الريحان وان كان معه شيء من القرآن كفاه نوره وان لم يكن جعل له نور مثل الشمس في قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا احب أهله اليه، واذا توفي الكافر أرسل

ثم قال ابن أبي حاتم وحدثنا الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن شجاع الجزري عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال : مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم ير على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لايدرى من تلاها (ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) ورواه الطبراني عن عبد الله بن أحمد عن أبيه عن مروان بن شجاع عن سالم بن عجلان الافطس به فذكره

وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروي المعروف بشكر في كتاب العجائب بسنده عن قباث بن رزين أبي هاشم قال : أسرت في بلاد الروم فجمعنا الملك وعرض علينا دينه على أن من امتنع ضربت عنقه فارتد ثلاثة وجاء الرابع فامتنع فضربت عنقه وألقي رأسه في نهر هناك فرسب في الماء ثم طفا على وجه الماء ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال يافلان ويافلان ويافلان يناديهم بأسمائهم قال الله تعالى في كتابه (ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) ثم غاص في الماء ، قال فكادت النصارى أن يسلموا ووقع سرير الملك ورجع أولئك الثلاثة إلى الاسلام قال وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فخلصنا

(١) وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الاوزاعي عن أبيها حدثني سليمان بن حبيب المحاربي حدثني أبو امامة أن رسول الله ﷺ قال لرجل « قل اللهم إني أسألك نفسا بك مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك » ثم روى عن أبي سليمان بن وبرانه قال حديث رواحة هذا واحد أمه

﴿ آخر تفسير سورة الفجر ولله الحمد والمنة ﴾

(١) هذا غير موجود في النسخة المكية

الله اليه ملكين وأرسل قطعة من بجاد أنتن وأخشن من كل خشن فيقال ياأيتها النفس الخبيثة اخرجي الى جهنم وعذاب أليم ورب عليك غضبان

وقال ابو صالح في قوله (ارجعي الى ربك راضية مرضية) قال هذا عند خروجها من الدنيا فاذا كان يوم القيامة قيل (ادخلي في عبادي وادخلي جنتي) وقال آخرون انما يقال لها ذلك عند البعث [ارجعي الى ربك] أي الى صاحبك وجسدك فيأمر الله الارواح أن ترجع الى الاجساد ، وهذا قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس ، وقال الحسن معناه ارجعي الى ثواب ربك وكرامته راضية عن الله بما أعد لها مرضية رضي عنها ربها ﴿ فادخلي في عبادى ﴾ أي مع عبادى جنتي وقيل في جملة عبادى الصالحين المطيعين المصطفين ، نظيره [وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين] ﴿ وادخلي جنتي ﴾ وقال بعض أهل الاشارة يا أيتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعي الى الله بتركها والرجوع الى الله هو سلوك سبيل الآخرة . وقال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم نر على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه، فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولم ندر من قرأها (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادى وادخلي جنتي)

تفسير سورة البلد وهى مكيه

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أقسم بهذا البلد (١) وأنت حِلٌّ بهذا البلد (٢) ووالدٍ وما وَلَد (٣) لقد خلقنا الانسن في كبدٍ (٤) أيحسَبُ أن لن يقدر عليه أحد؟ (٥) يقول أهلكت مالا لُبداً (٦) أيحسَبُ أن لم يره أحد (٧) ألم نجعل له عينين ؟ (٨) ولسانا وشفتين ؟ (٩) وهدينه النَّجدين (١٠)

هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حلالا لينبه على عظمة قدرها في حال احرام أهلها ، قال خصيف عن مجاهد (لا أقسم بهذا البلد) لا رد عليهم أقسم بهذا البلد ، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (لا أقسم بهذا البلد) يعني مكة (وأنت حل بهذا البلد) قال أنت يامحمد يحل لك أن تقاتل به ، وكذا روي عن سعيد بن جبير وأبي صالح وعطية والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد ، وقال مجاهد ماأصبت فيه فهو حلال لك ، وقال قتادة (وأنت حل بهذا البلد) قال أنت به من غير حرج ولا اثم ، وقال الحسن البصري أحلها الله له ساعة من نهار وهذا المعنى الذي قالوه قد ورد به الحديث المتفق على صحته « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شجره ولا يختلا خلاه ، وانما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس ألا فليبلغ الشاهد الغائب » وفي لفظ آخر « فان أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا ان الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم »

﴿ سورة البلد مكية وهي عشرون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لا أقسم ﴾ يعني أقسم ﴿ بهذا البلد ﴾ يعني مكة ﴿ وأنت حل ﴾ أى حلال ﴿ بهذا البلد ﴾ تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر ليس عليك ما على الناس فيه من الاثم أحل الله لنبيه صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح حتى قاتل وقتل وأمر بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن ضبابة وغيرهما فأحل دماء قوم وحرم دماء قوم فقال « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » ثم قال - ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل لاحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي وانما أحلت لي ساعة من نهار فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة والمعنى ان الله تعالى لما أقسم بمكة دل ذلك على عظيم قدرها مع حرمتها فوعد نبيه صلى الله عليه وسلم انه يحلها له حتى يقاتل فيها وأن يفتحها على يده فهذا وعد من الله عز وجل

وقوله تعالى (ووالد وما ولد) قال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا ابن عطية عن شريك عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (ووالد وما ولد) الوالد الذي يلد وما ولد العاقر الذي لا يولد له ، ورواه ابن أبي حاتم من حديث شريك وهو ابن عبد الله القاضي به وقال عكرمة الوالد العاقر وما ولد الذي يلد . رواه ابن أبي حاتم

وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والضحاك وسفيان الثوري وسعيد بن جبير والسدي والحسن البصري وخصيف وشرحبيل بن سعد وغيرهم يعني بالوالد آدم وما ولد ولده وهذا الذي ذهب اليه مجاهد وأصحابه حسن قوي لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهي المساكن أقسم بعده بالساكن وهو آدم أبو البشر وولده ، وقال أبو عمران الجونى هو ابراهيم وذريته رواه ابن جرير وابن أبي حاتم واختار ابن جرير انه عام في كل والد وولده وهو محتمل أيضا وقوله تعالى (لقد خلقنا الانسان في كبد) روى عن ابن مسعود وابن عباس وعكرمة ومجاهد وابراهيم النخعى وخيثمة والضحاك وغيرهم يعني منتصبا زاد ابن عباس في رواية عنه منتصبا فى بطن أمه والكبد الاستواء والاستقامة ، ومعنى هذا القول لقد خلقناه سويا مستقيما كقوله تعالى (يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ماشاء ركبك) وكقوله تعالى (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) وقال ابن أبي نجيح وجريج وعطاء عن ابن عباس في كبد قال في شدة خلق ألم تر اليه وذكر مولده ونبات أسنانه ، وقال مجاهد (في كبد) نطفة ثم علقة ثم مضغة تنكيدا فى الخلق قال مجاهد وهو كقوله تعالى (حملته أمه كرها ووضعته كرها) وأرضعته كرها ومعيشته كره فهو يكابد ذلك وقال سعيد بن جبير (لقد خلقنا الانسان في كبد) في شدة وطلب معيشة وقال عكرمة في شدة وطول وقال قتادة في مشقة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عاصم أخبرنا عبد الحميد بن جعفر سمعت محمد بن علي أنا جعفر الباقر سأل رجلا من الانصار عن قول الله تعالى (لقد خلقنا الانسان في كبد) قال في قيامه واعتداله فلم ينكر عليه أبو جعفر ، وروي من طريق أبي مودود سمعت الحسن قرأ هذه الآية (لقد خلقنا

بأن يحلها له ، قال شرحبيل بن سعد ومعنى قوله (وأنت حل بهذا البلد) قال يحرمون ان يقتلوا بها صيداً ويستحلون اخراجك وقتلك ﴿ ووالد وما ولد ﴾ يعني آدم عليه السلام وذريته ﴿ لقد خلقنا الانسان في كبد ﴾ روى الوالبي عن ابن عباس في نصب . قال الحسن يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة . وقال قتادة في مشقة فلا تلقاه إلا يكابد أمر الدنيا ، وقال سعيد بن جبير في شدة ، وقال عطاء عن ابن عباس في شدة خلق : حمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته ، وقال عمرو بن دينار عند نبات أسنانه ، قال يمان لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق ، وأصل الكبد الشدة وقال مجاهد وعكرمة وعطية والضحاك يعني منتصبا معتدل القامة وكل شيء خلق فانه يمشي مكبا وهي رواية مقسم عن ابن عباس والكبد الاستواء والاستقامة

الانسان في كبد) قال يكابد أمرا من أمر الدنيا وأمرا من أمر الآخرة وفي رواية يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة وقال ابن زيد (لقد خلقنا الانسان في كبد) قال آدم خلق في السماء فسمي ذلك الكبد واختار ابن جرير ان المراد بذلك مكابدة الامور ومشاقها وقوله تعالى (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) قال الحسن البصري يعني (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) يأخذ ماله وقال قتادة (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) قال ابن آدم يظن أن لن يسئل عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه، وقال السدى (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) قال الله عزوجل، وقوله تعالى (يقول أهلكت مالا لبدا) أي يقول ابن آدم انفقت مالا لبدا أي كثيرا قاله مجاهد والحسن وقتادة والسدي وغيرهم (أيحسب أن لم يره أحد) قال مجاهد أي أيحسب أن لم يره الله عزوجل وكذا قال غيره من السلف

وقوله تعالى (ألم نجعل له عينين) أي يبصر بهما ولسانا أي ينطق به فيعبر عما في ضميره وشفتين يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام وجمالا لوجهه وفمه

[1] وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي الربيع الدمشقي عن مكحول قال قال النبي ﷺ يقول الله تعالى « يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعما عظاما لا تحصى عددها ولا تطيق شكرها وان مما أنعمت عليك ان جعلت لك عينين تنظر بهما وجعلت لهما غطاء فانظر بعينيك الى ما أحللت لك وان رأيت ما حرمت عليك فاطبق عليهما غطاءهما، وجعلت لك لسانا وجعلت له غلافا فانطق بما أمرتك وأحللت لك فان عرض عليك ما حرمت عليك فاغلق عليك لسانك، وجعلت لك فرجا وجعلت لك سترا فأصب بفرجك ما أحللت لك فان عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك، ابن آدم انك لا تحمل سخطي ولا تطيق انتقامي »

(١) هذا غير موجود في النسخة المكية

وقال ابن كيسان منتصبا رأسه في بطن امه فاذا أذن الله في خروجه انقلب رأسه إلى رجلي امه وقال مقاتل في كبد أى في قوة، نزلت في أبي الاشدين واسمه أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديدا قويا يضع الأديم العكاظي تحت قدميه فيقول من أزالني عنه فله كذا وكذا فلا يطاق أن ينزع من تحت قدميه الا قطعا ويبقى موضع قدميه ﴿ أيحسب ﴾ يعني أبا الاشدين من قوته ﴿ ان لن يقدر عليه احد ﴾ أي يظن من شدته أن لن يقدر عليه الله تعالى، وقيل هو الوليد بن المغيرة ﴿ يقول اهلكت ﴾ يعني انفقت ﴿ مالا لبداً ﴾ أى كثيرا بعضه على بعض من التلبيد في عداوة محمد ﷺ قرأ أبو جعفر لبداً بتشديد الباء على جمع لابد مثل راكم وركم، وقرأ الآخرون بالتخفيف على جمع لبدة وقيل على الواحد مثل قثم وحطم ﴿ أيحسب أن لم يره أحد ﴾ قال سعيد بن جبير وقتادة أيظن ان الله لم يره ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه وقال الكلبي انه كان كاذبا في قوله أنفقت كذا وكذا ولم يكن أنفق جميع ما قال يقول أيظن ان الله عز وجل لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته، ثم ذكر نعمه ليعتبر فقال ﴿ ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين ﴾ قال قتادة نعم الله متظاهره يقررك بها كيما تشكر

وجاء في الحديث ان الله عز وجل يقول « ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد

(وهديناه النجدين) الطريقين قال سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن عبد الله هو ابن مسعود (وهديناه النجدين) قال الخير والشر وكذا روي عن علي وابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبي وائل وأبي صالح ومحمد بن كعب والضحاك وعطاء الخراساني في آخرين وقال عبد الله بن وهب أخبرني ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ «هما نجدان فما جعل نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير» تفرد به سنان بن سعد ويقال سعد بن سنان وقد وثقه ابن معين وقال الامام أحمد والنسائي والجوزجاني منكر الحديث ، وقال أحمد تركت حديثه لاضطرابه وروى خمسة عشر حديثا منكرة كلها ما أعرف منها حديثا واحدا يشبه حديثه حديث الحسن - يعني البصري - لا يشبه حديث أنس

وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن يقول (وهديناه النجدين) قال ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول «يا أيها الناس إنهما النجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير» وكذا رواه حبيب بن الشهيد وأبو معمر ويونس بن عبيد وابو وهب عن الحسن مرسلا وهكذا أرسله قتادة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام الانصاري حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا عيسى بن عفان عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى (وهديناه النجدين) قال الثديين وروي عن الربيع بن خثيم وقتادة وابن حازم مثل ذلك ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن عيسى بن عقال به ثم قال والصواب القول الاول ونظير هذه الآية قوله تعالى (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا)

فلا اقتحم العقبة (١١) وما أدراك ما العقبة؟ (١٢) فكُّ رقبة (١٣) أو إطعام في يوم ذي مسغبة (١٤) يتيما ذا مَقربة (١٥) أو مِسكينا ذا مَتربة (١٦) ثم كان من الذين آمنوا وتواصَوْا بالصبر وتواصوا بالمرحمة (١٧) أولئك أصحٰب الميمنة (١٨) والذين كفروا بآيٰتنا هم أصحٰب المشئمة (١٩) عليهم نار مؤصدَة (٢٠)

قال ابن جرير حدثني عمر بن اسماعيل بن مجالد حدثنا عبد الله بن ادريس عن أبيه عن أبي عطية

أعنتك عليه بطبقتين فأطبق ، وإن نازعك بصرك الى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق، وان نازعك فرجك الى ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق » ﴿ وهديناه النجدين ﴾ قال أكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة كقوله (إنا هديناه السبيل * إما شاكرا وإما كفورا) وقال محمد بن كعب عن ابن عباس (وهديناه النجدين قال الثديين وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك والنجد طريق في ارتفاع ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ يقول

عن ابن عمر في قوله تعالى (فلا اقتحم) أي دخل (العقبة) قال جبل في جهنم أزل" وقال كعب الاحبار (فلا اقتحم العقبة) هو سبعون درجة في جهنم وقال الحسن البصري (فلا اقتحم العقبة) قال عقبة في جهنم وقال قتادة إنها عقبة قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله تعالى وقال قتادة (وما أدراك ما العقبة؟) ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال (فك رقبة أو اطعام) وقال ابن زيد (فلا اقتحم العقبة) أي أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير ثم بينها فقال تعالى (وما أدراك ما العقبة؟ * فك رقبة * أو اطعام) قرئ فك رقبة بالاضافة وقرئ على انه فعل وفيه ضمير الفاعل والرقبة مفعوله وكلتا القراءتين معناهما متقارب

قال الامام أحمد حدثنا مكي بن ابراهيم حدثنا عبد الله يعني ابن سعيد بن أبي هند عن اسماعيل ابن أبي حكيم مولى آل الزبير عن سعد بن مرجانة انه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل ارب - أي عضو - منها اربا منه من النار حتى إنه ليعتق باليد اليد وبالرجل الرجل وبالفرج الفرج » فقال علي بن الحسين أنت سمعت هذا من أبي هريرة؟ فقال سعيد نعم فقال علي بن الحسين لغلام له أفره غلمانه ادع مطرفا فلما قام بين يديه قال اذهب فانت حر لوجه الله، وقد رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائي من طرق عن سعيد بن مرجانة به وعند مسلم أن هذا الغلام الذى أعتقه علي بن الحسين زين العابدين كان قد أعطي فيه عشرة آلاف درهم وقال قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طالحة عن أبي نجيح قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « أيما مسلم أعتق رجلا مسلما فان الله جاعل وقاء كل عظم من عظامه عظما من عظام محرره من النار ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فان الله جاعل وقاء كل عظم من عظامها عظما من عظامها من النار » رواه ابن جرير هكذا وابو نجيح هذا هو عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه

فهلا أنفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام السغبان فيكون خيراً له من انفاقه على عداوة محمد ﷺ هذا قول ابن زيد وجماعة وقيل (فلا اقتحم العقبة) أي لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول في الامر الشديد، وذكر العقبة ههنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة يقول لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وهذا معنى قول قتادة، وقيل انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة فاذا أعتق رقبة وأطعم كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها، وروي عن ابن عمر ان هذه العقبة جبل في جهنم ، وقال الحسن وقتادة عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله تعالى ، وقال مجاهد والضحاك والكلبي هي صراط يضرب على جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا وان بجنبيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكردس في النار منكوس فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر عليه كالرجل

قال الامام أحمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثني بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن عمرو بن عبسة أنه حدثهم أن النبي ﷺ قال « من بنى مسجداً ليذكر الله فيه بني الله له بيتا في الجنة ، ومن أعتق نفسا مسلمة كانت فديته من جهنم ، ومن شاب شيبة في الاسلام كانت له نوراً يوم القيامة »

﴿ طريق أخرى ﴾ قال أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا جرير عن سليم بن عامر أن شرحبيل ابن السمط قال لعمرو بن عبسة حدثنا حديثا ليس فيه تزيد ولا نسيان قال عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار عضواً بعضو ، ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة ، ومن رمى بسهم فبلغ فأصاب أو أخطأ كان كمعتق رقبة من بني اسماعيل » وروى أبو داود والنسائي بعضه

﴿ طريق أخرى ﴾ قال أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الفرج حدثنا لقمان عن أبي امامة عن عمرو بن عبسة السلمي قال قلت له حدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه انتقاص ولا وهم قال سمعته يقول « من ولد له ثلاثة أولاد في الاسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ، ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة ، ومن رمى بسهم في سبيل الله بلغ به العدو أصاب أو أخطأ كان له عتق رقبة ، ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار ، ومن أنفق زوجين في سبيل الله فان للجنة ثمانية أبواب يدخله الله من أي باب شاء منها » وهذه أسانيد جيدة قوية ولله الحمد

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود حدثنا عيسى بن محمد الرملي حدثنا ضمرة عن ابن أبي عبلة عن العريف بن عياش الديلمي قال أتينا واثلة بن الاسقع فقلنا له حدثنا حديثا ليس فيه زيادة ولا نقصان فغضب وقال إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته فيزيد وينقص قلنا إنما أردنا حديثا سمعته من

يعدو ومنهم من يمر كالرجل بسير ومنهم من بزحف زحفاء ومنهم الزالون ومنهم من يكردس في النار قال ابن زيد يقول فهلا سلك الطريق التي فيها النجاة ثم بين ماهي فقال ﴿ وما أدراك ما العقبة؟ ﴾ ما اقتحام العقبة قال سفيان بن عيينة كل شيء قال وما أدراك فانه أخبر به ، وماقال ومايدريك فانه لم يخبر به ﴿ فك رقبة أو اطعام ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي فك بفتح الكاف رقبة نصب أو أطعم بفتح الهمزة والميم على الماضي، وقرأ الآخرون فك برفع الكاف رقبة جرا أو اطعام على المصدر وأراد بفك الرقبة اعتاقها واطلاقها ومن أعتق رقبة كانت الرقبة فداءه من النار

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا ابومنصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا ابوجعفر بن محمد بن احمد ابن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبدالله بن صالح حدثني الليث بن سعد حدثني ابن الهاد عن عمر بن علي بن حسين عن سعيد بن مرجانة قال سمعته يحدث عن أبي هريرة قال سمعت

رسول الله ﷺ قال أتينا رسول الله ﷺ في صاحب لنا قد أوجب يعني النار بالقتل فقال «اعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار» وكذا رواه النسائي من حديث ابراهيم بن أبي عبلة عن العريف بن عياش الديلمي عن واثلة به

﴿حديث آخر﴾ قال احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا هشام عن قتادة عن قيس الجذامي عن عقبة ابن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ قال «من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار»

وحدثنا عبد الوهاب الخفاف عن سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن قيسا الجذامي حدث عن عقبة ابن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار» تفرد به احمد من هذا الوجه

﴿حديث آخر﴾ قال الامام احمد حدثنا يحيى بن آدم وأبو احمد قالا حدثنا عيسى بن عبد الرحمن البجلي من بني بجيلة من بني سليم عن طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال: جاء اعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله علمني عملا يدخلني الجنة فقال «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسئلة، أعتق النسمة وفك الرقبة» فقال يارسول الله أو ليستا بواحدة؟ قال «لا، ان عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في عتقها، والمنحة الوكوف، والفيء على ذي الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فأطعم الجائع، واسق الظمآن وائمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير»

وقوله تعالى (أو اطعام في يوم ذي مسغبة) قال ابن عباس ذي مجاعة، وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد والسغب هو الجوع، وقال ابراهيم النخعي في يوم الطعام فيه عزيز، وقال قتادة في يوم يشتهى فيه الطعام

رسول الله ﷺ يقول «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار حتى يعتق فرجه بفرجه»

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا ابومنصور السمعاني أنا ابو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا محمد بن كثير العبدي ثنا عيسى بن عبدالرحمن السلمي عن طلحة بن مصرف اليامي عن عبدالرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال جاء اعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله علمني عملا يدخلني الجنة قال «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسئلة، أعتق النسمة وفك الرقبة» قال أو ليسا واحداً؟ قال «لا عتق النسمة أن تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها والمنحة الوكوف والفيء على ذي الرحم الظالم، فان لم تطق ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن وائمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الا من خير»

وقال عكرمة قوله (فك رقبة) يعني فك رقبة من الذنوب بالتوبة أو اطعام ﴿في يوم ذي مسغبة﴾

وقوله تعالى (يتيما) أي أطعم في مثل هذا اليوم يتيما (ذا مقربة) أي ذا قرابة منه . قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك والسدي كما جاء في الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا يزيد أخبرنا هشام عن حفصة بنت سيرين عن سلمان بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة » وقد رواه الترمذي والنسائي وهذا اسناد صحيح

وقوله تعالى (أو مسكينا ذا متربة) أي فقيراً مدقعا لاصقا بالتراب وهو الدقعاء أيضا قال ابن عباس ذا متربة هو المطروح في الطريق الذي لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب ، وفي رواية هو الذي لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة ليس له شيء ، وفي رواية عنه هو البعيد التربة ، قال ابن أبي حاتم يعني الغريب عن وطنه ، وقال عكرمة هو الفقير المديون المحتاج ، وقال سعيد بن جبير هو الذي لا أحد له وقال ابن عباس وسعيد وقتادة ومقاتل بن حيان هو ذو العيال وكل هذه قريبة المعنى

وقوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) أي ثم هو مع هذه الاوصاف الجميلة الطاهرة الظاهرة مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل كما قال تعالى [ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكوراً] وقال تعالى [من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن] الآية

وقوله تعالى (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) أي كان من المؤمنين العاملين صالحا المتواصين بالصبر على أذى الناس وعلى الرحمة بهم كما جاء في الحديث « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » وفي الحديث الآخر « لا يرحم الله من لا يرحم الناس »

وقال أبو داود حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن ابن عامر عن عبد الله بن عمرو يرويه قال : من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا ، وقوله تعالى (أولئك أصحاب الميمنة) أي المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين

ثم قال (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة) أي أصحاب الشمال (عليهم نار مؤصدة) أي مطبقة عليهم فلا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها ، قال أبو هريرة وابن عباس وعكرمة وسعيد ابن جبير ومجاهد ومحمد بن كعب القرظي وعطية العوفي والحسن وقتادة والسدي (مؤصدة) أى مطبقة ، قال ابن عباس مغلقة الابواب ، وقال مجاهد أصد الباب بلغة قريش أي أغلقه وسيأتي في ذلك حديث في سورة (ويل لكل همزة لمزة)

مجاعة يقال سغب يسغب سغبا إذا جاع ﴿يتيما ذا مقربة﴾ أي ذا قرابة يعني يريد يتيما بينك وبينه قرابة ﴿ أو مسكينا ذا متربة ﴾ قد لصق بالتراب من فقره وضره وقال مجاهد عن ابن عباس هو المطروح في التراب لا يقيه شيء والمتربة مصدر ترب يترب تربا ومتربة إذا افتقر ﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾ ثم بين أن هذا القرب إنما ينفع مع الايمان وقيل ثم بمعنى الواو ﴿ وتواصوا ﴾ أوصى بعضهم بعضا

وقال الضحاك (مؤصدة) حيط لاباب له ، وقال قتادة (مؤصدة) مطبقة فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الابد ، وقال أبو عمران الجوني اذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يخاف الناس في الدنيا شره فأوثقوا بالحديد ثم أمر بهم إلى جهنم ثم أوصدوها عليهم أي أطبقوها قال فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبداً ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبداً ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبداً ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً . رواه ابن أبي حاتم

﴿ آخر تفسير سورة البلد ولله الحمد والمنة ﴾

تفسير سورة والشمس وضحاها وهى مكية

تقدم حديث جابر الذي في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ « هلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى والشمس وضحاها والليل اذا يغشى »

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحها (١) والقمر اذا تلها (٢) والنهار اذا جلّها (٣) والليل اذا يغشها (٤) والسماء وما بنها (٥) والأرض وما طحها (٦) ونفس وما سوّيها (٧) فألهمها فجورها وتقويها (٨) قد أفلح من زكّيها (٩) وقد خاب من دسّيها (١٠)

قال مجاهد [والشمس وضحاها] أي وضوئها ، وقال قتادة (وضحاها) النهار كله . قال ابن جرير والصواب أن يقال : أقسم الله بالشمس ونهارها لان ضوء الشمس الظاهرة هو النهار (والقمر إذا تلاها)

﴿ بالصبر ﴾ على فرائض الله وأوامره ﴿ وتواصوا بالمرحمة ﴾ برحمة الناس ﴿ أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة ﴾ مطبقة عليهم أبوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم ، قرأ ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة ههنا وفي الهمزة وقرأ الآخرون بلا همز وهما لغتان يقال آصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته وأطبقته ، وقيل معنى الهمز المطبقة وغير الهمز المغلقة

﴿ سورة والشمس مكية وهي خمس عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والشمس وضحاها ﴾ قال مجاهد والكلبي ضوؤها والضحى حين تطلع الشمس فيصفو ضوؤها قال قتادة هو النهار كله ، وقال مقاتل حرها كقوله في طه (ولا تضحى) يعني لا يؤذيك الحر ﴿ والقمر

قال مجاهد تبعها . وقال العوفي عن ابن عباس [والقمر إذا تلاها] قال يتلو النهار ، وقال قتادة إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس رؤي الهلال، وقال ابن زيد هو يتلوها في النصف الاول من الشهر ثم هي تتلوه وهو يتقدمها في النصف الاخير من الشهر، وقال مالك عن زيد بن أسلم إذا تلاها ليلة القدر

وقوله تعالى (والنهار إذا جلاها) قال مجاهد أضاء . وقال قتادة [والنهار إذا جلاها] إذا غشيها النهار . وقال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى والنهار إذا جلا الظلمة لدلالة الكلام عليها (قلت) ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى (والنهار إذا جلاها) أى البسيطة لكان أولى واصح تأويله في قوله تعالى [والليل إذا يغشاها] فكان أجود وأقوى والله أعلم ولهذا قال مجاهد [والنهار اذا جلاها] انه كقوله تعالى (والنهار اذا تجلى) وأما ابن جرير فاختار عود الضمير في ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها وقالوا في قوله تعالى [والليل اذا يغشاها] يعني اذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق

وقال بقية بن الوليد عن صفوان حدثني يزيد بن ذى حمامة قال : اذا جاء الليل قال الرب جل جلاله غشى عبادي خلقي العظيم فالليل يهابه والذى خلقه أحق أن يهاب . رواه ابن أبي حاتم

وقوله تعالى [والسماء وما بناها] يحتمل أن تكون ما ههنا مصدرية بمعنى والسماء وبنائها وهو قول قتادة ويحتمل أن تكون بمعنى من يعني والسماء وبانيها وهو قول مجاهد وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى [والسماء بنيناها بأيد - أى بقوة - وإنا لموسعون * والارض فرشناها فنعم الماهدون] وهكذا قوله تعالى [والارض وما طحاها] قال مجاهد طحاها دحاها

قال العوفي عن ابن عباس [وما طحاها] أى خلق فيها . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس طحاها قسمها . وقال مجاهد وقتادة والضحاك والسدي والثوري وأبو صالح وابن زيد [طحاها] بسطها وهذا أشهر الاقوال وعليه الاكثر من المفسرين وهو المعروف عند أهل اللغة . قال الجوهري طحوته مثل دحوته أى بسطته

وقوله تعالى [ونفس وما سواها] أى خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال تعالى

إذا تلاها ﴾ تبعها وذلك في النصف الاول من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر في الاضاءة وخلفها في النور ، وقال الزجاج وذلك حين استدار يعني كمل ضوؤه فصار تابعاً للشمس في الانارة وذلك في الليالي البيض ﴿ والنهار إذا جلاها ﴾ يعني اذا جلى الظلمة كناية عن غير مذكور لكونه معروفا ﴿ والليل اذا يغشاها ﴾ يعني يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق ﴿ والسما وما بناها ﴾ قال الكلبي ومن بناها وخلقها كقوله (فانكحوا ماطاب لكم من النساء) أي من طاب قال عطاء يريد والذي بناها ، وقال الفراء والزجاج ما بمعنى المصدر أى وبناءها كقوله (بما غفر لي ربي) ﴿ والارض وما طحاها ﴾ بسطها ﴿ ونفس وما سواها ﴾ عدل خلقها وسوى أعضاءها قال عطاء يريد جميع ماخلق من

[فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله] وقال رسول الله ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ » أخرجاه من رواية أبي هريرة

وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حماد المجاشعي عن رسول الله ﷺ قال « يقول الله عز وجل « اني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم »

وقوله تعالى [فألهمها فجورها وتقواها] اي فأرشدها الى فجورها وتقواها أي بين ذلك لها وهداها إلى ما قدر لها . قال ابن عباس (فألهمها فجورها وتقواها) بين لها الخير والشر وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك والثوري . وقال سعيد بن جبير ألهمها الخير والشر ، وقال ابن زيد : جعل فيها فجورها وتقواها

وقال ابن جرير حدثنا ابن خالد[1] حدثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل قالا حدثنا عروة بن ثابت حدثني يحيي بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الاسود الديلي قال قال لي عمران بن حصين أرأيت مايعمل الناس فيه ويتكادحون فيه أشيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ وأكدت عليهم الحجة؟ قلت بل شيء قضي عليهم ، قال فهل يكون ذلك ظلما؟ قال ففزعت منه فزعا شديدا قال قلت له ليس شيء الا وهو خلقه وملك يده لا يسئل عما يفعل وهم

(١) كذا في النسخة المكية وفي تفسير ابن جرير انه ابن بشار

الجن والانس ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة بين لها الخير والشر ، وقال في رواية عطية علمها الطاعة والمعصية ، وروى الكلبي عن أبي صالح عنه عرفها ما تأتي وما تتقي ، وقال سعيد بن جبير ألزمها فجورها وتقواها قال ابن زيد جعل فيها ذلك يعني بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور واختار الزجاج هذا وحمل الالهام على التوفيق والخذلان وهذا يبين أن الله عز وجل خالق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور

أنا احمد بن ابراهيم الشريحي أنا احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين بن عبدالله ثنا موسى بن محمد ثنا علي بن عبدالله أنا عبدالله بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن ابراهيم أنا عروة بن ثابت الانصاري ثنا يحيي بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الاسود الديلي قال : قال لي عمران بن حصين أرأيت مايعمل الناس ويتكادحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم وأكدت عليهم الحجة؟ قلت بلى شيء قد قضي عليهم قال فهل يكون ذلك ظلما؟ قال ففزعت منه فزعا شديداً وقلت انه ليس شيء الا وهو خلقه وملك يده لا يسئل عما يفعل وهم يسألون فقال لي سددك الله انما سألتك لأختبر عقلك إن رجلا من جهينة أو مزينة أتى النبي ﷺ فقال يارسول الله أرأيت مايعمل الناس ويتكادحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم قدر سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم وأكدت به عليهم الحجة؟ فقال « لا بل شيء قد قضي

يسئلون قال سددك الله انما سألتك لأخبر عقلك ان رجلا من مزينة أو جهينه أتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله أرأيت مايعمل الناس فيه ويتكادحون أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قدسبق أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ وأكدت به عليهم الحجة؟ قال «بل شيء قدقضي عليهم» قال ففيم نعمل؟ قال «من كان الله خلقه لاحدى المنزلتين يهيئه لها وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى [ونفس وماسواها * فألهمها فجورها وتقواها] رواه أحمد ومسلم من حديث عزرة بن ثابت به

وقوله تعالى [قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها] يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله كما قال قتادة وطهرها من الاخلاق الدنيئة والرذائل ، ويروى نحوه عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وكقوله تعالى [قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى] [وقد خاب من دساها] أي دسسها أي اخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل ، وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دسى الله نفسه كما قال العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي وأبو زرعة قالا حدثنا سهل بن عثمان حدثنا أبو مالك يعني عمرو ابن الحارث عن عمرو بن هاشم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في قول الله عز وجل (قد أفلح من زكاها) قال النبي ﷺ «أفلحت نفس زكاها الله عز وجل» ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي مالك به وجويبر هذا هو ابن سعيد متروك الحديث والضحاك لم يلق ابن عباس

عليهم ومضى فيهم» قال قلت ففيم العمل اذا؟ قال «من كان الله خلقه لاحدى المنزلتين يهيئه الله لها وتصديق ذلك في كتاب الله عزوجل (ونفس وما سوها فألهمها فجورها وتقواها) »

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا ابو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح أنا ابو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي ثنا علي بن الجعد ثنا زهير بن معاوية عن ابي الزبير عن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يارسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الان أرأيت عمرتنا هذه ألعامنا هذا أم للأبد ؟ قال «بل للابد» قال يارسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الآن فيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير أو فيما نستقبل؟ قال «لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير» قال ففيم العمل؟ فقال زهير فقال كلمة خفيت علي فسألت عنها نسي بعد فذكر انه سمعها فقال «اعملوا فكل ميسر لماخلق له» ﴿قد أفلح من زكاها﴾ وهذا موضع القسم أي فازت وسعدت نفس زكاها الله أي أصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة ﴿ وقد خاب من دساها ﴾ أي خابت وخسرت نفس أضلها الله فأفسدها وقال الحسن معناه قد أفلح من زكي نفسه فأصلحها وحملها على طاعة الله عز وجل (وقدخاب من دساها) أهلكها وأضلها وحملها على المعصية فجعل الفعل للنفس ودساها أصله دسسها من التدسيس

وقال الطبراني حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح حدثنا أبي حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا مر بهذه الآية (ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها) وقف ثم قال « اللهم آت نفسي تقواها ، أنت وليها ومولاها ، وخير من زكاها »

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يعقوب بن حميد المدني حدثنا عبد الله ابن عبد الله الاموي حدثنا معن بن محمد الغفاري عن حنظلة بن علي الاسلمي عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ (فألهمها فجورها وتقواها) قال اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها » لم يخرجوه من هذا الوجه

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن نافع عن ابن عمر عن صالح بن سعيد عن عائشة أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول « رب اعط نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » تفرد به

﴿ حديث آخر ﴾ وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عاصم الاحول عن عبد الله بن الحارث عن زيد بن أرقم قال كان رسول الله ﷺ يقول « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والهرم والجبن والبخل وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من قلب لايخشع ، ومن نفس لاتشبع ، وعلم لاينفع ودعوة لايستجاب لها » قال زيد كان رسول الله ﷺ يعلمناهن ونحن نعلمكوهن ، رواه مسلم من حديث أبي معاوية عن عاصم الاحول عن عبد الله بن الحارث وأبي عثمان النهدي عن زيد بن أرقم به

كذبت ثمود بطغونها (١١) اذ انبعث أشقـها (١٢) فقال لهم رسول الله ناقة الله

وسقيـها (١٣) فكذبوه فعقروها (١٤) فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسونها (١٥) ولا يخاف عقبها (١٦)

يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي وقال محمد بن

وهو اخفاء الشيء فأبدلت السين الثانية ياء والمعنى ههنا أخملها وأخفى محلها بالكفر والمعصية

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد بن محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا عبد الله ابن محمد بن مسلمة أبو بكر الجوربذي ثنا أحمد بن حرب ثنا أبو معاوية عن عاصم عن أبي عثمان وعبد الله بن الحارث عن زيد بن أرقم قال: لاأقول لكم الاما قال رسول الله ﷺ لنا « اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل ، و الجبن والهرم وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن قلب لايخشع ، ومن دعوة لايستجاب لها » قوله عز وجل (كذبت ثمود بطغواها) بطغيانها وعدوانها أي الطغيان حملهم على

كعب (بطغواها) أي بأجمعها والاول أولى قاله مجاهد وقتادة وغيرهما فاعقبهم ذلك تكذيبا في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين (اذ انبعث أشقاها) أي أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف عاقر الناقة وهو أحيمر ثمود وهو الذي قال الله تعالى (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) الآية وكان هذا الرجل عزيزاً فيهم شريفا في قومه نسيباً رئيساً مطاعاً كما قال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عبد الله بن زمعة قال خطب رسول الله ﷺ فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال «اذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة» ورواه البخاري في التفسير ومسلم في صفة النار والترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم عن طوق عن هشام بن عروة به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا عيسى بن يونس حدثنا محمد بن اسحاق حدثني يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب القرظي عن محمد بن خثيم بن أبي مرثد عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ لعلي «ألا أحدثك بأشقى الناس؟» قال بلى قال «رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك ياعلي على هذا — يعني قرنه — حتى تبتل منه هذه» يعني لحيته

وقوله تعالى (فقال لهم رسول الله) يعني صالحاً عليه السلام (ناقة الله) أي احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء (وسقياها) أي لاتعتدوا عليها في سقياها فان لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم قال الله تعالى (فكذبوه فعقروها) أي كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم (فدمدم عليهم ربهم بذنبهم) أي غضب عليهم فدمر عليهم (فسواها) أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء قال قتادة بلغنا أن احيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها

التكذيب (إذانبعث أشقاها) أي قام والانبعاث هو الاسراع في الطاعة للباعث أي كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا لما انبعث أشقاها وهو قدار بن سالف، وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا قام لعقر الناقة أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل أنا موسى بن اسماعيل ثنا وهب ثنا هشام عن أبيه أنه أخبره عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله ﷺ «(إذ انبعث أشقاها) انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في أهله مثل أبي زمعة» (فقال لهم رسول الله) صالح (ناقة الله) أي احذروا عقر ناقة الله وقال الزجاج منصوب على معنى ذروا ناقة الله (وسقياها) شربها أي ذروا ناقة الله وذروا شربها من الماء فلا تعرضوا للماء يوم شربها (فكذبوه) يعني صالحا (فعقروها) يعنى الناقة (فدمدم عليهم ربهم) قال عطاء ومقاتل فدمر عليهم ربهم فاهلكهم قال المورج الدمدمة الهلاك باستئصال ﴿بذنبهم﴾ بتكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة ﴿فسواها﴾

وقوله تعالى (ولا يخاف) وقرىء فلا يخاف عقباها قال ابن عباس لايخاف الله من أحد تبعة وكذا قال مجاهد والحسن وبكر بن عبد الله المزني وغيرهم وقال الضحاك والسدي ولا يخاف عقباها أي لم يخف الذي عقرها عاقبة ماصنع والقول الاول أولى لدلالة السياق والله أعلم

﴿ آخر تفسير سورة والشمس وضحاها ولله الحمد والمنة ﴾

تفسير سورة الليل وهى مكية

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ « فهلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى ، والشمس وضحاها والليل اذا يغشى »

بسم الله الرحمن الرحيم

والّيل اذا يغشى (١) والنهار اذا تجلى (٢) وما خلق الذكر والانثى (٣) إن سعيكم لشتى (٤) فأما من اعطى واتقى (٥) وصدّق بالحسنى (٦) فسنيسره لليسرى (٧) وأما من بخل واستغنى (٨) وكذّب بالحسنى (٩) فسنيسره للعسرى (١٠) وما يغني عنه ماله اذا تردى (١١)

قال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا شعبة عن مغيرة عن ابراهيم عن علقمة أنه قدم الشام فدخل مسجد دمشق فصلى فيه ركعتين وقال : اللهم ارزقني جليسا صالحا. قال فجلس إلى أبي الدرداء فقال له أبو الدرداء ممن أنت ؟ قال من أهل الكوفة ، قال كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ (والليل اذا يغشى * والنهار اذا تجلى - قال علقمة - والذكر والانثى) فقال أبو الدرداء لقد سمعتها من رسول الله

سوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بهالم يفلت منهم أحد وقال الفراء سوى الامة وأنزل العذاب بصغيرها وكبيرها يعني سوى بينهم ﴿ولا يخاف عقباها﴾ قرأ أهل المدينة والشام فلا بالفاء وكذلك هو في مصاحفهم وقرأ الباقون بالواو وهكذا في مصاحفهم عقباها عاقبتها قال الحسن معناه لا يخاف الله من أحد تبعة في إهلاكهم وهي رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقال الضحاك والسدي والكلبى هو راجع الى العاقر وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره (إذ انبعث أشقاها ولا يخاف عقباها)

﴿ سورة والليل مكية وهي إحدى وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿والليل إذا يغشى﴾ أي يغشى النهار بظلمته فيذهب بضوئه ﴿والنهار إذا تجلى﴾ بان وظهر من بين الظلمة ﴿وماخلق الذكر والانثى﴾ يعنى ومن خلق وقيل هي ما المصدرية أي وخلق الذكر والانثى قال

ﷺ فما زال هؤلاء حتى شككوني ثم قال ألم يكن فيكم صاحب السواد وصاحب السر الذي لا يعلمه أحد غيره والذي أجير من الشيطان على لسان محمد ﷺ

وقد رواه البخاري ههنا ومسلم من طريق الاعمش عن ابراهيم قال قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم فقال أيكم يقرأ على قراءة عبد الله ؟ قالوا كلنا ، قال أيكم أحفظ؟ فأشاروا إلى علقمة فقال كيف سمعته يقرأ (والليل اذا يغشى ؟ قال والذكر والانثى) قال أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هكذا وهؤلاء يريدوني على أن أقرأ (وماخلق الذكر والانثى) والله لا أتابعهم . هذا لفظ البخاري هكذا قرأ ذلك ابن مسعود وأبو الدرداء ورفعه أبو الدرداء

وأما الجمهور فقرأوا ذلك كما هو المثبت في المصحف الامام العثماني في سائر الآفاق (وما خلق الذكر والانثى) فأقسم تعالى بالليل اذا يغشى أي اذا غشى الخليقة بظلامه (والنهار اذا تجلى) أي بضيائه واشراقه (وما خلق الذكر والانثى) كقوله تعالى [وخلقناكم أزواجا] وكقوله [ومن كل شيء خلقنا زوجين] ولما كان القسم بهذه الاشياء المتضادة كان المقسم عليه أيضاً متضاداً ولهذا قال تعالى (إن سعيكم لشتى) أي أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة أيضاً ومتخالفة فمن فاعل خيرا ومن فاعل شراً قال الله تعالى (فأما من أعطى واتقى) أي أعطى ما أمر باخراجه واتقى الله في أموره (وصدق بالحسنى) أي بالمجازاة على ذلك قاله قتادة ، وقال خصيف بالثواب

وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح وزيد بن أسلم (وصدق بالحسنى) أي بالخلف وقال أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك (وصدق بالحسنى) أي بلا إله إلا الله ، وفي رواية عن عكرمة (وصدق بالحسنى) أي بما أنعم الله عليه ، وفي رواية عن زيد بن أسلم (وصدق بالحسنى) قال الصلاة والزكاة والصوم ، وقال مرة وصدقة الفطر

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد حدثني من سمع أبا العالية الرياحي يحدث عن أبي بن كعب قال سألت رسول الله ﷺ عن الحسنى قال « الحسنى الجنة »

مقاتل والكلبي يعني آدم وحواء وفي قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء (والذكر والانثى) وجواب القسم قوله ﴿ إن سعيكم لشتى ﴾ إن أعمالكم المختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها روى أبو مالك الاشعري قال قال رسول الله ﷺ « كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » ﴿ فأما من أعطى ﴾ ماله في سبيل الله ﴿ واتقى ﴾ ربه ﴿ وصدق بالحسنى ﴾ قال أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك وصدق بلا إله إلا الله وهي رواية عطية عن ابن عباس وقال مجاهد بالجنة دليله قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى) يعني الجنة وقيل (صدق بالحسنى) أي بالخلف أي أيقن أن الله تعالى سيخلفه وهي رواية عكرمة عن ابن عباس وقال قتادة ومقاتل والكلبي بموعود الله عز وجل الذي وعده ان يثيبه ﴿ فسنيسره ﴾ فسنهيئه

وقوله تعالى (فسنيسره لليسرى) قال ابن عباس يعني الخير ، وقال زيد بن أسلم يعني الجنة ، وقال بعض السلف من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها ولهذا قال تعالى (وأما من بخل) أي بما عنده (واستغنى) قال عكرمة عن ابن عباس أي بخل بماله واستغنى عن ربه عز وجل . رواه ابن أبي حاتم (وكذب بالحسنى) أي بالجزاء في الدار الآخرة (فسنيسره للعسرى) أي لطريق الشر كما قال تعالى [ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون] والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عز وجل يجازي من قصد الخير بالتوفيق له ومن قصد الشر بالخذلان وكل ذلك بقدر مقدر والاحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة

﴿ رواية أبي بكر الصديق رضي الله عنه ﴾ قال الامام أحمد حدثنا علي بن عياش حدثني العطاف بن خالد حدثني رجل من أهل البصرة عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن أبيه قال سمعت أبي يذكر أن أباه سمع أبا بكر وهو يقول : قلت لرسول الله ﷺ يارسول الله أنعمل على ما فرغ منه أو على أمر مؤتنف ؟ قال « بل على أمر قد فرغ منه » قال ففيم العمل يارسول الله ؟ قال « كل ميسر لما خلق له »

﴿ رواية علي رضي الله عنه ﴾ قال البخاري حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الاعمش عن سعيد ابن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة فقال « مامنكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار » فقالوا يارسول الله أفلا نتكل ؟ فقال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى — إلى قوله — للعسرى) وكذا رواه من طريق شعبة ووكيع عن الاعمش بنحوه

ثم رواه عن عثمان بن أبي شيبة عن جرير عن منصور عن سعيد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتى رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال « ما منكم من أحد - أو ما من نفس منفوسة - إلا كتب مكانها من الجنة والنار والا قد كتبت شقية أو سعيدة » فقال رجل يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة ومن كان

في الدنيا ﴿ لليسرى ﴾ أي للخلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله عز وجل ﴿ وأما من بخل ﴾ بالنفقة في الخير ﴿ واستغنى ﴾ عن ثواب الله فلم يرغب فيه ﴿ وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴾ سنهيئه للشر بأن نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله فيستوجب به النار قال مقاتل نعسر عليه أن يأتي خيرا وروينا عن علي عن النبي ﷺ قال « مامن نفس منفوسة الا قد كتب مكانها من الجنة أو النار فقال رجل أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل قال لا ولكن اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما أهل الشقاء فييسرون لعمل أهل

منا من أهل الشقاء فسيصير إلى أهل الشقاء. فقال « أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاء فييسرون إلى عمل أهل الشقاء » ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق عن سعيد بن عبيدة به

﴿ رواية عبدالله بن عمر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيدالله قال سمعت سالم بن عبدالله يحدث عن ابن عمر قال قال عمر يارسول الله أرأيت ما نعمل فيه أفي أمر قد فرغ أو مبتدأ أو مبتدع ؟ قال « فيما قد فرغ منه ، فاعمل يا ابن الخطاب فان كلا ميسر ، أما من كان من أهل السعادة فانه يعمل للسعادة وأما من كان من أهل الشقاء فانه يعمل للشقاء » ورواه الترمذي في القدر عن بندار عن ابن مهدي به وقال حسن صحيح

﴿ حديث آخر من رواية جابر ﴾ قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو ابن الحارث عن أبي الزبير عن جابر بن عبدالله انه قال يارسول الله أنعمل لأمر قد فرغ منه أو لأمر نستأنفه ؟ فقال « لأمر قد فرغ منه » فقال سراقة ففيم العمل اذاً ؟ فقال رسول الله ﷺ « كل عامل ميسر لعمله » ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب به

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثني يونس حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طلق بن حبيب عن بشير بن كعب العدوي قال سأل غلامان شابان النبي ﷺ فقالا يارسول الله أنعمل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير أوفي شيء يستأنف؟ فقال « بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير » قالا ففيم العمل إذاً؟ قال « اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذي خلق له » قالا نجد ونعمل

﴿ رواية أبي الدرداء ﴾ قال الامام أحمد حدثنا هشيم بن خارجة حدثنا أبو الربيع سليمان بن عتبة السلمي عن يونس بن ميسرة بن حليس عن أبي ادريس عن أبي الدرداء قال قالوا يا رسول الله أرأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه أم شيء نستأنفه؟ قال « بل أمر قد فرغ منه » فقالوا فكيف بالعمل يا رسول الله؟ قال « كل امرىء مهيأ لما خلق له » تفرد به أحمد من هذا الوجه

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنى الحسن بن سلمة بن أبي كبشة حدثنا عبدالملك بن عمرو حدثنا عباد بن راشد عن قتادة حدثني خليد العصري عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ

الشقاء ، وأما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة » ثم تلا (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) قيل نزلت في أبي بكر الصديق اشترى بلالا من أمية بن خلف ببردة وعشر أواق فاعتقه فأنزل الله تعالى (والليل إذا يغشى) الى قوله (إن سعيكم لشتى) يعني سعي أبي بكر وأمية وروى علي بن حجر عن اسحاق بن أبي نجيح عن عطاء قال كان لرجل من الانصار نخلة وكان له جار يسقط من بلحها في داره وكان صبيانه يتناولون منه فشكا ذلك الى

« مامن يوم غربت فيه شمسه إلا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعه خلق الله كلهم الا الثقلين: اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا » وأنزل الله في ذلك القرآن (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن أبي كبشة باسناده مثله

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبدالله الظهراني حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا كان له نخيل ومنها نخلة فرعها في دار رجل صالح فقير ذي عيال فاذا جاء الرجل فدخل داره فيأخذ الثمرة من نخلته فتسقط الثمرة فيأخذها صبيان الرجل الفقير فينزل من نخلته فينزع الثمرة من أيديهم وان أدخل أحدهم الثمرة في فمه أدخل أصبعه في حلق الغلام ونزع الثمرة من حلقه فشكا ذلك الرجل الى النبي ﷺ وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة فقال له النبي ﷺ « اذهب » ولقي النبي ﷺ صاحب النخلة فقال له « اعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة » فقال له لقد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها وإن لي لنخل كثير مافيها نخلة أعجب إلي ثمرة من ثمرها فذهب النبي ﷺ فتبعه رجل كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ومن صاحب النخلة فقال الرجل يا رسول الله إن أنا أخذت النخلة فصارت لي النخلة فأعطيتك إياها أتعطيني ما أعطيته بها نخلة في الجنة ؟ قال « نعم » ثم ان الرجل لقي صاحب النخلة ولكلاهما نخل فقال له : أخبرك أن محمداً أعطاني بنخلتي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة فقلت له قد أعطيت ولكنني يعجبني ثمرها فسكت عنه الرجل فقال له أراك إذا بعتها قال لا الا أن أعطى بها شيئا ولا أظنني أعطاه ، قال وما مناك ؟ قال أربعون نخلة فقال الرجل لقد جئت بأمر عظيم نخلتك تطلب بها أربعين نخلة ؟ ثم سكتا وأنشآ في كلام آخر ثم قال أنا أعطيك أربعين نخلة فقال أشهدلي إن كنت صادقا فأمر بأناس فدعاهم فقال اشهدوا اني قد أعطيته من نخلي أربعين نخلة بنخلته التي فرعها في دار فلان بن فلان ثم قال ماتقول ؟ فقال صاحب النخلة قد رضيت ، ثم قال بعد ليس بيني وبينك بيع لم نفترق فقال له قد أقالك الله ولست بأحمق حين أعطيك أربعين نخلة بنخلتك المائلة فقال صاحب النخلة قد رضيت على أن تعطيني الاربعين على ما أريد قال تعطنيها على ساق ثم مكث ساعة ثم قال هي لك على ساق وأوقف له شهوداً وعد له أربعين نخلة على ساق فتفرقا فذهب الرجل الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله ان النخلة المائلة في دار فلان قد صارت لي فهي لك

النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ « بعنيها بنخلة في الجنة » فأبى فخرج فلقيه أبو الدحداح فقال له هل لك أن تبيعها بحبس يعني حائطاله فقال هي لك فأتى النبي ﷺ فقال يارسول الله أشترها مني بنخلة في الجنة قال « نعم » قال هي لك فدعا النبي ﷺ جار الانصاري فقال خذها فأنزل الله تعالى (والليل إذا يغشى) الى قوله (إن سعيكم لشتى) أبو الدحداح والانصاري صاحب النخلة (فأما من أعطى واتقى) أبو الدحداح (وصدق بالحسنى

فذهب رسول الله ﷺ إلى الرجل صاحب الدار فقال له « النخلة لك ولعيالك » قال عكرمة قال ابن عباس فأنزل الله عز وجل (والليل إذا يغشى - الى قوله - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) الى آخر السورة هكذا رواه ابن أبي حاتم وهو حديث غريب جدا

قال ابن جرير وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حدثنا هارون بن ادريس الاصم حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي حدثنا محمد بن اسحاق عن محمد بن عبدالله بن محمد ابن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كان أبو بكر [رض] يعتق على الاسلام بمكة فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن فقال له أبوه أي بني أراك تعتق أناسا ضعفاء فلو أنك تعتق رجالا جلداء يقومون معك ويمنعونك ويدافعون عنك فقال أي أبه انا أريد - أظنه قال - ماعند الله قال فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى)

وقوله تعالى [وما يغني عنه ماله اذا تردى] قال مجاهد : أي اذا مات . وقال أبو صالح ومالك عن زيد بن اسلم اذا تردى في النار

إن علينا للهدى (١٢) وإن لنا للآخرة والاولى (١٣) فأنذرتكم ناراً تلظى (١٤) لا يصلاها إلا الأشقى (١٥) الذي كذب وتولى (١٦) وسيجنبها الأتقى (١٧) الذي يؤتي ماله يتزكى (١٨) وما لأحد عنده من نعمة تجزى (١٩) إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى (٢٠) ولسوف يرضى (٢١)

قال قتادة [إن علينا للهدى] أي نبين الحلال والحرام ، وقال غيره : من سلك طريق الهدى وصل الى الله وجعله كقوله تعالى [وعلى الله قصد السبيل] حكاه ابن جرير . وقوله تعالى [وان لنا للآخرة والاولى] اي الجميع ملكنا وأنا المتصرف فيها

فسنيسره لليسرى) يعني الجنة (وأما من بخل واستغنى) يعني الانصاري (وكذب بالحسنى) يعني الثواب (فسنيسره للعسرى) يعني النار (ومايغني عنه ماله) الذي بخل به ﴿ اذا تردى ﴾ قال مجاهد اذا مات وقال قتادة وأبو صالح هوى في جهنم ﴿ ان علينا للهدى ﴾ يعني البيان قال الزجاج علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال وهو قول قتادة قال على الله بيان حلاله وحرامه قال الفراء يعنى من سلك الهدى فعلى الله سبيله كقوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل) يقول من أراد الله فهو على السبيل القاصد وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال كقوله بيدك الخير ﴿ وإن لنا للآخرة والاولى ﴾ فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ

وقوله تعالى [فأنذرتكم نارا تلظى] قال مجاهد أي توهج . قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول « أنذرتكم النار » حتى لو أن رجلا كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا قال حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثني شعبة حدثني أبو اسحاق سمعت النعمان بن بشير يخطب ويقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان أهون اهل النار عذابا يوم القيامة رجل توضع في اخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه » رواه البخاري

وقال مسلم حدثنا ابو بكر بن أبي شيبه حدثنا ابو اسامة عن الاعمش عن ابي اسحاق عن النعمان ابن بشير قال قال رسول الله ﷺ « ان اهون اهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل مايرى ان أحدا اشد منه عذابا وانه لأهونهم عذابا »

وقوله تعالى [لا يصلاها الا الأشقى] اي لا يدخلها دخولا يحيط به من جميع جوانبه الا الاشقى ثم فسره فقال (الذي كذب) اي بقلبه (وتولى) اى عن العمل بجوارحه وأركانه

قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا عبدالله بن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لا يدخل النار إلا شقي » قيل ومن الشقي ؟ قال « الذي لا يعمل بطاعة ولا يترك لله معصية »

وقال الامام أحمد حدثنا يونس وشريح قالا حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كل أمتي تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبى » قالوا ومن يأبى يارسول الله ؟ قال « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى » ورواه البخاري عن محمد ابن سنان عن فليح به

وقوله تعالى (وسيجنبها الاتقى) أي وسيزحزح عن النار التقي النقي الاتقى ثم فسره بقوله (الذي يؤتي ماله يتزكى) أي يصرف ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا (ومالأحد

الطريق ﴿ فأنذرتكم ﴾ ياأهل مكة ﴿ نارا تلظى ﴾ أي تتلظى يعني تتوقد وتتوهج ﴿ لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب ﴾ الرسول ﴿ وتولى ﴾ عن الايمان ﴿ وسيجنبها الأتقى ﴾ يريد بالأشقى الشقي وبالأتقى التقي ﴿ الذى يؤتي ماله ﴾ يعطي ماله ﴿ يتزكى ﴾ يطلب أن يكون عند الله زاكيا لارياء ولا سمعة يعني أبا بكر الصديق في قول الجميع قال ابن الزبير كان أبو بكر يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له أبوه أي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهري أريد فنزل (وسيجنبها الأتقى) إلى آخر السورة ، وذكر محمد بن إسحاق قال : كان بلال لبعض بني جمح وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة وكان

عنده من نعمة تجزى) أي ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى اليه معروفا فهو يعطي في مقابلة ذلك وانما دفعه ذلك (ابتغاء وجه ربه الاعلى) أي طمعا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات قال الله تعالى (ولسوف يرضى) أي ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتي إن بعضهم حكي الاجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الامة بعمومها فان لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى (وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى) ولكنه مقدم الامة وسابقهم في جميع هذه الاوصاف وسائر الاوصاف الحميدة فانه كان صديقا تقيا كريما جواداً بذالا لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها ولكن كان فضله واحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل ولهذا قال له عروة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية أما والله لولا يد لك عندي لم أجزك بها لاجبتك وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة فاذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم ولهذا قال تعالى (وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى)

صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك البلاء أحد أحد

وقال محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه قال: مر به أبو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار أبي بكر في بني جمح فقال لأمية ألا تتقي الله تعالى في هذا المسكين قال أنت أفسدته فانقذه مما ترى قال أبو بكر افعل عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه قال قد فعلت فأعطاه ابو بكر غلامه وأخذه فأعتقه ثم أعتق معه على الاسلام قبل أن يهاجر ست رقاب بلال سابعهم: عامر بن فهيرة شهد بدراً وأحداً وقتل يوم بئر معونة شهيداً وأم عميس وزبيرة فأصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى وماتنفعان فرد الله اليها بصرها وأعتق النهدية وابنتها وكانت لامرأة من بني عبدالدار فمر بهما وقد بعثتهما سيدتها تطحنان لها وهي تقول والله لاأعتقكما أبدا فقال أبو بكر حلا يا أم فلان فقالت حلا أنت أفسدتهما فاعتقهما قال فبكم ؟ قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان ومر بجارية بني المؤمل وهي تعذب فابتاعها فاعتقها وقال سعيد بن المسيب بلغني أن أمية بن خلف قال لأبى بكر في بلال حين قال أتبيعه قال نعم أبيعه بنسطاس وكان نسطاس عبداً لابى بكر صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله أبو بكر على الاسلام على أن يكون ماله له فأبى فابغضه

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « من أنفق زوجين في سبيل الله دعته خزنة الجنة ياعبد الله هذا خير » فقال أبو بكر يارسول الله ماعلى من يدعى منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد ؟ قال « نعم وأرجو أن تكون منهم »

﴿ آخر تفسير سورة الليل ولله الحمد والمنة ﴾

تفسير سورة الضحى وهي مكية

روينا من طريق أبي الحسن احمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقري قال : قرأت على عكرمة ابن سليمان وأخبرني أنه قرأ على اسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد فلما بلغت والضحى قالا لي كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة فانا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك ، وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك ، وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك ! وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي ابن كعب فأمره بذلك وأخبره أنه قرأ على رسول الله ﷺ فأمره بذلك فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن احمد بن محمد بن عبد الله البزي من ولد القاسم بن أبي بزة وكان اماما في القراآت

فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي وقال لا أحدث عنه وكذلك أبو جعفر العقيلي قال هو منكر الحديث لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في شرح الشاطبية عن الشافعي أنه سمع رجلا يكبر هذا التكبير في الصلاة فقال : أحسنت وأصبت السنة وهذا يقتضي صحة هذا الحديث، ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته فقال بعضهم يكبر من آخر والليل اذا يغشى ، وقال آخرون من آخر والضحى، وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول الله أكبر ويقتصر ، ومنهم من يقول الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر

وذكر القراء في مناسبة التكبير من أول سورة الضحى أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ وفتر تلك المدة ثم جاء الملك فأوحى اليه (والضحى والليل اذا سجى) السورة بتمامها كبر فرحا وسروراً ولم يرو ذلك باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف فالله أعلم

أبو بكر فلما قال له أمية أبيعه بغلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه منه فقال المشركون مافعل ذلك أبو بكر ببلال إلا ليد كانت لبلال عنده فانزل الله ﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى ﴾ يد يكافئه عليها ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ ابتغاء وجه ربه الاعلى ﴾ يعني لا يفعل ذلك مجازاة لأحد بيد له عنده ولكنه يفعله ابتغاء وجه ربه الاعلى وطلب رضاه ﴿ ولسوف يرضى ﴾ بما يعطيه الله عز وجل في الآخرة من الجنة والكرامة جزاء على مافعل

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى (١) والليل اذا سجى (٢) ماودّعك ربك وما قلى (٣) وللآخرة خير لك من الاولى (٤) ولسوف يعطيك ربُّك فترضى (٥) ألم يجدك يتيما فآوى ؟ (٦) ووجدك ضالا فهدى (٧) ووجدك عائلا فأغنى (٨) فأما اليتيم فلا تقهر (٩) وأما السائل فلا تنهر (١٠) وأما بنعمة ربك فحدث (١١)

قال الامام احمد حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الاسود بن قيس قال سمعت جندبا يقول : اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتت امرأة فقالت يامحمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل الله عز وجل (والضحى والليل إذا سجى * ماودعك ربك وما قلى) رواه البخاري ومسلم والترمذى والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير من طرق عن الاسود بن قيس عن جندب هو ابن عبد الله البجلي ثم العقلي به وفي رواية سفيان بن عيينة عن الاسود بن قيس سمع جندبا قال أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ فقال المشركون ودع محمداً ربه فانزل الله تعالى (والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وما قلى)

﴿ سورة الضحى مكية وهي احدى عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا احمد بن يونس ثنا زهير ثنا الاسود بن قيس قال سمعت جندب بن سفيان قال اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت امرأة فقالت يامحمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث فانزل الله عز وجل (والضحى والليل اذا سجى * ماودعك ربك وما قلى) وقيل إن المرأة التي قالت ذلك أم جميل امرأة أبي لهب

وقال المفسرون سألت اليهود رسول الله ﷺ عن ذي القرنين وأصحاب الكهف وعن الروح فقال « سأخبركم غداً » ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحي، وقال زيد بن أسلم كان سبب احتباس جبريل عليه السلام عنه كون جرو في بيته ، فلما نزل عاتبه رسول الله ﷺ على ابطائه فقال إنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة ، واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه فقال ابن جريج اثنا عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوماً وقال مقاتل أربعون يوما قال المفسرون فقال المشركون إن محمداً ودعه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج وعمرو بن عبد الله الاودي قالا حدثنا أبو أسامة حدثني سفيان حدثني الاسود بن قيس انه سمع جندبا يقول رمي رسول الله ﷺ بحجر في أصبعه فقال

هل أنت إلا أصبع دميت   وفي سبيل الله مالقيت

قال فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم فقالت له امرأة ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت (والضحى والليل إذا سجى * ماودعك ربك وما قلى) والسياق لابي سعيد قيل إن هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب، وذكر أن أصبعه عليه السلام دميت ، وقوله هذا الكلام الذي اتفق أنه موزون ثابت في الصحيحين، ولكن الغريب ههنا جعله سببا لتركه القيام ونزول هذه السورة ،فأما مارواه ابن جرير حدثنا ابن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيباني عن عبد الله بن شداد أن خديجة قالت للنبي ﷺ ما أرى ربك إلا قد قلاك فانزل الله (والضحى والليل اذا سجى * ماودعك ربك وما قلى) وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه قال أبطأ جبريل على النبي ﷺ فجزع جزعا شديداً فقالت خديجة إني أرى ربك قد قلاك مما يرى من جزعك قال فنزلت (والضحي والليل اذا سجى * ماودعك ربك وما قلى) الى آخرها فانه حديث مرسل من هذين الوجهين ولعل ذكر خديجة ليس محفوظا أو قالته على وجه التأسف والتحزن والله أعلم

وقد ذكر بعض السلف منهم ابن اسحاق أن هذه السورة هي التي أوحاها جبريل الى رسول الله ﷺ حين تبدى له في صورته التي خلقه الله عليها ودنا اليه وتدلى منهبطا عليه وهو بالابطح (فاوحى الى عبده ما أوحى) قال قال له هذه السورة (والضحى والليل اذا سجى) قال العوفي عن ابن عباس لمانزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل أياما فتغير بذلك فقال المشركون ودعه ربه وقلاه فانزل الله (ماودعك ربك وما قلى) وهذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء (والليل اذا سجى) أي سكن فاظلم وادلهم قاله مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وغيرهم وذلك دليل ظاهر

ربه وقلاه فانزل الله تعالى هذه السورة فقال النبي ﷺ « ياجبريل ماجئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل إني كنت أشد شوقا اليك ولكني عبد مأمور فانزل الله (وما نتنزل إلا بامر ربك)

قوله عز وجل ﴿ والضحى ﴾ أقسم بالضحي وأراد به النهار كله بدليل انه قابله بالليل فقال والليل إذا سجى نظيره قوله (أن يأتيهم بأسنا ضحى) أي نهاراً

وقال قتادة ومقاتل يعني وقت الضحى وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الصيف والشتاء ﴿ والليل إذا سجى ﴾ قال الحسن أقبل بظلامه وهي رواية العوفي عن ابن عباس ، وقال الوالبي عنه اذا ذهب قال غطاء والضحاك غطى كل شيء بالظلمة وقال مجاهد استوى وقال قتادة وابن زيد سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك يقال ليل ساج وبحر ساج إذا كان ساكنا

قوله تعالى ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ هذا جواب القسم أي ماتركك منذ اختارك ولا أبغضك

على قدرة خالق هذا وهذا كما قال تعالى (والليل إذا يغشى والنهار اذا تجلى) وقال تعالى (فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم)

وقوله تعالى (ماودعك ربك) أي ماتركك [وما قلى] أي وما أبغضك [وللآخرة خير لك من الاولى] وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهد الناس في الدنيا وأعظمهم لها اطراحا كما هو معلوم بالضرورة من سيرته، ولما خير عليه السلام في آخر عمره بين الخلد في الدنيا الى آخرها ثم الجنة وبين الصيرورة الى الله عز وجل اختار ماعند الله على هذه الدنيا الدنية

قال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن ابراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود قال : اضطجع رسول الله ﷺ على حصير فأثر في جنبه فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت يارسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئا فقال رسول الله ﷺ « مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث المسعودى به وقال الترمذي حسن صحيح

وقوله تعالى [ولسوف يعطيك ربك فترضى] أى في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته وفيما أعده له من الكرامة ومن جملته نهر الكوثر الذى حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف وطينه مسك أذفر كما سيأتي .

وقال الامام أبو عمرو الاوزاعي عن اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر المخزومي عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال عرض على رسول الله ﷺ ماهو مفتوح على أمته من بعده كنزا كنزا فسر بذلك فانزل الله [ولسوف يعطيك ربك فترضى] فاعطاه في الجنة ألف الف قصر في كل قصر ماينبغي له من الازواج والخدم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريقه وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس ومثل هذا مايقال إلا عن توقيف وقال السدي عن ابن عباس من رضاء محمد ﷺ أن

منذ أحبك ﴿ وللآخرة خير لك من الاولى ﴾ حدثنا المطهر بن علي الفارسي أنا محمد بن ابراهيم الصالحاني أنا عبدالله بن محمد بن جعفر أبوالشيخ الحافظ أنا ابن أبي عاصم أنا ابو بكر بن أبي شيبة أنا معاوية بن هشام عن علي بن صالح عن يزيد بن زياد عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ « إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا » ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ قال عطاء عن ابن عباس هو الشفاعة في أمته حتى يرضى ، وهو قول علي والحسن، وروينا عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال « اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله ياجبريل اذهب إلى محمد فقل له انا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك فيهم »

وقال حرب بن شريح سمعت أبا جعفر محمد بن على يقول إنكم معشر أهل العراق تقولون أرجى آية في القرآن (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) وانا أهل البيت نقول

لا يدخل أحد من أهل بيته النار رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال الحسن يعني بذلك الشفاعة وهكذا قال أبو جعفر الباقر

وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا معاوية بن هشام عن علي بن صالح عن يزيد بن أبي زياد عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « انا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى »

ثم قال تعالى يعدد نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه (ألم يجدك يتيما فآوى) وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه وقيل بعد أن ولد عليه السلام ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين ، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب ، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره ، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الاوثان وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل فاقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الانصار من الاوس والخزرج كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الاكمل فلما وصل اليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه رضي الله عنهم أجمعين وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به

وقوله تعالى (ووجدك ضالا فهدى) كقوله (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري

أرجى آية في كتاب الله (ولسوف يعطيك فترضى) قيل ولسوف يعطيك ربك من الثواب ، وقيل من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين فترضى ، ثم أخبرنا الله عز وجل عن حالته التي كان عليها قبل الوحي وذكره نعمه فقال جل ذكره ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى ﴾

أخبرنا ابو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا ابو اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي قال أنبأني عبدالله بن حامد الاصفهاني أنا محمد بن عبدالله النيسابوري ثنا محمد بن عيسى أنا أبو عمرو الحوضي وأبو الربيع الزهراني عن حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « سألت ربي مسألة ووددت اني لم أكن سألته قلت يارب انك آتيت سليمان بن داود ملكا عظيما وآتيت فلانا كذا وآتيت فلانا كذا قال يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك ؟ قلت بلى أي رب قال ألم أجدك ضالا فهديتك ؟ قلت بلى أي رب قال ألم أجدك عائلا فأغنيتك ؟ قلت بلى أي رب » وزاد غيره عن حماد قال « ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك قلت بلى أي رب » ومعنى الآية « ألم يجدك يتيما ؟) صغيرا فقيرا حين مات أبواك ولم يخلفا لك مالا ولا مأوى ؟ فجعل لك مأوى تأوى اليه وضمك الى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المؤنة ﴿ ووجدك ضالا فهدى ﴾ يعني ضالا عما أنت عليه فهداك للتوحيد والنبوة قال الحسن والضحاك وابن

ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا) الآية ومنهم من قال إن المراد بهذا أن النبي ﷺ ضل في شعاب مكة وهو صغير ثم رجع وقيل إنه ضل وهو مع عمه في طريق الشام وكان راكبا ناقة في الليل فجاء ابليس فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل فنفخ ابليس نفخة ذهب منها إلى الحبشة ثم عدل بالراحلة إلى الطريق حكاهما البغوي

وقوله تعالى (ووجدك عائلا فأغنى) أي كنت فقيراً ذا عيال فأغناك الله عمن سواه فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر صلوات الله وسلامه عليه ، وقال قتادة في قوله (ألم يجدك يتيما فآوى * ووجدك ضالا فهدى * ووجدك عائلا فأغنى) قال كانت هذه منازل رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله عز وجل . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم

وفي الصحيحين من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال هذا ماحدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس » وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه » ثم قال تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر) أي كما كنت يتيما فآواك الله فلا تقهر اليتيم أي لاتذله وتنهره

كيسان (ووجدك ضالا) عن معالم النبوة وأحكام الشريعة غافلا عنها فهداك اليها كما قال (وإن كنت من قبله لمن الغافلين) وقال (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان) وقيل ضالا في شعاب مكة فهداك الى جدك عبد المطلب روى أبو الضحى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير فرآه أبو جهل منصرفا من أغنامه فرده الى عبد المطلب، وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله ﷺ مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة ظلماء ناقة جاء إبليس فأخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة وقع منها الى أرض الحبشة ورده الى القافلة فمن الله عليه بذلك وقيل (وجدك ضالا) نفسك لاتدري من أنت فعرفك نفسك وحالك ﴿ ووجدك عائلا فأغنى ﴾ أي فقيرا فأغناك بمال خديجة ثم بالغنائم وقال مقاتل فرضاك بما أعطاك من الرزق واختاره الفراء وقال لم يكن غنيا عن كثرة المال ولكن الله رضاه بما آتاه وذلك حقيقة الغنى

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعى أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنه قال أنا ابو هريرة قال قال ﷺ « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس »

أنا عبد الواحد المليحي أنا ابو عبدالله محمد بن الحسين الزعفراني أنا احمد بن سعيد أنا ابو يحيى محمد بن عبدالله ثنا أبي حدثني شرحبيل بن شريك عن أبي عبدالرحمن الحبلى عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه » ثم أوصاه باليتامى والفقراء فقال ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ﴾ قال مجاهد لاتحقر اليتيم فقد كنت يتيما ، وقال الفراء والزجاج لاتقهره على

وتهنه ولكن أحسن اليه وتلطف به قال قتادة كن لليتيم كالاب الرحيم (وأما السائل فلا تنهر) أي وكما كنت ضالا فهداك الله فلا تنهر السائل في العلم المسترشد

قال ابن اسحاق (وأما السائل فلا تنهر) أي فلا تكن جباراً ولا متكبراً ولا فحاشا ولا فظاعلى الضعفاء من عباد الله ، وقال قتادة يعني رد المسكين برحمة ولين (وأما بنعمة ربك فحدث) أي وكما كنت عائلا فقيراً فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك كما جاء في الدعاء المأثور النبوي « واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا »

وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا سعيد بن إياس الجريري عن أبي نضرة قال كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها

وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا الجراح بن فليح عن أبي عبد الرحمن عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ على المنبر « من لم يشكر القليل لم يشكر

ماله فتذهب بحقه لضعفه وكذا كانت العرب تفعل في أمر اليتامى تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا ابو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا ابو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابو إسحاق بن ابراهيم بن الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب عن يحيى بن سليمان عن يزيد بن أبي عتاب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه » ثم قال بأصبعيه « أنا وكافل اليتيم في الجنة » هكذا وهو يشير باصبعه السبابة والوسطى ﴿ وأما السائل فلا تنهر ﴾ قال المفسرون يريد السائل على الباب يقول لا تنهره ولا تزجره إذا سألك فقد كنت فقيراً فاما أن تطعمه واما أن ترده رداً لينا يقال نهره وانتهره اذا استقبله بكلام يزجره قال قتادة رد السائل برحمة ولين قال ابراهيم بن أدهم : نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة .

وقال ابراهيم النخعي السائل يريد إلى الآخرة يجيء إلى باب أحدكم فيقول هل توجهون إلى أهليكم بشيء ، وروي عن الحسن في قوله (وأما السائل فلا تنهر) قال طالب العلم ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ قال مجاهد يعني النبوة روى عنه أبو بشر واختاره الزجاج وقال أي بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي آتاك ، وقال الليث عن مجاهد يعني القرآن وهو قول الكلبي أمره أن يقرأه وقال مقاتل اشكر لما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة من جبر اليتيم والهدى بعد الضلالة والاغناء بعد العيلة والتحدث بنعمة الله شكراً

أخبرنا أبو سعيد بكر بن محمد بن محمد بن محمي البسطامي ثنا ابو الحسن عبد الرحمن بن ابراهيم ابن محمد بن يحيى بن سختويه أنا عبد الله بن محمد بن الحسين النصرابادي ثنا علي بن سعيد النسوي

الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ، والجماعة رحمة ، والفرقة عذاب » واسناده ضعيف . وفي الصحيحين عن أنس أن المهاجرين قالوا يارسول الله ذهب الانصار بالاجر كله قال « لا مادعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم »

وقال أبو داود حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « لايشكر الله من لايشكر الناس » ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد عن ابن المبارك عن الربيع بن مسلم وقال صحيح

وقال ابو داود حدثنا عبد الله بن الجراح حدثنا جرير عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ قال « من أبلى بلاء فذكره فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره » تفرد به أبو داود

وقال ابوداود حدثنا مسدد حدثنا بشر حدثنا عمارة بن غزية حدثني رجل من قومي عن جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « من اعطي عطاء فوجد فليجز به فان لم يجد فليثن به فمن اثنى

أنا سعيد بن عفير ثنا يحيى بن أيوب عن عمارة بن غزية عن شرحبيل مولى الانصاري عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال « من صنع اليه معروف فليجز به ان وجد فان لم يجد مايجزي به فليثن عليه فانه اذا أثنى عليه فقد شكره وان كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور »

أخبرنا ابو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا الحسين بن محمد بن الحسين ثنا احمد بن محمد بن اسحاق ثنا أبو القاسم بن منيع ثنا منصور بن أبي مزاحم ثنا وكيع عن أبي عبدالرحمن يعني القاسم بن الوليد عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر ، والجماعة رحمة والفرقة عذاب » والسنة في قراءة أهل مكة أن يكبر من أول سورة والضحى على رأس كل سورة حتى يختم القرآن فيقول الله أكبر كذلك قرأته على الامام المقري ، أبي نصر محمد بن احمد بن علي الحامدي بمرو قال قرأت على أبي القاسم طاهر بن علي الصيرفي قال قرأت على أبي بكر أحمد ابن الحسين بن مهران قال قرأت على أبي علي محمد بن أحمد بن حامد الصفار المقري ، قال قرأت على أبي بكر محمد بن موسى الهاشمي قال قرأت على أبي ربيعة والحسين بن محمد الحداد وهما قرآ على أبي الحسين بن أبي بزة وأخبرهما ابن ابي بزة انه قرأ على عكرمة بن سليمان بن كثير المكي وأخبره عكرمة أنه قرأ على شبل بن عباد واسماعيل بن قسطنطين واخبراه انهما قرآ على عبدالله بن كثير وأخبرهما عبدالله انه قرأ على مجاهد وأخبره مجاهد انه قرأ على ابن عباس وأخبره ابن عباس انه قرأ على أبي ابن كعب ، وأخبرنا الامام المقري ، ابو نصر محمد بن احمد بن علي وقرأت عليه بمرو وقال أنا الشريف ابوالقاسم علي بن محمد الزيدي بالتكبير وقرأت عليه بثغر حران قال ثنا ابو بكر محمد بن الحسن بن زياد الموصلي المعروف بالنقاش وقرأت عليه بمدينة السلام ثنا ابو ربيعة محمد بن اسحاق الربعي وقرأت عليه بمكة ثنا أبو الحسن احمد بن محمد بن عبدالله بن ابي بزة وقرأت عليه قال لي قرأته على

به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره » قال ابوداود : ورواه يحيى بن ايوب عن عمارة بن غزية عن شرحبيل عن جابر كرهوه فلم يسموه تفرد به ابوداود ، وقال مجاهد يعني النبوة التي اعطاك ربك وفي رواية عنه القرآن ، وقال ليث عن رجل عن الحسن بن علي [وأما بنعمة ربك فحدث] قال ماعملت من خير فحدث اخوانك ، وقال محمد بن اسحاق ماجاءك من الله من نعمة و كرامة من النبوة فحدث فيها واذكرها وادع اليها قال فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما انعم الله به عليه من النبوة سرا الى من يطمئن اليه من اهله وافترضت عليه الصلاة فصلى

﴿ آخر تفسير سورة الضحى ولله الحمد والمنة ﴾

تفسير سورة ألم نشرح لك وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ألم نشرح لك صدرك ؟ (١) ووضعنا عنك وزرك (٢) الذي أنقض ظهرك (٣) ورفعنا لك ذكرك (٤) فإن مع العسر يُسراً (٥) إن مع العسر يُسراً (٦) فإذا فرغت فانصب (٧) وإلى ربك فارغب (٨)

يقول تعالى [ألم نشرح لك صدرك] يعني أما شرحنا لك صدرك اي نورناه وجعلناه فسيحا رحيبا واسعا كقوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) و كما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه

عكرمة بن سليمان وأخبرني انه قرأ على اسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد فلما بلغت والضحى قالا لي كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة فانا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك وأخبرنا انه قرأ على مجاهد فأمره بذلك وأخبره مجاهد انه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك وأخبره ابن عباس انه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك وأخبره أبي انه قرأ على النبي ﷺ فأمره بذلك وكان سبب التكبير أن الوحي لما احتبس قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم النبي لذلك فلما نزل والضحى كبر رسول الله ﷺ فرحا لنزل الوحي فاتخذوه سنة

سورة ألم نشرح مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ ألم نفتح ونوسع ونلين لك قلبك بالايمان والنبوة والعلم والحكمة ﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴾ قال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية وهو كقوله (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر)

فسيحاواسعا سمحا سهلا لاحرج فيه ولا اصر ولاضيق . وقيل المراد بقوله [ألم نشرح لك صدرك] شرح صدره ليلة الاسراء كما تقدم من رواية مالك بن صعصعة وقد أورده الترمذى ههنا وهذا وان كان واقعا ليلة الاسراء كما رواه مالك بن صعصعة ولكن لامنافاة فان من جملة شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الاسراء ومانشأ عنه من الشرح المعنوى أيضا فالله أعلم

قال عبد الله بن الامام احمد حدثني محمد بن عبد الرحيم أبو يحيي البزار حدثنا يونس بن محمد حدثنا معاذ بن محمد بن أبي بن كعب حدثني أبو محمد بن معاذ عن محمد عن أبي بن كعب أن أبا هريرة كان جريئا على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره فقال يارسول الله ماأول ما رأيت من أمر النبوة ؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالسا وقال « لقد سألت ياأبا هريرة، اني في الصحراء ابن عشر سنين وأشهر وإذا بكلام فوق رأسي وإذا رجل يقول لرجل أهو هو ؟ فاستقبلاني بوجوه لم أرها قط وارواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم ارها على أحد قط فأقبلا إلي يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لاأجد لأحدهما مسا فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعاني بلا قصر ولاهصر فقال احدهما لصاحبه افلق صدره فهوى احدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له أخرج الغل والحسد فأخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فاذا مثل الذي أخرج شبه الفضة ثم هز إبهام رجلي اليمنى فقال اعد واسلم فرجعت بها أعدو رقة على الصغير ، ورحمة للكبير »

وقوله تعالى (ووضعنا عنك وزرك) بمعنى [ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر] (الذي أنقض ظهرك) الانقاض الصوت ، وقال غير واحد من السلف في قوله (الذي أنقض ظهرك) أي اثقلك حمله ، وقوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) قال مجاهد لا اذكر إلا ذكرت معي أشهد ان لا إله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله . وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها اشهد ان لااله الاالله وأن محمدا رسول الله

وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب اخبرنا عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن ابي سعيد عن رسول الله ﷺ انه قال « اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول كيف رفعت

وقال الحسين بن الفضل يعني الخطأ والسهو ، وقيل ذنوب أمتك فأضافها اليه لاشتغال قلبه بهم ﴿ الذي أنقض ظهرك ﴾ أثقل ظهرك فأوهنه حتى سمع له نقيض أي صوت ، وقال عبدالعزيز بن يحيى وأبو عبيدة يعني خففنا عنك اعباء النبوة والقيام بامرها ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾

أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنا ابوالقاسم عبد الخالق ابن علي المؤذن ثنا أبو بكر بن حبيب ثنا أبو اسماعيل محمد بن اسماعيل ثنا صفوان يعني ابن صالح أبو عبد الملك ثنا الوليد يعني ابن مسلم حدثني عبدالله بن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري

ذكرك ؟ قال الله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي » وكذا رواه ابن أبي حاتم عن يونس عن عبد الاعلى به ورواه ابو يعلى من طريق ابن لهيعة عن دراج

وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا ابو عمر الحوضي حدثنا حماد بن زيد حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « سألت ربي مسئلة وددت اني لم اسأله قلت قد كان قبلي انبياء منهم من سخرت له الريح ومنهم من يحيي الموتى قال يا محمد ألم اجدك يتيما فآويتك؟ قلت بلى يارب قال ألم اجدك ضالا فهديتك ؟ قلت بلى يارب قال ألم اجدك عائلا فأغنيتك ؟ قلت بلى يارب قال ألم أشرح لك صدرك ألم ارفع لك ذكرك ؟ قلت بلى يارب »

(١) وقال ابو نعيم في دلائل النبوة حدثنا ابو احمد الغطريفي حدثنا موسى بن سهل الجويني حدثنا احمد ابن القاسم بن بهزان الهيتي حدثنا نصر بن حماد بن عثمان بن عطاء عن الزهري عن انس قال قال رسول الله ﷺ « لما فرغت مما امرني به من امر السموات والارض قلت يا رب انه لم يكن نبي قبلي الا وقد كرمته جعلت ابراهيم خليلا وموسى كليما وسخرت لداود الجبال ولسليمان الريح والشياطين وأحييت لعيسى الموتى فما جعلت لي ؟ قال أو ليس قد اعطيتك افضل من ذلك كله اني لا اذكر الا ذكرت معي وجعلت صدور امتك أناجيل يقرءون القرآن ظاهراً ولم اعطها امة وأعطيتك كنزا من كنوز عرشي لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحكى البغوي عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بذلك الاذان يعني ذكره فيه وأورد من شعر حسان بن ثابت

أغر عليه للنبوة خاتم	من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي إلى اسمه	اذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله	فذو العرش محمود وهذا محمد

(١) من هنا إلى قوله الآتي: وحكي البغوي غير موجود بالنسخة المكية

عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية (ورفعنا لك ذكرك) قال «قال الله تعالى إذا ذكرت ذكرت معي » وعن الحسن قال (ورفعنا لك ذكرك) إذا ذكرت ذكرت وقال عطاء عن ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر ولو أن عبدا عبد الله وصدقه في كل شيء ولم يشهد أن محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وقال الضحاك لا تقبل صلاة إلا به ولا تجوز خطبة إلا به وقال مجاهد يعني بالتأذين وفيه يقول حسان بن ثابت

ألم تر أن الله أرسل عبده	ببرهانه والله أعلى وأمجد
أغر عليه للنبوة خاتم	من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي مع اسمه	إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله	فذو العرش محمود وهذا محمد

وقال آخرون رفع الله ذكره في الاولين والآخرين ونوه به حين اخذ الميثاق على جميع النبيين ان يؤمنوا به وأن يأمروا اممهم بالايمان به ثم شهر ذكره في امته فلايذكر الله الا ذكر معه، وما احسن ماقال الصرصري رحمه الله

لا يصح الاذان في الفرض إلا ... باسمه العذب في الفم المرضي

وقال أيضاً: ألم ترأنا لايصح أذاننا ... ولا فرضنا إن لم نكرره فيهما

وقوله تعالى (فان مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً) أخبر تعالى ان مع العسر يوجد اليسر ثم أكد هذا الخبر. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمود بن غيلان حدثنا حميد بن حماد بن أبي خوار أبو الجهم حدثنا عائذ بن شريح قال سمعت أنس بن مالك يقول كان النبي ﷺ جالسا وحياله حجر فقال « لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه » فأنزل الله عز وجل (فان مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً) ورواه أبو بكر البزار في مسنده عن محمد بن معمر عن حميد بن حماد به ولفظه «لو جاء العسر حتى يدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يخرجه» ثم قال (فان مع العسر يسراً * ان مع العسر يسراً) ثم قال البزار لانعلم رواه عن انس إلا عائذ بن شريح

(قلت) وقد قال فيه أبو حاتم الرازي في حديثه ضعف ولكن رواه شعبة عن معاوية بن قرة عن رجل عن عبدالله بن مسعود موقوفا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا أبو قطن حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال كانوا يقولون لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن قال خرج النبي ﷺ يوما مسرورا فرحا وهو يضحك وهو يقول « لن يغلب عسر يسرين ، لن يغلب عسر يسرين، فان مع

وقيل رفعه بأخذ ميثاقه على النبيين وإلزامهم الايمان به والاقرار بفضله ثم وعده اليسر والرخاء بعد الشدة وذلك انه كان بمكة في شدة فقال (فان مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً) أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسراً ورخاء بان يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به (ان مع العسر يسراً) كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء ، وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ « أبشروا قد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين »

قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه إنه لن يغلب عسر يسرين ، قال المفسرون ومعنى قوله لن يغلب عسر يسرين أن الله تعالى كرر العسر بلفظ المعرفة واليسر بلفظ النكرة ، ومن عادة العرب إذا ذكرت اسما معرفا ثم أعادته كان الثاني هو الاول وإذا ذكرت نكرة ثم أعادته مثله صار اثنين ، وإذا أعادته معرفة فالثاني هو الاول ، كقولك إذا كسبت درهما فانفق درهما فالثاني غير الاول ، واذا قلت اذا كسبت درهما فأنفق الدرهم فالثاني هو

العسر يسرا إن مع العسر يسرا » وكذا رواه من حديث عوف الاعرابي ويونس بن عبيد عن الحسن مرسلا وقال سعيد عن قتادة ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بهذه الآية فقال « لن يغلب عسر يسرين » ومعنى هذا أن العسر معرف في الحالين فهو مفرد واليسر منكر فتعدد ولهذا قال « لن يغلب عسر يسرين » يعني قوله (فان مع العسر يسرا * إن مع العسر يسرا) فالعسر الاول عين الثاني واليسر تعدد

وقال الحسن بن سفيان حدثنا يزيد بن صالح حدثنا خارجة عن عباد بن كثير عن أبي الزناد عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نزل المعونة من السماء على قدر المؤنة ، ونزل الصبر على قدر المصيبة » ومما يروى عن الشافعي انه قال :

صبرا جميلا ما أقرب الفرجا ... من راقب الله في الامور نجا
من صدق الله لم ينله أذى ... ومن رجاه يكون حيث رجا

وقال ابن دريد أنشدني أبو حاتم السجستاني

(١) اذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطأت المكاره واطمأنت ... وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها ... ولا أغنى بحيلته الاريب
أتاك على قنوط منك غوث ... يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات اذا تناهت ... فموصول بها الفرج القريب

(١) هذا وما بعده غير موجود بالنسخة المكية

الاول ، فالعسر في الآية مكرر بلفظ التعريف فكان عسراً واحدا واليسر مكرر بلفظ النكرة فكان يسرين كأنه قال فان مع العسر يسراً إن مع ذلك العسر يسرا آخر ، وقال أبو علي الحسين بن يحيى ابن نصر الجرجاني صاحب النظم تكلم الناس في قوله لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم إن العسر معرفة واليسر نكرة فوجب أن يكون عسر واحد ويسران وهذا قول مدخول إذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا فهذا لا يوجب أن يكون الفارس واحداً والسيف اثنين ، فمجاز قوله ان يغلب عسر يسرين أن الله بعث نبيه ﷺ وهو مقل مخف فكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا ان كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون كأيسر أهل مكة فاغتم النبي ﷺ لذلك فظن ان قومه انما يكذبونه لفقره فعدد الله نعمه عليه في هذه السورة ووعده الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الغم فقال (فان مع العسر يسراً) مجازه لا يحزنك ما يقولون فان مع العسر يسرا في الدنيا عاجلا ثم أنجزه ما وعده وفتح عليه القرى العربية ووسع عليه ذات يده حتى كان يعطي المئين من الابل ويهب الهبات السنية ، ثم ابتدأ فضلا آخر من أمر الآخرة فقال (ان مع العسر يسراً) والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المؤمنين ، ومجازه ان مع العسر يسرا أي ان مع العسر في الدنيا للمؤمن يسرا في الاخرة فربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ماذكره في الآية الاولى ويسر

وقال آخر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقوله تعالى (فاذا فرغت فانصب * والى ربك فارغب) أي اذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها فانصب الى العبادة وقم اليها نشيطا فارغ البال وأخلص لربك النية والرغبة، ومن هذا القبيل قوله ﷺ في الحديث المتفق على صحته « لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الاخبثان » وقوله ﷺ « اذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدؤا بالعشاء » قال مجاهد في هذه الآية اذا فرغت من أمر الدنيا فقمت الى الصلاة فانصب لربك وفي رواية عنه اذا قمت الى الصلاة فانصب في حاجتك وعن ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل ، وعن ابن عياض نحوه وفي رواية عن ابن مسعود (فانصب والى ربك فارغب) بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فاذا فرغت فانصب يعني في الدعاء ، وقال زيد بن أسلم والضحاك (فاذا فرغت) أي من الجهاد (فانصب) أي في العبادة (والى ربك فارغب) قال الثوري اجعل نيتك ورغبتك الى الله عز وجل

﴿ آخر تفسير سورة ألم نشرح ولله الحمد والمنة ﴾

الآخرة وهو ماذكره في الآية الثانية فقوله عليه السلام « لن يغلب عسر يسرين » أي لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعده المؤمنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم في الآخرة وإنما يغلب أحدهما وهو يسر الدنيا وأما يسر الآخرة فدائم غير زائل أي لا يجمعهما في الغلبة كقوله ﷺ « شهرا عيد لا ينقصان » أي لا يجتمعان في النقصان ﴿ فاذا فرغت فانصب ﴾ أي فاتعب والنصب التعب

قال ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والكلبي فاذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسئلة يعطك ، وروى عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه قال إذا صليت فاجتهد في الدعاء والمسئلة ، وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل، وقال الشعبي إذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك ، وقال الحسن وزيد بن أسلم اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك ، وقال منصور عن مجاهد اذا فرغت من أمر الدنيا فانصب في عبادة ربك فصل ، وقال جيان عن الكلبي إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب أي استغفر لذنبك وللمؤمنين ﴿ والى ربك فارغب ﴾ قال عطاء تضرع اليه راهبا من النار راغبا في الجنة، وقيل فارغب اليه في جميع أحوالك قال الزجاج أي اجعل رغبتك الى الله وحده

تفسير سورة والتين والزيتون وهى مكيه

قال مالك وشعبة عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب كان النبي ﷺ يقرأ في سفره في احدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتا أو قراءة منه أخرجه الجماعة في كتبهم

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون (١) وطور سينين (٢) وهذا البلد الأمين (٣) لقد خلقنا الانسن في أحسن تقويم (٤) ثم رددناه أسفل سفلين (٥) إلا الذين آمنوا وعملوا الصلحت فلهم أجر غير ممنون (٦) فما يكذبك بعد بالدين؟ (٧) أليس الله بأحكم الحكمين؟ (٨)

اختلف المفسرون ههنا على أقوال كثيرة فقيل المراد بالتين مسجد دمشق وقيل هي نفسها وقيل الجبل الذي عندها وقال القرطبي هو مسجد أصحاب الكهف وروى العوفي عن ابن عباس أنه مسجد نوح الذي على الجودي، وقال مجاهد هو تينكم هذا (والزيتون) قال كعب الاحبار وقتادة وابن زيد وغيرهم هو مسجد بيت المقدس وقال مجاهد وعكرمة هو هذا الزيتون الذي تعصرون (وطور سينين) قال كعب الاحبار وغير واحد هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام (وهذا البلد الامين) يعني مكة قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وابراهيم النخعي وابن زيد وكعب الاحبار ولا خلاف في ذلك

﴿ سورة التين مكية وهي ثمان آيات ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والتين والزيتون ﴾ قال ابن عباس والحسن ومجاهد وابراهيم وعطاء بن رباح ومقاتل والكلبي هو تينكم الذي تأكلونه وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه الزيت، قيل خص التين بالقسم لانه فاكهة مخلصة لا عجم فيها شبيهة بفواكه الجنة، والزيتون شجرة مباركة جاء بها الحديث وهو ثمر ودهن يصلح للاصطباغ والاصطباح، وقال عكرمة هما جبلان، قال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس لانهما ينبتان التين والزيتون، وقال الضحاك هما مسجدان بالشام، قال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس، وقال محمد ابن كعب التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا ﴿ وطور سينين ﴾ يعني الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وذكرنا معناه عند قوله (وشجرة تخرج من طورسيناء) ﴿ وهذا البلد

وقال بعض الائمة هذه محال ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبيا مرسلا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار (فالاول) محله التين والزيتون وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم عليه السلام (والثاني) طور سينين وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران (والثالث) مكة وهو البلد الامين الذي من دخله كان آمنا وهو الذي أرسل فيه محمدا ﷺ قالوا وفي آخر التوراة ذكر هذه الاماكن الثلاثة: جاء الله من طور سيناء - يعني الذي كلم الله عليه موسى بن عمران - وأشرق من ساعير - يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى - واستعلن من جبال فاران. يعني جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً ﷺ فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان ولهذا أقسم بالاشرف ثم الاشرف منه ثم بالاشرف منهما

وقوله تعالى (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) هذا هو المقسم عليه وهو أنه تعالى خلق الانسان في أحسن صورة وشكل منتصب القامة سوي الاعضاء حسنها (ثم رددناه أسفل سافلين) أي إلى النار قاله مجاهد وأبو العالية والحسن وابن زيد وغيرهم ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيره إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل ولهذا قال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال بعضهم (ثم رددناه أسفل سافلين) أي إلى أرذل العمر وروي هذا عن ابن عباس وعكرمة حتى قال عكرمة من جمع القرآن لم يرد إلى أرذل العمر ، واختار ذلك ابن جرير ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك لان الهرم قد يصيب بعضهم وانما المراد ماذكرناه كقوله تعالى [والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات]

الامين ﴾ أي الآمن يعني مكة يأمن فيه الناس في الجاهلية والاسلام ، هذه أقسام والمقسم عليه قوله ﴿ لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ﴾ أعدل قامة وأحسن صورة ، وذلك انه خلق كل حيوان منكبا على وجهه الا الانسان خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده مزينا بالعقل والتمييز ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين ﴾ يريد إلى الهرم وأرذل العمر فينقص عقله ويضعف بدنه والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال فالشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعا ، وأسفل سافلين نكرة تعم الجنس كما تقول فلان أكرم قائم وفي مصحف عبد الله أسفل السافلين ، وقال الحسن وقتادة ومجاهد يعني ثم رددناه الى النار يعني الى أسفل السافلين لان جهنم بعضها أسفل من بعض قال أبو العالية يعني الى النار في شر صورة في صورة خنزير ثم استثنى فقال ﴿ الا الذين امنوا ﴾ فانهم لا يردون الى النار ومن قال بالقول الاول قال (رددناه أسفل سافلين) فزالت عقولهم وانقطعت اعمالهم فلا يكتب لهم حسنة الا الذين امنوا ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة وقال ابن عباس هم نفر ردوا الى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى عذرهم فأخبر أن لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم

وقوله (فلهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع كما تقدم، ثم قال (فما يكذبك) أي يا ابن آدم (بعد بالدين؟) أي بالجزاء في المعاد ولقد علمت البدأة وعرفت أن من قدر على البدأة فهو قادر على الرجعة بطريق الاولى فأي شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا؟

قال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن منصور قال قلت لمجاهد (فما يكذبك بعد بالدين) عني به النبي ﷺ قال معاذ الله عني به الانسان وهكذا قال عكرمة وغيره

وقوله تعالى (أليس الله بأحكم الحاكمين) اي أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم أحداً ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه وقد قدمنا في حديث أبي هريرة مرفوعا «فاذا قرأ أحدكم والتين والزيتون فأتى على آخرها (أليس الله بأحكم الحاكمين) فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين»

﴿آخر تفسير سورة والتين والزيتون ولله الحمد والمنة﴾

قال عكرمة لم يضر هذا الشيخ كبره اذ ختم الله له بأحسن ما كان يعمل، وروى عاصم الاحول عن عكرمة عن ابن عباس قال (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال الا الذين قرءوا القرآن وقال من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ غير مقطوع لانه يكتب له كصالح ما كان يعمل قال الضحاك أجر بغير عمل ثم قال إلزاما للحجة ﴿فما يكذبك﴾ أيها الانسان ﴿بعد﴾ أي بعد هذه الحجة والبرهان ﴿بالدين﴾ بالحساب والجزاء، والمعنى ألا تتفكر في صورتك وشبابك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذى فعل ذلك قادر على أن يبعثني ويحاسبني فما الذى يكذبك بالمجازاة بعد هذه الحجج ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين؟﴾ أقضى القاضين قال مقاتل يحكم بينك وبين أهل التكذيب يا محمد وروينا ان رسول الله ﷺ قال «من قرأ والتين والزيتون فانتهى الى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين»

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل أنا أبو الوليد ثنا شعبة عن عدي قال سمعت البراء قال ان النبي ﷺ كان في سفر فقرأ في العشاء في إحدى الركعتين بالتين والزيتون



﴿ تفسير سورة اقرأ وهي اول شيء نزل من القرآن ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق الانسن من علق (٢) اقرأ وربك الاكرم (٣)

الذي علم بالقلم (٤) علم الانسن مالم يعلم (٥)

قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : أول مابدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجأه الوحي وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ ، قال رسول الله ﷺ « فقلت ماأنا بقاري، ـ قال ـ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقاريء فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقاريء فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق ـ حتى بلغ ـ ما لم يعلم » قال فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال « زملوني زملوني » فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال ياخديجة « مالي ؟ » وأخبرها الخبر وقال « قد خشيت على نفسي » فقالت له كلا أبشر فوالله لايخزيك

﴿ سورة العلق مكية وهي تسع عشرة اية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ أكثر المفسرين على أن هذه أول سورة نزلت من القرآن وأول ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله (مالم يعلم)

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت أول مابدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم وكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ فقال « ما أنا بقاري، قال فأخذني فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقاري، قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ

الله أبداً انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة أخي أبيها وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي وكتب بالعربية من الانجيل ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيراً قد عمي فقالت خديجة أي ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة ابن أخي ماترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ «أومخرجي هم ؟» فقال ورقة نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزنا غدا منه مراراً كي يتردى من رءوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يامحمد انك رسول الله حقا فيسكن بذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك. وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري وقد تكلمنا على هذا الحديث من جهة سنده ومتنه ومعانيه في أول شرحنا للبخاري مستقصى فمن أراد فهو هناك محرر ولله الحمد والمنة

فقلت ما أنا بقارىء. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم * الذى علم بالقلم * علم الانسان مالم يعلم) » فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر وقال « لقد خشيت على نفسي » فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب من الانجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيراً قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى ياليتني فيها جذعا ياليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ « أو مخرجي هم » قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الا عودي وان يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي، وروى محمد بن اسماعيل هذا الحديث في موضع آخر من كتابه عن يحيى بن بكير بهذا الاسناد

وقال حدثني عبد الله بن محمد ثنا عبد الرزاق أنا معمر قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة وذكر الحديث وقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق - حتى بلغ - مالم يعلم) وزاد في آخره فقال وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزنا غدا منه مراراً حتى يتردى من رءوس شواهق

فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركة وهن أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم ، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الانسان من علقة وان من كرمه تعالى أن علم الانسان مالم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة ، والعلم تارة يكون في الاذهان وتارة يكون في اللسان وتارة يكون في الكتابة بالبنان ذهني ولفظي ورسمي ، والرسمي يستلزمهما من غير عكس فلهذا قال (اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم * علم الانسان مالم يعلم) وفي الاثر قيدوا العلم بالكتابة وفيه أيضا من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يكن يعلم

كلاّ إن الانسٰن ليطغى (٦) أن رآه استغنى (٧) إن الى ربك الرُّجعىٰ (٨) أرءيت الذي ينهىٰ (٩) عبداً اذا صلى؟ (١٠) أرءيت ان كان على الهدى (١١) اوأمر بالتقوى؟ (١٢) أرءيت إن كذب وتولى؟ (١٣) ألم يعلم بأن الله يرى ؟ (١٤) كلاّ لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية (١٥) ناصيةٍ كـٰذبة خاطئة (١٦) فليدع ناديه (١٧) سندع الزبانية (١٨) كلا لا تطعه واسجد واقترب (١٩)

يخبر تعالى عن الانسان انه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله

الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يامحمد إنك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا بمثل ذلك فاذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك

أخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي أنا احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنا عبدالله بن حامد الوراق انا مكي بن عبدان أنا عبد الرحمن بن بشر ثنا سفيان عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت أول سورة نزلت (اقرأ باسم ربك) قوله عز وجل ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ قال ابو عبيدة مجازه اقرأ اسم ربك يعني أن الباء زائدة ، والمعنى اذكر اسمه أمر أن يبتدي، القراءة باسم الله تأديبا ﴿ الذي خلق ﴾ قال الكلبي يعنى الخلائق ثم فسره فقال ﴿ خلق الانسان ﴾ يعني ابن آدم ﴿ من علق ﴾ جمع علقة ﴿ اقرأ ﴾ كرره تأكيداً ثم استأنف فقال ﴿ وربك الاكرم ﴾ قال الكلبي الحليم عن جهل العباد لايعجل عليهم بالعقوبة ﴿ الذي علم بالقلم ﴾ يعني الخط والكتابة ﴿ علم الانسان مالم يعلم ﴾ من أنواع الهدى والبيان وقيل علم آدم الاسماء كلها وقيل الانسان ههنا محمد ﷺ بيانه وعلمك مالم تكن تعلم ﴿ كلا ﴾ حقا ﴿ ان الانسان ليطغى ﴾ ليتجاوز حده ويستكبر على ربه ﴿ أن ﴾ لأن ﴿ رآه استغنى ﴾ ان رأى نفسه غنيا قال الكلبي يرتفع عن منزلة الى منزلة في اللباس والطعام وغيرهما

ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال (ان الى ربك الرجعى) أي الى الله المصير والمرجع وسيحاسبك على مالك من أين جمعته وفيم صرفته

قال ابن أبي حاتم حدثنا زيد بن اسماعيل الصائغ حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو عميس عن عون قال قال عبدالله: منهومان لا يشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان فأما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان قال ثم قرأ عبدالله (إن الانسان ليطغى * أن رآه استغنى) وقال للآخر (انما يخشى الله من عباده العلماء)وقد روي هذا مرفوعا إلى رسول الله ﷺ « منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا »

ثم قال تعالى [أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى] نزلت في أبي جهل لعنه الله توعد النبي ﷺ على الصلاة عند البيت فوعظه تعالى بالتي هي احسن أولا فقال (أرأيت إن كان على الهدى) أي فما ظنك ان كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعله (أو أمر بالتقوى) بقوله وأنت تزجره وتتوعده على صلاته ولهذا قال (ألم يعلم بأن الله يرى ؟) أي أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي ان الله يراه ويسمع كلامه وسيجازيه على فعله أتم الجزاء .

ثم قال تعالى متوعداً ومتهدداً [كلا لئن لم ينته] أي لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد [لنسفعا بالناصية] أي لنسمنها سواداً يوم القيامة ثم قال [ناصية كاذبة خاطئة] يعني ناصية ابي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في افعالها [فليدع ناديه] اي قومه وعشيرته أي ليدعهم يستنصر بهم [سندع الزبانية] وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب أحزبنا او حزبه

وقال مقاتل نزلت في أبي جهل كان اذا أصاب مالا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه ﴿ ان الى ربك الرجعى ﴾ أي المرجع في الآخرة ﴿ أرأيت الذي ينهى عبداً اذا صلى ﴾ نزلت في أبي جهل نهى النبي ﷺ عن الصلاة

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبدالغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عبدالله بن معاذ ومحمد بن عبد الاعلى القيسي قالا ثنا المعتمر عن أبيه قال حدثني نعيم بن أبي هند عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أولأعفرن وجهه في التراب قال فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته فما فجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيده قال فقيل له مالك يا أبا الحكم ؟ قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فقال رسول الله ﷺ « لودنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا » قال فأنزل الله لاندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه (كلا ان الانسان ليطغى * أن رآه استغنى * ان الى ربك الرجعى * أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى) الآيات ومعنى أرأيت ههنا تعجيب المخاطب

قال البخاري حدثنا يحيى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزرى عن عكرمة عن ابن عباس قال قال ابو جهل لئن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه فبلغ النبي ﷺ فقال « لئن فعل لأخذته الملائكة » ثم قال تابعه عمرو بن خالد عن عبيد الله يعني ابن عمرو عن عبد الكريم . وكذا رواه الترمذي والنسائي في تفسيرهما من طريق عبد الرزاق به وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زكريا بن عدي عن عبيدالله بن عمرو به

وروى احمد والترمذى والنسائي وابن جرير وهذا لفظه من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام فمر به ابو جهل بن هشام فقال يا محمد ألم أنهك عن هذا ؟ وتوعده فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره فقال يا محمد بأي شيء تهددني ؟ أما والله اني لأكثر هذا الوادى ناديا فأنزل الله [فليدع ناديه سندع الزبانية] وقال ابن عباس لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته وقال الترمذي حسن صحيح

وقال الامام احمد ايضا حدثنا اسماعيل بن بزيد ابو يزيد حدثنا فرات عن عبدالكريم عن عكرمة عن ابن عباس قال قال ابوجهل لئن رأيت رسول الله يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه قال فقال « لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ولو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ رجعوا لا يجدون مالا ولا اهلا »

وقال ابن جرير ايضا حدثنا ابن حميد حدثنا يحيي بن واضح اخبرنا يونس بن ابي اسحاق عن الوليد بن العيزار عن ابن عباس قال قال ابو جهل لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه فأنزل الله عز وجل (اقرأ باسم ربك الذى خلق) حتى بلغ هذه الآية [لنسفعا بالناصية * ناصية كاذبة

وكرر هذه اللفظة للتأكيد ﴿ أرأيت ان كان على الهدى ﴾ يعني العبد المنهي وهو محمد ﷺ ﴿ أو أمر بالتقوى ﴾ يعني بالاخلاص والتوحيد ﴿ أرأيت ان كذب ﴾ يعني أباجهل ﴿ وتولى ﴾ عن الايمان وتقدير نظم الآية أرايت الذي ينهى عبدا إذا صلى وهو على الهدى امر بالتقوى والناهي مكذب متول عن الايمان أي فما أعجب من هذا ﴿ ألم يعلم ﴾ يعني أبا جهل ﴿ بأن الله يرى ﴾ ذلك فيجازيه به ﴿ كلا ﴾ لا يعلم ذلك ﴿ لئن لم ينته ﴾ عن إيذاء محمد ﷺ وتكذيبه ﴿ لنسفعاً بالناصية ﴾ لنأخذن بناصيته فلنجرنه الى النار كما قال (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) يقال سفعت بالشيء إذا أخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الرأس ثم قال على البدل ﴿ ناصية كاذبة خاطئة ﴾ أي صاحبها كاذب خاطيء . قال ابن عباس لما نهى أبو جهل رسول الله ﷺ عن الصلاة انتهره رسول الله ﷺ فقال أبو جهل أتنتهرني فوالله لأملأن عليك هذا الوادى ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا

قال الله عز وجل ﴿ فليدع ناديه ﴾ أي قومه وعشيرته أى فليستنصر بهم ﴿ سندع الزبانية ﴾ جمع زبنى مأخوذ من الزبن وهو الدفع قال ابن عباس يريد زبانية جهنم سموا بها لانهم يدفعون أهل

خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية] فجاء النبي ﷺ فصلى فقيل ما يمنعك ؟ قال قد اسود ما بيني وبينه من الكتائب قال ابن عباس والله لو تحرك لاخذته الملائكة والناس ينظرون اليه

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن ابيه حدثنا نعيم بن ابي هند عن ابي حازم عن ابي هريرة قال قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم ؟ قالوا نعم قال فقال واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته قال فما فجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه قال فقيل له مالك؟ فقال ان بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة قال فقال رسول الله « لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضوا » قال وأنزل الله لا ادري في حديث ابي هريرة ام لا (كلا ان الانسان ليطغى) الى آخر السورة وقد رواه احمد بن حنبل ومسلم والنسائي وابن ابي حاتم من حديث معتمر بن سليمان به

وقوله تعالى (كلا لا تطعه) يعني يا محمد لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها وصل حيث شئت ولا تباله فان الله حافظك وناصرك وهو يعصمك من الناس (واسجد واقترب) كما ثبت في الصحيح عند مسلم من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن عمارة بن غزية عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » وتقدم أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسجد في (اذا السماء انشقت — واقرأ باسم ربك الذي خلق)

﴿ آخر تفسير سورة اقرأ ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة ﴾

النار اليها قال الزجاج هم الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله ثم قال ﴿ كلا ﴾ ليس الامر على ما عليه أبو جهل ﴿ لا تطعه ﴾ في ترك الصلاة ﴿ واسجد ﴾ وصل لله ﴿ واقترب ﴾ من الله

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي ثنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي ثنا أبو داود سليمان بن الاشعث ثنا احمد بن صالح واحمد بن عمر بن السرح ومحمد بن سلمة قالوا أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن عمارة بن غزية عن سمي مولى أبي بكر انه سمع أبا صالح ذكوان يحدث عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء »

﴿ تفسير سورة القدر وهي مكية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا انزلنه في ليلة القدر (١) وما ادرىك ماليلة القدر؟ (٢) ليلة القدر خير من الف شهر (٣) تنزل الملئكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر (٤) سلم هي حتى مطلع الفجر (٥)

يخبر تعالى أنه انزل القرآن ليلة القدر وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل [انا انزلناه في ليلة مباركة] وهي ليلة القدر وهي من شهر رمضان كما قال تعالى [شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن] قال ابن عباس وغيره أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال تعالى معظما لشأن ليلة القدر التي اختصها بانزال القرآن العظيم فيها فقال (وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر)

قال ابو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية حدثنا محمود بن غيلان حدثنا ابو داود الطيالسي حدثنا القاسم بن الفضل الحداني عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن بن علي بعد ما بايع معاوية فقال سودت وجوه المؤمنين أو يامسود وجوه المؤمنين فقال : لاتؤنبني رحمك الله فان النبي ﷺ رأى بني أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت [انا أعطيناك الكوثر] يامحمد يعني نهراً في الجنة ونزلت (انا انزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ماليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) يملكها بعدك بنو أمية يامحمد ، قال القاسم فعددنا فاذا هي ألف شهر لاتزيد يوما ولا تنقص . ثم قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل ، وهو ثقة وثقه يحيي القطان وعبد الرحمن بن مهدي قال وشيخه يوسف بن سعد ويقال يوسف بن مازن رجل مجهول ولا يعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه

﴿ سورة القدر مكية وهي خمس آيات ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ يعني القرآن كناية عن غير مذكور أنزله جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا فوضعه في بيت العزة ثم كان ينزل به جبريل عليه السلام نجوما في عشرين سنة ثم عجب نبيه فقال ﴿ وما أدراك ما ليلة القدر ﴾ سميت ليلة القدر لانها ليلة تقدير الامور

وقد روى هذا الحديث الحاكم في مستدركه من طريق القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن به وقول الترمذي إن يوسف هذا مجهول فيه نظر فانه قد روى عنه جماعة منهم حماد بن سلمة وخالد الحذاء ويونس بن عبيد وقال فيه يحيي بن معين هو مشهور ، وفي رواية عن ابن معين قال هو ثقة ، ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل عن عيسى بن مازن كذا قال وهذا يقتضي اضطرابا في هذا الحديث والله أعلم

ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جداً قال شيخنا الامام الحافظ الحجة ابو الحجاج المزى هو حديث منكر قلت وقول القاسم بن الفضل الحداني انه حسب مدة بني أمية فوجدها ألف شهر لاتزيد يوما ولا تنقص ليس بصحيح فان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه استقل بالملك حين سلم اليه الحسن بن علي الامرة سنة أربعين واجتمعت البيعة لمعاوية وسمي ذلك عام الجماعة ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والاهواز وبعض البلاد قريبا من تسع سنين لكن لم تزل يدهم عن الامرة بالكلية بل عن بعض البلاد إلى أن استلبهم بنو العباس الخلافة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة وذلك أزيد من ألف شهر فان الالف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر وكأن القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير وعلى هذا فيقارب ماقاله الصحة في الحساب والله أعلم ، ومما يدل على ضعف هذا الحديث أنه سيق لذم دولة بني أمية ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق فان تفضيل ليلة القدر على أيامهم لايدل على ذم أيامهم فان ليلة القدر شريفة جداً والسورة الكريمة انما جاءت لمدح ليلة القدر فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومة بمقتضى هذا الحديث وهل هذا إلا كما قال القائل :

ألم تر أن السيف ينقص قدره اذا قيل ان السيف أمضى من العصا

وقال آخر اذا أنت فضلت امرأ ذا براعة على ناقص كان المديح من النقص

ثم من الذى يفهم من الآية أن الالف شهر المذكورة في الآية هي أيام بني أمية والسورة مكية فكيف يحال على ألف شهر هي دولة بني أمية ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة فهذا كله مما يدل على ضعف الحديث ونكارته والله أعلم

والاحكام يقدر الله فيها أمر السنة في عباده وبلاده الى السنة المقبلة كقوله تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم) وهو مصدر قولهم قدر الله الشيء بالتخفيف قدرا وقدرا كالنهر والنهر والشعر والشعر وقدره بالتشديد تقديراً بمعنى واحد ، قيل للحسين بن الفضل أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والارض؟ قال نعم ، قيل فما معنى ليلة القدر؟ قال سوق المقادير التي خلقها الى المواقيت تنفيذ القضاء المقدر، وقال الازهري في ليلة العظمة والشرف من قول الناس لفلان عند الامير قدر أي جاه ومنزلة يقال قدرت فلانا أي عظمته

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا سلم يعنى بن خالد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن النبي ﷺ ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر قال فعجب المسلمون من ذلك قال فانزل الله عز وجل (إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ماليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام بن مسلم عن المثنى بن الصباح عن مجاهد قال كان في بني اسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي ففعل ذلك ألف شهر فانزل الله هذه الآية [ليلة القدر خير من ألف شهر] قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل

قال الله تعالى (وما قدروا الله حق قدره) أي ما عظموه حق تعظيمه وقيل لان العمل الصالح فيه يكون ذا قدر عند الله لكونه مقبولا ، واختلفوا في وقتها فقال بعضهم انها كانت على عهد رسول الله ﷺ ثم رفعت وعامة الصحابة والعلماء على أنها باقية الى يوم القيامة

وروي عن عبد الله بن الحسين مولى معاوية قال قلت لابي هريرة زعموا ان ليلة القدر قد رفعت قال كذب من قال ذلك ، قلت هي في كل شهر ؟ قال لا بل في شهر رمضان فاستقبله ، وقال بعضهم هي ليلة من ليالي السنة حتى لو علق رجل طلاق امرأته وعتق عبده بليلة القدر لا يقع مالم تمض سنة من حين حلف ، يروى ذلك عن ابن مسعود قال من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن أما انه علم انها في شهر رمضان ولكن أراد أن لا يتكل الناس ، والجمهور من أهل العلم على أنها في شهر رمضان . واختلفوا في تلك الليلة قال أبو رزين العقيلي هي أول ليلة من شهر رمضان ، وقال الحسن ليلة سبع عشرة وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر . والصحيح الذي عليه الاكثرون انها في العشر الاواخر من شهر رمضان

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس محمد بن احمد المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا هارون بن اسحاق الهمداني ثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يجاور في العشر الاواخر من رمضان ويقول « تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان »

أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى ثنا قتيبة ثنا عبد الواحد بن زياد عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيرها

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان عن أبي يعقوب عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان النبي ﷺ اذا دخل العشر الاواخر من رمضان شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله

وقال ابن أبي حاتم أخبرنا يونس أخبرنا ابن وهب حدثني سلمة بن علي عن علي بن عروة قال ذكر رسول الله ﷺ يوما اربعة من بني اسرائيل عبدوا الله ثمانين عاما لم يعصوه طرفة عين فذكر أيوب وزكريا وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون قال فعجب أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك فأتاه جبريل فقال يامحمد عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين فقد انزل الله خيراً من ذلك فقرأ عليه (إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ماليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك قال فسر بذلك رسول الله ﷺ والناس معه وقال سفيان الثوري بلغني عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر قال عملها صيامها وقيامها خير من ألف شهر رواه ابن جرير

واختلفوا في انها في أي ليلة من العشر أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا اسماعيل بن جعفر ثنا أبو سهيل عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ قال « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان »

أخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد الوزان أنا مكي ابن عبدان ثنا عبد الله بن هاشم بن حيان ثنا يحيى بن سعيد القطان ثنا عيينة بن عبدالرحمن حدثني أبي قال ذكرت ليلة القدر عند أبي بكرة فقال ما أنا بطالبها بعد شيء سمعته من رسول الله ﷺ إلا في العشر الاواخر سمعت رسول الله ﷺ يقول « التمسوها في العشر الاواخر من تسع يبقين أو سبع يبقين أو خمس يبقين أو ثلاث يبقين أو آخر ليلة » وكان أبو بكرة اذا دخل رمضان يصلي كما يصلي في سائر السنة فاذا دخل العشر الاواخر اجتهد

وأخبرنا عبدالواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن المثنى حدثني خالد بن الحارث ثنا حميد ثنا أنس عن عبادة بن الصامت قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال « خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة »

أخبرنا ابو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد أنا ابو إسحاق الهاشمي أنا ابو مصعب عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر أن رجالا من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الاواخر من رمضان فقال رسول الله ﷺ « إني أرى رؤيا كم قد تواطأت في السبع الاواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الاواخر » وروي عن أبي سعيد الخدري أنها ليلة إحدى وعشرين

وأخبرنا ابو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد أنا ابو إسحاق الهاشمي أنا ابو مصعب عن

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا ابن ابي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر ليس في تلك الشهور ليلة القدر وهكذا قال قتادة ابن دعامة والشافعي وغير واحد وقال عمرو بن قيس الملائي عمل فيها خير من عمل ألف شهر وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وهو اختيار ابن جرير وهو الصواب لا ماعداه وهو كقوله ﷺ «رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل» رواه احمد وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة ، ونية صالحة انه يكتب له عمل سنة أجر صيامها وقيامها الى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك

مالك عن يزيد بن عبدالله بن الهاد عن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي سعيد الخدري انه قال كان النبي ﷺ يعتكف العشر الوسطى من رمضان واعتكف عاما حتى اذا كان ليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج صبحها من اعتكافه قال «من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر ، وقد رأيت هذه الليلة ثم أنسيتها وقد رأيتني أسجد من صبيحتها في ماء وطين فالتمسوها في العشر الاواخر والتمسوها في كل وتر» فقال ابو سعيد الخدري فمطرت السماء تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف المسجد قال ابو سعيد الخدري فبصرت عيناي رسول الله ﷺ قد انصرف علينا وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين ، وقال بعضهم هي ليلة ثلاث وعشرين

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا ابو منصور السمعاني ثنا ابو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا احمد بن خالد الحمصي ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن ابراهيم حدثني ابن عبدالله بن أنيس عن أبيه انه قال لرسول الله ﷺ اني أكون ببادية يقال لها الوطأة واني بحمدالله أصلي بهم فمرني بليلة من هذا الشهر أنزلها إلى المسجد فأصليها فيه فقال «انزل ليلة ثلاث وعشرين فصلها فيه وان أحببت أن تستتم آخر الشهر فافعل وان أحببت فكف» قال فكان إذا صلى العصر دخل المسجد فلم يخرج إلا من حاجة حتى يصلي الصبح فاذا صلى الصبح كانت دابته بباب المسجد

وأخبرنا عبدالواحد المليحي أنا ابو منصور السمعاني ثنا ابو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا يعلى بن عبيد ثنا الاعمش عن ابى صالح عن أبي هريرة قال تذاكرنا ليلة القدر فقال رسول الله ﷺ «كم مضى من الشهر ؟» فقلنا اثنان وعشرون وبقي ثمان فقال «مضى اثنتان وعشرون وبقي سبع اطلبوها الليلة الشهر تسع وعشرون» وقال قوم في ليلة سبع وعشرين وهو قول علي وأبي وعائشة

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا ابو منصور السمعانى ثنا ابو جعفر الريانى ثنا حميد بن زنجويه ثنا يعلى ابن عبيد ثنا سفيان عن عاصم عن زر بن حبيش قال قلت لابى بن كعب يا أبا المنذر أخبرنا عن ليلة القدر فان ابن مسعود عبدالله يقول من يقم الحول يصبها فقال رحم الله أبا عبدالرحمن أما انه قد علم

وقال الامام أحمد حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبى هريرة رضي الله عنه قال لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ « قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم » ورواه النسائي من حديث أيوب به ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »

أنها في رمضان ولكن كره أن يخبركم فتتكلوا هي والذي أنزل القرآن على محمد ﷺ ليلة سبع وعشرين فقلنا يا أبا المنذر انى علمت هذا ؟ قال بالآية التي أخبرنا النبي ﷺ فحفظنا وعددناها هي والله لا يستثني قال قلنا لزر وما الآية ؟ قال تطلع الشمس كأنها طاس ليس لها شعاع

ومن علاماتها ماروي عن الحسن رفعه انها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها، وفي الجملة أبهم الله هذه الليلة على هذه الامة ليجتهدوا في العبادة ليالي رمضان طمعا في ادراكها كما أخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس واسمه الاعظم في الاسماء ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذراً من قيامها

قوله عز وجل ﴿ ليلة القدر خير من الف شهر ﴾ قال عطاء عن ابن عباس ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله الف شهر فعجب رسول الله ﷺ لذلك وتمنى ذلك لامته فقال « يارب جعلت أمتي أقصر الامم أعماراً وأقلها أعمالا » فأعطاه الله ليلة القدر فقال (ليلة القدر خير من الف شهر) التى حمل فيها الاسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيامة قال المفسرون ليلة القدر خير من الف شهر معناه عمل صالح في ليلة القدر خير من عمل الف شهر ليس فيها ليلة القدر حدثنا ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري املاء ثنا ابو نعيم الاسفرايني أنا ابو عوانة ثنا ابو اسماعيل ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا الزهري أخبرنى ابو سلمة عن أبى هريرة أن النبي ﷺ قال « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » وقال سعيد بن المسيب من شهد المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ بحظه من ليلة القدر

وأخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أنا ابوبكر بن عبدوس المزكي ثنا ابو العباس محمد بن يعقوب ثنا الحسن بن مكرم ثنا يزيد بن هارون أنا كهمس عن عبد الله بن بريدة أن عائشة قالت للنبي ﷺ ان وافيت ليلة القدر فما أقول ؟ قال « قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني »

وقوله تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر) أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر ويضعون اجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيما له، وأما الروح فقيل المراد به ههنا جبريل عليه السلام فيكون من باب عطف الخاص على العام وقيل هم ضرب من الملائكة كما تقدم في سورة النبأ والله أعلم . وقوله تعالى (من كل امر) قال مجاهد سلام هي من كل امر وقال سعيد بن منصور حدثنا عيسى بن يونس حدثنا الاعمش عن مجاهد في قوله (سلام هي) قال هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو يعمل فيها أذى وقال قتادة وغيره تقضى فيها الامور وتقدر الآجال والارزاق كما قال تعالى (فيها يفرق كل امر حكيم)

وقوله تعالى (سلام هي حتى مطلع الفجر) قال سعيد بن منصور حدثنا هشام عن ابي اسحاق عن الشعبي في قوله تعالى (من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر) قال تسليم الملائكة ليلة القدر على اهل المساجد حتى يطلع الفجر

وروى ابن جرير عن ابن عباس انه كان يقرأ (من كل امرىء سلام هي حتى مطلع الفجر) وروى البيهقي في كتابه فضائل الاوقات عن علي اثراً غريبا في نزول الملائكة ومرورهم على المصلين ليلة القدر وحصول البركة للمصلين

وروى ابن ابي حاتم عن كعب الاحبار اثراً غريبا عجيبا مطولا جداً في تنزل الملائكة من سدرة المنتهى صحبة جبريل عليه السلام الى الارض ودعائهم للمؤمنين والمؤمنات

وقال ابو داود الطيالسي حدثنا عمران يعني القطان عن قتادة عن أبي ميمونة عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر انها ليلة سابعة او تاسعة وعشرين وان الملائكة تلك الليلة في الارض أكثر من عدد الحصى

وقال الاعمش عن المنهال عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله (من كل امر سلام) قال لا يحدث فيها أمر . وقال قتادة وابن زيد في قوله (سلام هي) يعني هي خير كلها ليس فيها شر إلى مطلع الفجر ويؤيد هذا المعنى مارواه الامام احمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثني بحير بن سعد عن خالد ابن معدان عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال « ليلة القدر في العشر البواقي من قامهن ابتغاء حسبتهن فان الله يغفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وهي ليلة وتر تسع أو سبع أو خامسة أو ثالثة او آخر ليلة » وقال رسول الله ﷺ « ان أمارة ليلة القدر انها صافية بلجة كأن فيها قمراً ساطعا ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر ولا يحل لكوكب يرمى به حتى يصبح ، وان امارتها أن الشمس

قوله عز وجل ﴿ تنزل الملائكة والروح ﴾ يعني جبريل عليه السلام معهم ﴿ فيها ﴾ أي في ليلة القدر ﴿ باذن ربهم من كل أمر ﴾ أي بكل أمر من الخير والبركة كقوله (يحفظونه من أمر الله) أي

صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ »
وهذا إسناد حسن وفي المتن غرابة وفي بعض ألفاظه نكارة

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا زمعة عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر « ليلة سمحة طلقة لا حارة ولا باردة وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء »

وروى ابن أبي عاصم النبيل باسناده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « اني رأيت ليلة القدر فأنسيتها وهي في العشر الاواخر من لياليها وهي ليلة طلقة بلجة لا حارة ولا باردة كأن فيها قمراً لا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها »

﴿ فصل ﴾ اختلف العلماء هل كانت ليلة القدر في الامم السالفة أو هي من خصائص هذه الامة ؟ على قولين . قال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري حدثنا مالك انه بلغه أن رسول الله ﷺ أري أعمار الناس قبله أو ماشاء الله من ذلك فكأنه تقاصر اعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خير من الف شهر . وقد أسند من وجه آخر ، وهذا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هذه الامة بليلة القدر وقد نقله صاحب العدة أحد أئمة الشافعية عن جمهور العلماء فالله أعلم . وحكى الخطابي عليه الاجماع ونقله الراضي جازما به عن المذهب ، والذي دل عليه الحديث انها كانت في الامم الماضين كما هي في أمتنا

قال الامام احمد بن حنبل حدثنا يحيى بن سعيد عن عكرمة بن عمار حدثني أبو زميل سماك الحنفي حدثني مالك بن مرثد بن عبد الله حدثني مرثد قال سألت أباذر قلت كيف سألت رسول الله ﷺ عن ليلة القدر ؟ قال أنا كنت أسأل الناس عنها قلت يارسول الله أخبرني عن ليلة القدر أفي رمضان هي أو في غيره ؟ قال « بل هي في رمضان » قلت تكون مع الانبياء ما كانوا فاذا قبضوا رفعت أم هي الى يوم القيامة ؟ قال « بل هي الى يوم القيامة » قلت في أي رمضان هي ؟ قال « التمسوها في العشر الاول والعشر الأخر » ثم حدث رسول الله ﷺ وحدث ثم اهتبلت غفلته قلت في أي العشرين هي ؟ قال « ابتغوها في العشر الأواخر لا تسألني عن شيء بعدها » ثم حدث رسول الله ﷺ ثم اهتبلت غفلته فقلت يا رسول الله أقسمت عليك بحقي عليك لما أخبرتني في اي العشر هي فغضب علي غضبا لم يغضب مثله منذ صحبته وقال « التمسوها في السبع الاواخر لا تسألني عن شيء بعدها » ورواه النسائي عن الفلاس عن يحيى بن سعيد القطان به ، ففيه دلالة على ماذكرناه وفيه انها تكون باقية إلى يوم القيامة في كل سنة بعد النبي ﷺ لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية على

بامر الله ﴿ سلام ﴾ قال عطاء يريد سلام على أولياء الله وأهل طاعته

قال الشعبي هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس الى أن يطلع

مافهموه من الحديث الذى سنورده بعد من قوله عليه السلام «فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم» لان المراد رفع علم وقتها عينا .. وفيه دلالة على أن ليلة القدر تختص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور لا كما روي عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة من انها توجد في جميع السنة وترتجى في جميع الشهور على السواء

وقد ترجم أبو داود في سننه على هذا فقال (باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضان) حدثنا حميد ابن زنجويه السامي أخبرنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير حدثني موسى بن عقبة عن أبي اسحاق عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عمر قال سئل رسول الله ﷺ وأنا اسمع عن ليلة القدر فقال هي في كل رمضان وهذا اسناد رجاله ثقاة الا أن أبا داود قال رواه شعبة وسفيان عن أبي اسحاق فأوقفاه وقد حكي عن أبي حنيفة رحمه الله رواية أنها ترتجى في كل شهر رمضان وهو وجه حكاه الغزالي واستغربه الرافعي جدا

﴿ فصل ﴾ ثم قد قيل أنها تكون في اول ليلة من شهر رمضان يحكي هذا عن أبي رزين وقيل أنها تقع ليلة سبع عشرة وروى فيه ابو داود حديثا مرفوعا عن ابن مسعود وروي موقوفا عليه وعلى زيد بن ارقم وعثمان بن ابى العاص وهو قول عن محمد بن ادريس الشافعي، ويحكى عن الحسن البصري، ووجهوه بأنها ليلة بدر وكانت ليلة جمعة هي السابعة عشر من شهر رمضان وفي صبيحتها كانت وقعة بدر وهو اليوم الذي قال الله تعالى فيه (يوم الفرقان) وقيل ليلة تسع عشرة يحكى عن علي وابن مسعود أيضا رضي الله عنهما، وقيل ليلة احدى وعشرين لحديث أبي سعيد الخدري قال اعتكف رسول الله ﷺ في العشر الاول من رمضان واعتكفنا معه فأتاه جبريل فقال إن الذي تطلب أمامك فاعتكف العشر الاوسط فاعتكفنا معه فأتاه جبريل فقال الذي تطلب أمامك ثم قام النبي ﷺ خطيبا صبيحة عشرين من رمضان فقال « من كان اعتكف معي فليرجع فاني رأيت ليلة القدر وإني أنسيتها وإنها في العشر الاواخر في وتر وإني رأيت كاني أسجد في طين وماء » وكان سقف المسجد جريداً من النخل وما نرى في السماء شيئا فجاءت جزعة فمطرنا فصلى بنا النبي ﷺ حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله ﷺ تصديق رؤياه وفي لفظ من صبح احدى وعشرين أخرجاه في الصحيحين قال الشافعي وهذا الحديث أصح الروايات، وقيل ليلة ثلاث وعشرين لحديث عبدالله ابن أنيس في صحيح مسلم وهو قريب السياق من رواية أبي سعيد فالله أعلم، وقيل ليلة أربع وعشرين

قال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » اسناد رجاله ثقاة

الفجر . قال الكلبي الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنا او مؤمنة سلموا عليه من ربه حتى يطلع الفجر وقيل تم الكلام عند قوله (باذن ربهم من كل أمر) ثم ابتدأ فقال سلام ﴿ هي ﴾ أى ليلة القدر سلام

وقال احمد حدثنا موسى بن داو: حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن الصنابحي عن بلال قال: قال رسول الله ﷺ « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » ابن لهيعة ضعيف وقد خالفه مارواه البخاري عن أصبغ عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن أبي عبد الله الصنابحي قال أخبرني بلال مؤذن رسول الله ﷺ أنها أول السبع من العشر الاواخر فهذا الموقوف أصح والله أعلم. وهكذا روي عن ابن مسعود وابن عباس وجابر والحسن وقتاده وعبد الله بن وهب أنها ليلة أربع وعشرين وقد تقدم في سورة البقرة حديث واثلة ابن الاسقع مرفوعا « ان القرآن انزل ليلة أربع وعشرين » وقيل تكون ليلة خمس وعشرين لما رواه البخاري عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ قال « التمسوها في العشر الاواخر من رمضان في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى » فسره كثيرون بليالي الاوتار وهو أظهر وأشهر، وحمله آخرون على الاشفاع كما رواه مسلم عن أبي سعيد أنه حمله على ذلك والله أعلم، وقيل إنها تكون ليلة سبع وعشرين لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أنها ليلة سبع وعشرين

قال الامام أحمد حدثنا سفيان سمعت عبدة وعاصما عن زر سألت أبي بن كعب قلت أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة القدر قال يرحمه الله لقد علم أنها في شهر رمضان وأنها ليلة سبع وعشرين ثم حلف قلت وكيف تعلمون ذلك؟ قال بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا بها تطلع ذلك اليوم لاشعاع لها يعني الشمس

وقد رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة وشعبة والاوزاعي عن عبدة عن زر عن أبي فذكره وفيه فقال والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان يحلف ما يستثني ووالله إني لأعلم أي ليلة القدر هي التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها هي ليلة سبع وعشرين، وامارتها أن تطلع الشمس في صبيحتها بيضاء لاشعاع لها، وفي الباب عن معاوية وابن عمر وابن عباس وغيرهم عن رسول الله ﷺ أنها ليلة سبع وعشرين وهو قول طائفة من السلف وهو الجادة من مذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله وهو رواية عن أبي حنيفة أيضا

وقد حكي عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن من قوله (هي) لانها الكلمة السابعة والعشرون من السورة فالله أعلم

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا اسحاق بن ابراهيم الدبري أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة وعاصم أنهما سمعا عكرمة يقول قال ابن عباس دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد ﷺ فسألهم عن ليلة القدر فاجمعوا أنها في العشر الاواخر قال ابن عباس فقلت لعمر إني لأعلم أو إني لاظن أي ليلة القدر هي فقال عمر وأي ليلة هي؟ فقلت سابعة تمضي - أو سابعة تبقى - من العشر الاواخر فقال

وخير كلها ليس فيها شر قال الضحاك لايقدر الله في تلك الليلة ولا يقضي الا السلامة

عمرو من أين علمت ذلك قال ابن عباس فقلت خلق الله سبع سموات وسبع أرضين وسبعة أيام وان الشهر يدور على سبع وخلق الانسان من سبع ويأكل من سبع ويسجد على سبع والطواف بالبيت سبع ورمي الجمار سبع لاشياء ذكرها فقال عمر لقد فطنت لامر مافطناله، وكان قتادة يزيد عن ابن عباس في قوله ويأكل من سبع قال هو قول الله تعالى (فانبتنا فيها حبا وعنبا) الآية وهذا اسناد جيد قوي ومتن غريب جداً فالله أعلم وقيل إنها تكون في ليلة تسع وعشرين

وقال الامام أحمد بن حنبل حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا سعيد بن سلمة حدثنا عبد الله ابن محمد بن عقيل عمر بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر فقال رسول الله ﷺ « في رمضان فالتمسوها في العشر الاواخر فانها في وتر إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو في آخر ليلة »

وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود وهو أبو داود الطيالسي حدثنا عمران القطان عن قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر « انها في ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين ان الملائكة تلك الليلة في الارض أكثر من عدد الحصى » تفرد به أحمد واسناده لا بأس به ، وقيل انها تكون في آخر ليلة لما تقدم من هذا الحديث آنفا ولما رواه الترمذي والنسائي من حديث عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال « في تسع يبقين أو سبع يبقين أو خمس يبقين أو ثلاث أو آخر ليلة يعنى التمسوا ليلة القدر » وقال الترمذي حسن صحيح . وفي المسند من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في ليلة القدر انها آخر ليلة

﴿ فصل ﴾ قال الشافعي في هذه الروايات: صدرت من النبي ﷺ جوابا للسائل إذا قيل له أنلتمس ليلة القدر في الليلة الفلانية ؟ يقول « نعم » وانما ليلة القدر ليلة معينة لا تنتقل نقله الترمذي عنه بمعناه وروى عن أبي قلابة أنه قال : ليلة القدر تنتقل في العشر الاواخر وهذا الذي حكاه عن أبي قلابة نص عليه مالك والثوري واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وأبو ثور والمزني وأبو بكر بن خزيمة وغيرهم وهو محكي عن الشافعي نقله القاضي عنه وهو الاشبه والله أعلم

وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رجالا من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الاواخر من رمضان فقال رسول الله ﷺ « أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الاواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الاواخر » وفيهما أيضا عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان » ولفظه للبخاري: ويحتج للشافعي أنها لا تنتقل وانها معينة من الشهر بما رواه البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت قال : خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال

وقال مجاهد يعني ان ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً ولا أن يحدث فيها

« خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة » وجه الدلالة منه انها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين لما حصل لهم العلم بعينها في كل سنة إذ لو كانت تنتقل لما علموا تعيينها إلا ذلك العام فقط اللهم إلا أن يقال انه انما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط

وقوله « فتلاحى فلان وفلان فرفعت » فيه استئناس لما يقال إن المماراة تقطع الفائدة والعلم النافع كما جاء في الحديث « ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » وقوله « فرفعت » أي رفع علم تعيينها لكم لا انها رفعت بالكلية من الوجود كما يقوله جهلة الشيعة لأنه قد قال بعد هذا « فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة » وقوله « وعسى أن يكون خيراً لكم » يعني عدم تعيينها لكم فانها اذا كانت مبهمة اجتهد طلابها في ابتغائها في جميع محال رجائها فكان أكثر للعبادة بخلاف ما اذا علموا عينها فانها كانت الهمم تتقاصر على قيامها فقط وانما اقتضت الحكمة ابهامها لتعم العبادة جميع الشهر في ابتغائها ويكون الاجتهاد في العشر الاخير أكثر ولهذا كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده . أخرجاه من حديث عائشة ، ولهما عن ابن عمر كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الاواخر من رمضان ، وقالت عائشة كان رسول الله ﷺ اذا دخل العشر أحيى الليل وأيقظ أهله وشد المئزر أخرجاه ، ولمسلم عنها كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر مالا يجتهد في غيره وهذا معنى قولها وشد المئزر ، وقيل المراد بذلك اعتزال النساء ويحتمل أن يكون كناية عن الامرين لما رواه الامام احمد حدثنا شريح حدثنا ابو معشر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ اذا بقي عشر من رمضان شد مئزره واعتزل نساءه انفرد به احمد

وقد حكي عن مالك رحمه الله أن جميع ليالي العشر في تطلب ليلة القدر على السواء لا يترجح منها ليلة على أخرى رأيته في شرح الرافعي رحمه الله . والمستحب الاكثار من الدعاء في جميع الاوقات وفي شهر رمضان أكثر وفي العشر الاخير منه ثم في أوتاره أكثر . والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني لما رواه الامام احمد حدثنا يزيد هو ابن هارون حدثنا الجوهري وهو سعيد بن إياس عن عبدالله بن بريدة أن عائشة قالت يارسول الله ان وافقت ليلة القدر فما أدعو ؟ قال « قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني »

وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من طريق كهمس بن الحسن عن عبدالله بن بريدة عن عائشة قالت قلت يارسول الله أرأيت ان علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال « قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني » وهذا لفظ الترمذي ثم قال هذا حديث حسن صحيح وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال صحيح هذا على شرط الشيخين ورواه النسائي ايضا من طريق سفيان الثوري عن علقمة بن

أذى ﴿ حتى مطلع الفجر ﴾ أى الى مطلع الفجر قرأ الكسائي مطلع بكسر اللام والآخرون بفتحها وهو

مرثد عن سليمان بن بريدة عن عائشة قالت قلت يارسول الله أرأيت ان وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال « قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني »

﴿ ذكر أثر غريب ونبأ عجيب يتعلق بليلة القدر ﴾ رواه الامام ابو محمد بن ابي حاتم عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال حدثنا ابى حدثنا عبد الله بن ابى زياد القطوانى حدثنا سيار بن حاتم حدثنا موسى بن سعيد يعنى الراسبي عن هلال بن ابى جبلة عن ابى عبد السلام عن ابيه عن كعب انه قال ان سدرة المنتهى على حد السماء السابعة مما يلي الجنة فهي على حد هواء الدنيا وهواء الآخرة علوها في الجنة وعروقها وأغصانها من تحت الكرسي فيها ملائكة لا يعلم عدتهم الا الله عز وجل يعبدون الله عز وجل على اغصانها في كل موضع شعرة منها ملك ومقام جبريل عليه السلام في وسطها فينادي الله جبريل ان ينزل في كل ليلة قدر مع الملائكة الذين يسكنون سدرة المنتهى وليس فيهم ملك الا قد اعطي الرأفة والرحمة للمؤمنين فينزلون على جبريل في ليلة القدر حين تغرب الشمس فلا تبقى بقعة في ليلة القدر الا وعليها ملك إما ساجد وإما قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات الا أن تكون كنيسة او بيعة او بيت نار او وثن او بعض اماكنكم التي تطرحون فيها الخبث او بيت فيه سكران او بيت فيه مسكر او بيت فيه وثن منصوب او بيت فيه جرس معلق أو مبولة او مكان فيه كساحة البيت فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات وجبريل لايدع احدا من المؤمنين الا صافحه وعلامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه فان ذلك من مصافحة جبريل

وذكر كعب ان من قال في ليلة القدر : لااله الا الله ثلاث مرات غفر الله له بواحدة ونجاه من النار بواحدة وأدخله الجنة بواحدة فقلنا لكعب الاحبار يااباا اسحاق صادقا فقال كعب الاحبار وهل يقول لااله الا الله في ليلة القدر إلا كل صادق والذي نفسي بيده ان ليلة القدر لتثقل على الكافر والمنافق حتى كأنها على ظهره جبل فلا تزال الملائكة هكذا حتى يطلع الفجر فأول من يصعد جبريل حتى يكون في وجه الافق الأعلى من الشمس فيبسط جناحيه وله جناحان أخضران لا ينشرهما إلا في تلك الساعة فتصير الشمس لا شعاع لها ثم يدعو ملكا ملكا فيصعد فيجتمع نور الملائكة ونور جناحي جبريل فلا تزال الشمس يومها ذلك متحيرة فيقيم جبريل ومن معه بين الارض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك في دعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات ولمن صام رمضان ايمانا واحتسابا ودعا لمن حدث نفسه ان عاش إلى قابل صام رمضان لله فاذا أمسوا دخلوا الى السماء الدنيا فيجلسون حلقا حلقا فتجتمع اليهم ملائكة سماء الدنيا فيسألونهم عن رجل رجل وعن امرأة امرأة فيحدثونهم حتى يقولوا مافعل فلان وكيف وجدتموه العام ؟ فيقولون وجدنا فلانا عام اول في هذه الليلة متعبداً ووجدناه العام مبتدعا . ووجدنا فلانا مبتدعا ووجدناه العام عابدا قال فيكفون عن الاستغفار لذلك

الاختيار بمعنى الطلوع على المصدر يقال طلع الفجر طلوعا ومطلعا والكسر موضع الطلوع

ويقبلون على الاستغفار لهذا ويقولون وجدنا فلانا وفلانا يذكران الله ووجدنا فلانا راكعا وفلانا ساجدا ووجدناه تاليا لكتاب الله قال فهم كذلك يومهم وليلتهم حتى يصعدون الى السماء الثانية ففي كل سماء يوم وليلة حتى ينتهوا مكانهم من سدرة المنتهى فتقول لهم سدرة المنتهى ياسكاني حدثوني عن الناس وسموهم لي فان لي عليكم حقا واني احب من أحب الله فذكر كعب الاحبار انهم يعدون لها ويحكون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم تقبل الجنة على السدرة فتقول أخبريني بما أخبرك سكانك من الملائكة فتخبرها قال فتقول الجنة رحمة الله على فلان ورحمة الله على فلانة اللهم عجلهم إلي فيبلغ جبريل مكانه قبلهم فيلهمه الله فيقول وجدت فلانا ساجدا فاغفر له فيغفر له فيسمع جبريل جميع حملة العرش فيقولون رحمة الله على فلان ورحمة الله على فلانة ومغفرته لفلان ، ويقول يارب وجدت عبدك فلانا الذي وجدته عام اول على السنة والعبادة ووجدته العام قد احدث حدثا وتولى عما امر به فيقول الله ياجبريل ان تاب فأعتبني قبل ان يموت بثلاث ساعات غفرت له فيقول جبريل لك الحمد إلهي انت ارحم من جميع خلقك وأنت أرحم بعبادك من عبادك بأنفسهم ، قال فيرتج العرش وماحوله والحجب والسموات ومن فيهن تقول الحمد لله الرحيم ، قال وذكر كعب انه من صام رمضان وهو يحدث نفسه اذا أفطر رمضان أن لا يعصي الله دخل الجنة بغير مسئلة ولا حساب

﴿ آخر تفسير سورة ليلة القدر ولله الحمد والمنة ﴾

تفسير سورة لم يكن وهي مدنية

قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرنا علي هو ابن زيد عن عمار بن أبي عمار قال سمعت أبا حبة البدري وهو مالك بن عمرو بن ثابت الانصاري قال لما نزلت (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) إلى آخرها قال جبريل يارسول الله إن ربك يأمرك أن تقرئها أبيا فقال النبي ﷺ لأبي « إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة » قال أبي وقد ذكرت ثم يارسول الله ؟ قال « نعم » قال فبكى أبي

﴿ حديث آخر ﴾ وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ لابي بن كعب « إن الله أمرني ان أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) قال وسماني لك ؟ قال « نعم » فبكى ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث شعبة به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا مؤمل حدثنا سفيان حدثنا أسلم المقري عن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن أبي بن كعب قال : قال لي رسول الله ﷺ « إني أمرت أن اقرأ عليك سورة كذا وكذا » قلت يارسول الله وقد ذكرت هناك ؟ قال « نعم » فقلت له ياأباالمنذر ففرحت

بذلك؟ قال وما يمنعني والله يقول (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) قال مؤمل قلت لسفيان القراءة في الحديث ؟ قال نعم تفرد به من هذا الوجه

﴿ طريق أخرى ﴾ قال أحمد حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا حدثنا شعبة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال : إن رسول الله ﷺ قال لي « إن الله أمرني أن اقرأ عليك القرآن - قال فقرأ - (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) - قال فقرأ فيها - ولو ان ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه لسأل ثانيا ، ولو سأل ثانيا فأعطيه لسأل ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب ، وان ذات الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيراً فلن يكفره » ورواه الترمذي من حديث أبى داود الطيالسي عن شعبة به وقال حسن صحيح

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن خليد الحلبي حدثنا محمد بن عيسى الطباع حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن أبي بن كعب عن أبيه عن جده عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ « يا أبا المنذر إني أمرت ان أعرض عليك القرآن؟ » قال بالله آمنت وعلى يدك أسلمت ومنك تعلمت ، قال فرد النبي ﷺ القول، قال فقال يارسول الله وذكرت هناك ؟ قال « نعم باسمك ونسبك في الملأ الاعلى » قال فاقرأ اذاً يارسول الله . هذا غريب من هذا الوجه، والثابت ماتقدم وانما قرأ عليه النبي ﷺ هذه السورة تثبيتا له وزيادة لايمانه فانه كما رواه احمد والنسائي من طريق أنس عنه ، ورواه احمد وابو داود من حديث سليمان بن صرد عنه ، ورواه أحمد عن عفان عن حماد عن حميد عن أنس عن عبادة بن الصامت عنه ، ورواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عنه — كان قد أنكر على انسان وهو عبد الله بن مسعود قراءة شيء من القرآن على خلاف ماأقرأه رسول الله ﷺ فرفعه إلى إلى النبي ﷺ فاستقرأهما وقال لكل منهما « أصبت » قال أبى فأخذني من الشك ولا إذ كنت في الجاهلية فضرب رسول الله ﷺ في صدره قال أبي ففضت عرقا وكأنما أنظر إلى الله فرقا وأخبره رسول الله ﷺ ان جبريل أتاه فقال : إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف فقلت اسأل الله معافاته ومغفرته فقال على حرفين فلم يزل حتى قال ان الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف كما قدمنا ذكر هذا الحديث بطرقه ولفظه في أول التفسير فلما نزلت هذه السورة وفيها (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة * فيها كتب قيمة) قرأها عليه رسول الله ﷺ قراءة ابلاغ وتثبيت وانذار لاقراءة تعلم واستذكار والله أعلم .

وهذا كما أن عمر بن الخطاب لما سأل رسول الله ﷺ يوم الحديبية عن تلك الاسئلة وكان فيما قال أولم تكن تخبرنا انا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال « بلى افأخبرتك انك تأتيه عامك هذا» قال لا

«قال فانك آتيه ومطوف به» فلما رجعوا من الحديبية وأنزل الله على النبي صلى الله عليه وسلم سورة الفتح دعا عمر بن الخطاب فقرأها عليه وفيها قوله (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) الآية كما تقدم

وروى الحافظ أبو نعيم في كتابه أسماء الصحابة من طريق محمد بن اسماعيل الجعفري المدنى حدثنا عبد الله بن سلمة بن أسلم عن ابن شهاب عن اسماعيل بن أبى حكيم المزنى حدثني فضيل سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله ليسمع قراءة لم يكن الذين كفروا فيقول أبشر عبدي فوعزتى لامكنن لك في الجنة حتى ترضى » حديث غريب جداً

وقد رواه الحافظ أبو موسى المديني وابن الاثير من طريق الزهري عن اسماعيل بن أبي كاتم عن مطر المزنى أو المدني عن النبي ﷺ « ان الله يسمع قراءة لم يكن الذين كفروا ويقول أبشر عبدي فوعزتى لا أنساك على حال من أحوال الدنيا والآخرة ولأمكنن لك في الجنة حتى ترضى » [١]

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من أهل الكتٰب والمشركين منفكّين حتى تأتيَهُم البينة (١) رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة (٢) فيها كتُب قيّمة (٣) وما تفرق الذين أوتوا الكتٰب إلا من بعد ماجاءتهم البينة (٤) وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلِصين له الدين حنفاءَ ويقيموا الصلوٰة ويؤتوا الزكوٰة وذلك دين القيمة (٥)

أما أهل الكتاب فهم اليهود والنصارى والمشركون عبدة الاوثان والنيران من العرب ومن العجم وقال مجاهد لم يكونوا (منفكين) يعني منتهين حتى يتبين لهم الحق وهكذا قال قتادة (حتى

﴿ سورة لم يكن مدنية وهى ثمان آيات ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿ والمشركين ﴾ وهم عبدة الاوثان ﴿ منفكين ﴾ منتهين عن كفرهم وشركهم

وقال أهل اللغة منفكين زائلين منفصلين يقال فككت الشيء فانفك اي انفصل ﴿ حتى تأتيهم البينة ﴾ لفظه مستقبل ومعناه الماضي اى حتى أتتهم الحجة الواضحة يعني محمداً ﷺ أتاهم بالقرآن فبين

تأتيهم البينة) أي هذا القرآن ولهذا قال تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة)

ثم فسر البينة بقوله (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة) يعني محمداً ﷺ وما يتلوه من القرآن العظيم الذي هو مكتتب في الملأ الاعلى في صحف مطهرة كقوله (في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدي سفرة * كرام بررة)

وقوله تعالى (فيها كتب قيمة) قال ابن جرير أي في الصحف المطهرة كتب من الله قيمة عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ لانها من عند الله عز وجل قال قتادة (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة) يذكر القرآن باحسن الذكر ، ويثني عليه باحسن الثناء وقال ابن زيد (فيها كتب قيمة) مستقيمة معتدلة

وقوله تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءتهم البينة) كقوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) يعني بذلك أهل الكتب المنزلة على الامم قبلنا بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبينات تفرقوا واختلفوا في الذى أراده الله من كتبهم واختلفوا اختلافا كثيراً كما جاء في الحديث المروي من طرق إن اليهود اختلفوا على احدى وسبعين فرقة وإن النصارى اختلفوا على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قالوا من هم يارسول الله ؟ قال « ما أنا عليه وأصحابي »

وقوله تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) كقوله (وما أرسلنا من قبلك من

لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم الى الاسلام والايمان فهذه الآية فيمن آمن من الفريقين أخبر أنهم لم ينتهوا عن الكفر حتى أتاهم الرسول فدعاهم الى الايمان فآمنوا فأنقذهم الله من الجهل والضلالة ثم فسر البينة فقال ﴿ رسول من الله يتلو ﴾ يقرأ ﴿ صحفا ﴾ كتبا يريد ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها وهو القرآن لانه كان يتلو عن ظهر قلبه لاعن كتاب

قوله ﴿ مطهرة ﴾ من الباطل والكذب والزور ﴿ فيها ﴾ أي في الصحف ﴿ كتب ﴾ يعني الآيات والاحكام المكتوبة فيها ﴿ قيمة ﴾ عادلة مستقيمة غير ذات عوج ، ثم ذكر من لم يؤمن من أهل الكتاب فقال ﴿ وما تفرق الذين أوتوا الكتاب ﴾ في أمر محمد ﷺ ﴿ إلا من بعد ما جاءتهم البينة ﴾ أي البيان في كتبهم انه نبي مرسل ، قال المفسرون لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد ﷺ حتى بعثه الله فلما بعث تفرقوا في أمره واختلفوا فآمن به بعضهم وكفر به آخرون ، وقال بعض أئمة اللغة معنى قوله (منفكين) أي هالكين من قولهم انفك صلاء المرأة عند الولادة وهو أن ينفصل فلا يلتئم فتهلك ، ومعنى الآية لم يكونوا هالكين معذبين إلا من بعد قيام الحجة عليهم بارسال الرسول وإنزال الكتاب والاول أصح ، ثم ذكر ما أمروا به في كتبهم فقال ﴿ وما أمروا ﴾ يعني هؤلاء الكفار ﴿ إلا ليعبدوا الله ﴾ يعني إلا أن يعبدوا الله ﴿ مخلصين له الدين ﴾ قال ابن عباس ما أمروا في التوراة

رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) ولهذا قال (حنفاء) أي مجتنبين من الشرك الى التوحيد كقوله (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقد تقدم تقرير الحنيف في سورة الانعام بما أغنى عن اعادته ههنا (ويقيموا الصلاة) وهي أشرف عبادات البدن (ويؤتوا الزكاة) وهي الاحسان الى الفقراء والمحاويج (وذلك دين القيمة) أى الملة القائمة العادلة أو الامة المستقيمة المعتدلة وقد استدل كثير من الائمة كالزهري والشافعي بهذه الآية الكريمة على أن الاعمال داخلة في الايمان ولهذا قال (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة

إنّ الذين كفروا من أهل الكتب والمشركين في نار جهنم خلدين فيها أولئك هم شرّ البريّة (٦) إن الذين آمنوا وعملوا الصلحت أولئك هم خير البرية (٧) جزاؤهم عند ربهم جنت عدن تجرى من تحتها الأنهر خلدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه (٨)

يخبر تعالى عن مآل الفجار من كفرة أهل الكتاب والمشركين المخالفين لكتب الله المنزلة وانبياء الله المرسلة أنهم يوم القيامة في نار جهنم خالدين فيها أي ماكثين لا يحولون عنها ولا يزولون (أولئك هم شر البرية) أي شر الخليقة التي برأها الله وذرأها

ثم أخبر تعالى عن حال الابرار الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بابدانهم بأنهم خير البرية وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة لقوله (أولئك هم خير البرية) ثم قال تعالى (جزاؤهم عند ربهم) أى يوم القيامة (جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) أي بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ (رضي الله عنهم ورضوا عنه)

والانجيل إلا باخلاص العبادة لله موحدين ﴿ حنفاء ﴾ مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام ﴿ ويقيموا الصلاة ﴾ المكتوبة في أوقاتها ﴿ ويؤتوا الزكوة ﴾ عند محلها ﴿ وذلك ﴾ الذي أمروا به ﴿ دين القيمة ﴾ أي الملة والشريعة المستقيمة أضاف الدين إلى القيمة وهي نعته لاختلاف اللفظين وأنث القيمة رداً بها الى الملة وقيل الهاء فيه للمبالغة وقيل القيمة هي الكتب التي جرى ذكرها أي وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعو اليه وتأمر به كما قال (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) قال النضر بن شميل سألت الخليل بن احمد عن قوله [وذلك دين القيمة] فقال القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد، ومجاز الآية وذلك دين القائمين لله بالتوحيد، ثم ذكر ما للفريقين فقال ﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ﴾ قرأ نافع وابن عامر البريئة بالهمزة في الحرفين لانه من قولهم برأ الله الخلق، وقرأ الآخرون مشدداً بغير همز كالذرية ترك همزها في الاستعمال ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية * جزاؤهم عند ربهم

ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم (ورضوا عنه) فيما منحهم من الفضل العميم . وقوله تعالى (ذلك لمن خشي ربه) أى هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه وعبده كانه يراه وعلم انه ان لم يره فانه يراه

وقال الامام احمد حدثنا اسحاق بن عيسى حدثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بخير البرية ؟ » قالوا بلى يارسول الله قال « رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما كانت هيعة استوى عليه، ألا اخبركم بخير البرية؟ » قالوا بلى يارسول الله قال « رجل في ثلة من غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ألا اخبركم بشر البرية؟ » قالوا بلى قال « الذي يسأل بالله ولا يعطي به »

﴿ آخر تفسير سورة لم يكن ولله الحمد والمنة ﴾

تفسير سورة اذا زلزلت وهى مكية

وقال الترمذي حدثنا محمد بن موسى الجويني البصري حدثنا الحسن بن مسلم العجلي حدثنا ثابت قال الامام احمد حدثنا ابو عبد الرحمن حدثنا سعد حدثنا عياش بن عباس عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو قال : أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال أقرئني يارسول الله قال له « اقرأ ثلاثا من ذوات الراء » فقال له الرجل كبر سني واشتد قلبي وغلظ لساني ، قال « فاقرأ من ذوات حم » فقال مثل مقالته الاولى ، فقال « اقرأ ثلاثا من المسبحات » فقال مثل مقالته ، فقال الرجل ولكن أقرئني يارسول الله سورة جامعة فأقرأه (اذا زلزلت الارض زلزالها) حتى اذا فرغ منها قال الرجل والذي بعثك بالحق نبيا لا أزيد عليها أبداً ثم أدبر الرجل فقال رسول الله ﷺ « أفلح الرويجل ، أفلح الرويجل - ثم قال - علي به - فجاءه فقال له - أمرت بيوم الاضحى جعله الله عيداً لهذه الامة » فقال له الرجل أرأيت إن لم أجد إلا منيحة أنثى فأضحي بها ؟ قال لا ولكنك تأخذ من شعرك وتقلم أظفارك وتقص

جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ﴾ وتناهى عن المعاصي ، وقيل الرضا ينقسم الى قسمين رضا به ورضا عنه فالرضا به ربا ومدبراً والرضا عنه فيما يقضي ويقدر ، قال السري السقطي رحمه الله إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة سمعت قتادة عن أنس بن مالك قال قال النبي ﷺ لابي « ان الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا) قال وسماني ربي ؟ قال « نعم » فبكى ، وقال همام عن قتادة أمرني أن أقرأ عليك القرآن

شاربك وتحلق عانتك فذاك تمام أضحيتك عند الله عز وجل » وأخرجه أبو داود والنسائي من حديث أبي عبد الرحمن المقري به

وقال الترمذي حدثنا محمد بن موسى الجويني البصري حدثنا الحسن بن مسلم بن صالح العجلي حدثنا ثابت البناني عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ اذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن » ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن مسلم ، وقد رواه البزار عن محمد بن موسى الجويني عن الحسن بن مسلم عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، واذا زلزلت تعدل ربع القرآن » هذا لفظه

وقال الترمذي أيضا حدثنا علي بن حجر حدثنا يزيد بن هارون حدثنا يمان بن المغيرة العنزي حدثنا عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « اذا زلزلت تعدل نصف القرآن ، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن » ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة

وقال أيضا حدثنا عقبة بن مكرم العمي البصري حدثني ابن أبي فديك أخبرني سلمة بن وردان عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه « هل تزوجت يا فلان ؟» قال لا والله يارسول الله ولا عندي ما أتزوج ؟ قال « أليس معك قل هو الله أحد ؟ - قال بلى ، قال - ثلث القران - قال - أليس معك اذا جاء نصر الله والفتح ؟ - قال بلى ، قال ربع القران - قال - أليس معك قل يا أيها الكافرون ؟ - قال بلى قال - ربع القرآن - قال - أليس معك اذا زلزلت الارض - ؟ قال بلى ، قال - ربع القرآن تزوج » ثم قال هذا حديث حسن ، تفرد بهن ثلاثتهن الترمذي لم يروهن غيره من أصحاب الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا زُلزِلَت الأَرضُ زِلزالها (١) وأخرجت الأَرضُ أثقالها (٢) وقال الانسن مالها؟ (٣) يومئذ تحدّث أخبارها (٤) بأن ربّك أوحى لها (٥) يومئذ يَصدُرُ الناس أشتاتا ليرَوا أعمالهم (٦) فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره (٧) ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره (٨)

قال ابن عباس (اذا زلزلت الارض زلزالها) أي تحركت من أسفلها (وأخرجت الارض أثقالها)

﴿ سورة الزلزلة مكية وهي ثمان آيات ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إذا زلزلت الارض ﴾ حركت الارض حركة شديدة لقيام الساعة ﴿ زلزالها ﴾ تحريكها

يعني ألقت مافيها من الموتى قاله غير واحد من السلف وهذه كقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) وكقوله (واذا الارض مدت وألقت مافيها وتخلت)

وقال مسلم في صحيحه حدثنا واصل بن عبد الاعلى حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « تلقي الارض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ، ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ، ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا »

وقوله عز وجل (وقال الانسان مالها ؟) أي استنكر أمرها بعد ما كانت قارة ساكنة ثابتة وهو مستقر على ظهرها أي تقلبت الحال فصارت متحركة مضطربة قد جاءها من أمر الله تعالى ماقد أعده لها من الزلزال الذي لامحيد لها عنه ثم ألقت مافي بطنها من الاموات من الاولين والآخرين وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ، وقوله تعالى (يومئذ تحدث أخبارها) أي تحدث بما عمل العاملون على ظهرها

قال الامام أحمد حدثنا ابراهيم حدثنا ابن المبارك وقال الترمذي وأبو عبدالرحمن النسائي واللفظ له حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله هو ابن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب عن يحيى بن أبي سليمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية (يومئذ تحدث أخبارها) قال « أتدرون ما أخبارها ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم ، قال « فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه أخبارها » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب

﴿ وأخرجت الارض أثقالها ﴾ موتاها وكنوزها فتلقيها على ظهرها

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر بن عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا واصل بن عبد الاعلى ثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « تقيء الارض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوانة من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا » ﴿ وقال الانسان مالها ؟ ﴾ قيل في الآية تقديم وتأخير تقديره ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ فيقول الانسان مالها ؟ أي تخبر الارض بما عمل عليها

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن احمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبدالله بن المبارك عن سعيد ابن أبي أيوب ثنا يحيى بن أبي سلمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قرأ رسول الله ﷺ

(١) هذا غير موجود بالنسخة المكية

(١) وفي معجم الطبراني من حديث ابن لهيعة حدثني الحارث بن يزيد سمع ربيعة الجدسي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تحفظوا من الارض فانها أمكم وانه ليس من أحد عامل عليها خيراً او شراً إلا وهي مخبرة »

وقوله تعالى (بأن ربك اوحى لها) قال البخاري أوحى لها وأوحى اليها ووحى لها ووحى اليها واحد وكذا قال ابن عباس أوحى لها اي أوحى اليها ، والظاهر أن هذا مضمن بمعنى أذن لها . وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس [يومئذ تحدث اخبارها] قال قال لها ربها قولي فقالت ، وقال مجاهد أوحى لها اي امرها وقال القرظي امرها أن تنشق عنهم

وقوله تعالى [يومئذ يصدر الناس أشتاتا] اي يرجعون عن موقف الحساب أشتاتا اي انواعا وأصنافا مابين شقي وسعيد ، مأمور به إلى الجنة ومأمور به الى النار ، قال ابن جريج يتصدعون اشتاتا فلا يجتمعون آخر ماعليهم ، وقال السدي اشتاتا فرقا

وقوله تعالى [ليروا أعمالهم] اي ليعملوا ويجازوا بما عملوه في الدنيا من خير وشر ولهذا قال [فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره]

قال البخاري حدثنا اسماعيل بن عبدالله حدثني مالك عن زيد بن اسلم عن ابى صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « الخيل لثلاثة : لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر ، فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال طيلها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة كان له حسنات ، ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له ، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن تسقى به كان ذلك حسنات له ، وهي لذلك الرجل أجر . ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر ، ورجل ربطها فخراً ورياء ونواء فهي على ذلك وزر » فسئل رسول الله ﷺ عن الحمر فقال « ما أنزل الله فيها شيئا إلا هذه الآية الفاذة الجامعة (من يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ورواه مسلم من حديث زيد بن أسلم به

هذه الاية (يومئذ تحدث أخبارها) قال « أتدرون ما أخبارها؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فان أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل علي كذا وكذا يوم كذا وكذا - قال - فهذه أخبارها » ﴿ بأن ربك أوحى لها ﴾ أي أمرها بالكلام وأذن لها بأن تخبر بما عمل عليها ، قال ابن عباس والقرظي أوحى اليها ، ومجاز الآية يوحي الله اليها ، يقال أوحى لها وأوحى اليها ووحى لها ووحى اليها واحد

قوله تعالى ﴿ يومئذ يصدر الناس ﴾ يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض ﴿ أشتاتا ﴾ متفرقين فآخذ ذات اليمين الى الجنة وآخذ ذات الشمال الى النار كقوله (يومئذ يتفرقون - يومئذ

وقال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا جرير بن حازم حدثنا الحسن عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق انه اتى النبي ﷺ فقرأ عليه (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال : حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها

وهكذا رواه النسائي في التفسير عن ابراهيم بن محمد بن يونس المؤدب عن أبيه عن جرير بن حازم عن الحسن البصري قال حدثنا صعصعة عم الفرزدق فذكره

وفي صحيح البخاري عن عدي مرفوعا « اتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة » وله أيضا في الصحيح « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك في اناء المستقي ولو أن تلقى أخاك ووجهك اليه منبسط » وفي الصحيح أيضا « يامعشر نساء المؤمنات لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » يعني ظلفها. وفي الحديث الآخر « ردوا السائل ولو بظلف محرق »

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن عبدالله الانصاري حدثنا كثير بن زيد عن المطلب بن عبدالله عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « ياعائشة استتري من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبعان » تفرد به أحمد

وروي عن عائشة انها تصدقت بعنبة وقالت كم فيها من مثقال ذرة . وقال الامام احمد : حدثنا أبو عامر حدثنا سعيد بن مسلم سمعت عامر بن عبدالله بن الزبير حدثني عوف بن الحارث بن الطفيل ان عائشة أخبرته ان النبي ﷺ كان يقول « يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا » ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سعيد بن مسلم بن بانك به

وقال ابن جرير حدثني أبو الخطاب الحساني حدثنا الهيثم بن الربيع حدثنا سماك بن عطية عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس قال كان أبو بكر يأكل مع النبي ﷺ فنزلت هذه الآية (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) فرفع أبو بكر يده وقال يا رسول الله اني أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر فقال « يا أبا بكر مارأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة » ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه أبي الخطاب به

يصدعون) (ليروا أعمالهم) قال ابن عباس ليروا جزاء أعمالهم، والمعنى انهم يرجعون عن الموقف فرقا لينزلوا منازلهم من الجنة والنار (فمن يعمل مثقال ذرة) وزن نملة صغيرة أصغر ماتكون من النمل (خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) قال ابن عباس ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شرا في الدنيا إلا أراه الله له يوم القيامة فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فترد حسناته ويعذب بسيئاته ، قال محمد بن كعب في هذه الاية (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه

ثم قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب قال في كتاب أبي قلابة عن أبي ادريس ان أبا بكر كان يأكل مع النبي ﷺ فذكره ورواه أيضا عن يعقوب عن ابن علية عن أيوب عن أبي قلابة أن أبا بكر وذكره

﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير حدثني يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني حيي ابن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال لما نزلت (إذا زلزلت الارض زلزالها) وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قاعد فبكى حين انزلت فقال له رسول الله ﷺ «ما يبكيك يا أبا بكر؟» قال يبكيني هذه السورة فقال له رسول الله ﷺ «لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم لخلق أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم»

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن بن المغيرة المعروف بعلان المصري قالا حدثنا عمرو بن خالد الحراني حدثنا ابن لهيعة أخبرني هشام بن سعد عن زيد ابن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال لما أنزلت (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) قلت يارسول الله إني لراء عملي؟ قال «نعم» قلت تلك الكبار الكبار؟ قال «نعم» قلت الصغار الصغار؟ قال «نعم» قلت واثكل أمي قال «أبشر يا أبا سعيد فان الحسنة بعشر أمثالها - يعني الى سبعمائة ضعف - ويضاعف الله لمن يشاء، والسيئة بمثلها أو يعفو الله ولن ينجو أحد منكم بعمله» قلت ولا أنت يارسول الله؟ قال «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة» قال أبو زرعة لم يرو هذا غير ابن لهيعة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قول الله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وذلك لما نزلت هذه الآية (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)

وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر، قال مقاتل نزلت هذه الاية في رجلين وذلك انه لما نزل (ويطعمون الطعام على حبه) كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ونحوها يقول ما هذا بشيء انما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه، وكان الاخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة وأشباه ذلك ويقول انما وعد الله النار على الكبائر وليس في هذا اثم، فأنزل الله تعالى هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير ان يعطوه فانه يوشك أن يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكثر فالاثم الصغير في عين صاحبه اعظم عند الله من الجبال يوم القيامة وجميع محاسنه اقل من كل شيء، قال ابن مسعود أحكم آية في القرآن (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وكان رسول الله ﷺ يسميها الجامعة الفاذة حين سئل

كان المسلمون يرون أنهم لايؤجرون على الشيء القليل اذا أعطوه فيجيء المسكين الى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون ماهذا بشيء إنما نؤجر على مانعطى ونحن نحبه، وكان آخرون يرون انهم لايلامون على الذنب اليسير الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك يقولون إنما وعد الله النار على الكبائر فرغبهم في القليل من الخير أن يعملوه فانه يوشك أن يكثر وحذرهم اليسير من الشر فانه يوشك أن يكثر فنزلت (فمن يعمل مثقال ذرة) يعني وزن أصغر النمل (خيراً يره) يعني في كتابه ويسره ذلك قال يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة وبكل حسنة عشر حسنات فاذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضا بكل واحدة عشراً ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة

وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمران عن قتادة عن عبد ربه عن أبي عياض عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « إياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه » وان رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سواداً وأججوا ناراً وأنضجوا ما قذفوا فيها

﴿ آخر تفسير سورة إذا زلزلت ولله الحمد والمنة ﴾

عن زكاة الحمير فقال « ما أنزل علي فيها شيء الا هذه الاية الجامعة الفاذة (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) » وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل كثيرة ، وقال الربيع بن خثيم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ آخرها قال حسبي قد انتهت الموعظة

اخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي انا ابو اسحاق الثعلبي اخبرنا محمد بن القاسم ثنا ابو بكر ابن محمد بن عبد الله ثنا الحسين بن سفيان ثنا علي بن حجر ثنا يزيد بن هارون ثنا اليمان بن المغيرة ثنا عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « اذا زلزلت الارض تعدل نصف القرآن وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقل ياايها الكافرون تعدل ربع القرآن »



تفسير سورة العاديات وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعٰديٰت ضبحا (١) فالموريٰت قدحا (٢) فالمغيرات صبحا (٣) فأثرن به نقعا (٤) فوسطن به جمعا (٥) إن الإنسان لربه لكنود (٦) وإنه على ذلك لشهيد (٧) وإنه لحب الخير لشديد (٨) أفلا يعلم إذا بعثر مافي القبور ؟ (٩) وحصّل مافي الصدور (١٠) ان ربهم بهم يومئذ لخبير (١١)

يقسم تعالى بالخيل اذا أجريت في سبيله فعدت وضبحت وهو الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو (فالموريات قدحا) يعني اصطكاك نعالها بالصخر فتقدح منه النار (فالمغيرات صبحا) يعني الاغارة وقت الصباح كما كان رسول الله ﷺ يغير صباحا ويستمع الاذان فان سمع أذانا وإلا أغار . وقوله تعالى (فأثرن به نقعا) يعني غبارا في مكان معترك الخيول (فوسطن به جمعا) أي توسطن ذلك المكان كلهن جمع

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا عبدة عن الاعمش عن ابراهيم عن عبد الله (والعاديات ضبحا) قال الابل وقال علي هي الابل وقال ابن عباس هي الخيل فبلغ عليا قول ابن عباس فقال ما كانت لنا خيل يوم بدر قال ابن عباس إنما كان ذلك في سرية بعثت

قال ابن أبي حاتم وابن جرير وحدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني أبو صخر عن أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس حدثه قال بينا أنا في الحجر جالسا جاءني رجل فسألني عن

﴿ سورة والعاديات مكية وهي احدى عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والعاديات ضبحا ﴾ قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والحسن والكلبي وقتادة ومقاتل وابو العالية وغيرهم هي الخيل العادية في سبيل الله تضبح والضبح صوت أجوافها اذا عدت ، قال ابن عباس وليس شيء من الحيوانات يضبح غير الفرس والكلاب والثعلب وإنما تضبح هذه الحيوانات إذا تغير حالها من تعب او فزع وهو من قول العرب ضبحته النار إذا غيرت لونه ، وقوله ضبحا نصب على المصدر مجازه والعاديات تضبح ضبحا

(العاديات ضبحا) فقلت له الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي الى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم فانفتل عني فذهب الى علي رضي الله عنه وهو عند سقاية زمزم فسأله عن العاديات ضبحا فقال سألت عنها أحدا قبلي؟ قال نعم سألت ابن عباس فقال الخيل حين تغير في سبيل الله قال اذهب فادعه لي فلما وقف على رأسه قال أتفتي الناس بما لا علم لك؟ والله ان كان أول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا إلا فرسان فرس الزبير وفرس المقداد فكيف تكون العاديات ضبحا؟ إنما العاديات ضبحا من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى، قال ابن عباس فنزعت عن قولي ورجعت الى الذي قال علي رضي الله عنه، وبهذا الاسناد عن ابن عباس قال: قال علي إنما العاديات ضبحا من عرفة الى المزدلفة فاذا أووا الى المزدلفة أوروا النيران، وقال العوفي وغيره عن ابن عباس هي الخيل، وقد قال بقول علي إنها الابل جماعة منهم ابراهيم وعبيد بن عمير، وقال بقول ابن عباس آخرون منهم مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير وقال ابن عباس وعطاء ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب وقال ابن جريج عن عطاء سمعت ابن عباس يصف الضبح أح أح، وقال أكثر هؤلاء في قوله (فالموريات قدحا) يعني بحوافرها وقيل اسعرن الحرب بين ركبانهن قاله قتادة وعن ابن عباس ومجاهد فالموريات قدحا يعني مكر الرجال وقيل هو ايقاد النار اذا رجعوا الى منازلهم من الليل وقيل المراد بذلك نيران القبائل وقال من فسرها بالخيل هو ايقاد النار بالمزدلفة قال ابن جرير والصواب الاول أنها الخيل حين تقدح بحوافرها

وقوله تعالى (فالمغيرات صبحا) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني اغارة الخيل صبحا في سبيل

وقال علي هي الابل في الحج تعدو من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى، وقال كانت أول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود فكيف تكون الخيل العاديات؟ والى هذا ذهب ابن مسعود ومحمد بن كعب والسدي، وقال بعض من قال هي الابل قوله (ضبحا) يعني ضباحا تمد أعناقها في السير ﴿فالموريات قدحا﴾ قال عكرمة وعطاء والضحاك ومقاتل والكلبي هي الخيل توري النار بحوافرها اذا سارت في الحجارة يعني والقادحات قدحا يقدحن بحوافرهن، وقال قتادة هي الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس هي الخيل تغزو في سبيل الله ثم تأوي بالليل فيورون نارهم ويصنعون طعامهم، وقال مجاهد وزيد بن أسلم هي مكر الرجال يعني رجال الحرب، والعرب تقول اذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه أما والله لاقدحن لك ثم لأورين لك وقال محمد بن كعب هي النيران تجمع ﴿فالمغيرات صبحا﴾ هي الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح هذا قول أكثر المفسرين وقال القرظي هي الابل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع المزدلفة الى منى، والسنة أن لا تدفع حتى تصبح، والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير ﴿فأثرن

الله ، وقال من فسرها بالابل هو الدفع صبحا من المزدلفة إلى منى وقالوا كلهم في قوله (فأثرن به نقعاً) هو المكان الذي حلت فيه أثارت به الغبار اما في حج أو غزو

وقوله تعالى (فوسطن به جمعا) قال العوفي عن ابن عباس وعطاء وعكرمة وقتادة والضحاك يعني جمع الكفار من العدو ويحتمل أن يكون فوسطن بذلك المكان جميعهن ويكون جمعاً منصوبا على الحال المؤكدة ، وقد روى ابو بكر البزار ههنا حديثا غريبا جداً فقال: حدثنا احمد بن عبدة حدثنا حفص ابن جميع حدثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ خيلا فاشهرت شهراً لا يأتيه منها خبر فنزلت (والعاديات ضبحاً) ضبحت بأرجلها (فالموريات قدحا) قدحت بحوافرها الحجارة فأورت ناراً (فالمغيرات صبحاً) صبحت القوم بغارة (فأثرن به نقعا) أثارت بحوافرها التراب (فوسطن به جمعاً) قال صبحت القوم جميعا

وقوله تعالى (إن الانسان لربه لكنود) هذا هو المقسم عليه بمعنى انه لنعم ربه لكفور جحود قال ابن عباس ومجاهد وابراهيم النخعي وابو الجوزاء وابو العالية وابو الضحى وسعيد بن جبير ومحمد ابن قيس والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد الكنود الكفور قال الحسن الكنود هو الذي يعد المصائب وينسى نعم الله عليه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو كريب حدثنا عبيدالله عن إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي امامة قال قال رسول الله ﷺ إن الانسان لربه لكنود قال « الكنود الذي يأكل وحده ويضرب عبده ويمنع رفده » ورواه ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن الزبير وهو متروك فهذا إسناد ضعيف ، وقد رواه ابن جرير أيضاً من حديث حريز بن عثمان عن حمزة بن هاني، عن أبي أمامة موقوفا

وقوله تعالى (وانه على ذلك لشهيد) قال قتادة وسفيان الثوري وان الله على ذلك لشهيد ويحتمل

﴾ أي هيجن بمكان سيرها كناية عن غير مذكور لان المعنى مفهوم ﴿نقعاً﴾ غباراً والنقع الغبار ﴿فوسطن به جمعاً﴾ أي دخلن به وسط جمع العدو وهم الكتيبة يقال وسطت القوم بالتخفيف ووسطتهم بالتشديد وتوسطتهم بالتشديد كلها بمعنى واحد قال القرظي يعنى جمع منى أقسم الله بهذه الاشياء ﴿ ان الانسان لربه لكنود ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة لكنود لكفور جحود لنعم الله تعالى قال الكلبي هو بلسان مضر وربيعة الكفور وبلسان كندة وحضرموت العاصي ، وقال الحسن هو الذي يعد المصائب وينسى النعم ، وقال عطاء هو الذي لا يعطي في النائبة مع قومه ، وقال ابو عبيدة هو قليل الخير والارض الكنود التي لا تنبت شيئا ، وقال الفضيل بن عياض الكنود الذى أنسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان والشكور الذى أنسته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة

﴿ وانه على ذلك لشهيد ﴾ قال أكثر المفسرين وان الله على كونه كنودا لشاهد ، وقال

أن يعود الضمير على الانسان قاله محمد بن كعب القرظي فيكون تقديره وان الانسان على كونه كنود الشهيد أي بلسان حاله أي ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله كما قال تعالى (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر)

وقوله تعالى (وانه لحب الخير لشديد) أي وإنه لحب الخير وهو المال لشديد، وفيه مذهبان [أحدهما] أن المعنى وإنه لشديد المحبة للمال [والثاني] وانه لحريص بخيل من محبة المال وكلاهما صحيح

ثم قال تبارك وتعالى مزهدا في الدنيا ومرغبا في الآخرة ومنبها على ما هو كائن بعد هذه الحال وما يستقبله الانسان من الاهوال (أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور؟) أي أخرج مافيها من الاموات (وحصل ما في الصدور) قال ابن عباس وغيره يعنى أبرز وأظهر ما كانوا يسرون في نفوسهم (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) أي لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ومجازيهم عليه أوفر الجزاء ولا يظلم مثقال ذرة

آخر تفسير سورة العاديات ولله الحمد والمنة

ابن كيسان الهاء راجعة الى الانسان أي انه شاهد على نفسه بما يصنع ﴿ وانه ﴾ يعنى الانسان ﴿ لحب الخير ﴾ أي لحب المال ﴿ لشديد ﴾ أي لبخيل أي انه من أجل حب المال لبخيل يقال للبخيل شديد ومتشدد وقيل معناه وانه لحب الخير لقوي أي شديد الحب للخير أي المال ﴿ أفلا يعلم ﴾ هذا الانسان ﴿ إذا بعثر ﴾ وأثير وأخرج ﴿ مافي القبور وحصل ما في الصدور ﴾ أي ميز وأبرز ما فيها من خير أو شر ﴿ ان ربهم بهم ﴾ جمع الكناية لان الانسان اسم الجنس ﴿ يومئذ لخبير ﴾ عالم قال الزجاج الله خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى انه يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم



تفسير سورة القارعة وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة (١) ما القارعة ؟ (٢) وما أدراك ما القارعة؟ (٣) يوم يكون الناس كالفراش المبثوث (٤) وتكون الجبال كالعهن المنفوش (٥) فأما من ثقلت موازينه (٦) فهو في عيشة راضية (٧) وأما من خفت موازينه (٨) فأمه هاوية (٩) وما أدراك ماهيه ؟ (١٠) نار حامية (١١)

القارعة من أسماء يوم القيامة كالحاقة والطامة والصاخة والغاشية وغير ذلك . ثم قال تعالى معظما أمرها ومهولا لشأنها (وما أدراك ما القارعة ؟) ثم فسر ذلك بقوله (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) أي في انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومجيئهم من حيرتهم مما هم فيه كأنهم فراش مبثوث كما قال تعالى في الآية الاخرى (كأنهم جراد منتشر)

وقوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) يعني قد صارت كأنها الصوف المنفوش الذي قد شرع في الذهاب والتمزق قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والضحاك والسدي (العهن) الصوف

ثم أخبر تعالى عما يؤل اليه عمل العاملين وما يصيرون اليه من الكرامة والاهانة بحسب أعمالهم فقال (فأما من ثقلت موازينه) أي رجحت حسناته على سيئاته (فهو في عيشة راضية) يعني في الجنة (وأما من خفت موازينه) أي رجحت سيئاته على حسناته

﴿ تفسير سورة القارعة وهي مكية وقيل مدنية وهي إحدى عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ القارعة ﴾ اسم من أسماء القيامة لانها تقرع القلوب بالفزع ﴿ ما القارعة؟ ﴾ تهويل وتعظيم ﴿ وما أدراك ما القارعة؟ * يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ﴾ الفراش الطير التي تراها تتهافت في النار والمبثوث المفرق ، وقال الفراء كغوغاء الجراد شبه الناس عند البعث بها يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضا من الهول كما قال (كأنهم جراد منتشر) ﴿ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ كالصوف المندوف ﴿ فأما من ثقلت موازينه ﴾ رجحت حسناته ﴿ فهو في عيشة راضية ﴾ مرضية في الجنة قال الزجاج ذات رضا يرضاها صاحبها ﴿ وأما من خفت موازينه ﴾ رجحت سيآته على حسناته

وقوله تعالى (فأمه هاوية) قيل معناه فهو ساقط هاو بأم رأسه في نار جهنم وعبر عنه بأمه يعني دماغه روي نحو هذا عن ابن عباس وعكرمة وأبي صالح وقتادة قال قتادة يهوي في النار على رأسه وكذا قال ابو صالح يهوون في النار على رؤوسهم، وقيل معناه فأمه التي يرجع اليها ويصير في المعاد اليها هاوية وهي اسم من أسماء النار

قال ابن جرير وإنما قيل للهاوية أمه لانه لا مأوى له غيرها، وقال ابن زيد الهاوية النار هي أمه ومأواه التي يرجع اليها ويأوي اليها وقرأ (ومأواهم النار) قال ابن أبي حاتم وروي عن قتادة أنه قال هي النار وهي مأواهم ولهذا قال تعالى مفسراً للهاوية (وما أدراك ماهيه؟ نار حامية)

قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الاشعث بن عبدالله الاعمى قال: إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين فيقولون روحوا أخاكم فانه كان في غم الدنيا قال ويسألونه ما فعل فلان؟ فيقول مات أو ماجاءكم فيقولون ذهب به إلى أمه الهاوية

وقد رواه ابن مردويه من طريق انس بن مالك مرفوعا بأبسط من هذا وقد أوردناه في كتاب صفة النار أجارنا الله تعالى منها بمنه وكرمه

وقوله تعالى [نار حامية] أي حارة شديدة الحر قوية اللهب والسعير. قال أبومصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال «نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم» قالوا يا رسول الله ان كانت لكافية فقال «انها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا» ورواه البخاري عن اسماعيل بن أبي اويس عن مالك ورواه مسلم عن قتيبة عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد به، وفي بعض ألفاظه «انها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها»

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد وهو ابن سلمة عن محمد بن أبي زياد سمعت أباهريرة يقول سمعت ابا القاسم ﷺ يقول «نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم» فقال رجل إن كانت لكافية فقال «لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً حراً فحرا» تفرد به احمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم

وروى الامام احمد أيضاً حدثنا سفيان عن ابي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وعمرو عن يحيى بن جعدة «ان ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ماجعل الله فيها منفعة لأحد» وهذا على شرط الصحيحين ولم يخرجوه من هذا الوجه وقد رواه مسلم في صحيحه من طريق [1] ورواه البزار من حديث عبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخدري «ناركم هذه جزء من سبعين جزءا»

(١) هنا بياض بالاصل

﴿فأمه هاوية﴾ مسكنه النار سمي المسكن أما لان الاصل في السكون الى الامهات والهاوية اسم من أسماء جهنم وهي المهواة لا يدرك قعرها، وقال قتادة هي كلمة عربية كان الرجل إذا وقع في أمر شديد

وقد قال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا عبدالعزيز هو ابن محمد الدراوردي عن سهل عن أبيه عن أبي هريرة (رض) عن النبي ﷺ قال «هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم» تفرد به أيضا من هذا الوجه وهو على شرط مسلم ايضا

وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا احمد بن عمرو الخلال حدثنا ابراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا معن بن عيسى القزاز عن مالك عن عمه أبي سهيل عن ابيه عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «أتدرون مامثل ناركم هذه من نار جهنم؟ لهي اشد سوادا من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفا» وقد رواه أبومصعب عن مالك ولم يرفعه

وروى الترمذى وابن ماجه عن عباس الدوري عن يحيى بن بكير حدثنا شريك عن عاصم عن أبي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «اوقد على النار الف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها الف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها الف سنة حتي اسودت فهي سوداء مظلمة» وقد روي هذا من حديث أنس وعمر بن الخطاب

وجاء في الحديث عند الامام احمد من طريق ابي عثمان النهدي عن انس وأبي نضرة العبدي عن أبي سعيد وعجلان مولى المشمعل عن ابي هريرة عن النبي ﷺ انه قال «ان اهون اهل النار عذابا من له نعلان يغلي منهما دماغه»

وثبت في الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال «اشتكت النار الى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ماتجدون في الشتاء من بردها وأشد ماتجدون في الصيف من حرها» وفي الصحيحين «اذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فان شدة الحر من فيح جهنم»

﴿ آخر تفسير سورة القارعة ولله الحمد ﴾

يقال هوت أمه وقيل أراد أم رأسه يعني انهم يهوون في النار على رؤسهم والى هذا التأويل ذهب قتادة وأبو صالح ﴿ وما أدراك ماهيه ﴾ يعني الهاوية وأصلها ما هي أدخل الهاء فيها للوقف، ثم فسرها فقال ﴿ نار حامية ﴾ أي حارة قد انتهى حرها

تفسير سورة التكاثر وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ألهـكم التكاثر (١) حتى زرتم المقابر (٢) كلا سوف تعلمون (٣) ثم كلا سوف تعلمون (٤) كلا لو تعلمون علم اليقين (٥) لترونّ الجحيم (٦) ثم لترونّها عين اليقين (٧) ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم (٨)

يقول تعالى أشغلكم[1] حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها

قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا زكريا بن يحيي الوقاد المصري حدثني خالد بن عبد الدائم عن ابن زيد بن أسلم عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ « ألهاكم التكاثر - عن الطاعة - حتى زرتم المقابر - حتى يأتيكم الموت » وقال الحسن البصري ألهاكم التكاثر في الاموال والاولاد

وفي صحيح البخاري في الرقائق منه وقال اخبرنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ابن مالك عن أبي بن كعب قال كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت (ألهاكم التكاثر) يعني «لو كان لابن آدم واد من ذهب »

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعني ابن عبدالله بن الشخير عن ابيه قال انتهيت الى رسول الله ﷺ وهو يقول (الهاكم التكاثر) « يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت؟ » ورواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق شعبة به ، وقال مسلم في صحيحه حدثنا سويد بن سعيد حدثنا حفص بن ميسرة عن العلاء عن أبيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يقول العبد مالي مالي ، وانما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى او لبس فأبلى أو تصدق فأمضى ، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس » تفرد به مسلم

[1] كذا في الاصل بالهمز وقال أهل اللغة أنه بالهمز لغة رديئة

﴿ سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ شغلكم المباهاة والمفاخرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه ﴿ حتى زرتم المقابر ﴾ حتى متم ودفنتم في المقابر وقال قتادة نزلت في اليهود قالوا نحن أكثر من

وقال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم سمع أنس بن مالك يقول قال رسول الله ﷺ « يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله » وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به

وقال الامام أحمد حدثنا يحيى عن شعبة حدثنا قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال « يهرم ابن آدم ويبقى منه اثنتان الحرص والامل » أخرجاه في الصحيحين

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة الاحنف بن قيس واسمه الضحاك انه رأى في يد رجل درهما فقال لمن هذا الدرهم ؟ فقال الرجل لي فقال إنما هو لك إذا أنفقته في أجر أو ابتغاء شكر ثم أنشد الاحنف متمثلا قول الشاعر

أنت للمال إذا أمسكته فاذا أنفقته فالمال لك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا ابو اسامة قال صالح بن حبان حدثني عن ابن بريدة في قوله (الهاكم التكاثر) قال نزلت في قبيلتين من قبائل الانصار في بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا فقالت إحداهما فيكم مثل فلان بن فلان وفلان ؟ وقال الآخرون مثل ذلك تفاخروا بالاحياء ثم قالوا انطلقوا بنا إلى القبور فجعلت إحدى الطائفتين تقول فيكم مثل فلان ؟ يشيرون إلى القبور ومثل فلان وفعل الآخرون مثل ذلك فأنزل الله (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل

وقال قتادة (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) كانوا يقولون نحن أكثر من بني فلان ونحن أعد من بني فلان وهم كل يوم يتساقطون الى اخرهم والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور

بني فلان وبنو فلان أكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا ، وقال مقاتل والكلبي نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف بن قصي وبني سهم بن عمرو كان بينهم تفاخر فتعادوا السادة والاشراف أيهم أكثر عدداً فقال بنو عبد مناف نحن أكثر سيداً وأعز عزيزاً وأعظم أمراً وأكثر عددا ، وقال بنو سهم مثل ذلك فكثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات لانهم كانوا في الجاهلية أكثر عددا فأنزل الله هذه الاية

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر احمد بن الحسين الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا عبد الرحيم بن منيب ثنا النضر بن شميل أنا شعبة عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت الى رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الاية (ألهاكم التكاثر) قال « يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ؟ »

كلهم، والصحيح أن المراد بقوله زرتم المقابر أي صرتم اليها ودفنتم فيها كما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الاعراب يعوده فقال «لا بأس طهور ان شاء الله» فقال قلت طهور بل هي حمى تفور، على شيخ كبير، تزيره القبور، قال «فنعم اذن»

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن سعيد الاصبهاني أخبرنا حكام بن سالم الرازي عن عمرو بن أبي قيس عن الحجاج عن المنهال عن زر بن حبيش عن علي قال مازلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) ورواه الترمذي عن أبي كريب عن حكام ابن سالم به وقال غريب

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سلمة بن داود العرضي حدثنا ابو المليح الرقي عن ميمون ابن مهران قال كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز فقرأ (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) فلبث هنية ثم قال ياميمون ما أرى المقابر الا زيارة وما للزائر بد من أن يرجع الى منزله. قال أبو محمد يعني أن يرجع إلى منزله أي إلى جنة أو إلى نار وهكذا ذكر أن بعض الاعراب سمع رجلا يتلو هذه الآية حتى زرتم المقابر فقال بعث اليوم ورب الكعبة أى ان الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره

وقوله تعالى (كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون) قال الحسن البصرى هذا وعيد بعد وعيد وقال الضحاك (كلا سوف تعلمون) يعنى أيها الكفار (ثم كلا سوف تعلمون) يعني أيها المؤمنون

وقوله تعالى (كلا لو تعلمون علم اليقين) أى لو علمتم حق العلم لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة حتى صرتم إلى المقابر ثم قال (لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين) هذا تفسير الوعيد المتقدم وهو قوله (كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون) توعدهم بهذا الحال وهو رؤية أهل النار

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم سمع أنس بن مالك يقول قال رسول الله ﷺ «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله» ثم رد الله عليهم فقال ﴿كلا﴾ ليس الامر بالتكاثر ﴿سوف تعلمون﴾ وعيد لهم، ثم كرره تأكيدا فقال ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ قال الحسن ومقاتل هو وعيد بعد وعيد والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم اذا نزل بكم الموت، وقال الضحاك (كلا سوف تعلمون) يعني الكفار (ثم كلا سوف تعلمون) يعني المؤمنين وكان يقرأ الاولى بالتاء والثانية بالياء ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ أي علما يقينا فأضاف العلم الى اليقين كقوله (لهو حق اليقين) وجواب لو محذوف أي لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نتحدث ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعثه بعد الموت ﴿لترون الجحيم﴾ قرأ ابن عامر والكسائي لترون بضم التاء من أريته الشيء، وقرأ الآخرون بفتح التاء أي ترونها بابصاركم من بعيد ﴿ثم لترونها﴾ مشاهدة ﴿عين اليقين * ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم﴾

التي إذا زفرت زفرة واحدة خر كل ملك مقرب ونبي مرسل على ركبتيه من المهابة والعظمة ومعاينة الاهوال على ماجاء به الاثر المروي في ذلك

وقوله تعالى (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) أى ثم لتسئلن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والامن والرزق وغير ذلك ماذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا زكريا بن يحيى الجزار المقرى حدثنا عبد الله بن عيسى أبو خالد الجزار حدثنا يونس بن عبيد عن عكرمة عن ابن عباس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: خرج رسول الله ﷺ عند الظهيرة فوجد أبا بكر في المسجد فقال «ما أخرجك هذه الساعة؟» فقال أخرجني الذى أخرجك يارسول الله قال وجاء عمر بن الخطاب فقال «ما أخرجك يا ابن الخطاب؟» قال أخرجني الذي أخرجكما قال فقعد عمر وأقبل رسول الله ﷺ يحدثهما ثم قال «هل بكما من قوة تنطلقان الى هذا النخل فتصيبان طعاما وشرابا وظلا؟» قلنا نعم قال «مروا بنا الى منزل ابن التيهان ابي الهيثم الانصاري» قال فتقدم رسول الله ﷺ بين أيدينا فسلم واستأذن ثلاث مرات وأم الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام تريد أن يزيدها رسول الله ﷺ من السلام فلما أراد أن ينصرف خرجت أم الهيثم تسعى خلفهم فقالت يارسول الله قد والله سمعت تسليمك ولكن أردت أن تزيدني من سلامك فقال لها رسول الله ﷺ خيراً ثم قال «اين أبو الهيثم لا أراه» قالت يارسول الله هو قريب ذهب يستعذب الماء ادخلوا فانه يأتي الساعة إن شاء الله فبسطت بساطا تحت شجرة فجاء ابو الهيثم ففرح بهم وقرت عيناه بهم فصعد على نخلة فصرم لهم أعذاقا فقال له رسول الله ﷺ «حسبك يا أبا الهيثم» فقال يارسول الله تأكلون من بسره ومن رطبه ومن مذنوبه ثم أتاهم بماء فشربوا عليه فقال رسول الله ﷺ «هذا من النعيم الذي تسألون عنه» هذا غريب من هذا الوجه

قال مقاتل يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه ولم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر هذا قول الحسن، وعن ابن مسعود رفعه قال (لتسئلن يومئذ عن النعيم) قال الامن والصحة، وقال قتادة ان الله يسأل كل ذي نعمة عما أنعم عليه

أخبرنا أبو بكر بن الهيثم الترابي انا عبد الله بن احمد بن حمويه السرخسي ثنا ابراهيم بن خزيم الشاشي ثنا عبد الله بن حميد ثنا شبابة عن عبد الله بن العلاء عن الضحاك بن عرزم الاشعري قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ «ان أول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة من النعيم ان يقال له ألم نصح جسمك ونروك من الماء البارد»

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا ابو القاسم علي بن احمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي أنا ابو عيسى الترمذي أنا محمد بن اسماعيل ثنا آدم بن أبي اياس

وقال ابن جرير حدثني الحسين بن علي الصدائي حدثنا الوليد بن القاسم عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما أبو بكر وعمر جالسان اذ جاءهما النبي ﷺ فقال « ما اجلسكما ههنا؟ » قالا والذي بعثك بالحق ما اخرجنا من بيوتنا إلا الجوع قال « والذي بعثني بالحق ما اخرجني غيره » فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الانصار فاستقبلتهم المرأة فقال لها النبي ﷺ « أين فلان؟ » فقالت ذهب يستعذب لنا ماء فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال مرحبا مازار العباد شيء أفضل من نبي زارني اليوم فعلق قربته بكرب نخلة وانطلق فجاءهم بعذق فقال النبي ﷺ « ألا كنت اجتنيت ؟ » فقال أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم ثم أخذ الشفرة فقال له النبي ﷺ « إياك والحلوب » فذبح لهم يومئذ فأكلوا فقال له النبي ﷺ « لتسئلن عن هذا يوم القيامة اخرجكم من بيوتكم الجوع فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا فهذا من النعيم » ورواه مسلم من حديث يزيد بن كيسان به ورواه أبو يعلى وابن ماجه من حديث المكاري عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بكر الصديق به وقد رواه أهل السنن الاربعة من حديث عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحو من هذا السياق وهذه القصة

وقال الامام أحمد حدثنا شريح حدثنا حشرج عن أبي نضرة عن أبي عسيب يعني مولى رسول الله ﷺ قال خرج رسول الله ﷺ ليلا فمر بي فدعاني فخرجت اليه ثم مر بأبي بكر فدعاه فخرج اليه ثم مر بعمر فدعاه فخرج اليه فانطلق حتى دخل حائطا لبعض الانصار فقال لصاحب الحائط « أطعمنا » فجاء بعذق فوضعه فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب وقال « لتسئلن عن هذا يوم القيامة » قال فأخذ عمر العذق فضرب به الارض حتى تناثر البسر قبل رسول الله ﷺ ثم قال يارسول الله إنا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال « نعم إلا من ثلاثة : خرقة لف بها الرجل عورته ، أو كسرة سد بها جوعته ، أو جحر يدخل فيه من الحر والقر » تفرد به أحمد

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا عمار سمعت جابر بن عبد الله يقول :

ثنا شيبان أبو معاوية ثنا عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ في ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد فأتاه أبو بكر فقال «ماجاء بك ياأبابكر؟» فقال خرجت لالقى رسول الله ﷺ وأنظر الى وجهه والتسليم عليه فلم يلبث أن جاء عمر فقال «ماجاء بك ياعمر ؟» قال الجوع يا رسول الله قال النبي ﷺ «وأنا قد وجدت بعض ذلك فانطلقوا الى منزل أبي الهيثم بن التيهان الانصاري» وكان رجلا كثير النخل والشاء ولم يكن له خدم فلم يجدوه فقالوا لامرأته أين صاحبك ؟ فقالت انطلق ليستعذب لنا الماء فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم بقربة زعبها ماء فوضعها ثم جاء يلتزم رسول الله ﷺ ويفديه بابيه وأمه ثم انطلق بهم الى حديقته فبسط لهم بساطا ثم انطلق الى نخلة فجاء بقنو فوضعه فقال النبي ﷺ « أفلا تنقيت لنا من رطبه وبسره ؟ » فقال يارسول الله إني أردت أن

أكل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رطبا وشربوا ماء فقال رسول الله ﷺ « هذا من النعيم الذي تسئلون عنه » ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن جابر به

وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد بن عمرو عن صفوان بن سليم عن محمود بن الربيع قال لما نزلت (ألهاكم التكاثر) فقرأ حتى بلغ (لتسئلن يومئذ عن النعيم) قالوا يارسول الله عن أي نعيم نسئل ؟ وإنما هما الاسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن أي نعيم نسئل قال « اما إن ذلك سيكون »

وقال أحمد حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو حدثنا عبد الله بن سليمان حدثنا معاذ بن عبد الله ابن حبيب عن أبيه عن عمه قال كنا في مجلس فطلع علينا النبي ﷺ وعلى رأسه أثر ماء فقلنا يارسول الله نراك طيب النفس قال « أجل » قال ثم خاض حاضر والناس في ذكر الغنى فقال رسول الله ﷺ « لا بأس بالغنى لمن اتقى الله والصحة لمن اتقى الله خير من الغنى وطيب النفس من النعيم » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن خالد بن مخلد عن عبد الله بن سليمان به

وقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا شبابة عن عبد الله بن العلاء عن الضحاك بن عبد الرحمن ابن عرزم الاشعري قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال النبي ﷺ « إن أول ما يسئل عنه - يعني يوم القيامة - العبد من النعيم أن يقال له ألم نصح لك بدنك ونرويك من الماء البارد » تفرد به الترمذي ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق الوليد بن مسلم عن عبد الله بن العلاء بن زبير به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن يحيى بن حاطب عن عبد الله بن الزبير قال قال الزبير لما نزلت (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قالوا يارسول الله لاي نعيم نسئل عنه وإنما هما الاسودان التمر والماء ؟ قال « إن ذلك سيكون » وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان هو ابن عيينة به ورواه أحمد عنه وقال الترمذي حسن

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الطهراني حدثنا حفص بن عمر العدني عن الحكم بن أبان

تخيروا من رطبه وبسره فأكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال النبي ﷺ « هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسئلون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد » فانطلق ابو الهيثم ليصنع لهم طعاما فقال النبي ﷺ « لا تذبحن ذات در » فذبح لهم عناقا أو جديا فأتاهم بها فأكلوا فقال النبي ﷺ « هل لك خادم ؟ » قال لا قال النبي ﷺ « فاذا أتانا سبي فائتنا » فأتى النبي ﷺ برأسين ليس معهما ثالث فأتاه أبو الهيثم فقال النبي [ص] « اختر منهما » فقال يانبي الله اختر لي فقال النبي [ص] « ان المستشار مؤتمن خذ هذا فاني رأيته يصلي واستوص به معروفا » فانطلق به ابو الهيثم الى امرأته فأخبرها بقول رسول الله [ص] فقالت امرأته ما أنت ببالغ فيه ما قال رسول الله [ص] إلا ان تعتقه قال فهو عتيق فقال النبي [ص] « ان الله تبارك وتعالى لم يبعث نبيا ولا خليفة الا

عن عكرمة قال لما أنزلت هذه الآية (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) قالت الصحابة يارسول الله وأي نعيم نحن فيه وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير؟ فاوحى الله الى نبيه ﷺ: قل لهم أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد؟ فهذا من النعيم.

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا محمد بن سليمان بن الاصبهاني عن ابن أبي ليلى أظنه عن عامر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قال «الأمن والصحة» وقال زيد بن أسلم عن رسول الله ﷺ (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) يعني شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم، رواه ابن أبي حاتم باسناده المتقدم عنه في أول السورة

وقال سعيد بن جبير حتى عن شربة عسل. وقال مجاهد: عن كل لذة من لذات الدنيا، وقال الحسن البصري من النعيم الغداء والعشاء، وقال أبو قلابة: من النعيم أكل السمن والعسل بالخبز النقي. وقول مجاهد اشمل هذه الاقوال

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قال النعيم صحة الابدان والأسماع والابصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو اعلم بذلك منهم وهو قوله تعالى (ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا)

وثبت في صحيح البخاري وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عبدالله بن سعيد بن ابي هند عن ابيه عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» ومعنى هذا أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين لا يقومون بواجبهما ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا القاسم بن محمد بن يحيي المروذي حدثنا علي بن الحسين بن شقيق حدثنا أبو حمزة عن ليث عن أبي فزارة عن يزيد بن الاصم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما فوق الازار وظل الحائط وجر يحاسب به العبد يوم القيامة أو يسئل عنه» ثم قال لا نعرفه الا بهذا الاسناد

وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تألوه إلا خبالا ومن يوق بطانة السوء فقد وقي»

وروي عن ابن عباس قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وذلك قوله (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا) قال عكرمة عن الصحة والفراغ، وقال سعيد بن جبير عن الصحة والفراغ والمال

اخبرنا الامام ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي ثنا ابو الحسن أحمد بن محمد بن موسى

وقال الامام أحمد حدثنا بهز وعفان قالا حدثنا حماد قال عفان في حديثه قال إسحاق بن عبد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة (رض) عن النبي ﷺ قال «يقول الله عز وجل - قال عفان يوم القيامة - يا ابن آدم حملتك على الخيل والابل وزوجتك النساء وجعلتك تربع وترأس فأين شكر ذلك ؟» تفرد به من هذا الوجه

﴿آخر تفسير سورة التكاثر ولله الحمد والمنة﴾

تفسير سورة العصر وهى مكية

ذكروا أن عمرو بن العاص وفد على مسيلمة الكذاب وذلك بعد ما بعث رسول الله ﷺ وقبل أن يسلم عمرو فقال له مسيلمة ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة ؟ فقال لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة ، فقال وما هي فقال (والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ففكر مسيلمة هنيهة ثم قال وقد أنزل علي مثلها فقال له عمرو وما هو؟ فقال : ياوبر ياوبر انما أنت أذنان وصدر وسائرك حفر نقر ثم قال كيف ترى ياعمرو؟ فقال له عمرو والله انك لتعلم اني أعلم انك تكذب

وقد رأيت أبا بكر الخرائطي أسند في كتابه المعروف (بمساوي الاخلاق) في الجزء الثاني منه شيئا من هذا أو قريبا منه . والوبر دويبة تشبه الهر أعظم شيء فيه أذناه وصدره وباقيه دميم فأراد مسيلمة أن يركب من هذا الهذيان ، مايعارض به القرآن ، فلم يرج ذلك على عابد الاوثان في ذلك الزمان

وذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبيد الله بن حصن قال كان الرجلان من أصحاب رسول الله إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر ، وقال الشافعي رحمه الله : لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم

ابن الصلت ثنا ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي ثنا الحسين بن الحسن بمكة ثنا عبد الله بن المبارك والفضل بن موسى قالا ثنا عبد الله بن سعيد ابن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» قال محمد بن كعب يعني عما أنعم عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال أبو العالية عن الاسلام والسنن وقال الحسين بن الفضل تخفيف الشرائع وتيسير القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر (١) ان الإنسن لفى خسر (٢) الا الذين آمنوا وعملوا الصلحت وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (٣)

العصر الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر ، وقال مالك عن زيد بن أسلم هو العصر والمشهور الاول فأقسم تعالى بذلك على أن الانسان لفي خسر أي في خسارة وهلاك (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فاستثنى من جنس الانسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بجوارحهم (وتواصوا بالحق) وهو أداء الطاعات ، وترك المحرمات [وتواصوا بالصبر] أي على المصائب والاقدار وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر

آخر تفسير سورة العصر ولله الحمد

﴿ سورة العصر مكية وقيل مدنية وهي ثلاث آيات ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والعصر ﴾ قال ابن عباس والدهر قيل أقسم به لان فيه عبرة للناظر وقيل معناه ورب العصر وكذلك في أمثاله ، وقال ابن كيسان أراد بالعصر الليل والنهار يقال لهما العصران ، وقال الحسن من بعد زوال الشمس الى غروبها ، وقال قتادة آخر ساعة من ساعات النهار ، وقال مقاتل أقسم بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطى ﴿ ان الانسان لفي خسر ﴾ أي خسران ونقصان قيل أراد به الكافر بدليل انه استثنى المؤمنين والخسران ذهاب رأس المال والانسان في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي وهما أكبر رأس ماله ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ فانهم ليسوا في خسران ﴿ وتواصوا ﴾ أوصى بعضهم بعضا ﴿ بالحق ﴾ بالقرآن قاله الحسن وقتادة وقال مقاتل بالايمان والتوحيد ﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ على أداء الفرائض واقامة أمر الله ، وروى ابن عوف عن ابراهيم قال أراد أن الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع الا المؤمنين فانهم يكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم وهي مثل قوله (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات)

تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل هُمَزة لُمَزة (١) الذى جمع مالا وعَدَّده (٢) يحسَب أن ماله أخلده (٣) كلا لينبذَن في الحُطمة (٤) وما أدرىٰك ما الحُطَمة (٥) نار الله الموقدة (٦) التى تطّلع على الافئدة (٧) انها عليهم مؤصدة (٨) في عَمَد ممددة (٩)

الهماز بالقول واللماز بالفعل يعني يزدري الناس وينتقص بهم وقد تقدم بيان ذلك في قوله تعالى (هماز مشاء بنميم) قال ابن عباس همزة لمزة طعان معياب

وقال الربيع بن أنس الهمزة يهمزه في وجهه واللمزة من خلفه . وقال قتادة الهمزة واللمزة لسانه وعينه ويأكل لحوم الناس ويطعن عليهم . وقال مجاهد الهمزة باليد والعين واللمزة باللسان وهكذا قال ابن زيد . وقال مالك عن زيد بن أسلم همزة لحوم الناس ، ثم قال بعضهم المراد بذلك الاخنس بن شريق وقيل غيره وقال مجاهد هي عامة

(سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ قال ابن عباس هم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العنت ومعناهما واحد وهو العياب ، وقال مقاتل الهمزة الذي يعيبك في الغيب ، واللمزة الذي يعيبك في الوجه ، وقال أبو العالية والحسن بضده

وقال سعيد بن جبير وقتادة الهمزة الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم ، واللمزة الطعان عليهم ، وقال ابن زيد الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم ، واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم، وقال سفيان الثوري يهمز بلسانه ويلمز بعينيه ، ومثله قال ابن كيسان الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذي يومي بعينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه وهما نعتان للفاعل نحو سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك من الناس وأصل الهمز الكسر والعض على الشيء بالعنف، واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية قال الكلبي نزلت في الاخنس بن شريق بن وهب الثقفي كان يقع في الناس ويغتابهم

وقال محمد بن اسحاق مازلنا نسمع أن سورة الهمزة نزلت في أمية بن خلف الجمحي ، وقال مقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي ﷺ من ورائه ويطعن عليه في وجهه ، وقال مجاهد هي

وقوله تعالى [الذي جمع مالا وعدده] أي جمعه بعضه على بعض وأحصى عدده كقوله تعالى (وجمع فأوعى) قاله السدي وابن جرير وقال محمد بن كعب في قوله (جمع مالا وعدده) ألهاه ماله بالنهار هذا الى هذا فاذا كان الليل نام كأنه جيفة منتنة

وقوله تعالى (يحسب أن ماله أخلده) أي يظن أن جمعه المال يخلده في هذه الدار (كلا) أي ليس الامر كما زعم ولا كما حسب

ثم قال تعالى (لينبذن في الحطمة) أي ليلقين هذا الذي جمع مالا فعدده في الحطمة وهى اسم صفة من أسماء النار لانها تحطم من فيها ولهذا قال (وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة) قال ثابت البناني تحرقهم إلى الافئدة وهم أحياء ثم يقول لقد بلغ منهم العذاب ثم يبكي وقال محمد بن كعب تأكل كل شيء من جسده حتى اذا بلغت فؤاد حذوحلقه ترجع على جسده، وقوله تعالى (انها عليهم مؤصدة) أي مطبقة كما تقدم تفسيره في سورة البلد

وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا علي بن سراج حدثنا حماد بن حرزاذ حدثنا شجاع بن أشرس حدثنا شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ (انها عليهم مؤصدة) قال مطبقة . وقد رواه ابو بكر ابن أبي شيبة عن عبد الله بن أسد عن اسماعيل ابن خالد عن ابي صالح قوله ولم يرفعه

وقوله تعالى (في عمد ممددة) قال عطية العوفي عمد من حديد ، وقال السدي من نار ، قال شبيب

عامة في حق كل من هذه صفته ثم وصفه فقال ﴿ الذي جمع مالا ﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص وحمزة والكسائي جمع بتشديد الميم على التكثير وقرأ الآخرون بالتخفيف ﴿ وعدده ﴾ أحصاه ، وقال مقاتل استعده وادخره وجعله عداداً له يقال أعددت الشيء وعددته اذا أمسكته ﴿ يحسب أن ماله أخلده ﴾ في الدنيا يظن أنه لا يموت مع يساره ﴿ كلا ﴾ رد عليه أي لا يخلده ماله ﴿ لينبذن ﴾ ليطرحن ﴿ في الحطمة ﴾ في جهنم والحطمة من أسماء النار مثل سقر ولظى سميت حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها ﴿ وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ﴾ أي التي يبلغ ألمها ووجعها إلى القلوب والاطلاع والبلوغ والتطلع بمعنى واحد يحكى عن العرب متى طلعت أرضنا أى بلغت، ومعنى الآية أنها تأكل كل شيء منه حتى تنتهي إلى فؤاده قاله القرظي والكلبي

وقوله ﴿ انها عليهم مؤصدة ﴾ مطبقة مغلقة ﴿ في عمد ممددة ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر في عمد بضم العين والميم وقرأ الآخرون بفتحهما كقوله تعالى (رفع السموات بغير عمد ترونها) وهما جميعا جمع عمود مثل أديم وأدم وأدم قاله الفراء ، وقال أبو عبيدة جمع عماد مثل اهاب وأهب واهب، قال ابن عباس أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد وفي أعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الابواب

وقال قتادة بلغنا أنها عمد يعذبون بها في النار ، وقيل هي أوتاد الاطباق التي تطبق على أهل النار

ابن بشر عن عكرمة عن ابن عباس [في عمد ممددة] يعني الابواب هي الممددة ، وقال قتادة في قراءة عبدالله بن مسعود انها عليهم مؤصدة بعمد ممددة ، وقال العوفي عن ابن عباس أدخلهم في عمد ممدت عليهم بعماد في أعناقهم السلاسل فسدت بها الابواب ، وقال قتادة كنا نحدث انهم يعذبون بعمد في النار واختاره ابن جرير ، وقال ابو صالح (في عمد ممددة) يعني القيود الثقال

﴿ آخر تفسير السورة ولله الحمد والمنة ﴾

تفسير سورة الفيل وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ألم تر كيف فعل ربك بأصحٰب الفيل ؟ (١) ألم يجعل كيدهم في تضليل ؟ (٢) وأرسل عليهم طيرا أبابيل (٣) ترميهم بحجارة من سجّيل (٤) فجعلهم كعصفٍ مأكول (٥)

هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم آنافهم وخيب سعيهم وأضل عملهم وردهم بشر خيبة وكانوا قوما نصارى وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة

أى انها مطبقة عليهم بأوتاد ممددة وهي في قراءة عبد الله بعمد بالباء ، قال مقاتل أطبقت الابواب عليهم ثم سدت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح والممددة من صفة العمد أى مطولة فتكون أرسخ من القصيرة

(تفسير سورة الفيل مكية وهي خمس آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ؟ ﴾ وكانت قصة أصحاب الفيل على ماذكره محمد بن اسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدي أن النجاشي ملك الحبشة كان قد بعث ارياطا إلى أرض اليمن فغلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة بن الصباح أبو مكتوم فساخط ارياط في أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين وكانت طائفة مع ارياط وطائفة مع أبرهة فتزاحفا فقتل أبرهة ارياط واجتمعت الحبشة لأبرهة وغلب على اليمن وأقره النجاشي على عمله ثم ان أبرهة رأى الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة لحج بيت الله فبنى كنيسة بصنعاء وكتب إلى النجاشي إني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم ين لملك مثلها ولست منتهيا حتى أصرف اليها حج

الاوثان ولكن كان هذا من باب الارهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ فانه في ذلك العام ولد على أشهر الاقوال ولسان حال القدر يقول لم ينصركم يامعشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الامي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الانبياء وهذه قصة أصحاب الفيل على وجه الايجاز والاختصار والتقريب

قد تقدم في قصة أصحاب الاخدود أن ذا نواس وكان آخر ملوك حمير وكان مشركا وهو الذي قتل أصحاب الاخدود وكانوا نصارى وكانوا قريبا من عشرين ألفا فلم يفلت منهم الا دوس ذو ثعلبان فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام وكان نصرانيا فكتب له إلى النجاشي ملك الحبشة لكونه أقرب اليهم فبعث معه أميرين أرياط وأبرهة بن الصباح أبا يكسوم في جيش كثيف فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار واستلبوا الملك من حمير وهلك ذو نواس غريقا في البحر واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الاميران أرياط وأبرهة فاختلفا في أمرهما وتصاولا وتقاتلا وتصافا فقال أحدهما للآخر انه لاحاجة بنا إلى اصطلام الجيشين بيننا ولكن ابرز إلي وأبرز اليك فأينا قتل الآخر استقل بعده بالملك فأجابه إلي ذلك فتبارزا وخلف كل واحد منهما قناة فحمل أرياط على أبرهة فضربه بالسيف فشرم أنفه وفمه وشق وجهه وحمل عتودة مولى أبرهة على أرياط فقتله ورجع أبرهة جريحا فداوى جرحه فبرأ واستقل بتدبير جيش الحبشة باليمن فكتب اليه النجاشي يلومه على ما كان منه ويتوعده ويحلف ليطأن بلاده ويجزن

العرب فسمع به رجل من بني مالك بن كنانة فخرج مستخفيا فدخلها ليلا فقعد فيها وتغوط بها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك أبرهة فقال من اجترأ علي ولطخ كنيستي بالعذرة؟ فقيل له صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع بالذي قلت ، فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها فكتب إلى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث اليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج أبرهة من الحبشة سائرا إلى مكة وأخرج معه الفيل فسمعت العرب بذلك فاستعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم ، فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفير بمن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ ذا نفير فقال أيها الملك لاتقتلني فان استبقائي خير لك من قتلي فاستحياه وأوثقه ، وكان أبرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنا من بلاد خثعم خرج نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيل فقال نفيل أيها الملك اني دليل بارض العرب وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن مغيث في رجال من ثقيف فقال أيها الملك نحن عبيدك ليس لك عندنا خلاف وقد علمنا أنك تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا أبا رغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات أبو رغال وهو الذي يرجم قبره

وبعث أبرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على مقدمة خيله وأمره

ناصيته فأرسل اليه أبرهة يترفق له ويصانعه وبعث مع رسوله بهدايا وتحف وبجراب فيه من تراب اليمن وجز ناصيته فأرسلها معه ويقول في كتابه ليطأ الملك على هذا الجراب فيبر قسمه وهذه ناصيتي قد بعثت بها اليك فلما وصل ذلك اليه أعجبه منه ورضي عنه وأقره على عمله وأرسل أبرهة يقول للنجاشي انى سأبني لك كنيسة بأرض اليمن لم يبن قبلها مثلها فشرع في بناء كنيسة هائلة بصنعاء رفيعة البناء عالية الفناء مزخرفة الارجاء سمتها العرب القليس لارتفاعها لان الناظر اليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها، وعزم أبرهة الاشرم على أن يصرف حج العرب اليها كما يحج إلى الكعبة بمكة ونادى بذلك في مملكته فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك وغضبت قريش لذلك غضبا شديداً حتى قصدها بعضهم وتوصل إلى أن دخلها ليلا فأحدث فيها وكر راجعا فلما رأى السدنة ذلك الحدث رفعوا أمره إلى ملكهم أبرهة وقالوا له انما صنع هذا بعض قريش غضبا لبيتهم الذي ضاهيت هذا به فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة وليخربنه حجراً حجراً

وذكر مقاتل بن سليمان ان فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها ناراً وكان يوما فيه هواء شديد فأحرقت وسقطت إلى الارض فتأهب أبرهة لذلك وصار في جيش كثيف عرمرم لئلا يصده أحد عنه واستصحب معه فيلا عظيما كبير الجثة لم ير مثله يقال له محمود وكان قد بعثه اليه النجاشي ملك الحبشة لذلك ويقال كان معه أيضاً ثمانية أفيال وقيل اثنا عشر فيلا غيره فالله أعلم، يعني ليهدم به الكعبة بأن يجعل السلاسل في الاركان وتوضع في عنق الفيل ثم يزجر ليلقى الحائط جملة واحدة فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جداً ورأوا أن حقا عليهم المحاجفة دون البيت ورد من أراده بكيد فخرج اليه

بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود اليه أموال الحرم وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير ثم ان أبرهة بعث حياطة الحميري إلى أهل مكة فقال سل عن شريفها ثم أبلغه ما أرسلك به اليه أخبره أني لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال ان الملك أرسلني اليك لأخبرك انه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه انما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا له عندنا إلا أن نخلي بينه وبين ماجاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه، وإن يخل بينه وبين ذلك فوالله مالنا قوة به قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلماء انه اردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم المعسكر وكان ذو نفير صديقا لعبد المطلب فأتاه فقال ياذا نفير هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال ماغناء رجل أسير لايأمن ان يقتل بكرة أو عشيا ولكن سأبعثك الى أنيس سائس الفيل فانه لى صديق فاسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فأرسل الى أنيس فأتاه فقال له ان هذا سيد قريش صاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رءوس الجبال وقد أصاب له الملك مائتي بعير فان استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فانه

رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذونفر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله وما يريده من هدمه وخرابه فأجابوه وقاتلوا أبرهة فهزمهم لما يريده الله عز وجل من كرامة البيت وتعظيمه وأسر ذونفر فاستصحبه معه ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بارض خثعم اعترض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قومه شهران وناهس فقاتلوه فهزمهم أبرهة وأسر نفيل بن حبيب فأراد قتله ثم عفا عنه واستصحبه معه ليدله في بلاد الحجاز فلما اقترب من أرض الطائف خرج اليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم الذي عندهم الذى يسمونه اللات فأكرمهم وبعثوا معه أبا رغال دليلا فلما انتهى أبرهة الى المغمس وهو قريب من مكة نزل به وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الابل وغيرها فأخذوه، وكان في السرح مائتا بعير لعبد المطلب، وكان الذي أغار على السرح بامر أبرهة أمير المقدمة وكان يقال له الاسود بن مقصود فهجاه بعض العرب فيما ذكره ابن اسحاق وبعث أبرهة حناطة الحميري، إلى مكة وأمره أن يأتيه بأشرف قريش وأن يخبره ان الملك لم يجىء لقتالكم إلا أن تصدوه عن البيت فجاء حناطة فدل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال فقال له عبد المطلب والله مانريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وان يخلي بينه وبينه فوالله ماعندنا دفع عنه فقال له حناطة فاذهب معي اليه فذهب معه فلما رآه أبرهة أجله وكان عبدالمطلب رجلا جميلا حسن المنظر، ونزل أبرهة عن سريره وجلس معه على البساط، وقال لترجمانه قل له ماحاجتك؟ فقال الترجمان إن حاجتى أن يرد علي الملك مائتى بعير أصابها لي فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك

صديق لي أحب ما وصل اليه من الخير فدخل أنيس على أبرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال يستأذن اليك وأحب أن تأذن له فيكلمك وقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فأذن له، وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه أبرهة أعظمه وأكرمه وكره أن يجلس معه على سريره وأن يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه فأجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ماحاجتك الى الملك؟ فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب حاجتي الى الملك أن يرد علي مائتي بعير أصابها لي فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ولقد زهدت فيك قال لم؟ قال جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لأهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتى بعير أصبتها، قال عبد المطلب أنا رب هذه الابل وان لهذا البيت ربا سيمنع عنه من يقصده بسوء، قال ما كان ليمنعه مني قال فأنت وذلك فأمر بابله فردت عليه فلما ردت الابل الى عبد المطلب خرج فأخبر قريشا الخبر الذي وقع بينه وبين أبرهة وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رءوس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش فيهم ففعلوا وأتى عبد المطلب الكعبة وأخذ بحلقة الباب وجعل يقول

حين كلمتني أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه؟ فقال له عبدالمطلب إني أنا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه، قال ما كان ليمتنع مني قال أنت وذاك ، ويقال انه ذهب مع عبدالمطلب جماعة من أشراف العرب فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عن البيت فأبى عليهم ورد أبرهة على عبدالمطلب إبله ورجع عبدالمطلب الى قريش فأمرهم بالخروج من مكة والتحصن في رءوس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش ثم قام عبدالمطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرون على أبرهة وجنده فقال عبدالمطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة

لاهم ان المرء يمـــنع رحله فامنع رحالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبداً محالك

قال ابن إسحاق ثم أرسل عبدالمطلب حلقة الباب ثم خرجوا إلى رءوس الجبال ، وذكر مقاتل ابن سليمان أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مقلدة لعل بعض الجيش ينال منها شيئا بغير حق فينتقم الله منهم فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وكان اسمه محمود وعبأ جيشه فلما وجهوا الفيل نحو مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه ثم أخذ باذنه وقال ابرك محمود وارجع راشداً من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في

يارب لا أرجو لهم سواكا يارب فامنع منهم حماكا

ان عدو البيت من عاداكا امنعهم أن يخربوا قراكا

وقال أيضاً

لا هم إن المرء يمـــنع رحله فامنع رحالك

وانصر على آل الصليـــب وعابديه اليوم آلك

لا يغلبن صليبهم ومحـالهم أبدا محالك

جروا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك

قصدوا حماك بكيدهم جهلوا وما رقبوا جلالك

إن كنت تاركهم وكعـــبتنا فأمر ما بدا لك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه فأصبح أبرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول وعبأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلا عظيما لم ير مثله في العظم والقوة ويقال كان معه اثنا عشر فيلا فأقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم أخذ بأذنه فقال ابرك محمود وارجع راشداً من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فأبى فضربوه بالمعول في رأسه فأبى فأدخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه فنزعوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعاً الى اليمن فقام يهرول ، ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك

الجبل وضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا في رأسه بالطبرزين وأدخلوا محاجن لهم في مراقه فنزعوه بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فبرك ، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس لا يصيب منهم أحداً الا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق هذا ونفيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النقمة وجعل نفيل يقول

أين المفر والاله الطالب والاشرم المغلوب ليس الغالب

قال ابن اسحاق وقال نفيل في ذلك أيضاً

ألا حييت عنايا ودينا نعمناكم مع الاصباح عينا

ودينة لو رأيت ولا تريه لدى جنب المحصب مارأينا

اذا لعذرتنى وحمدت أمري ولم تأسي على مافات بينا

حمدت الله اذ أبصرت طيراً وخفت حجارة تلقى علينا

فكل القوم تسأل عن نفيل كأن علي للحبشان دينا

ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد في أعلى الجبل وأرسل الله اليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره أمثال الحمص والعدس فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلا هلك وليس كل القوم أصابت ، وخرجوا هاربين لا يهتدون الى الطريق الذي جاؤا منه وهم يتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض تلك الجبال فصرخ القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله على أبرهة داء في جسده فجعل تتساقط منه أنامله كلما سقطت أنملة اتبعتها مدة من قيح ودم ، فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فيمن بقي من أصحابه ، وما مات حتى انصدع صدره من قلبه ثم هلك

قال الواقدي وأما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجا ، والفيل الآخر شجع فحصب ، وزعم مقاتل بن سليمان أن السبب الذي جرأ أصحاب الفيل ان فتية من قريش خرجوا تجارا الى أرض النجاشي ، فدنوا من ساحل البحر ، وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فأججوا ناراً فاصطلوا ، فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل ناراً فانطلق الصريخ إلى النجاشي فأسف واغتاظ غيظا شديدا فبعث أبرهة لهدم الكعبة ، وقال فيه انه كان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا

وذكر الواقدي باسناده انهم لما تعبؤا لدخول الحرم وهيؤا الفيل جعلوا لا يصرفه من فونه الى جهة سائر الجهات إلا ذهب فيها فاذا وجهوه الى الحرم ربض وصاح، وجعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه ليقهر الفيل على دخول الحرم وطال الفصل في ذلك، هذا وعبد المطلب وجماعة من أشراف مكة فيهم المطعم بن عدي وعمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ومسعود بن عمرو الثقفي على حراء ينظرون ما الحبشة يصنعون وماذا يلقون من أمر الفيل وهو العجب العجاب، فبينماهم كذلك اذ بعث الله عليهم طيراً أبابيل أي قطعا قطعا صفرا دون الحمام وأرجلها حمر ومع كل طائر ثلاثة أحجار وجاءت فحلقت عليهم وأرسلت تلك الاحجار عليهم فهلكوا

وقال محمد بن اسحاق جاؤا بفيلين فأما محمود فربض وأما الآخر فشجع فحصب. وقال وهب بن منبه كان معهم فيلة فأما محمود وهو فيل الملك فربض ليقتدي به بقية الفيلة وكان فيها فيل تشجع فحصب فهربت بقية الفيلة وقال عطاء بن يسار وغيره ليس كلهم أصابه العذاب في الساعة الراهنة بل منهم من هلك سريعا ومنهم من جعل يتساقط عضواً عضواً وهم هاربون وكان أبرهة ممن تساقط عضواً عضوا حتى مات ببلاد خثعم

وقال ابن اسحاق فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى

تستقيم الامور برأيه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك؟ هذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك فقال أبو مسعود اصعد بنا الى حراء فصعد الجبل، فقال ابو مسعود لعبد المطلب اعمد إلى مائة من الابل فاجعلها لله وقلدها نعلا ثم أرسلها في الحرم لعل بعض هذه السودان يعقر منها شيئا فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم، ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال ابو مسعود، ان لهذا البيت ربا يمنعه، فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى تبع ذلك كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزوراً، ثم قال ابو مسعود انظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال أرى طيراً بيضا نشأت من شاطىء البحر فقال ارمقها ببصرك أين قرارها فقال أراها قد دارت على رؤسنا قال فهل تعرفها؟ قال فوالله ما أعرفها ماهي بنجدية ولا تهامية ولا غربية ولا شامية، قال ماقدرها؟ قال أشباه اليعاسيب في منقارها حصى كأنها حصى الخزف قد أقبلت كالليل يكسع بعضها بعضا أمام كل رفقة طير يقودها، أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت بعسكر القوم ركدت فوق رؤسهم، فلما توافت الرجال كلها أهالت الطير مافي مناقيرها على من تحتها مكتوب في كل حجر اسم صاحبه، ثم انها انصاعت راجعة من حيث جاءت فلما أصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا ربوة فلم يؤنسا أحدا، ثم دنوا ربوة فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم سامرين فأصبحوا نياما، فلما دنوا من عسكر القوم فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة أحدهم فيخرقها حتى يقع في دماغه ويخرق

انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون . وذكر مقاتل بن سليمان أن قريشا أصابوا مالا جزيلا من أسلابهم وما كان معهم وان عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ماملأ حفرة

قال ابن اسحاق وحدثني يعقوب بن عتبة انه حدث ان أول ماروئيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام وأنه أول ماروئي به مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعسر ذلك العام وهكذا روي عن عكرمة من طريق جيد

قال ابن اسحاق فلما بعث الله محمداً ﷺ كان فيما يعد به على قريش من نعمته عليهم وفضله مارد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول — لايلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) أي لئلا يغير شيئا من حالهم التي كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه قال ابن هشام الابابيل الجماعات ولم تتكلم العرب بواحده قال وأما السجيل فاخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب الشديد الصلب

قال وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وإنما هو سنج وجل يعني بالسنج الحجر والجل الطين يقول الحجارة من هذين الجنسين الحجر والطين قال والعصف ورق الزرع الذي لم يقضب واحدته عصفة انتهى ماذكره

وقد قال حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله وأبو سلمة بن عبد الرحمن (طيرا أبابيل) قال الفرق وقال ابن عباس والضحاك أبابيل يتبع بعضها بعضا وقال الحسن البصري وقتادة الابابيل الكثيرة وقال مجاهد أبابيل شتى متتابعة مجتمعة وقال ابن زيد الابابيل المختلفة تأتي من ههنا ومن ههنا أتتهم من كل مكان وقال الكسائي سمعت بعض النحويين يقول واحد الابابيل ابيل

وقال ابن جرير حدثني عبد الاعلى حدثني داود عن اسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل أنه قال في قوله تعالى (وأرسل عليهم طيراً أبابيل) هي الاقاطيع كالابل المؤبلة وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن ابن عون عن ابن سيرين عن ابن عباس (وأرسل عليهم طيراً أبابيل) قال لها

الفيل والدابة ويغيب الحجر في الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فأخذ فأسا من فؤسهم فحفر حتى أعمق في الارض حفرة فملأها من أموالهم من الذهب الاحمر والجوهر ، وحفر لصاحبه حفرة فملأها كذلك ثم قال لابي مسعود هات فاختر ان شئت حفرتي وان شئت حفرتك وان شئت فهما لك معا ، قال ابو مسعود اختر لي على نفسك ، فقال عبد المطلب اني لم أر أن أجعل أجود المتاع في حفرتي فهو لك ، وجلس كل واحد منهما على حفرته ، ونادى عبد المطلب في الناس فتراجعوا وأصابوا من فضلها حتى ضاقوا به ذرعا ، وساد عبد المطلب بذلك قريشا وأعطته المقادة ، فلم يزل عبد المطلب

خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وحدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن عكرمة في قوله تعالى (طيراً أبابيل) قال كانت طيراً خضراً خرجت من البحر لها رءوس كرءوس السباع، وحدثنا ابن بشار حدثنا ابن مهدي عن سفيان عن الاعمش عن أبي سفيان عن عبيد ابن عمير (طيراً أبابيل) قال هي طيور سود بحرية في مناقيرها وأظافيرها الحجارة وهذه أسانيد صحيحة وقال سعيد بن جبير كانت طيراً خضراً لها مناقير صفر تختلف عليهم وعن ابن عباس ومجاهد وعطاء كانت الطير الابابيل مثل التي يقال لها عنقاء مغرب ورواه عنهم ابن أبي حاتم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن محمد بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن عبيد بن عمير قال لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيراً أنشأت من البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار مجزعة حجرين في رجليه وحجراً في منقاره قال فجاءت حتى صفت على رءوسهم ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر وبعث الله ريحاً شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعاً ، وقال السدي عن عكرمة عن ابن عباس حجارة من سجيل قال طين في حجارة سنك وكل وقد قدمنا بيان ذلك بما أغنى عن اعادته ههنا

وقوله تعالى (فجعلهم كعصف مأكول) قال سعيد بن جبير يعني التبن الذي تسميه العامة هبور وفي رواية عن سعيد ورق الحنطة ، وعنه أيضاً العصف التبن والمأكول القصيل يجز للدواب وكذلك قال الحسن البصري ، وعن ابن عباس العصف القشرة التي على الحبة كالغلاف على الحنطة

وقال ابن زيد العصف ورق الزرع وورق البقل اذا أكلته البهائم فراثته فصار درينا ، والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أهلكهم ودمرهم وردهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيراً وأهلك عامتهم ولم يرجع منهم مخبر إلا وهو جريح كما جرى لملكهم أبرهة فانه انصدع صدره عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء وأخبرهم بما جرى لهم ثم مات فملك بعده ابنه يكسوم ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة

ثم خرج سيف بن ذي يزن الحميري إلى كسرى فاستعانه على الحبشة فأنفذ معه من جيوشه فقاتلوا معه فرد الله اليهم ملكهم وما كان في آبائهم من الملك وجاءته وفود العرب بالتهنئة

وأبو مسعود في أهليهما في غنى من ذلك المال ودفع الله عن كعبته وبيته

واختلفوا في تاريخ عام الفيل ، فقال مقاتل كان قبل مولد النبي ﷺ بأربعين سنة ، وقال الكلبي بثلاث وعشرين سنة، والاكثرون على أنه كان في العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ

قوله عز وجل (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) قال مقاتل كان معهم فيل واحد ، وقال الضحاك كانت الفيلة ثمانية وقيل اثنى عشر سوى الفيل الاعظم وانما وحد لانه نسبهم الى الفيل الاعظم وقيل لو فاق رؤس الآي (ألم يجعل كيدهم في تضليل ؟) كيدهم يعني مكرهم وسعيهم في تخريب

وقد قال محمد بن اسحاق حدثنا عبد الله بن أبي بكير عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن عائشة قالت : لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان .

ورواه الواقدي عن عائشة مثله ، ورواه عن أسماء بنت أبي بكر انها قالت كانا مقعدين يستطعمان الناس عند اساف ونائلة حيث يذبح المشركون ذبائحهم قلت كان اسم قائد الفيل أنيسا

وقد ذكر الحافظ ابو نعيم في كتاب دلائل النبوة من طريق ابن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن عثمان بن المغيرة قصة أصحاب الفيل ولم يذكر أن ابرهة قدم من اليمن وانما بعث على الجيش رجلا يقال له شمر بن مقصود وكان الجيش عشرين ألفا وذكر أن الطير طرقتهم ليلا فأصبحوا صرعى وهذا السياق غريب جداً وإن كان أبو نعيم قد قواه ورجحه على غيره والصحيح ان أبرهة الاشرم الحبشي قدم مكة كما دل على ذلك السياقات والاشعار

وهكذا روي عن ابن لهيعة عن الاسود عن عروة أن أبرهة بعث الاسود بن مقصود على كتيبة معهم الفيل ولم يذكر قدوم أبرهة نفسه ، والصحيح قدومه ولعل ابن مقصود كان على مقدمة الجيش والله أعلم ثم ذكر ابن اسحاق شيئا من أشعار العرب فيما كان من قصة أصحاب الفيل فمن ذلك شعر عبد الله بن الزبعري

تنكلوا عن بطن مكة انها ... كانت قديما لا يرام حريمها
لم تخلق الشعرى ليالي حرمت ... إذ لا عزيز من الانام يرومها
سائل أمير الجيش عنها ما رأى ... فلسوف ينبي الجاهلين عليمها
ستون ألفا لم يؤبوا أرضهم ... بل لم يعش بعد الاياب سقيمها
كانت بها عاد وجرهم قبلهم ... والله من فوق العباد يقيمها

وقال ابو قيس بن الاسلت الانصاري المدني :

ومن صنعه يوم فيل الحبو ... ش إذ كل ما بعثوه رزم
محاجنهم تحت أقرابه ... وقد شرموا أنفه فانخرم
وقد جعلوا سوطه مغولا ... اذا يمموه قفاه كلم

الكعبة ، وقوله (في تضليل) عما أرادوا ضلل كيدهم حتى لم يصلوا إلى الكعبة وإلى ما أرادوه بكيدهم قال مقاتل في خسارة وقيل في بطلان ﴿ وأرسل عليهم طيرا أبابيل ﴾ كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل أقاطيع كالابل المؤبلة قال أبو عبيدة أبابيل جماعات في تفرقة ، يقال جاءت الخيل أبابيل من ههنا وههنا ، قال الفراء لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة

وقال الكسائي اني كنت أسمع النحويين يقولون واحدها أبول مثل عجول وعجاجيل ، وقيل واحدها من لفظها أبيل ، قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب ، وقال عكرمة لها رؤس كرؤس السباع ، قال الربيع لها أنياب كانياب السباع ، وقال سعيد

فولى وأدبر أدراجه　　وقد باء بالظلم من كان ثم
فأرسل من فوقهم حاصبا　　يلفهم مثل لف القزم
يحض على الصبر أحبارهم　　وقد ثأجوا كثؤاج الغنم

وقال ابو الصلت بن ربيعة الثقفي ويروى لأمية بن أبي الصلت بن ربيعة

إن آيات ربنا باقيات　　ما يماري فيهن إلا الكفور
خلق الليل والنهار فكل　　مستبين حسابه مقدور
ثم يجلو النهار رب رحيم　　بمهاة شعاعها منشور
حبس الفيل بالمغمس حتى　　صار يحبو كأنه معقور
لازما حلقه الجران كما قطر　　من ظهر كبكب محدور
حوله من ملوك كندة أبطال　　ملاويث في الحروب صقور
خلفوه ثم ابذعروا جميعا　　كلهم عظم ساقه مكسور
كل دين يوم القيامة عند الله　　إلا دين الحنيفة بور

وقد قدمنا في تفسير سورة الفتح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أطل يوم الحديبية على الثنية التي تهبط به على قريش بركت ناقته فزجروها فألحت فقالوا خلأت القصواء أي حرنت فقال رسول الله ﷺ « ماخلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل - ثم قال - والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أجبتهم اليها » ثم زجرها فقامت والحديث من أفراد البخاري

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة « ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس ألا فليبلغ الشاهد الغائب »

﴿ آخر تفسير سورة الفيل ولله الحمد والمنة ﴾

ابن جبير طير خضر لها مناقير صفر ، وقال قتادة طيور سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر فى منقاره لا تصيب شيئا إلا هشمته ﴿ ترميهم بحجارة من سجيل ﴾ قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة فبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها شدة فما وقع منها حجر على رجل إلا خرج من الجانب الآخر وإن وقع علي رأسه خرج من دبره ﴿ فجعلهم كعصف مأكول ﴾ كزرع وتبن أكلته الدواب فراثته فيبس وتفرقت أجزاؤه ، شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث ، قال مجاهد العصف ورق الحنطة ، وقال قتادة هو التبن ، وقال عكرمة كالحب إذا أكل فصار أجوف ، وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف له

﴿ تفسير سورة لايلاف قريش وهي مكية ﴾

﴿ ذكر حديث غريب في فضلها ﴾ قال البيهقي في كتاب الخلافيات حدثنا أبو عبدالله الحافظ حدثنا بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي بمرو حدثنا أحمد بن عبد الله الزينبي حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثنا ابراهيم بن محمد بن ثابت بن شرحبيل حدثني عثمان بن عبدالله بن أبي عتيق عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة عن أبيه عن جدته ام هانىء بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال « فضل الله قريشا بسبع خلال : اني منهم وان النبوة فيهم والحجابة والسقاية فيهم ، وان الله نصرهم على الفيل وانهم عبدوا الله عز وجل عشر سنين لا يعبده غيرهم وان الله أنزل فيهم سورة من القرآن ـ ثم تلا رسول الله ﷺ ـ (بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)

بسم الله الرحمن الرحيم

لايلٰف قريش (١) الفهم رحلة الشتاء والصيف (٢) فليعبدوا رب هذا البيت (٣) الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف (٤)

هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الامام كتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وإن كانت متعلقة بما قبلها كما صرح بذلك محمد بن اسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم لأن المعنى

﴿ تفسير سورة قريش مكية وهي أربع آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ لايلاف قريش ﴾ قرأ أبو جعفر ليلاف بغير همز الالفهم طلبا للخفة ، وقرأ ابن عامر لالاف بهمزة مختلسة من غير ياء بعدها ، وقرأ الآخرون بهمزة مشبعة وياء بعدها ، واتفقوا غير أبي جعفر في إيلافهم انها بياء بعد الهمزة الا عبد الوهاب بن فليح عن ابن كثير فانه قرأ الفهم ساكنة اللام بغير ياء ، وعد بعضهم سورة الفيل وهذه السورة واحدة ، منهم أبي بن كعب لا فصل بينهما في مصحفه وقالوا اللام في لايلاف تتعلق بالسورة التي قبلها ، وذلك ان الله تعالى ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة ، وقال لايلاف قريش ، وقال الزجاج المعنى جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش أي أهلك أصحاب الفيل لتبقى قريش وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف ، وقال مجاهد ألفوا ذلك فلا يشق عليهم في الشتاء والصيف ، والعامة على أنهما سورتان

عندهما حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله لايلاف قريش أي لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين وقيل المراد بذلك ماكانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام في المتاجر وغير ذلك ثم يرجعون الى بلدهم آمنين في أسفارهم لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله فمن عرفهم احترمهم بل من صوفي اليهم وسار معهم أمن بهم وهذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم وأما في حال اقامتهم في البلد فكما قال الله تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) ولهذا قال تعالى [لايلاف قريش ايلافهم] بدل من الاول ومفسر له ولهذا قال تعالى (إيلافهم رحلة الشتاء والصيف)

واختلفوا في العلة الجالبة اللام في قوله (لايلاف) قال الكسائي والاخفش هي لام التعجب يقول، اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم أمرهم بعبادته كما تقول في الكلام لزيد واكرامنا إياه على وجه التعجب أي اعجبوا لذلك ، والعرب اذا جاءت بهذه اللام اكتفوا بها دليلا على التعجب من اظهار الفعل منه

وقال الزجاج هي مردودة إلى مابعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف ، وقال ابن عيينة لنعمتي على قريش ، وقريش هم ولد النضر بن كنانة وكل من ولده النضر فهو قرشي ، ومن لم يلده النضر فليس بقرشي

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر الجور بذي ثنا يونس بن عبد الاعلى الصدفي أنا بشر بن بكر عن الاوزاعي حدثني شداد أبو عمار ثنا واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله ﷺ « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » وسموا قريشا من القرش والتقريش وهو التكسب والجمع ، يقال فلان يقرش لعياله ويقترش أي يكتسب وهم كانوا تجارا حراصا على جمع المال والافضال وقال أبو ريحانة سأل معاوية عبد الله ابن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في البحر من أعظم دوابه يقال لها القريش لا تمر بشيء من الغث والسمين الا أكلته وهي تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى ، قال وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم فانشده شعر الجمحي

وقريش هي التي تسكن البحـر بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو في لجة البحـر على سائر البحور جيوشا
تأكل الغث والسمين ولا تتـرك فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش يأكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم في آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والخموشا

وقال ابن جرير : الصواب ان اللام لام التعجب كأنه يقول اعجبوا لايلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك ، قال وذلك لاجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان . ثم أرشدهم الى شكر هذه النعمة العظيمة فقال [فليعبدوا رب هذا البيت] اي فليوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرما آمنا وبيتا محرما كما قال تعالى (قل انما امرت أن اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن اكون من المسلمين] وقوله تعالى (الذي اطعمهم من جوع)أي هو رب البيت وهو الذي أطعمهم من جوع (وآمنهم من خوف) اي تفضل عليهم بالامن والرخص فليفردوه بالعبادة وحده لاشريك له ولا يعبدوا من دونه صنما ولا نداً ولا وثنا ولهذا من استجاب لهذا الامر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ومن عصاه سلبهما منه كما قال تعالى [ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون)

وقد قال ابن ابي حاتم حدثنا عبد الله بن عمرو الغزي حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول « ويل امكم قريش لئلاف

قوله تعالى ﴿ إيلافهم ﴾ بدل من الايلاف الاول ﴿ رحلة الشتاء والصيف ﴾ رحلة نصب على المصدر أى ارتحالهم رحلة الشتاء والصيف

روى عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فامرهم الله تعالى أن يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت، وقال الاخرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة احداهما في الشتاء الى اليمن لانها أدفأ والاخرى في الصيف الى الشام وكان الحرم واديا جدبا لا زرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكان لا يتعرض لهم أحد بسوء كانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف وشق عليهم الاختلاف الى اليمن والشام فاخصبته تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة أهل الساحل من البحر على السفن وأهل البر على الابل والحمير فألقى أهل الساحل بجدة وأهل البر بالمحصب وأخصب الشام فحملوا الطعام الى مكة فألقوا بالابطح فامتاروا من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين وأمرهم بعبادة رب البيت فقال ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت ﴾ أي الكعبة ﴿ الذي أطعمهم من جوع ﴾ أي من بعد جوع بحمل الميرة الى مكة ﴿ وآمنهم من خوف ﴾ بالحرم وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم في رحلتيهم

وقال عطاء عن ابن عباس انهم كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين ، وكانوا يقسمون ربحهم بين الفقير والغني حتى كان فقيرهم كغنيهم ، قال الكلبي وكان أول من حمل السمراء من الشام ورحل اليها الابل هاشم ابن عبد مناف وفيه يقول الشاعر

قل للذي طلب السماحة والندى   هلا مررت بآل عبد مناف

قريش ثم قال حدثنا أبي حدثنا المؤمل بن الفضل الحراني حدثنا عيسى يعني ابن يونس عن عبد الله ابن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لايلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ويحكم يا معشر قريش اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف » هكذا رأيته عن أسامة بن زيد وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن أم سلمة الانصارية رضي الله عنها فلعله وقع غلط في النسخة أو في أصل الرواية والله أعلم

﴿ آخر تفسير لايلاف قريش ولله الحمد والمنة ﴾

تفسير السورة التى يذكر فيها الماعون وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

أرءيت الذي يُكذّب بالدين (١) فذلك الذي يدُعُّ اليتيم (٢) ولا يحض على طعام المسكين (٣) فويلٌ للمصلين (٤) الذين هم عن صلاتهم ساهون (٥) الذين هم يُرآءون (٦) ويمنعون الماعون (٧)

يقول تعالى أرأيت يا محمد الذي يكذب بالدين وهو المعاد والجزاء والثواب (فذلك الذي يدع اليتيم) أي هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه ولا يطعمه ولا يحسن اليه (ولا يحض على طعام

هلا مررت بهم تريد قراهم　　منعوك من ضر ومن اكفاف
الرائشين وليس يوجد رائش　　والقائلين هلم للاضياف
والخالطين غنيهم بفقيرهم　　حتى يكون فقيرهم كالكافي
والقائلين بكل وعد صادق　　والراحلين برحلة الايلاف
عمرو العلا هشم الثريد لقومه　　ورجال مكة مسنتون عجاف
سفرين سنهما له ولقومه　　سفر الشتاء ورحلة الاصياف

وقال الضحاك والربيع وسفيان (وآمنهم من خوف) من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام

﴿ سورة الماعون مكية وهي سبع آيات ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أرأيت الذي يكذب بالدين ﴾ قال مقاتل نزلت في العاص بن وائل السهمي ، وقال السدي

المسكين) كما قال تعالى (كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين) يعني الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته

ثم قال تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) قال ابن عباس وغيره يعني المنافقين الذين يصلون في العلانية ولا يصلون في السر ولهذا قال (للمصلين) الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ثم هم عنها ساهون ، اما عن فعلها بالكلية كما قاله ابن عباس واما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعا فيخرجها عن وقتها بالكلية كما قاله مسروق وابو الضحى

وقال عطاء بن دينار الحمد لله الذي قال (عن صلاتهم ساهون) ولم يقل في صلاتهم ساهون ، واما عن وقتها الاول فيؤخرونها الى آخره دائما او غالبا ، واما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به ، واما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها فاللفظ يشمل ذلك كله ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية ، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها وكمل له النفاق العملي كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا » فهذا آخر صلاة العصر التي هي الوسطى كما ثبت به النص الى آخر وقتها وهو وقت كراهة ثم قام اليها فنقرها نقر الغراب لم يطمئن ولا خشع فيها أيضا ولهذا قال لا يذكر الله فيها الا قليلا ولعله انما حمله على القيام اليها مراآة الناس لا ابتغاء وجه الله فهو كما اذا لم يصل بالكلية

قال الله تعالى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا) وقال تعالى ههنا (الذين هم يراءون)

وقال الطبراني حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبد ربه البغدادي حدثني أبي حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن يونس عن الحسن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « ان في جهنم لواديا تستعيذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعمائة مرة أعد ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد لحامل كتاب الله وللمصدق في غير ذات الله وللحاج الى بيت الله وللخارج في سبيل الله

وقال الامام أحمد حدثنا ابو نعيم حدثنا الاعمش عن عمرو بن مرة قال كنا جلوسا عند أبي عبيدة فذكروا الرياء فقال رجل يكنى بابي يزيد سمعت عبد الله بن عمرو يقول قال رسول الله ﷺ « من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره » .

ومقاتل بن حيان وابن كيسان في الوليد بن المغيرة ، قال الضحاك نزلت في عمرو بن عائذ المخزومي وقال عطاء عن ابن عباس في رجل من المنافقين ومعنى يكذب بالدين أي بالجزاء والحساب ﴿ فذلك الذي يدع اليتيم ﴾ يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بالعنف والجفوة ﴿ ولا يحض على طعام المسكين ﴾ لا يطعمه ولا يأمر باطعامه لانه يكذب بالجزاء ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾

ورواه أيضا عن غندر ويحيى القطان عن شعبة عن عمرو بن مرة عن رجل عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ فذكره ، ومما يتعلق بقوله تعالى (الذين هم يراءون) أن من عمل عملا لله فاطلع عليه الناس فأعجبه ذلك ان هذا لا يعد رياء ، والدليل على ذلك مارواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا هارون بن معروف حدثنا مخلد بن يزيد حدثنا سعيد بن بشير حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنت أصلي فدخل علي رجل فأعجبني ذلك فذكرته لرسول الله ﷺ فقال « كتب لك أجران أجر السر واجر العلانية » قال ابوعلي هارون بن معروف بلغني أن ابن المبارك قال نعم الحديث للمرائين وهذا حديث غريب من هذا الوجه وسعيد بن بشير متوسط وروايته عن الاعمش عزيزة أو قد رواه غيره عنه

قال أبو يعلى أيضا حدثنا محمد بن المثنى بن موسى حدثنا داود حدثنا أبو سنان عن حبيب ابن أبي ثابت عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رجل يارسول الله الرجل يعمل العمل يسره فاذا اطلع عليه أعجبه قال قال رسول الله ﷺ « له أجران أجر السر وأجر العلانية » وقد رواه الترمذي عن محمد ابن المثني وابن ماجه عن بندار كلاهما عن أبي داود الطيالسي عن أبي سنان الشيباني واسمه ضرار بن مرة ثم قال الترمذي غريب وقد رواه الاعمش وغيره عن حبيب عن أبي صالح مرسلا

وقد قال ابو جعفر ابن جرير حدثني ابو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن شيبان النحوي عن جابر الجعفي حدثني رجل عن أبي برزة الاسلمي قال : قال رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية (الذين هم عن صلاتهم ساهون) « الله أكبر هذا خير لكم من أن لو أعطي كل رجل منكم مثل جميع الدنيا هو الذي ان صلى لم يرج خير صلاته وان تركها لم يخف ربه » فيه جابر الجعفي وهو ضعيف وشيخه مبهم لم يسم والله أعلم

وقال ابن جرير أيضا حدثني زكريا بن أبان المصري حدثنا عمرو بن طارق حدثنا عكرمة بن ابراهيم حدثني عبد الملك بن عمير عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال « هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها » قلت وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية ويحتمل صلاتها بعد وقتها شرعا أو تأخيرها عن أول الوقت و كذا رواه الحافظ أبو يعلى عن سنان بن فروخ عن عكرمة بن ابراهيم به

أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار أنا ابو جعفر محمد بن غالب بن تمام الضبي ثنا حرمي بن حفص القسملي [1] ثنا عكرمة بن ابراهيم الازدي ثنا عبد الكريم بن عمير عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه قال سئل رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال « اضاعة الوقت »

قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلونها في العلانية إذا حضروا

(١) هكذا في الاصول ولكن في تقريب التهذيب انه العتكي

ثم رواه عن أبي الربيع عن جابر عن عاصم عن مصعب عن أبيه موقوفا: سهوا عنها حتى ضاع الوقت وهذا أصح اسنادا وقد ضعف البيهقي رفعه وصحح وقفه وكذلك الحاكم

وقوله تعالى (ويمنعون الماعون) أي لا احسنوا عبادة ربهم ولا أحسنوا الى خلقه حتى ولا باعارة ماينتفع به ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه اليهم، فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى وقد قال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال علي الماعون الزكاة وكذا رواه السدي عن أبي صالح عن علي وكذا روي من غير وجه عن ابن عمر وبه يقول محمد بن الحنفية وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعطاء وعطية العوفي والزهري والحسن وقتادة والضحاك وابن زيد قال الحسن البصري ان صلى رآى وان فاتته لم يأس عليها ويمنع زكاة ماله وفي لفظ صدقة ماله وقال زيد بن أسلم هم المنافقون ظهرت الصلاة فصلوها ، وخفيت الزكاة فمنعوها

وقال الاعمش وشعبة عن الحكم عن يحيى بن الخراز أن أبا العبيدين سأل عبد الله بن مسعود عن الماعون فقال هو مايتعاوره الناس بينهم من الفأس والقدر وقال المسعودي عن سلمة بن كهيل عن أبى العبيدين انه سأل ابن مسعود عن الماعون فقال هو مايتعاطاه الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشباه ذلك

وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا أبو الاحوص عن أبي اسحاق عن أبي العبيدين وسعد بن عياض عن عبد الله قال كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن الماعون الدلو والفأس والقدر لا يستغني عنهن وحدثنا خلاد بن أسلم أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا شعبة عن ابي اسحاق قال سمعت سعد بن عياض يحدث عن أصحاب النبي ﷺ مثله

وقال الاعمش عن ابراهيم عن الحارث بن سويد عن عبد الله أنه سئل عن الماعون فقال مايتعاوره الناس بينهم الفأس والدلو وشبهه

وقال ابن جرير حدثنا عمرو بن علي الفلاس حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن عاصم ابن بهدلة عن أبي وائل عن عبدالله قال كنا مع نبينا ﷺ ونحن نقول الماعون منع الدلو وأشباه ذلك

وقد رواه أبو داود والنسائي عن قتيبة عن أبي عوانة باسناده نحوه ولفظ النسائي عن عبد الله قال كل معروف صدقة وكنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو والقدر

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبى حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله

لقوله تعالى ﴿ الذين هم يراؤن ﴾ وقال في وصف المنافقين (وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس) وقال قتادة ساه عنها لايبالي صلى أم لم يصل ، قيل لا يرجون لها ثوابا إن صلوا ولا يخافون عقابا ان تركوا ، وقال مجاهد غافلون عنها يتهاونون بها ، وقال الحسن هو الذي إن صلاها صلاها رياء وان فاتته لم يندم ، وقال أبو العالية لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها وسجودها ﴿ ويمنعون الماعون ﴾ روى علي رضي الله عنه أنه قال هي الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة

قال الماعون العواري القدر والميزان والدلو وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (ويمنعون الماعون) يعني متاع البيت وكذا قال مجاهد وابراهيم النخعي وسعيد بن جبير وأبو مالك وغير واحد أنها العارية للأمتعة وقال ليث بن أبي سليم ومجاهد عن ابن عباس ويمنعون الماعون قال لم يجيء أهلها بعد وقال العوفي عن ابن عباس ويمنعون الماعون قال اختلف الناس في ذلك فمنهم من قال يمنعون الزكاة ومنهم من قال يمنعون الطاعة ومنهم من قال يمنعون العارية رواه ابن جرير

ثم روى عن يعقوب بن ابراهيم عن ابن علية عن ليث بن أبي سليم عن أبي اسحاق عن الحارث عن علي الماعون منع الناس الفاس والقدر والدلو ، وقال عكرمة رأس الماعون زكاة المال وأدناه المنخل والدلو والابرة رواه ابن أبي حاتم وهذا الذي قاله عكرمة حسن فانه يشمل الاقوال كلها وترجع كلها الى شيء واحد وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة ولهذا قال محمد بن كعب ويمنعون الماعون قال المعروف ولهذا جاء في الحديث « كل معروف صدقة »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا وكيع عن ابن أبي ذئب عن الزهري (ويمنعون الماعون) قال بلسان قريش المال

وروى ههنا حديثا غريبا عجيبا في اسناده ومتنه فقال حدثنا أبي وأبو زرعة قالا حدثنا ليث بن حفص الدارمي حدثنا دلهم بن دهيم العجلي حدثنا عائذ بن ربيعة النميري حدثني قرة بن دعموص النميري انهم وفدوا على رسول الله ﷺ فقالوا يارسول الله ماتعهد الينا ؟ قال « لا تمنعوا الماعون » قالوا يارسول الله وما الماعون ؟ قال « في الحجر وفي الحديدة وفي الماء » قالوا فأي الحديدة ؟ قال « قدوركم النحاس وحديد الفأس الذي تمتهنون به » قالوا اما الحجر ؟ قال « قدوركم الحجارة » غريب جداً ورفعه منكر وفي اسناده من لا يعرف والله أعلم

(١) وقد ذكر ابن الاثير في الصحابة ترجمة علي النميري فقال روى ابن مانع بسنده الى عامر بن ربيعة ابن قيس النميري عن علي بن فلان النميري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « المسلم أخو المسلم اذا لقيه جاء بالسلام ويرد عليه ماهو خير منه لا يمنع الماعون » قلت يارسول الله ما الماعون ؟ قال « الحجر والحديد واشباه ذلك » والله أعلم

(١) هذا غير موجود في النسخة المكية

﴿ آخر تفسير السورة ولله الحمد والمنة ﴾

والضحاك ، وقال عبد الله بن مسعود الماعون الفأس والدلو والقدر وأشباه ذلك وهي رواية سعيد ابن جبير عن ابن عباس ، قال مجاهد الماعون العارية ، وقال عكرمة أعلاها الزكاة المعروفة وأدناها عارية المتاع ، وقال محمد بن كعب والكلبي الماعون المعروف الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم ، قال قطرب أصل الماعون من القلة تقول العرب ماله سعة ولا معنة أي شيء . قليل فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار

تفسير سورة الكوثر وهي مدنية وقيل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أعطينك الكوثر (١) فصل لربك وانحر (٢) إن شانئك هو الأبتر (٣)

قال الامام احمد حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن انس بن مالك قال أغفى رسول الله ﷺ اغفاءة فرفع رأسه متبسما إما قال لهم واما قالوا له لم ضحكت فقال رسول الله ﷺ «انه أنزلت علي آنفا سورة» فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر) حتى ختمها فقال «هل تدرون ماالكوثر ؟» قالوا الله ورسوله أعلم قال «هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يا رب انه من أمتي، فيقال انك لاتدري ماأحدثوا بعدك» هكذا رواه الامام احمد بهذا الاسناد الثلاثي وهذا السياق عن محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك

وقد ورد في صفة الحوض يوم القيامة انه يشخب فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر وان آنيته عدد نجوم السماء وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائي من طريق علي بن مسهر ومحمد بن فضيل كلاهما عن المختار بن فلفل عن أنس، ولفظ مسلم قال بينا رسول الله ﷺ بين اظهرنا في المسجد إذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما قلنا ما أضحكك يارسول الله ؟ قال «لقد انزلت علي آنفا سورة فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر) ثم قال «أتدرون ماالكوثر؟ - قلنا الله ورسوله أعلم قال - فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم في السما فيختلج العبد منهم فأقول رب انه من أمتي، فيقول إنك لاندري ما أحدث بعدك»

وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة وانها منزلة معها

فأما قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) فقد تقدم في هذا الحديث انه نهر في الجنة وقد رواه الامام

﴿سورة الكوثر مكية وهي ثلاث آيات﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ انا أعطيناك الكوثر ﴾ أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا ابو بكر بن أبي شيبة ثنا علي بن مسهر

أحمد من طريق أخرى عن أنس فقال حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس انه قرأ هذه الآية (إنا أعطيناك الكوثر) قال قال رسول الله ﷺ «أعطيت الكوثر فاذا هو نهر يجري ولم يشق شقا وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدي في تربته فاذا مسك أذفر وإذا حصباؤه اللؤلؤ»

وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا محمد بن أبي عدي عن حميد عن أنس قال قال رسول الله ﷺ «دخلت الجنة فاذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء فاذا مسك أذفر قلت ماهذا ياجبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله عز وجل» ورواه البخاري في صحيحه ومسلم من حديث شيبان بن عبدالرحمن عن قتادة عن أنس بن مالك قال لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء قال أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر وهو لفظ البخاري رحمه الله

وقال ابن جرير حدثنا الربيع أخبرنا ابن وهب عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبي نمر قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال لما أسري برسول الله ﷺ مضى به جبريل إلى السماء الدنيا فاذاهو بنهر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فذهب يشم ترابه فاذا هو مسك قال «يا جبريل ماهذا النهر؟ قال هو الكوثر الذي خبأ لك ربك» وقد تقدم حديث الاسراء في سورة سبحان من طريق شريك عن أنس عن النبي ﷺ وهو مخرج في الصحيحين

وقال سعيد عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال «بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقال الملك الذي معه أتدري ما هذا؟ هذا الكوثر الذي أعطاك الله، وضرب بيده إلى أرضه فأخرج من طينه المسك» وكذا رواه سليمان بن طرخان ومعمر وهمام وغيرهم عن قتادة به

قال ابن جرير حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا أبو أيوب العباس حدثنا ابراهيم بن سعد حدثني محمد بن عبدالوهاب ابن أخي ابن شهاب عن أبيه عن أنس قال سئل رسول الله ﷺ عن الكوثر فقال «هو نهر أعطانيه الله تعالى في الجنة ترابه مسك، أبيض من اللبن وأحلى من العسل ترده طير اعناقها مثل أعناق الجزر قال أبو بكر يارسول الله انها لناعمة قال أكلها أنعم منها»

عن المختار يعني بن فلفل عن أنس قال بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يارسول الله؟ قال «نزلت علي آنفا سورة فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر) ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال «فانه نهر وعدنيه ربي فيه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه مني فيقول ماتدري ما أحدث بعدك

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل

وقال أحمد حدثنا أبو سلمة الخزاعي حدثنا الليث عن يزيد بن الهاد عن عبدالوهاب عن عبدالله ابن مسلم بن شهاب عن انس أن رجلا قال يارسول الله ماالكوثر؟ قال «هو نهر في الجنة أعطانيه ربي لهو أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر — قال عمر يارسول الله انها لناعمة قال — أكلها أنعم منها يا عمر» ورواه ابن جرير من حديث الزهري عن أخيه عبدالله عن أنس انه سأل رسول الله ﷺ عن الكوثر فذكر مثله سواء

وقال البخاري حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي حدثنا اسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال سألتها عن قوله تعالى [إنا أعطيناك الكوثر] قالت نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم، ثم قال البخاري رواه زكريا وأبو الاحوص ومطرف عن أبي اسحاق « رواه احمد والنسائي من طريق مطرف به

وقال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا وكيع عن سفيان واسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة قالت الكوثر نهر في الجنة شاطئاه در مجوف ، وقال اسرائيل نهر في الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء . وحدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن شقيق أو مسروق قال قلت لعائشة يا أم المؤمنين حدثيني عن الكوثر قالت نهر في بطنان الجنة ، قلت وما بطنان الجنة ؟ قالت وسطها حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ترابه المسك وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت

وحدثنا ابو كريب حدثنا وكيع عن ابي جعفر الرازي عن ابن أبي نجيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : من أحب أن يسمع خرير الكوثر فليجعل أصبعيه في أذنيه وهذا منقطع بين ابن أبي نجيح وعائشة ، وفي بعض الروايات عن رجل عنها ، ومعنى هذا انه يسمع نظير ذلك لانه يسمعه نفسه والله أعلم قال السهيلي ورواه الدارقطني مرفوعا من طريق مالك بن مغول عن الشعبي عن مسروق عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم

ثنا عمرو بن محمد ثنا هيثم ثنا أبو بشر وعطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال . الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه قال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير إن أناسا يزعمون انه نهر في الجنة ، فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه ، قال الحسن هو القرآن العظيم قال عكرمة النبوة والكتاب وقال أهل اللغة الكوثر فوعل من الكثرة كنوفل فوعل من النفل والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد أو كثير في القدر والخطر كوثراً . والمعروف انه نهر في الجنة اعطاه الله رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث

أخبرنا ابو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي انا ابو الحسن علي بن عبيدالله الطيسفوني أنا عبد الله ابن عمر الجوهري ثنا أحمد بن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر ثنا اسماعيل بن جعفر ثنا حميد عن انس قال قال رسول الله ﷺ «دخلت الجنة فاذا أنا بنهر يجري ، بياضه بياض اللبن وأحلى من العسل

ثم قال البخاري حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في الكوثر هو الخير الذي أعطاه الله إياه ، قال أبو بشر قلت لسعيد ابن جبير فان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه ، ورواه أيضاً من حديث هشيم عن أبي بشر وعطاء بن السائب عن سعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الكوثر الخير الكثير

وقال الثوري عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير وهذا التفسير يعم النهر وغيره لان الكوثر من الكثرة وهو الخير الكثير ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحارب بن دثار والحسن بن أبي الحسن البصري حتى قال مجاهد هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة ، وقال عكرمة هو النبوة والقرآن وثواب الآخرة

وقد صح عن ابن عباس انه فسره بالنهر أيضاً فقال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا عمر بن عبيد عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر نهر في الجنة حافتاه ذهب وفضة يجري على الياقوت والدر ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل ، وروى العوفي عن ابن عباس نحو ذلك

وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر انه قال الكوثر نهر في الجنة حافتاه ذهب وفضة يجري على الدر والياقوت ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل ، وكذا رواه الترمذي عن ابن حميد عن جرير عن عطاء بن السائب به مثله موقوفا وقد روي مرفوعا فقال الامام احمد حدثنا علي بن حفص حدثنا ورقاء قال وقال عطاء بن محارب ابن دثار عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب والماء يجري على اللؤلؤ وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل » وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير من طريق محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب به مرفوعا وقال الترمذي حسن صحيح .

وحافتاه خيام اللؤلؤ ، فضربت بيدي فاذا الثرى مسك أذفر ، فقلت لجبريل ما هذا؟ قال : الكوثر الذي أعطاكه الله عز وجل»

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا ابو الحسن احمد بن محمد بن موسى الصلت ثنا ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي انا ابو سعيد الاشج ثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « الكوثر نهر في الجنة حافتاه الذهب مجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وأشد بياضا من الثلج »

اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا سعيد بن ابي مريم ثنا نافع عن ابن عمر وعن ابن ابي مليكة قال قال عبد الله بن عمر قال رسول

وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية أخبرنا عطاء بن السائب قال: قال لي محارب بن دثار ماقال سعيد بن جبير في الكوثر؟ قلت حدثنا عن ابن عباس انه قال هو الخير الكثير فقال صدق والله انه الخير الكثير ولكن حدثنا ابن عمر قال لما نزلت (انا أعطيناك الكوثر) قال رسول الله ﷺ «الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب يجري على الدر والياقوت»

وقال ابن جرير حدثني ابن البرني حدثنا ابن ابي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير أخبرني حرام ابن عثمان عن عبدالرحمن الاعرج عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ أتى حمزة بن عبدالمطلب يوما فلم يجده فسأل عنه امرأته وكانت من بني النجار فقالت خرج يانبي الله آنفا عامداً نحوك فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار أو لاتدخل يارسول الله؟فدخل فقدمت اليه حيسا فأكل منه فقالت يارسول الله هنيئا لك ومريئا لقد جئت وأنا أريد أن آتيك أهنيك وأمريك أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهراً في الجنة يدعى الكوثر فقال «أجل وعرضه - يعني أرضه - ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ» حرام بن عثمان ضعيف ولكن هذا سياق حسن وقد صح أصل هذا بل قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث وكذلك أحاديث الحوض. ولنذكرها ههنا

وهكذا روي عن أنس وأبي العالية ومجاهد وغير واحد من السلف أن الكوثر نهر في الجنة، وقال عطاء هو حوض في الجنة

وقوله تعالى (فصل لربك وانحر) أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته فاخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحرك فاعبده وحده لاشريك له وانحر على اسمه وحده لاشريك له كما قال تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)

قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والحسن يعني بذلك نحر البدن ونحوها، وكذا قال قتادة ومحمد بن كعب القرظي والضحاك والربيع وعطاء الخراساني والحكم وسعيد بن أبي خالد وغير

الله ﷺ «حوضي مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها لايظمأ أبداً»

اخبرنا ابو سعيد عبد الله بن احمد الطاهري انا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار انا محمد ابن زكريا العذافري انا اسحاق بن ابراهيم الدبري ثنا عبد الرزاق انا معمر عن قتادة عن سالم بن ابي الجعد عن معدان بن ابي طلحة عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ «أنا عند عقر حوضي أذود الناس عنه لأهل اليمن اي - أضربهم بعصاي - حتى يرفضوا عنه وانه ليغت فيه ميزابان من الجنة احدهما من ورق والآخر من ذهب طوله مابين بصرى وصنعاء - او مابين ايلة ومكة - اومن مقامي هذا الى عمان»

قوله عز وجل ﴿فصل لربك وانحر﴾ قال محمد بن كعب إن أناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون

واحد من السلف وهذا بخلاف ما كان عليه المشركون من السجود لغير الله والذبح على غير اسمه كما قال تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق) الآية ، وقيل المراد بقوله وانحر وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى تحت النحر يروى هذا عن علي ولا يصح ، وعن الشعبي مثله وعن أبي جعفر الباقر (وانحر) يعني رفع اليدين عند افتتاح الصلاة ، وقيل (وانحر) أي استقبل بنحرك القبلة ذكر هذه الاقوال الثلاثة ابن جرير

وقد روى ابن أبي حاتم هٰهنا حديثا منكراً جداً فقال حدثنا وهب بن ابراهيم القاضي سنة خمس وخمسين ومائتين حدثنا اسرائيل بن حاتم المروزي حدثنا مقاتل بن حيان عن الاصبغ بن نباتة عن علي بن أبي طالب قال لما نزلت هذه السورة على النبي ﷺ (إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر) قال رسول الله ﷺ « ياجبريل ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي ؟ فقال ليست بنحيرة ولكنه يأمرك اذا تحرمت للصلاة ارفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت واذا رفعت رأسك من الركوع واذا سجدت فانها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السموات السبع وان لكل شيء زينة وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة » وهكذا رواه الحاكم في المستدرك من حديث إسرائيل بن حاتم به ، وعن عطاء الخراساني وانحر أي ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل وابرز نحرك يعني به الاعتدال رواه ابن أبي حاتم وكل هذه الاقوال غريبة جداً . والصحيح القول الاول ان المراد بالنحر ذبح المناسك ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلي العيد ثم ينحر نسكه ويقول « من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك ، ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له » فقام ابو بردة بن نيار فقال يارسول الله إني نسكت شاتي قبل الصلاة وعرفت ان اليوم يوم يشتهى فيه اللحم قال « شاتك شاة لحم » قال فان عندي عناقا هي أحب إلي من شاتين أفتجزيء عني ؟ قال « تجزئك ولا تجزيء أحداً بعدك »

قال ابو جعفر بن جرير والصواب قول من قال ان معنى ذلك فاجعل صلاتك كلها لربك خالصا دون ماسواه من الانداد والآلهة وكذلك نحرك اجعله له دون الاوثان شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفاء له وخصك به وهذا الذي قاله في غاية الحسن ، وقد سبقه إلى هذا المعنى محمد بن كعب القرظي وعطاء

وقوله تعالى (إن شانئك هو الابتر) أي إن مبغضك يامحمد ومبغض ما جئت به من الهدى

لغير الله فأمر الله نبيه ﷺ أن يصلي وينحر لله عز وجل وقال عكرمة وعطاء وقتادة فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقال سعيد بن جبير ومجاهد فصل الصلوات المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى ، وروي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال (فصل لربك وانحر) قال وضع اليمين على الشمال في الصلاة عند النحر

قوله تعالى ﴿ إن شانئك ﴾ عدوك ومبغضك ﴿ هو الأبتر ﴾ هو الاقل الاذل المنقطع دابره نزلت

والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة نزلت في العاص بن وائل

وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان قال كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول دعوه فانه رجل أبتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله هذه السورة وقال شمر بن عطية نزلت في عقبة بن أبي معيط، وقال ابن عباس أيضا وعكرمة نزلت في كعب ابن الاشرف وجماعة من كفار قريش

وقال البزار حدثنا زياد بن يحيى الحساني حدثنا ابن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الاشرف مكة فقالت له قريش أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا الصنبر المنبتر من قومه؟ يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية فقال أنتم خير منه قال فنزلت (إن شانئك هو الأبتر) هكذا رواه البزار وهو إسناد صحيح، وعن عطاء نزلت في أبي لهب وذلك حين مات ابن لرسول الله ﷺ فذهب ابو لهب إلى المشركين فقال بتر محمد الليلة فأنزل الله في ذلك (إن شانئك هو الأبتر)

وعن ابن عباس نزلت في أبي جهل وعنه ان شانئك يعني عدوك وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم، وقال عكرمة الأبتر الفرد، وقال السدي كانوا اذا مات ذكور الرجل قالوا بتر فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا بتر محمد فأنزل الله (ان شانئك هو الأبتر) وهذا يرجع الى ماقلناه من أن الأبتر الذي اذا مات انقطع ذكره فتوهموا لجهلهم أنه اذا مات بنوه انقطع ذكره وحاشا وكلا بل قد أبقى الله ذكره على رءوس الاشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمراً على دوام الآباد، الى يوم الحشر والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم التناد،

﴿آخر تفسير سورة الكوثر ولله الحمد والمنة﴾

في العاص بن وائل السهمي وذلك انه رأى النبي ﷺ يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذي كنت تتحدث معه؟ قال ذلك الابتر يعني النبي ﷺ وكان قد توفي ابن لرسول الله ﷺ من خديجة رضي الله عنها

وذكر محمد بن اسحاق عن يزيد بن رومان قال كان العاص بن وائل اذا ذكر رسول الله ﷺ قال دعوه فانه رجل أبتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله تعالى هذه السورة، وقال عكرمة عن ابن عباس نزلت في كعب بن الاشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم كعب مكة قالت له قريش نحن أهل السقاية والسدانة وأنت سيد أهل المدينة فنحن خير أم هذا الصنبور المنبتر من قومه؟ فقال بل أنتم خير منه فنزلت (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) الآية ونزل في الذين قالوا انه أبتر (ان شانئك هو الأبتر) أي المنقطع عن كل خير

﴿ تفسير قل يا أيها الكافرون وهي مكية ﴾

ثبت في صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة وبقل هو الله احد في ركعتي الطواف ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهما في ركعتي الفجر

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد

وقال أحمد أيضا حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن مجاهد عن ابن عمر قال رمقت النبي ﷺ أربعا وعشرين أو خمسا وعشرين مرة يقرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد

وقال أحمد حدثنا أبو أحمد هو محمد بن عبد الله بن الزبير الزبيري حدثنا سفيان هو الثوري عن أبي اسحاق عن مجاهد عن ابن عمر قال رمقت النبي ﷺ شهراً وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي أحمد الزبيري وأخرجه النسائي من وجه آخر عن أبي اسحاق به وقال الترمذي هذا حديث حسن ، وقد تقدم في الحديث أنها تعدل ربع القرآن وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن

وقال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا زهير حدثنا أبو اسحاق عن فروة بن نوفل هو ابن معاوية عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال له « هل لك في ربيبة لنا تكفلها ؟ » قال أراها زينب قال ثم جاء فسأله النبي ﷺ عنها قال « مافعلت الجارية ؟ » قال تركتها عند أمها قال « فمجيء ماجاء بك » قال جئت لتعلمني شيئا أقوله عند منامي قال « اقرأ قل يا أيها الكافرون ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك » تفرد به أحمد

وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عمرو القطراني حدثنا محمد بن الطفيل حدثنا شريك عن أبي اسحاق عن جميلة بن حارثة وهو أخو زيد بن حارثة أن النبي ﷺ قال « اذا أويت الى فراشك فاقرأ قل يا أيها الكافرون حتى تمر بآخرها فانها براءة من الشرك »

[1] وروى الطبراني من طريق شريك عن جابر عن معقل الزبيدي عن عبد الرحمن بن [2] أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه قرأ (قل يا أيها الكافرون) حتى يختمها

وقال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شريك عن أبي اسحاق عن فروة بن نوفل عن الحارث ابن جبلة قال قلت يارسول الله علمني شيئا اقوله عند منامي قال « إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ قل يا أيها الكافرون فانها براءة من الشرك » والله أعلم

(١) هذا ومابعده غير موجود بالنسخة المكية
(٢) كذا بالاصل

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يأيها الكفرون (١) لا أعبد ما تعبدون (٢) ولا أنتم عبدون ما أعبد (٣) ولا أنا عابد ما عبدتم (٤) ولا أنتم عبدون ما أعبد (٥) لكم دينكم ولي دين (٦)

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون وهي آمرة بالاخلاص فيه فقوله (قل يا أيها الكافرون) يشمل كل كافر على وجه الارض ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش وقيل إنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ الى عبادة أوثانهم سنة ويعبدون معبوده سنة فانزل الله هذه السورة وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية فقال « لا أعبد ماتعبدون » يعني من الاصنام والانداد (ولا أنتم عابدون ما أعبد) وهو الله وحده لاشريك له ، فما ههنا بمعنى من ثم قال (ولا أنا عابد ماعبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي ولا أعبد عبادتكم أي لا أسلكها ولا أقتدي بها وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه ولهذا قال (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته بل قد اخترعتم شيئا من تلقاء أنفسكم كما قال (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه فان العابد لابد له من معبود يعبده وعبادة يسلكها اليه فالرسول ﷺ وأتباعه يعبدون الله بما شرعه ولهذا كان

﴿سورة الكافرون مكية وهي ست آيات﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ إلى آخر السورة نزلت في رهط من قريش منهم الحارث بن قيس السهمي والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب بن أسد وأمية بن خلف قالوا يامحمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في أمرنا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فان كان الذي جئت به خيراً كنا قد شركناك فيه وأخذنا حظنا منه وإن كان الذي بأيدينا خيراً كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه ، فقال « معاذ الله أن أشرك به غيره » قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فقال « حتى أنظر ما يأتي من عند ربي » فأنزل الله عزوجل (قل يا أيها الكافرون) إلى آخر السورة فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه ومعنى الآية ﴿ لا أعبد ما تعبدون ﴾ في الحال ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ في الحال ﴿ ولا أنا عابد ما عبدتم ﴾ في الاستقبال ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ في الاستقبال وهذا الخطاب لمن سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون

كلمة الاسلام لا إله إلا الله محمد رسول الله اي لامعبود إلا الله ولا طريق اليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله ولهذا قال لهم الرسول ﷺ (لكم دينكم ولي دين) كما قال تعالى (وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون – وقال – لنا أعمالنا ولكم أعمالكم)

وقال البخاري يقال (لكم دينكم) الكفر (ولي دين) الاسلام ولم يقل ديني لان الآيات بالنون فحذف الياء كما قال (فهو يهدين – ويشفين) وقال غيره لا أعبد ما تعبدون الآن ولا أجيبكم فيما بقي من عمري ولا أنتم عابدون ما أعبد وهم الذين قال (وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) انتهى ما ذكره . ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد كقوله فان مع العسر يسرا * إن مع العسر يسرا) وكقوله لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين) وحكاه بعضهم كابن الجوزي وغيره عن ابن قتيبة فالله أعلم . فهذه ثلاثة أقوال (أولها) ما ذكرناه أولا (الثاني) ما حكاه البخاري وغيره من المفسرين أن المراد (لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد) في الماضي (ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد) في المستقبل

(الثالث) أن ذلك تأكيد محض (وثم قول رابع) نصره ابو العباس ابن تيمية في بعض كتبه وهو أن المراد بقوله (لا أعبد ما تعبدون) نفى الفعل لانها جملة فعلية (ولا أنا عابد ما عبدتم) نفى قبوله لذلك بالكلية لان النفي بالجملة الاسمية آكد فكأنه نفى الفعل وكونه قابلا لذلك ومعناه نفي الوقوع ونفي الامكان الشرعي أيضا وهو قول حسن أيضا والله أعلم

وقد استدل الامام ابو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الاية الكريمة (لكم دينكم ولي دين) على أن الكفر كله ملة واحدة فورث اليهود من النصارى وبالعكس اذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به لان الاديان ما عدا الاسلام كلها كالشيء الواحد في البطلان . وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم توريث النصارى من اليهود وبالعكس لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « لا يتوارث أهل ملتين شتى »

﴿ آخر تفسير سورة قل يا أيها الكافرون ﴾

وقوله (ما أعبد) أي من أعبد؟ لكنه ذكره لمقابلة ما تعبدون ، ووجه التكرار قال أكثر أهل المعاني هو ان القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن مذاهبهم التكرار وإرادة التوكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار وإرادة التخفيف والايجاز ، وقال القتيبي تكرار الكلام لتكرار الوقت ، وذلك أنهم قالوا ان سرك أن ندخل في دينك عاما فادخل في ديننا عاما فنزلت هذه السورة ﴿ لكم دينكم ﴾ الشرك ﴿ ولي دين ﴾ الاسلام قرأ ابن كثير ونافع وحفص ولي بفتح الياء والآخرون باسكانها

﴿ تفسير سورة إذا جاء نصر الله والفتح وهي مدنية ﴾

قد تقدم أنها تعدل ربع القرآن، واذا زلزلت تعدل ربع القرآن . وقال النسائي أخبرنا محمد بن اسماعيل بن ابراهيم أخبرنا جعفر عن أبي العميس ح وأخبرنا أحمد بن سليمان حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العميس عن عبد المجيد بن سهيل عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : قال لي ابن عباس يا ابن عتبة أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت ؟ قلت نعم اذا جاء نصر الله والفتح قال صدقت

وروى الحافظان أبو بكر البزار والبيهقي من حديث موسى بن عبيدة البريدي عن صدقة بن يسار عن ابن عمر قال أنزلت هذه السورة (اذا جاء نصر الله والفتح) على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق فعرف انه الوداع فأمر براحلته القصواء فرحلت ثم قام فخطب الناس فذكر خطبته المشهورة

وقال الحافظ البيهقي أخبرنا علي بن احمد بن عبدان أخبرنا احمد بن عبيد الصفار حدثنا الاسفاطي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن هلال بن حباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت [اذا جاء نصر الله والفتح] دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال « انه قد نعيت إلي نفسي » فبكت ثم ضحكت وقالت أخبرني انه نعيت اليه نفسه فبكيت ثم قال « اصبري فانك أول أهلي لحاقا بي » فضحكت وقد رواه النسائي كما سيأتي بدون ذكر فاطمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا جاء نصر الله والفتح (١) ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا (٢) فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا (٣)

قال البخاري حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا ابو عوانة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن

﴿ سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ أراد فتح مكة وكانت قصته على ما ذكر محمد بن اسحاق وأصحاب الاخبار أن رسول الله ﷺ لما صالح قريشا عام الحديبية واصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وانه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وكان بينهما شر قديم ثم إن بني بكر عدت على

ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر انه ممن قد علمتم فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت انه دعاني فيهم يومئذ إلا ليريهم فقال ماتقولون في قول الله عز وجل [اذا جاء نصر الله والفتح] ؟ فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي أكذلك تقول ياابن عباس؟ فقلت لا ، فقال ماتقول ؟ فقلت هو أجل رسول الله ﷺ اعلمه له قال [اذا جاء نصر الله والفتح] فذلك علامة أجلك [فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا] فقال عمر بن الخطاب لا أعلم منها إلا ماتقول . تفرد به البخاري

(١) وروى ابن جرير عن محمد بن حميد عن مهران عن الثوري عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس فذكر مثل هذه القصة أو نحوها

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت [اذا جاء نصر الله والفتح] قال رسول الله ﷺ « نعيت إلي نفسي » فانه مقبوض في تلك السنة تفرد به احمد . وروى العوفي عن ابن عباس مثله وهكذا قال مجاهد وابو العالية والضحاك وغير واحد انها أجل رسول الله ﷺ نعي اليه

وقال ابن جرير حدثني اسماعيل بن موسى حدثنا الحسن بن عيسى الحنفي عن معمر عن الزهري

(١) هذا غير موجود بالنسخة المكية

خزاعة وهم على ماء لهم باسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معاوية الدئلي في بني الدئل من بني بكر حتى بيت خزاعة فأصابوا منهم رجلا وتحاربوا واقتتلوا ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل مستخفيا بالليل حتى حازوا خزاعة الى الحرم وكان ممن أعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بأنفسهم متنكرين صفوان بن امية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يانوفل إنا دخلنا الحرم إلهك إلهك ، فقال كلمة عظيمة انه لا إله الى اليوم أصيبوا ثأركم فيه فلما تظاهرت قريش على خزاعة وأصابوا منهم ونقضوا مابينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس فقال

لاهم إني ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا
أن قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا

الابيات كما ذكرنا في سورة التوبة فقال رسول الله ﷺ « قد نصرت ياعمرو بن سالم » ثم عرض لرسول الله ﷺ عنانة بين السماء فقال « إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب » وهم رهط عمرو ابن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ فاخبروه بما

عن ابي حازم عن ابن عباس قال بينما رسول الله ﷺ في المدينة إذ قال « الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله والفتح جاء أهل اين- قيل يارسول الله وما أهل اليمن؟ قال- قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم ، الايمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية » ثم رواه عن عبد الاعلى عن أبي عن معمر عن عكرمة مرسلا

وقال الطبراني حدثنا زكريا بن يحيي حدثنا ابو كامل الجحدري حدثنا ابو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت [اذا جاء نصر الله والفتح] حتى ختم السورة قال نعيت لرسول الله ﷺ نفسه حين نزلت قال فأخذ بأشد ماكان قط اجتهاداً في أمر الآخرة ، وقال رسول الله ﷺ بعد ذلك « جاء الفتح ونصر الله ، وجاء أهل اليمن » فقال رجل يارسول الله وما أهل اليمن ؟ قال « قال قوم رقيقة قلوبهم ، لينة طباعهم ، الايمان يمان ، والفقه يمان »

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس قال : لما نزلت (اذا جاء نصر الله والفتح) علم النبي ﷺ ان قد نعيت اليه نفسه فقيل اذا جاء نصر الله والفتح السورة كلها حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين ان عمر سأل ابن عباس عن هذه الآية (اذا جاء نصر الله والفتح) قال لما نزلت نعيت الى رسول الله ﷺ نفسه

وقال الطبراني حدثنا ابراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي حدثنا أبي حدثنا جعفر بن عون عن

أصيب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان رسول الله ﷺ قال للناس كانكم بأبي سفيان قد جاء ليشدد العقد ويزيد في المدة ومضى بديل بن ورقاء فلقي أباسفيان بعسفان قد بعثته قريش الى رسول الله ﷺ ليشدد العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا الذي صنعوا فلما لقي أبو سفيان بديلا قال من اين أقبلت يابديل؟ وظن انه قد أتى رسول الله ﷺ قال سرت الى خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال او ما أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال أبو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف ناقته بها النوى فعمد الى مبرك ناقته فأخذ من بعرها ففته فرأى النوى فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه فقال يابنية أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني قالت بلى هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ فقال والله لقد أصابك يابنية بعدي شر ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب الى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال لا أشفع لكم الى رسول الله ﷺ فوالله لولم أجد إلا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب (رض) وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعندهما الحسن بن علي رضي الله عنهما غلام يدب بين يديهما فقال ياعلي إنك أمس القوم بي رحما وأقربهم مني قرابة وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا: اشفع لنا الى

أبي العميس عن أبي بكر بن أبي الجهم عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس قال آخر سورة نزلت من القرآن جميعا ر اذا جاء نصر الله والفتح)

وقال الامام أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري الطائي عن أبي سعيد الخدري أنه قال لما نزلت هذه السورة (اذا جاء نصر الله والفتح) قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها فقال « الناس خير وأنا وأصحابي خير - وقال - لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » فقال له مروان كذبت وعنده رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير فقال أبو سعيد لو شاء هذان لحدثاك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة فرفع مروان عليه الدرة ليضربه فلما رأيا ذلك قالا صدق . تفرد به أحمد وهذا الذي أنكره مروان على أبي سعيد ليس بمنكر فقد ثبت من رواية ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح « لا هجرة ولكن جهاد ونية ، ولكن اذا استنفرتم فانفروا » أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر رضي الله عنهم أجمعين من أنه قد أمرنا اذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمد الله ونشكره ونسبحه يعني نصلي له ونستغفره معنى مليح صحيح

وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات فقال قائلون

رسول الله ﷺ فقال ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله ﷺ على امر ما نستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة فقال يابنت محمد هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت والله ما بلغ بني أن يجير بين الناس وما يجير على رسول الله ﷺ أحد فقال يا أبا الحسن اني أرى الامور قد اشتدت علي فانصحني ، قال والله ما أعلم شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك ، قال أو ترى ذلك مغنيا عني شيئا ؟ قال لا والله ما أظن ولكن لا اجد لك غير ذلك ، فقام ابوسفيان في المسجد فقال يا أيها الناس اني قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق ، فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته والله ما رد علي شيئا ثم جئت ابن أبي قحافة فلم اجد عنده خيرا فجئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم ثم أتيت علي بن ابي طالب فوجدته ألين القوم وقد أشار علي بشيء صنعته فوالله لا أدري هل يغنيني شيئا أم لا قالوا وماذا أمرك ؟ قال امرني ان اجير بين الناس ففعلت ، قالوا فهل اجاز ذلك محمد ﷺ قال لا قالوا والله ان زاد علي على أن لعب بك فلا يغني عنا ما قلت ، قال لا والله ما وجدت غير ذلك ، قال وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه فدخل ابو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها وهي تصلح بعض جهاز رسول الله ﷺ فقال اي بنية أمركم رسول الله ﷺ بأن تجهزوه قالت نعم فتجهز قال فأين ترينه يريد قالت ما أدري

هي صلاة الضحى وأجيبوا بانه لم يكن يواظب عليها فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافراً لم ينو الاقامة بمكة ؟ ولهذا قام فيها الى اخر شهر رمضان قريبا من تسع عشرة يوما يقصر الصلاة ويفطر هو وجميع الجيش وكانوا نحواً من عشرة آلاف قال هؤلاء ، وإنما كانت صلاة الفتح قالوا فيستحب لامير الجيش اذا فتح بلداً أن يصلي فيه أول مايدخله ثماني ركعات وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن ثم قال بعضهم يصليها كلها بتسليمة واحدة ، والصحيح أنه يسلم من كل ركعتين كما ورد في سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين ، وأما مافسر به ابن عباس وعمر رضي الله تعالى عنهما من أن هذه السورة نعي فيها إلى رسول الله ﷺ روحه الكريمة وأعلم انك اذا فتحت مكة وهي قريتك التى أخرجتك ودخل الناس في دين الله أفواجا فقدفرغ شغلنابك في الدنيا فتهيأ للقدوم علينا والوفود الينا، فالآخرة خير لك من الدنيا، ولسوف يعطيك ربك فترضى، ولهذا قال (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) قال النسائي أخبرنا عمرو بن منصور حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) إلى آخر السورة قال نعيت لرسول الله ﷺ نفسه حين أنزلت فأخذ في أشدما كان اجتهاداً في أمر الاخرة وقال رسول الله ﷺ بعد ذلك « جاء الفتح وجاء نصر الله وجاء أهل اليمن » فقال رجل يارسول الله وما أهل اليمن ؟ قال « قوم رقيقة قلوبهم لينة قلوبهم الايمان يمان والحكمة يمانية والفقه يمان »

ثم ان رسول الله ﷺ أعلم الناس انه سائر الى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ وقال « اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها » فتجهز الناس وكتب حاطب بن ابي بلتعة كتابا إلى قريش ذكرناه في سورة الممتحنة

ثم استخلف رسول الله ﷺ على المدينة ابارهم كلثوم بن حصين بن خلف الغفاري وخرج عامداً الى مكة لعشر مضين من رمضان سنة ثمان فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه حتى إذا كان بالكديد مابين عسفان وأمج افطر

ثم مضى حتى نزل بمر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ولم يتخلف من المهاجرين والانصار عنه احد ، فلما نزل بمر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ولا يدرون ما هو فاعل ؟ فخرج في تلك الليلة ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقا يتجسسون الاخبار هل يجدون خبراً ؟

وقد قال العباس بن عبد المطلب ليلتئذ واصباح قريش والله لئن بغتها رسول الله ﷺ في بلادها فدخل مكة عنوة انها لهلاك قريش الى آخر الدهر ، فخرج العباس على بغلة رسول الله ﷺ وقال أخرج الى الاراك لعلي ارى حطابا او صاحب لبن او داخلا يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول

وقال البخاري حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي» يتأول القرآن وأخرجه بقية الجماعة الا الترمذي من حديث منصور به

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق قال قالت عائشة كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قول «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه» وقال ان ربي كان أخبرني أني سأرى علامة في أمتي وأمرني اذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره انه كان توابا فقد رأيتها (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) ورواه مسلم من طريق داود بن ابي هند به

وقال ابن جرير حدثنا ابو السائب حدثنا حفص حدثنا عاصم عن الشعبي عن ام سلمة قالت كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء الا قال «سبحان الله وبحمده» فقلت يارسول الله رأيتك تكثر من سبحان الله وبحمده لا تذهب ولا تجيء ولا تقوم ولا تقعد الا قلت «سبحان الله وبحمده قال «اني أمرت بها فقال (إذا جاء نصر الله والفتح)» إلى اخر السورة غريب وقد كتبنا حديث كفارة المجلس من جميع طرقه وألفاظه في جزء مفرد فيكتب ههنا

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما نزلت

الله ﷺ فيأتونه فيستأمنونه قبل أن يدخلها عنوة

قال العباس فخرجت واني لأطوف في الاراك ألتمس ماخرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وقد خرجوا يتجسسون الخبر فسمعت اباسفيان يقول والله ما رأيت كالليلة قط نيرانا وقال بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب فقال ابوسفيان: خزاعة ألأم من ذلك وأذل، فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال يا أبا الفضل فقلت نعم فقال مالك فداك ابي وأمي، قلت ويحك يا أبا سفيان هذا والله رسول الله ﷺ قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين، قال وما الحيلة؟ قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه فردفني ورجع صاحباه فخرجت أركض به بغلة رسول الله ﷺ كلما مررت بنار من نيران المسلمين فنظروا إلي قالوا هذا عم رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله ﷺ حتى مررت بنار عمر بن الخطاب (رض) فقال من هذا؟ وقام إلي فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال أبوسفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عهد ولا عقد ثم اشتد نحو رسول الله ﷺ فركضت البغلة وسبقته بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطيء. فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر فقال يارسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني أضرب عنقه فقلت يا رسول الله اني قد أجرته ثم جلست إلى رسول الله ﷺ

على رسول الله ﷺ (اذاجاء نصر الله والفتح) كان يكثر اذاقرأها وركم أن يقول « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم » ثلاثا تفرد به أحمد

ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن مرة عن شعبة عن أبي إسحاق به والمراد بالفتح ههنا

فأخذت برأسه وقلت والله لا يناجيه الليلة أحد دوني فلما أكثر فيه عمر رضي الله عنه قلت مهلا ياعمر فوالله ماتصنع هذا إلا انه رجل من بني عبد مناف ولو كان من بني عدي بن كعب ماقلت هذا، قال مهلا ياعباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم وذلك لاني أعلم أن إسلامك كان احب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم ، فقال رسول الله ﷺ « اذهب به ياعباس إلى رحلك فاذا أصبحت فائتني به قال فذهبت به إلى رحلي فبات عندي فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ فلما رآه قال « ويحك يا أباسفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله الا الله ؟ » قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئا بعد ، قال « ويحك يا أباسفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ » قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه فان في النفس منها حتى الآن شيأ قال العباس قلت له ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن يضرب عنقك قال فشهد شهادة الحق وأسلم قال العباس قلت يارسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا قال « نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن » فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ ياعباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها قال فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله ﷺ قال ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال من هؤلاء يا عباس؟ قال أقول سليم قال يقول مالي ولسليم ثم تمر القبيلة فيقول من هؤلاء؟ فأقول مزينة فيقول مالي ولمزينة حتى نفذت القبائل لا تمر قبيلة إلا سألني عنها فاذا أخبرته يقول مالي ولبنى فلان حتى مر رسول الله ﷺ في الخضراء كتيبة رسول الله ﷺ فيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد قال سبحان الله من هؤلاء ياعباس؟ قلت هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والانصار فقال والله مالأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما ، فقال ويحك انها النبوة فقال نعم اذا فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى أتى مكة فصرخ في المسجد بأعلى صوته يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به قالوا فمه ؟ قال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا ويحك وما تغني عنا دارك؟ قال ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد قال وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الى رسول الله ﷺ بمر الظهران فاسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله ﷺ بين يديه الى قريش يدعوانهم الى الاسلام ولما خرج أبو سفيان وحكيم بن حزام من عند النبي ﷺ عائدين الى مكة بعث في أثرهما

فتح مكة قولا واحداً فان أحياء العرب كانت تتلوم باسلامها فتح مكة يقولون ان ظهر على قومه فهو نبي فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجا فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيمانا ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام ولله الحمد والمنة

الزبير وأعطاه رايتـه وأمره على خيل المهاجرين والانصار وأمره أن يركز رايتـه بأعلى مكة بالحجون قال « لا تبرح حيث أمرتك أن تركز رايتي حتى آتيك » ومن ثم دخل رسول الله ﷺ مكة وضربت هناك قبته، وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من قضاعة وبني سليم أن يدخل من أسفل مكة وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش وبنو الحارث بن عبد مناف ومن كان من الاحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة، وان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبي ﷺ لخالد والزبير حين بعثهما « لا تقاتلا إلا من قاتلكم » وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء فقال سعد حين توجه داخلا : اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين فقال يارسول الله اسمع ماقال سعد بن عبادة وما نأمن أن يكون له في قريش صولة فقال رسول الله ﷺ لعلي بن أبى طالب أدركه فخذ الراية منه فكن أنت الذي تدخل بها فلم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال ، وأما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبني بكر والاحابيش باسفل مكة فقاتلهم فهزمهم الله، ولم يكن بمكة قتال غير ذلك، وقتل من المشركين قريب من اثنى عشر أو ثلاثة عشر ولم يقتل من المسلمين إلا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد كانا في خيل خالد بن الوليد فشذا عنه وسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا، وكان رسول الله ﷺ قد عهد الى امرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا أحداً إلا من قاتلهم إلا في نفر سماهم أمر بقتلهم وان وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وإنما أمر بقتله لانه كان قد أسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن اطمأن أهل مكة فاستأمن له، وعبد الله بن خطل كان رجلا من بني تميم بن غالب وإنما أمر بقتله لانه كان مسلما فبعثه رسول الله ﷺ مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمر المولى أن يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدا عليـه فقتله ثم ارتد مشركا وكانت له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ فأمر بقتلهما معه، والحويرث بن نفيل بن وهب كان ممن يؤذيه بمكة ، ومقيس بن ضبابة وإنما أمر بقتله لقتله الانصاري الذي قتل أخاه خطأ ورجوعه الى قريش مرتدا ، وسارة مولاة كانت لبعض بني المطلب كانت ممن يؤذيه بمكة، وعكرمة بن أبي جهل فأما عكرمة فهرب الى اليمن واسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام فاستأمنت له رسول الله ﷺ فامنه فخرجت في طلبه حتى أتت به رسول الله ﷺ

وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال لما كان الفتح بادر كل قوم باسلامهم إلى رسول الله ﷺ وكانت الاحياء تتلوم باسلامها فتح مكة يقولون دعوه وقومه فان ظهر عليهم فهو نبي الحديث وقد حررنا غزوة الفتح في كتابنا (السيرة) فمن أراد فليراجعه هناك ولله الحمد والمنة

فاسلم، وأما عبد الله بن خطل فقتله سعد بن حريث المخزومي وأبو برزة الاسلمي اشتركا في دمه، وأما مقيس بن ضبابة فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه وأما قينتا ابن خطل فقتلت احداهما وهربت الاخرى حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ فآمنها، وأما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها فآمنها فعاشت حتى أوطأها رجل من الناس فرسا له في زمن عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها، وأما الحويرث بن نفيل فقتله علي بن أبي طالب، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة وقف قائما على باب الكعبة وقال « لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الاحزاب وحده، ألا ان كل مأثرة أو دم أو مال في الجاهلية يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، يامعشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم خلق من تراب — ثم تلا هذه الآية (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى) الآية — يا أهل مكة ماذا ترون أني فاعل بكم؟ — قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال — اذهبوا فانتم الطلقاء » فاعتقهم رسول الله ﷺ وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة فلذلك سمي أهل مكة الطلقاء، ثم اجتمع الناس للبيعة فجلس لهم رسول الله (ص) على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه يأخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء فقال عروة بن الزبير خرج سفيان بن أمية يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحي يانبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومي وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه في البحر فآمنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هو آمن » قال يارسول الله أعطني شيئا يعرف به أمانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة وهو يريد أن يركب البحر فقال ياصفوان فداك أبي وأمي أذكرك الله في نفسك أن تهلكها فهذا أمان رسول الله ﷺ قد جئتك به فقال ويلك أغرب عني فلا تكلمني قال أي صفوان فداك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك قال إني أخافه على نفسي قال هو أحلم من ذلك واكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله ﷺ فقال صفوان ان هذا يزعم انك أمنتني، قال صدق قال فاجعلني في أمري بالخيار شهرين قال أنت فيه بالخيار أربعة أشهر

قال ابن اسحاق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا

وقال الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا ابو إسحاق عن الاوزاعي حدثني ابو عمار حدثني
جار لجابر بن عبدالله قال قدمت من سفر فجاءني جابر بن عبدالله فسلم علي فجعلت أحدثه عن افتراق

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل
ثنا أبو نعيم ثنا شيبان عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن خزاعة قتلوا رجلا

وقال محمد بن اسماعيل قال عبد الله بن رجاء ثنا حرب عن يحيى ثنا أبو سلمة أنا أبو هريرة أنه
قال عام فتح مكة قتلت خزاعة رجلا من بني ليث بقتيل لهم في الجاهلية فقام رسول الله ﷺ فقال
«ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليهم رسوله والمؤمنين، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي ولا تحل
لأحد من بعدي ، ألا وإنما أحلت لي ساعة من نهار الا وانها ساعتي هذه حرام لا يختلى شوكها ولا
يعضد شجرها، ولا يلتقط ساقطتها الا منشد، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما يودوا واما يفادوا
فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال اكتب لي يارسول الله فقال رسول الله ﷺ «اكتبوا لابي شاه»
ثم قام رجل من قريش فقال يارسول الله إلا الاذخر فانا نجعله في بيوتنا وقبورنا فقال رسول الله ﷺ
«إلا الاذخر» أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب
عن مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله أن أبا مرة مولى أم هانيء بنت أبي طالب أخبره انه سمع
أم هانيء بنت أبى طالب تقول ذهبت الى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره
بثوب قالت فسلمت فقال «من هذه» فقلت انا أم هانيء بنت أبى طالب فقال «مرحبا بأم هانيء»
فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمان ركعات ملتحفا في ثوب واحد ثم انصرف فقلت له يارسول الله زعم
ابن أمي علي بن أبى طالب أنه قاتل رجلا اجرته فلان بن هبيرة فقال رسول الله ﷺ «قد أجرنا
من أجرت ياأم هانيء» وذلك ضحى، قوله عز وجل (اذا جاء نصر الله) يامحمد على من عاداك وهم
قريش (والفتح) فتح مكة ﴿ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ﴾ زمرا وارسالا القبيلة
باسرها والقوم باجمعهم من غير قتال

قال الحسن لما فتح الله عز وجل مكة على رسوله قالت العرب بعضها لبعض اذا ظفر محمد بأهل
الحرم وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الله أفواجا
بعد أن كانوا يدخلون واحدا واحدا اثنين اثنين

وقال عكرمة ومقاتل أراد بالناس أهل اليمن أنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن
علي بن عبد الله الطيسفونى أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا احمد بن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر
ثنا اسماعيل بن جعفر ثنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ
قال «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبا ، وأرق افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية» (فسبح بحمد
ربك واستغفره انه كان توابا) فانك حينئذ لاحق به

الناس وما أحدثوا فجعل جابر يبكي ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الناس دخلوا في دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا »

﴿ آخر تفسير سورة النصر وهي مكية ﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا ابو النعمان ثنا ابو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فقال بعضهم لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال انه ممن قد علمتم ، قال فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم ، قال وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني ، فقال ما تقولون في قوله (إذا جاء نصر الله والفتح)؟ حتى ختم السورة فقال بعضهم أمرنا ان نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصرنا وفتح علينا وقال بعضهم لا ندري ولم يقل بعضهم شيئا ، فقال لي يا ابن عباس أكذلك تقول قلت لا قال فما تقول؟ قلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله به (إذا جاء نصر الله والفتح) فتح مكة فذلك علامة اجلك (فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)فقال عمر ما أعلم منها إلا ما تعلم

اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل حدثني عثمان بن ابي شيبة ثنا جرير عن منصور عن ابي الضحى عن مسروق عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله ﷺ يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي » يتأول القرآن

اخبرنا اسماعيل بن عبدالقاهر انا عبدالغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن المثنى حدثني عبدالاعلى ثنا داود عن عامر عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يكثر من قول « سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه » قالت فقلت يا رسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب اليه فقال « اخبرني ربي اني سأرى علامة في أمتي فاذا رأيتها اكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب اليه فقد رأيتها (إذا جاء نصر الله والفتح) فالفتح فتح مكة (ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي (ص) انه نعيت اليه نفسه . قال الحسن أعلم انه قد اقترب اجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم له بالزيادة في العمل الصالح قال قتادة ومقاتل عاش النبي (ص) بعد نزول هذه السورة سبعين يوما



تفسير سورة تبت وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبّت يدا أبي لهب وتبّ (١) ما أغنى عنه ماله وما كسب (٢) سيَصلى ناراً ذات لهب (٣)

وامرأته حمالة الحطب (٤) في جيدها حبل من مَسَد (٥)

قال البخاري حدثنا محمد بن سلام حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى «ياصباحاه» فاجتمعت اليه قريش فقال «أرأيتم ان حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟» قالوا نعم قال «فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب ألهذا جمعتنا؟ تبا لك فأنزل الله (تبت يدا أبي لهب وتب) إلى آخرها

وفي رواية فقام ينفض يديه وهو يقول تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله (تبت يدا أبي لهب وتب) الاول دعاء عليه والثاني خبر عنه فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله ﷺ واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وكنيته أبو عيبة وانما سمي أبا لهب لاشراق وجهه وكان كثير الاذية لرسول الله ﷺ والبغضة له والازدراء به والتنقص له ولدينه

قال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال أخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الديل وكان جاهليا فأسلم قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول إنه صابيء كاذب، يتبعه حيث ذهب فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب ثم رواه عن شريح عن ابن أبي الزناد عن أبيه فذكره قال ابو الزناد قلت لربيعة كنت يومئذ صغيراً؟ قال لا والله إني يومئذ لأعقل أني أزفر القربة تفرد به أحمد

(سورة أبي لهب مكية وهي خمس آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

(تبت يدا أبي لهب وتب) اخبرنا احمد بن عبدالله الصالحي انا أبو بكر احمد بن الحسن الحيري انا حاجب ابن احمد الطوسي ثنا محمد بن حماد ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال صعد رسول الله (ص) ذات يوم على الصفا فقال «ياصباحاه» قال فاجتمعت اليه قريش فقالوا له مالك؟ قال «أرأيتم لو اخبرتكم ان العدو مصبحكم او ممسيكم اما كنتم تصدقوني؟» قالوا بلى قال «فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال ابو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا جميعا فانزل الله عزوجل (تبت يدا ابي لهب وتب) إلى آخرها

قوله (تبت) اي خابت وخسرت (يدا ابي لهب) اي هو، اخبر عن يديه والمراد به نفسه

(١) وقال محمد بن إسحاق حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة بن عباد الديلي يقول إني لمع أبي رجل شاب أنظر الى رسول الله ﷺ يتبع القبائل ووراءه رجل أحول وضيء الوجه ذو جمة (٢) يقف رسول الله ﷺ على القبيلة فيقول « يا بني فلان اني رسول الله اليكم آمركم أن تعبدوا الله لاتشركوا به شيئا وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به » وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه يا بني فلان هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه فقلت لابي من هذا ؟ قال عمه أبو لهب رواه أحمد أيضا والطبراني بهذا اللفظ ، فقوله تعالى (تبت يدا أبي لهب) أي خسرت وخابت وضل عمله وسعيه (وتب) أي وقد تب تحقق خسارته وهلاكه

وقوله تعالى (ما أغنى عنه ماله وما كسب) قال ابن عباس وغيره (وما كسب) يعني ولده ، وروي عن عائشة ومجاهد وعطاء والحسن وابن سيرين مثله ، وذكر عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ لما دعا قومه إلى الايمان قال أبو لهب إن كان ما يقول ابن أخي حقا فاني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي فأنزل الله تعالى (ما أغنى عنه ماله وما كسب)

وقوله تعالى (سيصلى نارا ذات لهب) أي ذات شرر ولهب وإحراق شديد (وامرأته حمالة الحطب) وكانت زوجته من سادات نساء قريش وهي أم جميل واسمها أروى بنت حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان وكانت عونا لزوجها على كفره وجحوده وعناده فلهذا تكون يوم القيامة عونا عليه في عذابه في نار جهنم ، ولهذا قال تعالى (حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه وهي مهيأة لذلك مستعدة له (في جيدها حبل من مسد) قال مجاهد وعروة من مسد النار ، وعن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والثوري والسدي حمالة الحطب كانت تمشي بالنميمة واختاره ابن جرير

(١) هذا الحديث غير موجود بالنسخة المكية

(٢) الجمة بالضم مجتمع شعر الرأس

على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله ، وقيل اليد صلة كما يقال يد الدهر ويد الرزايا والبلايا . وقيل المراد به ماله وملكه . يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال . والتباب الخسار والهلاك وأبو لهب هو ابن عبد المطلب عم النبي (ص) واسمه عبد العزى

قال مقاتل : كني بأبي لهب لحسنه وإشراق وجهه ، وقرأ ابن كثير (أبي لهب) ساكنة الهاء وهي لغة مثل نهر ونهر واتفقوا في ذات لهب انها مفتوحة الهاء لوفاق الفواصل (وتب) أبو لهب وقرأ عبد الله (وقد تب) قال الفراء الاول دعاء والثاني خبر كما يقال أهلكه الله وقد فعل

﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ قال ابن مسعود : لما دعا رسول الله ﷺ أقرباءه إلى الله عز وجل قال أبو لهب إن كان ما يقول ابن أخي حقا فاني أفتدي نفسي بمالي وولدي فأنزل الله تعالى (ما أغنى عنه ماله) أي ما يغني وقيل اي شيء يغني عنه ماله ؟ أي ما يدفع عنه عذاب الله ما جمع من المال وكان صاحب مواش [وما كسب] قيل يعني ولده لان ولد الانسان من كسبه كما جاء في الحديث « أطيب ما أكل أحدكم من كسبه وان ولده من كسبه »

وقال العوفي عن ابن عباس وعطية الجدلي والضحاك وابن زيد كانت تضع الشوك في طريق رسول الله [ص] قال ابن جرير وقيل كانت تعير النبي [ص] بالفقر وكانت تحتطب فعيرت بذلك كذا حكاه ولم يعزه إلى أحد والصحيح الاول والله أعلم قال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة فقالت لانفقنها في عداوة محمد يعني فأعقبها الله منها حبلا في جيدها من مسد النار

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سليم مولى الشعبي عن الشعبي قال المسد الليف وقال عروة بن الزبير المسد سلسلة ذرعها سبعون ذراعا ، وعن الثوري هو قلادة من نار طولها سبعون ذراعا ، وقال الجوهري المسد الليف والمسد أيضا حبل من ليف أو خوص وقد يكون من جلود الابل او أوبارها ومسدت الحبل أمسده مسداً اذا أجدت فتله

وقال مجاهد (في جيدها حبل من مسد) أي طوق من حديد الا ترى أن العرب يسمون البكرة مسداً

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي وابو زرعة قالا حدثنا عبدالله بن الزبير الحميدي حدثنا سفيان حدثنا الوليد بن كثير عن أبي بدرس عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما نزلت (تبت يدا أبي لهب) أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول

مذمما أبينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا

ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها ابو بكر قال يارسول الله قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك فقال رسول الله ﷺ « انها لن تراني » وقرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى [واذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستوراً] فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت يا أبا بكر إني أخبرت أن صاحبك هجاني قال لا ورب هذا البيت ماهجاك فولت وهي تقول قد علمت قريش أني ابنة سيدها قال : وقال الوليد في حديثه أو غيره فعثرت أم جميل في مرطها وهي تطوف بالبيت فقالت تعس مذمم فقالت أم حكيم بنت عبدالمطلب إني لحصان فما أكلم ، وثقاف فما أعلم ، وكلتانا من بني العم ، وقريش بعد أعلم ،

ثم أوعده بالنار فقال ﴿ سيصلى ناراً ذات لهب ﴾ أي ناراً تلهب عليه ﴿ وامرأته ﴾ أم جميل بنت حرب بن امية أخت أبي سفيان ﴿ حمالة الحطب ﴾ قال ابن زيد والضحاك كانت تحمل الشوك والعضاه فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ وأصحابه لتعقرهم ، وهي رواية عطية عن ابن عباس

وقال قتادة ومجاهد والسدي : كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث فتلقي العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب . يقال فلان يحطب على فلان إذا كان يغري به

وقال سعيد بن جبير حمالة الخطايا دليله قوله (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) قرأ عاصم حمالة بالنصب على الذم كقوله [ملعونين] وقرأ الآخرون بالرفع وله وجهان [أحدهما] سيصلى ناراً هو وامرأته حمالة الحطب [والثاني] وامرأته حمالة الحطب في النار أيضا ﴿ في جيدها ﴾ في عنقها وجمعه

وقال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا ابراهيم بن سعيد وأحمد بن اسحاق قالا حدثنا ابو احمد حدثنا عبد السلام بن حرب عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت [تبت يدا أبي لهب] جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالس ومعه ابو بكر فقال له ابو بكر لو تنحيت لا تؤذيك بشيء فقال رسول الله ﷺ « انه سيحال بيني وبينها » فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت يا أبا بكر هجانا صاحبك فقال ابو بكر لا ورب هذه البنية ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به فقالت انك لمصدق فلما ولت قال أبو بكر ما رآتك ؟ قال « لا ما زال ملك يسترني حتى ولت » ثم قال البزار لا نعلمه يروى بأحسن من هذا الاسناد عن أبي بكر رضي الله عنه

وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى (في جيدها حبل من مسد) أي في عنقها حبل في نار جهنم ترفع به إلى شفيرها ثم ترمى إلى أسفلها ثم كذلك دائما ، قال أبو الخطاب بن دحية في كتابه التنوير وقد روى ذلك وعبر بالمسد عن حبل الدلو كما قال أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات كل مسد رشاء وأنشد في ذلك :

وبكرة ومحوراً صراراً ومسداً من أبق مغاراً

قال والابق القنب . وقال آخر :

يا مسد الخوص تعوذ مني * ان تك لدنا لينا فاني * ما شئت من أشمط مكسني

قال العلماء وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فانه منذ نزل قوله تعالى (سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الايمان لم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لا باطنا ولا ظاهراً ، لا مسراً ولا معلنا فكان هذا من أقوى الادلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة

﴿ آخر تفسير السورة ولله الحمد والمنة ﴾

أجياد ﴿ حبل من مسد ﴾ واختلفوا فيه . قال ابن عباس وعروة بن الزبير : سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل في فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها في عنقها ، وأصله من المسد وهو الفتل والمسد ما فتل وأحكم من أي شيء كان ، يعني السلسلة التي في عنقها فتلت من الحديد فتلا محكما

وروى الاعمش عن مجاهد (من مسد)أي من حديد . والمسد الحديدة التي تكون في البكرة يقال لها المحور وقال الشعبي ومقاتل من ليف

قال الضحاك وغيره في الدنيا من ليف وفي الآخرة من نار وذلك الليف هو الحبل الذي كانت تحتطب به ، فبينما هي ذات يوم حاملة حزمة فأعيت فقعدت على حجر تستريح فأتاها ملك فجذبها من خلفها فأهلكها قال ابن زيد حبل من شجر ينبت باليمن يقال له مسد

قال قتادة قلادة من ودع ، وقال الحسن كانت خرزات في عنقها ، وقال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة في عنقها فاخرة فقالت لأنفقنها في عداوة محمد ﷺ

تفسير سورة الاخلاص وهى مكية

(ذكر سبب نزولها وفضلها)

قال الامام احمد حدثنا ابو سعيد محمد بن ميسر الصاغاني حدثنا ابو جعفر الرازي حدثنا الربيع ابن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ يا محمدا نسب لنا ربك فأنزل الله تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد) وكذا رواه الترمذي وابن جرير عن أحمد بن منيع زاد ابن جرير ومحمود بن خداش عن أبي سعيد محمد بن ميسر به زاد ابن جرير والترمذي قال (الصمد) الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت وليس شيء يموت إلا سيورث وان الله عز وجل لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفواً أحد، ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء. ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي سعيد محمد بن ميسر به، ثم رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر عن الربيع عن ابى العالية فذكره مرسلا ولم يذكر حدثنا ثم قال الترمذي وهذا أصح من حديث أبى سعيد

(حديث آخر في معناه) قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا شريح بن يونس حدثنا اسماعيل ابن مجالد عن مجالد عن الشعبي عن جابر رضي الله عنه أن اعرابيا جاء إلى النبي ﷺ فقال انسب لنا ربك فأنزل الله عز وجل (قل هو الله أحد) إلى آخرها اسناد متقارب، وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عوف عن شريح فذكره وقد أرسله غير واحد من السلف

وروى عبيد بن اسحاق العطار عن قيس بن الربيع عن عاصم عن أبى وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قالت قريش لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك فنزلت هذه السورة (قل هو الله أحد) قال الطبراني ورواه الفريابى وغيره عن قيس عن ابي عاصم عن أبى وائل مرسلا ثم روى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطرائفي عن الوازع بن مانع عن أبى سلمة عن ابى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «لكل شيء نسبة ونسبة الله قل هو الله أحد * الله الصمد، والصمد ليس بأجوف»

(حديث آخر في فضلها) قال البخاري حدثنا محمد هو الذهلي حدثنا احمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرنا عمرو عن ابن ابى هلال أن أبا الرجال محمد بن عبد الرحمن حدثه عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن وكانت في حجر عائشة زوج النبي ﷺ عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال «سلوه لأي شيء يصنع ذلك» فسألوه فقال لانها صفة الرحمن وأنا أحب ان أقرأ بها فقال النبي ﷺ «أخبروه ان الله تعالى يحبه» هكذا رواه في كتاب التوحيد ومنهم من يسقط ذكر

محمد الذهلي ويجعله من روايته عن أحمد بن صالح ، وقد رواه مسلم والنسائي أيضاً من حديث عبدالله ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن ابي هلال به

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري في كتاب الصلاة وقال عبيدالله عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : كان رجل من الانصار يؤمهم في مسجد قباء فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه أصحابه فقالوا انك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى انها تجزئك حتى تقرأ بالاخرى فاما أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى ، فقال ما أنا بتاركها ان أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت وإن كرهتم تركتكم وكانوا يرون انه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر فقال يافلان « ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة ؟ » قال اني أحبها ، قال « حبك اياها ادخلك الجنة » هكذا رواه البخاري تعليقا مجزوما به

وقد رواه ابو عيسى الترمذي في جامعه عن البخاري عن اسماعيل بن ابي أويس عن عبدالعزيز ابن محمد الدراوردي عن عبيد الله بن عمر فذكر باسناده مثله سواء ثم قال الترمذي غريب من حديث عبيد الله عن ثابت

قال وروى مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس أن رجلا قال يارسول الله اني أحب هـذه السورة (قل هو الله أحد) قال « ان حبك اياها أدخلك الجنة » وهـذا الذي علقه الترمذي قد رواه الامام احمد في مسنده متصلا فقال حدثنا ابو النضر حدثنا مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال اني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) فقال رسول الله ﷺ « حبك اياها أدخلك الجنة »

﴿ حديث في كونها تعدل ثلث القرآن ﴾ قال البخاري حدثنا اسماعيل حدثني مالك عن عبدالرحمن ابن عبد الله بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد أن رجلا سمع رجلا يقرأ (قل هو الله أحد) يرددها فلما أصبح جاء الى النبي ﷺ فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها فقال النبي ﷺ « والذي نفسي بيده إنها تعدل ثلث القرآن » زاد اسماعيل بن جعفر عن مالك عن عبد الرحمن بن عبدالله عن أبيه عن ابي سعيد قال أخبرني أخي قتادة بن النعمان عن النبي ﷺ وقد رواه البخاري أيضا عن عبد الله بن يوسف والقعنبي ، ورواه أبو داود عن القعنبي والنسائي عن قتيبة كلهم عن مالك به وحديث قتادة بن النعمان أسنده النسائي من طريقين عن اسماعيل بن جعفر عن مالك به

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الاعمش حدثنا ابراهيم والضحاك المشرقي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ » فشق ذلك عليهم وقالوا أينا يطيق ذلك يارسول الله؟ فقال « الله الواحد

الصمد ثلث القرآن » تفرد باخراجه البخاري من حديث ابراهيم بن يزيد النخعي والضحاك بن شرحبيل الهمداني المشرقي كلاهما عن ابي سعيد قال الفربري سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم وراق أبي عبد الله قال : قال ابو عبد الله البخاري عن ابراهيم مرسل وعن الضحاك مسند

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا يحيي بن اسحاق حدثنا ابن لهيعة عن الحارث ابن يزيد عن أبي الهيثم عن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بقل هو الله أحد فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال « والذي نفسي بيده انها لتعدل نصف القرآن — أو ثلثه »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا حيي بن عبدالله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو أن أبا أيوب الانصاري كان في مجلس وهو يقول: ألا يستطيع أحدكم أن يقوم بثلث القرآن كل ليلة ؟ فقالوا وهل يستطيع ذلك أحد ؟ قال فان(قل هو الله أحد) ثلث القرآن قال فجاء النبي ﷺ وهو يسمع أبا أيوب فقال « صدق أبو أيوب »

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا يزيد ابن كيسان أخبرني أبو حازم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « احشدوا فاني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » فحشد من حشد ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ [قل هو الله احد] ثم دخل فقال بعضنا لبعض قال رسول الله ﷺ « فاني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » اني لأرى هذا خبراً جاء من السماء ثم خرج نبي الله ﷺ فقال « اني قلت سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا وانها تعدل ثلث القرآن » وهكذا رواه مسلم في صحيحه عن محمد بن بشار به وقال الترمذي حسن صحيح غريب ، واسم ابي حازم سلمان

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن زائدة بن قدامة عن منصور عن هلال بن يساف عن الربيع بن خثيم عن عمرو بن ميمون عن ابي عبد الرحمن بن ابى ليلى عن امرأة من الانصار عن ابي ايوب عن النبي ﷺ قال « أيعجز احدكم ان يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فانه من قرأ قل هو الله أحد * الله الصمد) في ليلة فقد قرأ ليلتئذ ثلث القرآن » هذا حديث تساعي الاسناد للامام احمد ورواه الترمذي والنسائي كلاهما عن محمد بن بشار بندار زاد الترمذي وقتيبة كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدي به فصار لهما عشاريا ، وفي رواية الترمذي عن امرأة ابي ايوب عن ابي أيوب به وحسنه ثم قال وفي الباب عن ابى الدرداء وأبي سعيد وقتادة بن النعمان وابي هريرة وانس وابن عمرو ابي مسعود ، وهذا حديث حسن ولا نعلم أحداً روى هذا الحديث احسن من رواية زائدة وتابعه على روايته اسرائيل والفضيل بن عياض. وقد روى شعبة وغير واحد من الثقاة هذا الحديث عن منصور واضطربوا فيه

﴿ حديث آخر ﴾ قال أحمد حدثنا هشيم عن حسين عن هلال بن يساف عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب أو رجل من الانصار قال قال رسول الله ﷺ « من قرأ بقل هو الله أحد فكأنما قرأ بثلث القرآن » ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث هشيم عن حصين عن ابن أبي ليلى به ولم يقع في روايته هلال بن يساف

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي قيس عن عمرو بن ميمون عن أبي مسعود (رض) قال قال رسول الله ﷺ « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » وهكذا رواه ابن ماجه عن علي بن محمد الطنافسي عن وكيع به . ورواه النسائي في اليوم والليلة من طرق أخر عن عمرو بن ميمون مرفوعا وموقوفا

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا بهز حدثنا بكير بن ابي السميط حدثنا قتادة عن سالم بن ابي الجعد عن معدان بن ابى طلحة عن ابى الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أيعجز أحدكم أن يقرأ كل يوم ثلث القرآن ؟ » قالوا نعم يارسول الله نحن أضعف من ذلك وأعجز قال « فان الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فقل هو الله أحد ثلث القرآن » ورواه مسلم والنسائي من حديث قتادة به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا أمية بن خالد حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم بن أخي ابن شهاب عن عمه الزهري عن حميد بن عبد الرحمن هو ابن عوف عن أمه وهي أم كلثوم بنت عقبة ابن ابي معيط قالت : قال رسول الله ﷺ « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن عمرو بن علي عن أمية بن خالد به ثم رواه من طريق مالك عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن قوله

ورواه النسائي أيضا في اليوم والليلة من حديث محمد بن اسحاق عن الحارث بن الفضيل الانصاري عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن أن نفراً من أصحاب محمد ﷺ حدثوه عن النبي ﷺ أنه قال « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن لمن صلى بها »

﴿ حديث آخر في كون قراءتها توجب الجنة ﴾ قال الامام مالك بن أنس عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن عبد بن حنين قال سمعت أبا هريرة يقول : أقبلت مع النبي ﷺ فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وجبت - قلت وما وجبت - قال الجنة » ورواه الترمذي والنسائي من حديث مالك وقال الترمذي حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك وتقدم حديث « حبك إياها أدخلك الجنة »

﴿ حديث في تكرار قراءتها ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا قطن بن بشير حدثنا عيسى بن ميمون القرشي حدثنا يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول « ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات في ليلة فانها تعدل ثلث القرآن » هذا اسناد ضعيف وأجود منه

﴿ حديث آخر ﴾ قال عبد الله بن الامام احمد حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا ابن ابي ذئب عن أسيد مولى أبي اسيد عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه قال أصابنا عطش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا فخرج فأخذ بيدي فقال « قل » فسكت قال « قل » قلت ما أقول؟ قال « قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثا تكفيك كل يوم مرتين » ورواه ابو داود والترمذي والنسائي من حديث ابن ابي ذئب به وقال الترمذي حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وقد رواه النسائي من طريق أخرى عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه عن عقبة بن عامر فذكره ولفظه « تكفك كل شيء »

﴿ حديث آخر في ذلك ﴾ قال الامام احمد حدثنا اسحاق بن عيسى حدثني ليث بن سعد حدثني الخليل بن مرة عن الازهر بن عبد الله عن تميم الداري (رض) قال قال رسول الله ﷺ « من قال لا إله إلا الله واحداً أحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له كفوا أحد عشر مرات كتب الله له أربعين الف الف حسنة » تفرد به احمد والخليل بن مرة ضعفه البخاري وغيره بمرة

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد أيضا حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن مائد عن سهل بن معاذ بن انس الجهنى عن ابيه عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله احد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصراً في الجنة » فقال عمر إذاً نستكثر يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ « الله أكثر وأطيب » تفرد به أحمد ورواه أبو محمد الدارمي في مسنده فقال حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا حيوة حدثنا عقيل وغيره عن معبد قال الدارمي وكان من الابدال انه سمع سعيد بن المسيب يقول ان نبي الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور في الجنة » فقال عمر بن الخطاب إذا نكثر قصورنا فقال رسول الله (ص) « الله أوسع من ذلك » وهذا مرسل جيد

﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا نصر بن علي حدثني نوح بن قيس أخبرني محمد العطار أخبرتني أم كثير الانصارية عن أنس بن مالك عن رسول الله (ص) قال « من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة » إسناده ضعيف

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابو يعلى حدثنا أبو الربيع حدثنا حاتم بن ميمون حدثنا ثابت عن أنس (رض) قال قال رسول الله (ص) « من قرأ قل هو الله احد في يوم مائتي مرة كتب الله له الفا وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دين » إسناد ضعيف حاتم بن ميمون ضعفه البخاري وغيره ورواه الترمذي عن محمد بن مرزوق

البصري عن حاتم بن ميمون به ولفظه «من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله أحد محى عنه ذنوبه خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين»

قال الترمذي وبهذا الاسناد عن النبي ﷺ قال «من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول له الرب عزوجل يا عبدي ادخل على يمينك الجنة» ثم قال غريب من حديث ثابت ، وقد روي من غير هذا الوجه عنه

وقال ابو بكر البزار حدثنا سهل بن بحر حدثنا حبان بن أغلب حدثنا ابي حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة حط الله عنه ذنوب مائتي سنة ثم قال لانعلم رواه عن ثابت إلا الحسن بن أبي جعفر والاغلب بن تميم وهما متقاربان في سوء الحفظ

﴿ حديث آخر ﴾ في الدعاء بما تضمنته من الاسماء قال النسائي عند تفسيرها حدثنا عبدالرحمن بن خالد حدثنا زيد بن الحباب حدثني مالك بن مغول حدثنا عبدالله بن بريدة عن أبيه أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فاذا رجل يصلي يدعو يقول اللهم إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد قال «والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الاعظم الذي اذا سئل به أعطى واذا دعي به أجاب» وقد أخرجه بقية أصحاب السنن من طرق عن مالك ابن مغول عن عبدالله بن بريدة عن أبيه به ، وقال الترمذي حسن غريب

﴿ حديث آخر ﴾ في قراءتها عشر مرات بعد المكتوبة قال الحافظ ابو يعلى الموصلي حدثنا عبدالاعلى حدثنا بشر بن منصور عن عمر بن شيبان عن ابي شداد عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ «ثلاث من جاء بهن مع الايمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من عفا عن قاتله وأدى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات قل هو الله أحد» قال فقال ابو بكر أو احداهن يارسول الله قال «او احداهن»

﴿ حديث ﴾ في قراءتها عند دخول المنزل قال الحافظ ابو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبدالله ابن بكر السراج العسكري حدثنا محمد بن الفرج حدثنا محمد بن الزبرقان عن مروان بن سالم عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير عن جرير بن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ من قرأ «قل هو الله احد حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران» اسناده ضعيف

﴿ حديث ﴾ في الاكثار من قراءتها في سائر الاحوال قال الحافظ ابو يعلى حدثنا محمد بن اسحاق المسيبي حدثنا يزيد بن هارون عن العلاء بن محمد الثقفي قال سمعت انس بن مالك يقول : كنا مع رسول الله (ص) بتبوك فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى بمثله فاتى جبريل الى النبي (ص) فقال «ياجبريل مالي أرى الشمس طلعت اليوم بضياء وشعاع ونور لم أرها طلعت بمثله فيما مضى؟» قال ان ذلك معاوية بن معاوية الليثي مات بالمدينة اليوم فبعث الله اليه سبعين الف

ملك يصلون عليه قال «وفيم ذلك ؟ قال كان يكثر قراءة قل هو الله أحد في الليل والنهار وفي ممشاه وقيامه وقعوده فهل لك يارسول الله أن أقبض الارض فتصلي عليه ؟ قال « نعم » فصلى عليه ، وكذا رواه الحافظ ابو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة من طريق يزيد بن هارون عن العلاء بن محمد وهو متهم بالوضع والله أعلم

﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابو يعلى حدثنا محمد بن ابراهيم الشامي ابو عبدالله حدثنا عثمان بن الهيثم مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عندي عن محمود ابي عبدالله عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس قال : نزل جبريل على النبي (ص) فقال مات معاوية بن معاوية الليثي فتحب أن تصلي عليه ؟ قال « نعم » فضرب بجناحه الارض فلم تبق شجرة ولا أكمة الا تضعضعت فرفع سريره فنظر اليه فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون الف ملك فقال النبي (ص) «ياجبريل بم نال هذه المنزلة من الله تعالى ؟» قال بحبه قل هو الله أحد وقراءته اياها ذاهبا وجائيا قائما وقاعدا وعلى كل حال . ورواه البيهقي من رواية عثمان بن الهيثم المؤذن عن محبوب بن هلال عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس فذكره وهذا هو الصواب ومحبوب بن هلال قال ابو حاتم الرازي ليس بالمشهور ، وقد روي هذا من طرق أخر تركناها اختصاراً وكلها ضعيفة

﴿ حديث آخر ﴾ في فضلها مع المعوذتين قال الامام احمد حدثنا ابو المغيرة حدثنا معاذ بن رفاعة حدثني علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة عن عقبة بن عامر قال لقيت رسول الله (ص) فابتدأته فأخذت بيده فقلت يارسول الله بم نجاة المؤمن ؟ فقال « ياعقبة اخرس لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » قال ثم لقيني رسول الله (ص) فابتدأني فأخذ بيدي فقال « ياعقبة ابن عامر ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والانجيل والزبور والقرآن العظيم » قال قلت بلى جعلني الله فداك قال فاقرأني (قل هو الله أحد - وقل أعوذ برب الفلق - وقل أعوذ برب الناس) ثم قال « ياعقبة لا تنسهن ولا تبت ليلة حتى تقرأهن » قال فما نسيتهن منذ قال لا تنسهن وما بت ليلة قط حتى أقرأهن قال عقبة ثم لقيت رسول الله (ص) فابتدأته فأخذت بيده فقلت يارسول الله أخبرني بفواضل الاعمال فقال « ياعقبة صل من قطعك وأعط من حرمك واعرض عمن ظلمك » روى الترمذي بعضه في الزهد من حديث عبدالله بن زحر عن علي بن يزيد فقال هذا حديث حسن

وقد رواه احمد من طريق آخر حدثنا حسين بن محمد حدثنا ابن عباس عن أسيد بن عبد الرحمن الخثعمي عن فروة بن مجاهد اللخمي عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر مثله سواء تفرد به احمد

﴿حديث آخر﴾ في الاستشفاء بهن قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا المفضل عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة ان النبي (ص) كان اذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما

قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات وهكذا رواه أهل السنن من حديث عقيل به

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد (١) الله الصمد (٢) لم يلد ولم يولد (٣) ولم يكن له كفواً أحد (٤)

قد تقدم ذكر سبب نزولها وقال عكرمة لما قالت اليهود نحن نعبد عزير بن الله ، وقالت النصارى نحن نعبد المسيح بن الله ، وقالت المجوس نحن نعبد الشمس والقمر ، وقالت المشركون نحن نعبد الاوثان أنزل الله على رسوله ﷺ (قل هو الله أحد) يعني هو الواحد الاحد الذى لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الاثبات الا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله

وقوله تعالى (الله الصمد) قال عكرمة عن ابن عباس يعني الذي يصمد اليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو السيد الذي قد كمل في سؤدده والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، والحليم الذي قد كمل في حلمه ، والعليم الذي

(سورة الاخلاص مكية وهي أربع آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل هو الله أحد ﴾ روى أبو العالية عن أبي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى هذه السورة

وروى أبو ظبيان وأبو صالح عن ابن عباس أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي ﷺ فقال عامر إلام تدعونا يامحمد ؟ قال « إلى الله » قال صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب؟ فنزلت هذه السورة فأهلك الله أربد بالصاعقة وعامر بن الطفيل بالطاعون ذكرنا في سورة الرعد ، وقال الضحاك وقتادة ومقاتل جاء ناس من أحبار اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا صف لنا ربك يامحمد لعلنا نؤمن بك فان الله أنزل نعته في التوراة فاخبرنا من أي شيء هو وهل يأكل ويشرب وممن ورث ومن يرثه؟ فأنزل الله هذه السورة (قل هو الله أحد) أي واحد ولا فرق بين الواحد والاحد يدل عليه قراءة عبدالله بن مسعود ﴿ قل هو الواحد الله الصمد ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير الصمد الذي لاجوف له . قال الشعبي الذي لا يأكل ولا يشرب وقيل تفسيره مابعده

قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته لاتنبغي إلا له ليس له كفء، وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار، وقال الاعمش عن شقيق عن أبي وائل (الصمد) السيد الذي قد انتهى سؤدده، ورواه عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود مثله

وقال مالك عن زيد بن أسلم (الصمد) السيد، وقال الحسن وقتادة هو الباقي بعد خلقه، وقال الحسن أيضاً الصمد الحي القيوم الذي لازوال له، وقال عكرمة الصمد الذي لم يخرج منه شيء ولا يطعم، وقال الربيع بن أنس هو الذي لم يلد ولم يولد كأنه جعل مابعده تفسيرا له وهو قوله (لم يلد ولم يولد) وهو تفسير جيد وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير عن أبي بن كعب في ذلك وهو صريح فيه، وقال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وعبد الله بن بريدة وعكرمة أيضا وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وعطية العوفي والضحاك والسدي (الصمد) الذي لاجوف له. قال سفيان عن منصور عن مجاهد (الصمد) المصمت الذي لاجوف له، وقال الشعبي هو الذي لايأكل الطعام ولا يشرب الشراب. وقال عبد الله بن بريدة أيضا (الصمد) نور يتلألأ روى ذلك كله وحكاه ابن أبي حاتم والبيهقي والطبراني وكذا ابو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده

وقال حدثني العباس بن أبي طالب حدثنا محمد بن عمرو بن رومي عن عبيد الله بن سعيد قائد الاعمش

روى ابو العالية عن أبي بن كعب قال الصمد الذي لم يلد ولم يولد لان من يولد سيموت ومن يرث يورث منه قال أبو وائل شقيق بن سلمة هو السيد الذي قد انتهى سؤدده وهو رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: هو السيد الذي قد كمل في جميع أنواع السؤدد، وعن سعيد بن جبير أيضا هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله، وقيل هو السيد المقصود في الحوائج. قال السدي هو المقصود اليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب تقول العرب صمدت فلانا أصمده صمداً بسكون الميم اذا قصدته والمقصود صمد بفتح الميم

وقال قتادة الصمد الباقي بعد فناء خلقه، وقال عكرمة الصمد الذي ليس فوقه أحد وهو قول علي وقال الربيع الذي لاتعتريه الآفات قال مقاتل بن حيان الذي لاعيب فيه ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ قرأ حمزة وإسماعيل كفؤاً ساكنة الفاء مهموزاً، وقرأ حفص عن عاصم بضم الفاء من غير همز، وقرأ الآخرون بضم الفا مهموزاً وكلها لغات صحيحة، ومعناه المثل (احد) أي هو أحد وقيل هو على التقديم والتأخير مجازه لم يكن له أحد كفواً أي مثلا. قال مقاتل، قال مشركو العرب الملائكة بنات الله، وقالت اليهود عزير بن الله، وقالت النصارى المسيح بن الله فأكذبهم الله ونفى عن ذاته الولادة والمثل

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل

حدثني صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال لا أعلم إلا قد رفعه قال «الصمد الذي لا جوف له»
وهذا غريب جداً والصحيح انه موقوف على عبد الله بن بريدة
وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة له بعد إيراده كثيراً من هذه الاقوال في تفسير الصمد وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عز وجل هو الذى يصمد اليه في الحوائج وهو الذي قد انتهى سؤدده ، وهو الصمد الذي لا جوف له ، ولا يأكل ولا يشرب ، وهو الباقي بعد خلقه .
وقال البيهقي نحو ذلك
وقوله تعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة قال مجاهد (ولم يكن له كفواً أحد) يعني لا صاحبة له وهذا كما قال تعالى [بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء] أي هو مالك كل شيء وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه تعالى وتقدس وتنزه قال الله تعالى [وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً اداً * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً * أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً * إن كل من في السموات والارض إلا آتي الرحمن عبداً * لقد أحصاهم وعدهم عدا * وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) وقال تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا *

ثنا ابو اليمان أنا شعيب عن الزهري أنا ابو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى «كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولداً وأنا الاحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد
أخبرنا ابو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا ابو علي زاهر بن أحمد أنا ابو إسحاق الهاشمي أنا ابو مصعب عن مالك عن عبدالرحمن بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة الانصاري عن أبيه عن أبي سعيد الخدري أن رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد ويرددها فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال له رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القران»
اخبرنا ابو سعيد الشريحي انا ابو إسحاق الثعلبي انا ابو بكر محمد بن الحسن الاصفهاني انا عبد الله بن جعفر بن احمد بن فارس ثنا يونس بن حبيب ثنا ابو داود الطيالسي ثنا شعبة عن قتادة سمعت سالم بن ابى الجعد يحدث عن معدان بن ابى طلحة عن ابى الدرداء ان النبي ﷺ قال «ايعجز احدكم ان يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ - قلت يارسول الله ومن يطيق ذلك؟ - قال اقرءوا قل هو الله احد»
وأخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن

ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون - سبحان الله عما يصفون) وفي الصحيح صحيح البخاري « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم »

وقال البخاري حدثنا ابو اليمان حدثنا شعيب حدثنا ابو الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال « قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته ، وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولداً وأنا الاحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد » ورواه أيضا من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة مرفوعا بمثله تفرد بهما من هذين الوجهين

﴿ آخر تفسير سورة الاخلاص ولله الحمد والمنة ﴾

تفسير سورتي المعوذتين وهما مدنيتان

قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش قال قلت لأبي بن كعب إن ابن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه فقال أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبريل عليه السلام قال له قل أعوذ برب الفلق فقلتها ، قال قل أعوذ برب الناس فقلتها فنحن نقول ماقال النبي ﷺ

ورواه ابو بكر الحميدي في مسنده عن سفيان بن عيينة حدثنا عبدة بن ابي لبابة وعاصم بن بهدلة أنهما سمعا زر بن حبيش قال سألت أبي بن كعب عن المعوذتين فقلت يا أبا المنذر ان أخاك ابن مسعود يحك المعوذتين من المصحف فقال اني سألت رسول الله ﷺ فقال « قيل لي قل فقلت » فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال احمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عاصم عن زر قال سألت ابن مسعود عن المعوذتين

مالك عن عبيد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن عن عبيد بن جبير مولى آل زيد بن الخطاب انه قال سمعت أبا هريرة يقول أقبلت مع رسول الله ﷺ فسمع رجلا يقرأ (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فقال رسول الله ﷺ « وجبت » فسألته ماذا يارسول الله ؟ فقال « الجنة » فقال أبو هريرة فأردت أن أذهب الى الرجل فابشره ، ثم فرقت أن يفوتني الغداء مع رسول الله ﷺ فآثرت الغداء ، ثم ذهبت الى الرجل فوجدته قد ذهب

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا عبد الرحيم بن منيب ثنا يزيد بن هارون ثنا المبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس قال : قال رجل لرسول الله ﷺ إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) قال « حبك إياها أدخلك الجنة »

فقال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنهما فقال « قيل لي فقلت لكم فقولوا » ، قال أبي فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم فنحن نقول

وقال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا عبدة بن أبي لبابة عن زر بن حبيش ، وحدثنا عاصم عن زر قال سألت أبي بن كعب فقلت أبا المنذر ان أخاك ابن مسعود يقول كذا و كذا فقال اني سألت النبي (ص) فقال « قيل لي فقلت » فنحن نقول كما قال رسول الله (ص) ورواه البخاري أيضا والنسائي عن قتيبة عن سفيان بن عيينة عن عبدة وعاصم بن أبي النجود عن زر ابن حبيش عن ابي بن كعب به

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا الازرق بن علي حدثنا حسان بن ابراهيم حدثنا الصلت بن بهرام عن ابراهيم بن علقمة قال كان عبد الله يحك المعوذتين من المصحف ويقول انما أمر رسول الله (ص) أن يتعوذ بهما ولم يكن عبدالله يقرأ بهما ، ورواه عبدالله بن احمد من حديث الاعمش عن أبي اسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد قال كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول انهما ليستا من كتاب الله

قال الاعمش وحدثنا عاصم عن زر بن حبيش عن ابي بن كعب قال سألنا عنهما رسول الله (ص) قال « قيل لي فقلت » وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء ان ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه فلعله لم يسمعهما من النبي (ص) ولم يتواتر عنده ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة فان الصحابة رضي الله عنهم أثبتوهما في المصاحف الائمة ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك ولله الحمد والمنة

وقد روى مسلم في صحيحه حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن بيان عن قيس بن أبي حازم عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله (ص) « ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط (قل أعوذ برب الفلق * وقل أعوذ برب الناس) ورواه أحمد ومسلم أيضا والترمذي والنسائي من حديث اسماعيل بن ابى خالد عن قيس بن أبي حازم عن عقبة به وقال الترمذي حسن صحيح

﴿طريق أخرى﴾ قال الامام احمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر عن القاسم أبي عبد الرحمن عن عقبة بن عامر قال بينا أنا أقود برسول الله (ص) في نقب من تلك النقاب إذ قال لي « ياعقبة ألا تركب ؟ » قال فأشفقت أن تكون معصية قال فنزل رسول الله (ص) وركبت هنية ثم ركب ثم قال « ياعقب ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس ؟ » قلت بلى يارسول الله فأقرأني (قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس) ثم أقيمت الصلاة فتقدم رسول الله [ص] فقرأ بهما ثم مر بي فقال « كيف رأيت ياعقب ؟ اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت » ورواه النسائي من حديث الوليد بن مسلم وعبدالله بن المبارك كلاهما عن ابن جابر به ورواه أبو داود والنسائي أيضا من حديث ابن وهب عن ميمون بن صالح عن العلاء بن الحارث عن القاسم بن عبد الرحمن عن عقبة به

﴿ طريق أخرى ﴾ قال أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني يزيد بن

عبد العزيز الرعيني وأبو مرحوم عن يزيد بن محمد القرشي عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر قال : أمرني رسول الله [ص] أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة ورواه أبوداود والترمذي والنسائي من طرق عن علي بن ابي رباح وقال الترمذي غريب

﴿ طريق أخرى ﴾ قال احمد حدثنا محمد بن اسحاق حدثنا ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان عن عقبة ابن عامر قال لي رسول الله (ص) « اقرأ بالمعوذتين فانك لن تقرأ بمثلهما » تفرد به احمد

﴿ طريق أخرى ﴾ قال احمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن عقبة بن عامر انه قال ان رسول الله (ص) أهديت له بغلة شهباء فركبها فأخذ عقبة يقودها له فقال رسول الله [ص] « اقرأ قل أعوذ برب الفلق » فأعادها له حتى قرأها فعرف اني لم أفرح بها جدا « فقال لعلك تهاونت بها؟ فما قمت تصلي بشيء مثلها » ورواه النسائي عن عمرو بن عثمان عن بقية به ، ورواه النسائي أيضا من حديث الثوري عن معاوية بن صالح عن عبدالرحمن بن نفير عن ابيه عن عقبة بن عامر انه سأل رسول الله (ص) عن المعوذتين فذكر نحوه

﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي أخبرنا محمد بن عبد الاعلى حدثنا المعتمر سمعت النعمان عن زياد بن الاسد عن عقبة بن عامر أن رسول الله [ص] قال ان الناس لم يتعوذوا بمثل هذين (قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس)

﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي أخبرنا قتيبة حدثنا الليث عن ابي عجلان عن سعيد المقبري عن عقبة بن عامر قال كنت أمشي مع رسول الله (ص) فقال « ياعقبة قل » قلت ماذا أقول ؟ فسكت عني ثم قال « قل » قلت ماذا أقول يا رسول الله؟ قال « قل أعوذ برب الفلق » فقرأتها حتى اتيت على آخرها ثم قال - قل - فقلت ماذا أقول يا رسول الله ؟ قال « قل أعوذ برب الناس » فقرأتها ثم أتيت على آخرها ثم قال رسول الله (ص) عند ذلك « ماسأل سائل بمثلها ولا استعاذ مستعيذ بمثلها »

﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي أخبرنا محمد بن بسار حدثنا عبد الرحمن حدثنا معاوية عن العلاء ابن الحارث عن مكحول عن عقبة بن عامر أن رسول الله (ص) قرأ بهما في صلاة الصبح

﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي أخبرنا قتيبة حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي عمران أسلم عن عقبة بن عامر قال اتبعت رسول الله (ص) وهو راكب فوضعت يدي على قدميه فقلت أقرئني سورة هود أو سورة يوسف فقال « لن تقرأ شيئا أنفع عند الله من قل أعوذ برب الفلق »

﴿ حديث آخر ﴾ قال النسائي اخبرنا محمود بن خالد حدثنا الوليد حدثنا أبو عمرو الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن محمد بن ابراهيم بن الحارث عن أبي عبد الله عن ابن عابس الجهني أن النبي (ص) قال له « يا ابن عابس ألا أدلك - أو - ألا اخبرك بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون؟ » قال بلى يارسول الله قال « قل أعوذ برب الفلق — وقل أعوذ برب الناس هاتان السورتان » فهذه طرق عن عقبة كالمواترة عنه تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث

وقد تقدم في رواية صدي بن عجلان وفروة بن مجاهد عنه « ألا أعلمك ثلاث سور لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلهن (قل هو الله أحد - وقل أعوذ برب الفلق - وقل أعوذ برب الناس) »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا اسماعيل حدثنا الجريري عن أبي العلاء قال قال رجل كنا مع رسول الله (ص) في سفر والناس يعتقبون وفي الظهر قلة فحانت نزلة رسول الله (ص) ونزلتي فلحقني فضرب منكبي فقال « قل أعوذ برب الفلق » فقرأها رسول الله (ص) فقرأتها معه ثم قال (قل أعوذ برب الناس) فقرأها رسول الله (ص) فقرأتها معه فقال « اذا صليت فاقرأ بهما » الظاهر أن هذا الرجل هو عقبة بن عامر والله أعلم ورواه النسائي عن يعقوب بن ابراهيم عن ابن علية به

﴿ حديث آخر ﴾ قال النسائي أخبرنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر عن عبد الله بن سعيد حدثني يزيد بن رومان عن عقبة بن عامر عن عبد الله الاسلمي هو ابن أنيس أن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره ثم قال « قل » فلم أدر ما أقول ثم قال لي « قل » قلت [هو الله أحد] ثم قال لي قل قلت [أعوذ برب الفلق من شر ما خلق] حتى فرغت منها ثم قال لي قل قلت [أعوذ برب الناس] حتى فرغت منها فقال رسول الله ﷺ « هكذا فتعوذ وما تعوذ المتعوذون بمثلهن قط »

﴿ حديث آخر ﴾ قال النسائي أنا عمرو بن علي أبو حفص حدثنا بدل حدثنا شداد بن سعيد أبو طلحة عن سعيد الجريري حدثنا أبو نضرة عن جابر بن عبد الله قال: قال لي رسول الله ﷺ « اقرأ يا جابر » قلت وما اقرأ بأبي أنت وأمي؟ قال « اقرأ قل أعوذ برب الفلق - و - قل أعوذ برب الناس » فقرأتهما فقال « اقرأ بهما ولن تقرأ بمثلهما » وتقدم حديث عائشة أن رسول الله [ص] كان يقرأ بهن وينفث في كفيه ويمسح بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده

وقال الامام مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن رسول الله [ص] كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرأ عليه بالمعوذات وأمسح بيده عليه رجاء بركتها ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيي بن يحيي وابو داود عن القعنبي والنسائي عن قتيبة ، ومن حديث ابن القاسم وعيسى بن يونس وابن ماجه من حديث معن وبشر بن عمر ثمانيتهم عن مالك به. وتقدم في آخر سورة (ن) من حديث أبي نضرة عن أبى سعيد أن رسول الله [ص] كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الانسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ماسواهما. رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح



بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الفلق (١) من شر ما خلق (٢) ومن شر غاسق اذا وقب (٣) ومن شر النفّٰثٰت في العُقد (٤) ومن شر حاسد اذا حسد (٥)

قال ابن ابى حاتم حدثنا احمد بن عصام حدثنا ابو احمد الزبيري حدثنا حسن بن صالح عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن جابر قال الفلق الصبح ، وقال العوفي عن ابن عباس (الفلق) الصبح، وروي عن مجاهد وسعيد بن جبير وعبد الله بن محمد بن عقيل والحسن وقتادة ومحمد بن كعب القرظي وابن زيد ومالك عن زيد بن أسلم مثل هذا قال القرظي وابن زيد وابن جرير وهي كقوله تعالى [فالق الاصباح] وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (الفلق) الخلق ، وكذا قال الضحاك أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله ، وقال كعب الاحبار (الفلق) بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره ورواه ابن ابى حاتم

ثم قال حدثنا أبي حدثنا سهيل بن عثمان عن رجل سماه عن السدي عن زيد بن علي عن آبائه أنهم قالوا (الفلق) جب في قعر جهنم عليه غطاء فاذا كشف عنه خرجت منه نار تضج منه جهنم من شدة حر مايخرج منه ، وكذا روي عن عمرو بن عنبسة وابن عباس والسدي وغيرهم

وقد ورد في ذلك حديث مرفوع منكر فقال ابن جرير حدثني إسحاق بن وهب الواسطي حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي حدثنا نصر بن خزيمة الخراساني عن شعيب بن صفوان عن

(تفسير سورة الفلق مكية وقيل مدنية وهي خمس آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه

أخبرنا ابو حامد احمد بن عبد الله الصالحي انا ابو سعيد محمد بن موسى الصيرفي ثنا ابو العباس محمد بن يعقوب الاصم ثنا محمد بن عبدالله بن عبدالحكم انا انس بن عياض عن هشام عن ابيه عن عائشة ان النبي (ص) طب حتى انه ليخيل اليه انه قد صنع شيئا وما صنعه وانه دعا ربه ثم قال « اشعرت ان الله قد افتاني فيما استفتيته فيه؟ » فقالت عائشة وما ذاك يارسول الله؟ قال — جاءني رجلان فجلس احدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه ماوجع الرجل؟ قال الآخر هو مطبوب قال من

محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي [ص] قال «الفلق جب في جهنم مغطى» إسناده غريب ولا يصح رفعه

وقال أبو عبد الرحمن الحبلي (الفلق) من اسماء جهنم. قال ابن جرير والصواب القول الاول انه فلق الصبح وهذا هو الصحيح وهو اختيار البخاري في صحيحه، رحمه الله تعالى

وقوله تعالى [من شر ما خلق] اي من شر جميع المخلوقات، وقال ثابت البناني والحسن البصري جهنم وإبليس وذريته مما خلق [ومن شر غاسق إذا وقب] قال مجاهد غاسق الليل إذا وقب غروب الشمس حكاه البخاري عنه وكذا رواه ابن أبي نجيح عنه وكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي والضحاك وخصيف والحسن وقتادة انه الليل اذا أقبل بظلامه

وقال الزهري [ومن شر غاسق إذا وقب] الشمس إذا غربت، وعن عطية وقتادة إذا وقب الليل اذا ذهب، وقال ابو المهزم عن ابي هريرة [ومن شر غاسق إذا وقب] الكوكب

وقال ابن زيد: كانت العرب تقول الغاسق سقوط الثريا وكانت الاسقام والطواعين تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها

قال ابن جرير ولهؤلاء من الاثر ماحدثني نصر بن علي حدثني بكار بن عبد الله بن أخي همام حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «ومن شر غاسق إذا وقب — النجم الغاسق» [قلت] وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ قال ابن جرير وقال آخرون هو القمر

[قلت] وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الامام أحمد حدثنا أبو داود الحفري عن ابن أبي ذئب عن الحارث بن أبي سلمة قال قالت عائشة رضي الله عنها أخذ رسول الله ﷺ بيدي فأراني القمر حين طلع وقال «تعوذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب» ورواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير

طبه قال لبيد بن الاعصم قال في ماذا؟ قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو؟ قال في ذروان وذرو ان بئر في بني زريق - قالت عائشة فأتاها رسول الله ﷺ ثم رجع الى عائشة فقال - والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين» قالت فقلت له يارسول الله فهلا أخرجته؟ فقال «أما أنا فقد شفاني الله فكرهت أن أثير على الناس به شرا» وروي أنه كان تحت صخرة في البئر فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه فيها

أخبرنا المطهر بن علي الفارسي أنا محمد بن ابراهيم الصالحاني ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر أبو الشيخ الحافظ أنا ابن أبي عاصم ثنا أبو بكر ابن أبي شيبة ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن يزيد ابن حيان عن زيد بن أرقم قال سحر النبي ﷺ رجل من اليهود قال فاشتكى لذلك أياما قال فأتاه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا فارسل رسول الله ﷺ عليا فاستخرجها

من سننيهما من حديث محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب عن خاله الحارث بن عبدالرحمن به وقال الترمذي حديث حسن صحيح ولفظه « تعوذي بالله من شر هذا فان هذا الغاسق إذا وقب » ولفظ النسائي « تعوذي بالله من شر هذا ، هذا الغاسق إذا وقب » قال أصحاب القول الاول وهو أنه الليل إذا ولج هذا لا ينافي قولنا لان القمر آية الليل ولا يوجد له سلطان إلا فيه وكذلك النجوم لاتضيء إلا بالليل فهو يرجع إلى ماقلناه والله أعلم

وقوله تعالى (ومن شر النفاثات في العقد) قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك : يعني السواحر قال مجاهد إذا رقين ونفثن في العقد

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال مامن شيء أقرب إلى الشرك من رقية الحية والمجانين

وفي الحديث الآخر أن جبريل جاء إلى النبي (ص) فقال اشتكيت يا محمد ؟ فقال « نعم » فقال « بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ، ومن شر كل حاسد وعين ، الله يشفيك » ولعل هذا كان من شكواه (ص) حين سحر ثم عافاه الله تعالى وشفاه ورد كيد السحرة الحساد من اليهود في رءوسهم وجعل تدميرهم في تدبيرهم وفضحهم ، ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله (ص) يوما من الدهر بل كفى الله وشفى وعافى

وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن يزيد بن حبان عن زيد بن أرقم قال سحر النبي (ص) رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما قال فجاءه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقداً في بئر كذا وكذا فأرسل اليها من يجيء بها فبعث رسول الله (ص) فاستخرجها فجاء بها فحللها قال فقام رسول الله (ص) كأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات ، ورواه النسائي عن هناد عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير

فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهود ولا رأوه في وجهه قط

قال مقاتل والكلبي كان في وتر عقد عليه احدى عشرة عقدة وقيل كانت العقد مغروزة بالابرة فانزل الله هاتين السورتين وهي احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبي ﷺ كأنما نشط من عقال وروي انه لبث فيه ستة أشهر واشتد عليه ثلاث ليال فنزلت المعوذتان

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا بشر بن هلال الصواف ثنا عبد الوارث ثنا عبد العزيز

وقال البخاري في كتاب الطب من صحيحه حدثنا عبدالله بن محمد قال سمعت سفيان بن عيينة يقول أول من حدثنا به ابن جريج يقول حدثني آل عروة عن عروة فسألت هشاما عنه فحدثنا عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله (ص) سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا فقال « ياعائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للآخر ما بال الرجل؟ قال مطبوب، قال ومن طبه ؟ قال لبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليف اليهود كان منافقا ، قال وفيم؟ قال في مشط ومشاطة ، قال وأين ؟ قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان » قالت فأتى البئر حتى استخرجه فقال « هذه البئر التي أريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء ، وكأن نخلها رءوس الشياطين » قال فاستخرج فقلت أفلا تنشرت؟ فقال « أما الله فقد شفاني وأكره ان أثير على أحد من الناس شرا » وأسنده من حديث عيسى بن يونس وأبي ضمرة أنس بن عياض وأبي اسامة ويحيى القطان وفيه قالت حتى كان يخيل اليه انه فعل الشيء ولم يفعله ، وعنده فأمر بالبئر فدفنت

وذكر أنه رواه عن هشام أيضا ابن أبي الزناد والليث بن سعد ، وقد رواه مسلم من حديث أبي اسامة حماد بن اسامة وعبد الله بن نمير ورواه احمد عن عفان عن وهب عن هشام به

ورواه الامام احمد أيضا عن ابراهيم بن خالد عن معمر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لبث النبي ﷺ ستة أشهر يرى انه يأتي ولا يأتي فأتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال أحدهما للآخر ما باله ؟ قال مطبوب، قال ومن طبه؟ قال لبيد بن الاعصم وذكر تمام الحديث وقال الاستاذ المفسر الثعلبي في تفسيره قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما كان غلام من اليهود

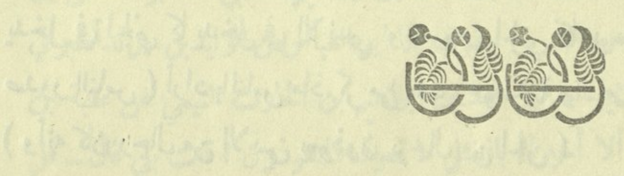
ابن صهيب عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن جبريل عليه السلام أتى النبي (ص) فقال « يا محمد اشتكيت ؟ قال « نعم » قال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك »

قوله عز وجل (قل أعوذ برب الفلق) أراد بالفلق الصبح وهو قول جابر بن عبدالله والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وأكثر المفسرين وهي رواية العوفي عن ابن عباس بدليل قوله (فالق الاصباح) وروي عن ابن عباس أنه سجن في جهنم وقال الكلبي واد في جهنم وقال الضحاك يعني الخلق وهي رواية الوالبي عن ابن عباس والاول المعروف ﴿ من شر ما خلق * ومن شر غاسق اذا وقب ﴾

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد أنا جعفر بن محمد المفلس ثنا هارون بن اسحاق الهمداني ثنا وكيع عن ابن أبي ذئب عن خالد بن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة عن عائشة قالت أخذ النبي ﷺ بيدي فنظر الى القمر فقال « ياعائشة استعيذي بالله من شر غاسق اذا وقب هذا غاسق اذا وقب » فعلى هذا المراد به القمر اذا خسف واسود (وقب) أي دخل في الخسوف أو

يخدم رسول الله ﷺ فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة من اسنان مشطه فأعطاها اليهود فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن أعصم ثم دسها في بئر لبني زريق يقال له ذروان فمرض رسول الله ﷺ وانتثر شعر رأسه ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن وجعل يذوب ولا يدري ما عراه فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه مابال الرجل؟ قال طب، قال وماطب؟ قال سحر، قال ومن سحره؟ قال لبيد بن الاعصم اليهودي، قال وأين هو؟ قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان. والجف قشر الطلع والراعوفة حجر في أسفل البئر ناتىء يقوم عليه الماتح، فانتبه رسول الله ﷺ مذعوراً وقال «ياعائشة أماشعرت ان الله أخبرني بدائي؟» ثم بعث رسول الله ﷺ عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء البئر كأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه واذا فيه وتر معقود فيه اثنا عشر عقدة مغروزة بالابر، فأنزل الله تعالى السورتين فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله ﷺ خفة حين انحلت العقدة الاخيرة فقام كأنما نشط من عقال وجعل جبريل عليه السلام يقول بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من حاسد وعين، الله يشفيك» فقالوا يارسول الله أفلا نأخذ الخبيث نقتله؟ فقال رسول الله ﷺ «أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شراً» هكذا أورده بلا إسناد وفيه غرابة وفي بعضه نكارة شديدة ولبعضه شواهد مما تقدم والله أعلم

أخذ في الغيبوبة وأظلم وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا أقبل بظلمته من المشرق ودخل في كل شيء وأظلم والغسق الظلمة يقال غسق الليل وأغسق اذا أظلم وهو قول الحسن ومجاهد يعني الليل اذا اقبل ودخل والوقوب الدخول وهو دخول الليل بغروب الشمس قال مقاتل يعني ظلمة الليل اذا دخل سواده في ضوء النهار وقيل سمي الليل غاسقا لانه أبرد من النهار والغسق البرد وقال ابن زيد يعني الثريا اذا سقطت ويقال ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها ﴿ ومن شر النفاثات في العقد﴾ يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها قال أبو عبيدة هن بنات لبيد بن الاعصم سحرن النبي (ص) ﴿ ومن شر حاسد اذا حسد ﴾ يعني اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي (ص)



بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الناس (١) ملك الناس (٢) إله الناس (٣) من شر الوسواس الخناس (٤)

الذي يوسوس في صدور الناس (٥) من الجنة والناس (٦)

هذه ثلاث صفات من صفات الرب عز وجل الربوبية والملك والالهية فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه فجميع الاشياء مخلوقة له مملوكة عبيد له فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات من شر الوسواس الخناس وهو الشيطان الموكل بالانسان فانه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزين له الفواحش ولا يألوه جهداً في الخبال والمعصوم من عصمه الله

وقد ثبت في الصحيح انه «ما منكم من أحد الا قد وكل به قرينه» قالوا وأنت يا رسول الله قال «نعم الا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»

وثبت في الصحيحين عن أنس في قصة زيارة صفية للنبي (ص) وهو معتكف وخروجه معها ليلا ليردها إلى منزلها فلقيه رجلان من الانصار فلما رأيا النبي (ص) اسرعا فقال رسول الله (ص) «على رسلكما انها صفية بنت حيي» فقالا سبحان الله يا رسول الله فقال «ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا — او قال شرا —»

﴿سورة الناس مكية وقيل مدنية وهي ست آيات﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس * من شر الوسواس الخناس﴾ يعنى الشيطان يكون مصدرا واسما قال الزجاج يعني الشيطان ذا الوسواس الخناس الرجاع وهو الشيطان جاثم على قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس واذا غفل وسوس قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمنيه ويحدثه فاذا ذكر الله خنس وإذا لم يذكر يرجع ويضع رأسه فذلك قوله ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾ بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه الى القلب من غير سماع ﴿من الجنة والناس﴾ يعني يدخل في الجني كما يدخل في الانسي ويوسوس الجني كما يوسوس الانسي قاله الكلبي وقوله (في صدور الناس) أراد بالناس ما ذكر من بعد وهو الجنة والناس فسمي الجن ناسا كما سماهم رجالا فقال (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن)

وقد ذكر عن بعض العرب انه قال وهو يحدث جاء قوم من الجن فوقعوا فقيل من أنتم قالوا

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا محمد بن بحر حدثنا عدي بن أبي عمارة حدثنا زياد النميري عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وإن نسي التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس » غريب

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف رسول الله قال عثر بالنبي ﷺ حماره فقلت تعس الشيطان فقال النبي ﷺ « لا تقل تعس الشيطان فانك اذا قلت تعس الشيطان تعاظم وقال بقوتي صرعته واذا قلت بسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب » تفرد به احمد اسناده جيد قوي وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغلب وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب

وقال الامام احمد حدثنا ابو بكر الحنفي حدثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ان أحدكم اذا كان في المسجد جاء الشيطان فابس به كما يبس الرجل بدابته فاذا سكن له زنقه أو ألجمه » قال أبو هريرة رضي الله عنه وأنتم ترون ذلك أما المزنوق فتراه مائلا كذا لا يذكر الله ، وأما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله عز وجل . تفرد به احمد ،
وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (الوسواس الخناس) قال الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا سها وغفل وسوس فاذا ذكر الله خنس ، وكذا قال مجاهد وقتادة وقال المعتمر بن سليمان عن أبيه ذكر لي أن الشيطان الوسواس ينفث في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح فاذا ذكر الله خنس
وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (الوسواس) قال هو الشيطان يأمر فاذا أطيع خنس

اناس من الجن، وهذا معنى قول الفراء. قال بعضهم ثبت أن الوسواس للانسان من الانسان كالوسوسة للشيطان من الشيطان فجعل الوسواس من فعل الجنة والناس جميعا كما قال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن) كانه أمر أن يستعيذ من شر الجن والانس جميعا

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جويرية عن بيان عن قيس بن أبي حازم عن عقبة ابن عامر قال : قال رسول الله (ص) « ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط؟ قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس »

أخبرنا ابو سعيد الشريحي أنا ابو إسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنا ابو الحسن بن عبد الرحمن بن ابراهيم العدل ثنا ابو العباس محمد بن يعقوب ثنا ابو العباس بن الوليد بن مرثد أخبرني أبي ثنا الاوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ قال « ألا أخبرك بافضل ما تعوذ به المتعوذون ؟ قلت بلى قال - قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس »

وقوله تعالى (الذي يوسوس في صدور الناس) هل يختص هذا ببني آدم كما هو الظاهر او يعم بني آدم والجن؟ فيه قولان ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس تغليبا وقال ابن جرير وقد استعمل فيهم رجال من الجن فلا بدع في اطلاق الناس عليهم

وقوله تعالى (من الجنة والناس) هل هو تفصيل لقوله (الذي يوسوس في صدور الناس) ثم بينهم فقال (من الجنة والناس) وهذا يقوي القول الثاني ، وقيل قوله (من الجنة والناس) تفسير للذي يوسوس في صدور الناس من شياطين الانس والجن كما قال تعالى [وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً]

وكما قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا المسعودي حدثنا ابو عمرو الدمشقي حدثنا عبيد بن الخشخاش عن أبي ذر قال أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال « يا أبا ذر هل صليت؟ قلت لا قال ـ قم فصل ـ قال فقمت فصليت ثم جلست فقال ـ يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الانس والجن ـ قال فقلت يارسول الله وللانس شياطين ؟ قال ـ نعم ـ قال فقلت يارسول الله الصلاة ؟ قال ـ خير موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر ـ قلت يارسول الله فالصوم؟ قال ـ فرض مجزيء وعند الله مزيد ـ قلت يارسول الله فالصدقة ؟ قال ـ أضعاف مضاعفة ـ قلت يارسول الله أيها أفضل ؟ قال ـ جهد من مقل أو سر إلى فقير ـ قلت يارسول الله أي الانبياء كان أول ؟ قال ـ آدم ـ قلت يارسول الله ونبيا كان؟ قال ـ نعم نبي مكلم ـ قلت يارسول الله كم المرسلون؟ قال ـ ثلثمائة وبضعة عشر جما غفيراً ـ وقال مرة ـ خمسة

أخبرنا أبو محمد عبدالله بن عبدالصمد الجرجاني أنا ابوالقاسم علي بن احمد الخزاعي أنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي أنا ابو عيسى الترمذي ثنا قتيبة ثنا الفضل بن فضالة عن عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات .

أخبرنا ابو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا ابو إسحاق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عليه بيده رجاء بركتها

أخبرنا الامام ابوعلي الحسين بن محمد القاضي وابو حامد احمد بن عبدالله الصالحي قالا ثنا ابو بكر احمد بن الحسن الحيري انا محمد بن احمد بن معقل الميداني أنا محمد بن يحيى ثنا عبدالرزاق انا معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار »

(عشر قلت يارسول الله أيما أنزل عليك أعظم ، قال آية الكرسي (الله لا إله الا هو الحي القيوم) ورواه النسائي من حديث أبي عمر الدمشقي به وقد أخرج هذا الحديث مطولا جداً أبو حاتم بن حبان في صحيحه بطريق آخر ولفظ آخر مطول جداً فالله أعلم

وقال الامام احمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن ذر بن عبد الله الهمداني عن عبد الله ابن شداد عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يارسول الله إني لأحدث نفسي بالشيء لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أتكلم به قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم « الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة » ورواه أبو داود والنسائي من حديث منصور زاد النسائي والاعمش كلاهما عن ذر به

﴿ آخر التفسير ولله الحمد والمنة والحمد لله رب العالمين ﴾

(و يتلوه فضائل القرآن للمؤلف أيضاً وبه يتم الكتاب ان شاء الله ولله الحمد والمنة على التمام ، انه ولي الانعام)

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا ابراهيم بن حمزة حدثني ابن أبي حازم عن يزيد يعني ابن الهاد عن محمد بن ابراهيم عن أبي سلمة ابن عبدالرحمن عن ابي هريرة انه سمع النبي ﷺ يقول « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به » و (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله * ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين

—*﴿ تم طبع التفسير بن بحمد الله وفضله ﴾*—

﴿ ويليهما كتاب فضائل القرآن المتمم لتفسير ابن كثير بعون الله وتوفيقه ﴾





وهو ذيل

تفسير الحافظ ابن كثير

وضعه في آخر التفسير وجعله متمماً له

وجدناه في آخر النسخة المكية الوحيدة المقابلة على نسخة المؤلف

ولكنه غير موجود في النسخة المطبوعة بمطبعة بولاق



من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

أشرف على تصحيحه وعلق عليه بعض الفوائد

السيد محمد رشيد رضا

منشئ مجلة المنار

مطبعة المنار بمصر

١٣٤٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب فضائل القرآن

قال البخاري رحمه الله [١] (كيف ينزل الوحي ؟ وأول ما نزل) قال ابن عباس : المهيمن الامين ، القرآن أمين على كل كتاب قبله . حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن يحيي ، عن أبي سلمة ، قال أخبرتني عائشة ، وابن عباس ، قالا لبث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشراً . اه

ذكر البخاري رحمه الله كتاب فضائل القرآن بعد كتاب التفسير لأن التفسير أهم فلهذا بدأ به ، فجرينا على منواله وسنته مقتدين به . وقول ابن عباس في تفسير المهيمن انما يريد به البخاري قوله تعالى في المائدة بعد ذكر التوراة والانجيل (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) قال الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله: ثنا المثنى ثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية عن علي - يعني ابن أبي طلحة - عن ابن عباس قوله (ومهيمنا عليه) قال المهيمن الأمين قال القرآن أمين على كل كتاب قبله ، وفي رواية شهيداً عليه. وقال سفيان الثوري وغير واحد من الائمة عن أبي اسحاق السبيعي عن التميمي عن ابن عباس (مهيمنا عليه) قال مؤتمنا، وبنحو ذلك قال مجاهد والسدي وقتادة وابن جريج والحسن البصري وغير واحد من أئمة السلف . وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب ، يقال اذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده قد هيمن فلان عليه فهو مهيمن هيمنة وهو عليه مهيمن. وفي أسماء الله تعالى (المهيمن) وهو الشهيد على كل شيء الرقيب الحفيظ بكل شيء [٢]

وأما الحديث الذى أسنده البخارى أنه عليه السلام أقام بمكة عشر سنين ينزل عليه

---

(١) أي في كتاب فضائل القرآن في أول باب منه ولم يذكر المؤلف لفظ باب

(٢) هذا تفسير اللفظ ، والمعنى أن شهادة القرآن لكتب الانبياء أوعليها هي الحق ومن شهادته أن أهل الكتاب حرفوا ونسوا حظاً مما ذكروا به وانهم أوتوا نصيباً منه، وجملة ذلك أنهم لم يحفظوا جميع كتبهم وأنهم حرفوا بعض ماحفظوه وكل هذا حق تؤيده الشواهد منها

القرآن وبالمدينة عشراً فهو مما انفرد به البخارى دون مسلم وإنما رواه النسائى من حديث شيبان وهو ابن عبد الرحمن عن يحيي وهو ابن كثير عن أبي سلمة عنهما . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام ثنا يزيد عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة ثم قرأ (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) هذا اسناد صحيح .

أما اقامته بالمدينة عشراً فهذا مما لا خلاف فيه . وأما اقامته بمكة بعد النبوة فالمشهور ثلاث عشرة سنة لانه عليه السلام أوحي اليه وهو ابن أربعين سنة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح . ويحتمل أنه حذف مازاد على العشر اختصاراً في الكلام لان العرب كثيراً مايحذفون الكسور في كلامهم أوانهما انما اعتبرا قرن جبريل عليه السلام ، فانه قد روى الامام أحمد أنه قرن به عليه السلام ميكائيل في ابتداء الامر يلقي اليه الكلمة والشيء ثم قرن به جبريل . ووجه مناسبة هذا الحديث بفضائل القرآن أنه ابتدي‌ء بنزوله في مكان شريف وهو البلد الحرام ، كما أنه في زمن شريف ، وهو شهر رمضان ، فاجتمع له شرف الزمان والمكان .

ولهذا يستحب اكثار تلاوة القرآن في شهر رمضان ، لانه ابتدىء بنزوله . ولهذا كان جبريل يعارض به رسول الله في كل سنة في شهر رمضان فلما كانت السنة التى توفي فيها عارضه مرتين تأكيداً وتثبيتا . وأيضا ففي الحديث بيان أنه [1] من القرآن مكي ، ومنه مدني . فالمكي مانزل قبل الهجرة ، والمدني مانزل بعد الهجرة سواء كان بالمدينة أو بغيرها من أي البلاد كان حتى ولو كان بمكة أو عرفة

وقد أجمعوا على سور أنها من المكي ، وأخر أنها من المدني ، واختلفوا في أخر . وأراد بعضهم ضبط ذلك بضوابط فى تقييدها عسر ونظر . ولكن قال بعضهم كل سورة في أولها شيء من الحروف المقطعة فهي مكية ، إلا البقرة وآل عمران كما أن كل سورة فيها (يا أيها الذين آمنوا) فهي مدنية . وما فيه (يا أيها الناس) فيحتمل أن يكون من هذا ومن هذا ، والغالب أنه مكي . وقد يكون مدنيا كما في البقرة (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى

(١) كذا في الاصل والمراد أن الشأن والا لقال: ان من القرآن مكياً الخ أو: أن القرآن منه مكي الخ

خالقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون - يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)

قال أبو عبيد ثنا أبو معاوية ثنا من سمع الأعمش يحدث عن إبراهيم عن علقمة : كل شيء في القرآن (ياأيها الذين آمنوا) فانه أنزل بالمدينة ، وما كان منها (ياأيها الناس) فانه أنزل بمكة. ثم قال ثنا علي بن معبد عن أبي المليح عن ميمون بن مهران ، قال ماكان في القرآن (ياأيها الناس - و - يابني آدم) فانه مكي ، وما كان (ياأيها الذين آمنوا) فانه مدني .

ومنهم من يقول : إن بعض السور نزل مرتين مرة بالمدينة ومرة بمكة والله أعلم .
ومنهم من يستثني من المكي آيات ، يدعى أنها من المدني ، كما في سورة الحج وغيرها
والحق في ذلك مادل عليه الدليل الصحيح فالله أعلم

وقال ابو عبيد حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة قال : نزلت بالمدينة سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والانفال ، والتوبة ، والحج ، والنور ، والاحزاب ، والذين كفروا ، والفتح ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والحواريون ، والتغابن ، و (ياأيها النبي إذا طلقتم النساء) ، و(يا أيها النبي لم تحرم) والفجر ، (والليل إذا يغشى) ، و (إنا أنزلناه في ليلة القدر) ، ولم يكن ، و (إذا زلزلت) و (إذا جاء نصر الله) . وسائر ذلك بمكة هذا إسناد صحيح عن ابن أبي طلحة مشهور ، وهو أحد أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير

وقد ذكر في المدني سوراً في كونها مدنية نظر ، وما به الحجرات والمعوذات

﴿ الحديث الثاني ﴾ (١)

وقال البخاري ثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا معتمر ، قال سمعت أبي ، عن أبي عثمان ، قال أنبئت أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يتحدث ، فقال النبي ﷺ «من هذا؟» (٢) أو كما قال ، قالت هذا دحية ، فلما قام قالت (٣) والله ماحسبته

---

(١) الحديث الاول هو الذي بدأ به الكتاب ولم يضع له عنوانا (٢) عبارة البخاري : فقال لام سلمة الخ ولم يذكر القائل (ص) والمراد أنه (ص) سألها ليعلم هل تكونه جبريل أو لكونه ملك تمثل بصورة دحية بن خليفة الكلبي (رض) (٣) أي فلما قام النبي (ص) من عندها أي وذهب الى المسجد كما قالوا

إلا اياه حتى سمعت خطبة النبي ﷺ بخبر جبريل ـ أو كما قال ـ قال أبي [1] فقلت لابي عثمان: ممن سمعت هذا؟ قال من أسامة بن زيد رضي الله عنه .

وهكذا رواه أيضاً في علامات النبوة عن عباس بن الوليد النرسي، ومسلم في فضائل أم سلمة عن عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن عبد الاعلى كلهم عن معتمر بن سليمان به .

والغرض من إيراده هذا الحديث ههنا أن السفير بين الله وبين محمد ﷺ جبريل عليه السلام، وهو ملك كريم، ذو وجاهة وجلالة ومكانة، كما قال تعالى (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) وقال تعالى (إنه لقول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين، وما صاحبكم بمجنون) الآيات

فمدح الرب تبارك وتعالى عبديه ورسوليه جبريل ومحمداً صلى الله وسلم عليهما، وسنستقصي الكلام على تفسير هذا المكان في موضعه إذا وصلنا اليه إن شاء الله تعالى وبه الثقة

وفي الحديث فضيلة عظيمة لأم سلمة رضي الله عنها كما بينه مسلم رحمه الله لرؤيتها هذا الملك العظيم وفضيلة أيضا لدحية بن خليفة الكلبي، وذلك أن جبريل عليه السلام كان كثيراً ما يأتي إلى رسول الله ﷺ على صورة دحية، وكان جميل الصورة رضي الله عنه وكان من قبيلة أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي كلهم ينسبون إلى كلب بن وبرة، وهم قبيلة من قضاعة وقضاعة قيل انهم من عدنان وقيل من قحطان وقيل بطن مستقل بنفسه والله أعلم

﴿ الحديث الثالث ﴾

حدثنا عبد الله بن يوسف، ثنا الليث، ثنا سعيد المقبري عن أبيه، عن أبي هريرة، قال قال النبي ﷺ « ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله الي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة »

ورواه أيضا في الاعتصام عن عبد العزيز بن عبد الله، ومسلم والنسائي عن قتيبة جميعا عن الليث بن سعد عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه واسمه كيسان المقبري به

وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أعطيها نبي من الانبياء وعلى كل كتاب أنزله، وذلك أن معنى الحديث: ما من نبي الا أعطي ـ أي من

(١) القائل هو معتمر

المعجزات - ما آمن عليه البشر، أي ما كان دليلا على تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من اتبعه من البشر، ثم لما مات الانبياء لم تبق لهم معجزة بعدهم الا ما يحكيه أتباعهم عما شاهدوه في زمانه

وأما الرسول الخاتم للرسالة محمد ﷺ فانما كان معظم ما آتاه الله وحيا منه اليه منقولا الى الناس بالتواتر، ففي كل حين هو كما أنزل. فلهذا قال « فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا » وكذلك وقع. فان اتباعه أكثر من أتباع الانبياء لعموم رسالته. ودوامها الى قيام الساعة واستمرار معجزته. ولهذا قال الله تعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) وقال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)

ثم تقاصر معهم الى عشر سور منه فقال (أم يقولون افتراه قل فائتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) ثم تحداهم الى أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فقال (أم يقولون افتراه قل فائتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) وقصر التحدي على هذا المقام في السور المكية. كما ذكرنا فى المدنية أيضا كما في سورة البقرة حيث يقول تعالى (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فائتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين * فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) وأخبر أنهم عاجزون عن معارضته بمثله وأنهم لا يفعلون ذلك في المستقبل أيضا

هذا وهم أفصح الخلق وأعلمهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضروبه لكن جاءهم من الله مالا قبل لأحد من البشر به من الكلام الفصيح البليغ الوجيز المحتوي على العلوم الكثيرة الصحيحة النافعة، والاخبار الصادقة، عن الغيوب الماضية والآتية، والأحكام العادلة المحكمة، كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا)

وقال الامام أحمد بن حنبل : ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا أبي ثنا محمد بن اسحاق قال ذكر محمد بن كعب القرظي عن الحارث بن عبد الله الأعور قال قلت : لآتين أمير المؤمنين فلأسألنه عما سمعت العشية، قال فجئته بعد العشاء فدخلت عليه فذكر الحديث، قال ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « أتاني جبريل فقال يا محمد أمتك مختلفة بعدك

قال « فقلت له فأين المخرج ياجبريل ؟ » قال فقال في كتاب الله ، به يقصم الله كل جبار ، من اعتصم به نجا ومن تركه هلك — مرتين — قول فصل ، وليس بالهزل ، لاتخلقه الألسن ، ولا تفنى عجائبه ، فيه نبأ ما كان قبلكم ، وفصل مابينكم ، وخبر ماهو كائن بعدكم » هكذا رواه الإمام أحمد

وقد قال أبو عيسى الترمذي : ثنا عبد بن حميد ، ثنا حسين بن علي الجعفي . ثنا حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الاعور ، عن الحارث الاعور قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخلت على علي فقلت يا أمير المؤمنين ألاترى الناس قد خاضوا في الاحاديث؟ قال أوقد فعلوها ؟ قلت نعم، قال أما إني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنها ستكون فتنة - فقلت فما المخرج منها يارسول الله ؟ قال - كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم، وخبر مابعدكم، وحكم مابينكم، هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الالسنة، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه . هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به) من قال به صدق ، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعي اليه هدي إلى صراط مستقيم » خذهاالیك ياأعور.
ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال (قلت) لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات بل قد رواه محمد بن اسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث الاعور فبرئ حمزة من عهدته. على انه وإن كان ضعيف الحديث فانه امام في القراءة. والحديث مشهور من رواية الحارث الاعور وقد تكلموا فيه بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده أما انه تعمد الكذب في الحديث فلا والله أعلم

وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقد وهم بعضهم في رفعه وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ

قال الامام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه فضائل القرآن ثنا أبو اليقظان

ثنا عمار بن محمد الثوري أو غيره عن أبي إسحاق الهجرى عن أبي الاحوص عن عبد الله ابن مسعود عن النبي ﷺ قال «ان هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، ان هذا القرآن حبل الله، وهو النور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، فاتلوه فان الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما اني لا أقول الم حرف، ولكن ألف عشر ولام عشر وميم عشر»

وهذا غريب من هذا الوجه ورواه محمد بن فضيل عن أبي اسحاق الهجري، واسمه ابراهيم بن مسلم وهو أحد التابعين ولكن تكلموا فيه كثيراً، وقال أبو حاتم الرازي: لين ليس بالقوي وقال أبو الفتح الازدي: رفاع كثير الوهم. (قلت) فيحتمل والله أعلم أن يكون وهم في رفع هذا الحديث وانما هو من كلام ابن مسعود ولكن له شاهد من وجه آخر والله أعلم

وقال أبو عبيد أيضا ثنا حجاج عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال لا يسأل عبد عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فانه يحب الله ورسوله

﴿ الحديث الرابع ﴾

قال البخاري: ثنا عمرو بن محمد ثنا يعقوب بن ابراهم ثنا أبي عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال أخبرني أنس بن مالك أن الله تابع الوحي على رسوله ﷺ قبل وفاته حتى توفاه اكثر ما كان الوحي ثم توفي رسول الله ﷺ بعد.

وهكذا رواه مسلم عن عمرو بن محمد هذا - وهو الناقد - وحسن الحلواني وعبد بن حميد والنسائي عن اسحاق بن منصور الكوسج اربعتهم عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد الزهري به

ومعناه أن الله تعالى تابع نزول الوحي على رسوله ﷺ شيئا بعد شيء كل وقت بما يحتاج اليه ولم تقع فترة بعد الفترة الاولى التى كانت بعد نزول الملك أول مرة بقوله تعالى (اقرأ باسم ربك) فانه استلبث الوحي بعدها حينا يقال قريبا من سنتين او اكثر ثم حمي الوحي وتتابع وكان اول شيء نزل بعد تلك الفترة (ياأيها المدثر * قم فأنذر)

﴿ الحديث الخامس ﴾

حدثنا ابو نعيم ثنا سفيان عن الاسود بن قيس قال سمعت جندبا يقول : اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة او ليلتين فأتته امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا تركك ، فأنزل الله تعالى (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى)

وقد رواه البخاري في غير موضع أيضا ومسلم والترمذي والنسائي من طرق أخر عن سفيان وهو الثوري وشعبة بن الحجاج كلاهما عن الاسود بن قيس العبدي عن جندب بن عبد الله البجلي به. وقد تقدم الكلام على هذا الحديث في تفسير سورة الضحى

والمناسبة في ذكر هذا الحديث والذي قبله في فضائل القرآن أن الله تعالى له برسوله عناية عظيمة ومحبة شديدة حيث جعل الوحي متتابعا عليه ولم يقطعه عنه ولهذا إنما أنزل عليه القرآن مفرقا ليكون ذلك أبلغ في العناية والاكرام

قال البخاري رحمه الله (١) : نزل القرآن بلسان قريش والعرب، قرآنا عربيا بلسان عربي مبين ، حدثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهري اخبرني انس بن مالك قال : فأمر عثمان ابن عفان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن الحارث بن هشام ان ينسخوها في المصاحف وقال لهم : إذا اختلفتم انتم وزيد في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش فان القرآن نزل بلسانهم ، ففعلوا

هذا الحديث قطعة من حديث سيأتي قريبا الكلام عليه ، ومقصود البخارى منه ظاهر وهو ان القرآن نزل بلغة قريش وقريش خلاصة العرب ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا عبد الله بن محمد بن خلاد ثنا يزيد بن شيبان بن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال سمعت عمر بن الخطاب يقول : لايملين في مصاحفنا هذه إلا غلمان قريش أو غلمان ثقيف . وهذا اسناد صحيح

وقال أيضا حدثنا اسماعيل بن أسد ثنا هوذة ثنا عوف عن عبد الله بن فضالة قال لما

---

(١) في البخاري هنا كلمة (باب) والمؤلف لايذكر الابواب فيما ينقله هنا عن البخاري كما تقدم مثله .

أراد عمر أن يكتب الامام أقعد له نفراً من أصحابه وقال إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر فان القرآن نزل بلغة رجل من مضر ﷺ وقد قال الله تعالى (قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون) وقال تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) وقال تعالى (وهذا لسان عربي مبين) وقال تعالى (ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته * أأعجمي وعربي) الآية إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك

ثم ذكر البخارى رحمه الله حديث يعلى بن أمية أنه كان يقول : ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحي فذكر الحديث في الذي سأل عمن أحرم بعمرة وهو متضمخ بطيب وعليه جبة قال فنظر رسول الله ساعة ثم فجأه الوحي فأشار عمر الى يعلي أي تعال فجاء يعلى فأدخل رأسه فاذا هو محمر الوجه يغط كذلك ساعة ثم سرّي عنه فقال «أين الذي سألني عن العمرة آنفا ؟ » فذكر أمره بنزع الجبة وغسل الطيب

وهذا الحديث رواه جماعة من طرق عديدة والكلام عليه في كتاب الحج ولا تظهر مناسبة ما بينه وبين هذه الترجمة ولا يكاد ولو ذكر في الترجمة التي قبلها لكان أظهر وأبين والله اعلم



جمع القرآن

قال البخارى حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا ابراهيم بن سعد ثنا ابن شهاب عن عبيد ابن السباق ان زيد بن ثابت قال ارسل اليّ أبو بكر مقتلَ اهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر: إن عمر بن الخطاب اتاني فقال إن القتل قد استحرّ [١] بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى ان تامر بجمع القرآن ، فقلت لعمر كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت في ذلك الذى رأى عمر ، قال زيد : قال ابو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه ، والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان علي اثقل مما أمرني به من جمع القرآن : قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال هو والله خير . فلم يزل ابو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف [٢] وصدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الانصاري لم أجدها مع غيره [٣] (لقد جاءكم رسول من انفسكم) حتى خاتمة براءة .

فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنهم .

وقد روى البخاري هذا في غير موضع من كتابه . ورواه الامام احمد والترمذي والنسائي من طرق عن الزهري به

وهذا من أحسن واجل وأعظم مافعله الصديق رضي الله عنه فانه اقامه الله تعالى بعد النبي صلى الله عليه وسلم مقاما لا ينبغي لأحد من بعده : قاتل الاعداء من مانعي الزكاة

---

(١) استحر اشتد (٢) اللخاف بكسر اللام جمع لخفة وهي صفائح الحجارة الرقاق . وتجمع على لخف بضمتين كما في رواية أخرى (٣) يعني انه لم يجدها مكتوبة عند غيره ممن كانوا يكتبون الوحي لانه لم يكن يحفظها غيره بل كان يحفظها الكثيرون ويتلونها في الصلاة وغيرها

والمرتدين والفرس والروم ، ونفذ الجيوش ، وبعث البعوث والسرايا ، ورد الامر الى نصابه ، بعد الخوف من تفرقه وذهابه ، وجمع القرآن العظيم من اماكنه المتفرقة حتى تمكن القاريء من حفظه كله . وكان هذا من سر قوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)

فجمع الصديق الخير وكف الشرور ، رضي الله عنه وارضاه ، ولهذا روي عن غير واحد من الائمة منهم وكيع وابن زيد وقبيصة عن سفيان الثورى عن اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير عن عبد خير عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين . هذا اسناد صحيح

وقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف : حدثنا هارون بن اسحاق ثنا عبدة عن هشام عن أبيه أن أبا بكر رضى الله عنه هو الذي جمع القرآن بعد النبي ﷺ يقول : ختمه صحيح ايضا وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذي تنبه لذلك لما استحر القتل بالقراء ، أي اشتد القتل وكثر في قراء القرآن يوم اليمامة . يعني يوم قتال مسيلمة الكذاب وأصحابه بني حنيفة ، بأرض اليمامة في حديقة الموت

وذلك أن مسيلمة التف معه من المرتدين قريب من مائة الف ، فجهز الصديق لقتاله خالد بن الوليد في قريب من ثلاثة عشر الفا ، فالتقوا معهم ، فانكشف الجيش الاسلامي لكثرة من فيه من الاعراب . فنادى القراء من كبار الصحابة يا خالد خلصنا . يقولون ميزنا من هؤلاء الاعراب . فتميزوا منهم وانفردوا فكانوا قريبا من ثلاثة آلاف . ثم صدقوا الحملة وقاتلوا قتالا شديداً ، وجعلوا يتنادون : يا أصحاب سورة البقرة ، فلم يزل ذلك دأبهم ، حتى فتح الله عليهم وولى جيش الكفر فاراً ، وأتبعتهم السيوف المسلمة في أقفيتهم قتلا وأسراً ، وقتل الله مسيلمة وفرق شمل أصحابه ثم رجعوا الى الاسلام

ولكن قتل من القراء يومئذ قريب من خمسمائة رضى الله عنهم . فلهذا أشار عمر على الصديق ، بأن يجمع القرآن لئلا يذهب منه بسبب موت من يكون يحفظه من الصحابة بعد ذلك في مواطن القتال . فاذا كتب وحفظ صار ذلك محفوظا ، فلا فرق بين حياة من بلغه أو موته . فراجعه الصديق قليلا ليستثبت الامر ، ثم وافقه ، وكذلك راجعهما زيد

ابن ثابت في ذلك. ثم صار الى ما رأياه رضى الله عنهم أجمعين. وهذا المقام من أعظم فضائل زيد بن ثابت الانصاري . ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود : ثنا عبد الله بن محمد بن خلاد ، ثنا يزيد بن مبارك ، عن فضالة عن الحسن ، أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله ، فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة ، فقال إنا لله ، ثم أمر بالقرآن فجمع فكان أول من جمعه في المصحف . وهذا منقطع فان الحسن لم يدرك عمر . ومعناه أنه أشار بجمعه فجمع . ولهذا كان مهيمنا على حفظه وجمعه ، كما رواه ابن أبي داود حيث قال : ثنا أبو الطاهر ، ثنا ابن وهب ، ثنا عمرو بن طلحة الليثي ، عن محمد بن عمرو ، عن علقمة ، عن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب ، أن عمر لما جمع القرآن ، كان لا يقبل من أحد شيئا ، حتى يشهد شاهدان ، وذلك عن أمر الصديق له في ذلك كما قال أبو بكر ابن أبي داود . ثنا أبو الطاهر ، أنا ابن وهب ، أخبرني ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال لما استحر القتل بالقراء يومئذ فرق أبو بكر رضى الله عنه أن يضيع(١) فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت : فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه(٢) منقطع حسن

ولهذا قال زيد بن ثابت ووجدت آخر سورة التوبة يعني قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) الى آخر الآيتين مع أبي خزيمة الانصاري . وفي رواية مع خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين لم اجدها مع غيره(٣) فكتبوها عنه لانه جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين في قصة الفرس الذي ابتاعها رسول الله ﷺ من الاعرابي . فأنكر الاعرابي البيع ، فشهد خزيمة هذا بتصديق رسول الله ﷺ فأمضى شهادته وقبض الفرس من الاعرابي . والحديث رواه أهل السنن وهو مشهور

وروى أبو جعفر الرازي عن الربيع ، عن أبي العالية أن أبي بن كعب أملاها عليهم مع خزيمة بن ثابت . وقد روى ابن وهب عن عمرو بن طلحة الليثي ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، أن عثمان شهد بذلك أيضا

---

(١) فرق كتعب خاف اي خاف ان يضيع منه شيء - كما في الروايات الاخرى - إذا مات جميع حفاظه قبل ان يكتب (٢) لعل المراد الشهادة على المكتوب وقد كان زيد ممن حفظ القرآن كله على عهد رسول الله (ص) وكذلك عمر كان يحفظه (٣) اي لم يجدها مكتوبة مع غيره على ما كان من بحث زيد عمن كتبها وتقدم في حاشية قبل هذه انها كانت محفوظة وان زيدا كان يسأل عن شيء يحفظه ويعرفه

وأما قول زيد بن ثابت : فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال. وفي رواية من العسب والرقاع والاضلاع . وفي رواية من الاكتاف والاقتاب وصدور الرجال . أما العسب فجمع عسيب ، قال أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري : وهو من السعف فويق الكرب ، لم ينبت عليه الخوص ، وما نبت عليه الخوص فهو السعف . واللخاف جمع لخفة وهي القطعة من الحجارة مستدقة ، كانوا يكتبون عليها وعلى العسب وغير ذلك مما يمكنهم الكتابة عليه بما يناسب ما يسمعونه من القرآن من رسول الله ﷺ ومنهم من لم يكن يحسن الكتابة أو يثق بحفظه فكان يحفظه ، فتلقاه زيد ، هذا من عسبه ، وهذا من لخافه ، ومن صدر هذا ، أي من حفظه . وكانوا أحرص شيء على أداء الامانات . وهذا من أعظم الامانة ، لان الرسول ﷺ أودعهم ذلك ليبلغوه إلى من بعده ، كما قال الله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) ففعل صلوات الله وسلامه عليه

ولهذا سألهم في حجة الوداع يوم عرفة على رءوس الاشهاد ، والصحابة أوفر ما كانوا مجتمعين فقال « انكم مسؤلون عني فما أنتم قائلون ؟ » قالوا نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت. فجعل يشير بأصبعه الى السماء عليهم ويقول « اللهم اشهد. اللهم اشهد. اللهم اشهد » رواه مسلم عن جابر

وقد أمر أمته أن يبلغ الشاهد الغائب وقال « بلغوا عني ولو آية » يعني ولو لم يكن مع أحدكم سوى آية واحدة فليؤدها الى من وراءه فبلغوا عنه ما أمرهم به ، فأدوا القرآن قرآناً والسنة سنة ، لم يلبسوا هذا بهذا

ولهذا قال عليه السلام « من كتب عني سوى القرآن فليمحه » أي لئلا يختلط بالقرآن ، وليس معناه أن لا يحفظوا السنة ويرووها والله أعلم . فلهذا نعلم بالضرورة أنه لم يبق من القرآن مما أداه الرسول ﷺ اليهم الا وقد بلغوه الينا ، ولله الحمد والمنة

فكان الذي فعله الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من أكبر المصالح الدينية وأعظمها من حفظهما كتاب الله في الصحف لئلا يذهب منه شيء بموت من تلقاه عن رسول الله ﷺ ثم كانت تلك الصحف عند الصديق أيام حياته ، ثم أخذها عمر بعده ،

فكانت عنده محروسة معظمة مكرمة . فلما مات كانت عند حفصة أم المؤمنين، لانها كانت وصيته من أولاده على أوقافه وتركته . وكانت عند أم المؤمنين حتى أخذها أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه كما سنذكره إن شاء الله .

كتابة عثمان رضى الله عنه للمصاحف (١)

قال البخاري رحمه الله : ثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا ابراهيم ، ثنا ابن شهاب ، أن أنس بن مالك حدثه ، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان رضى الله عنهما ، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق. فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان ياأمير المؤمنين أدرك هذه الامة ، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان الى حفصة: أن أرسلي الينا بالصحف فننسخها ثم نردها اليك ، فأرسلت بها حفصة الى عثمان . فأمر زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة ، اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن (٢) فاكتبوه بلسان قريش فانما أنزل بلسانهم ففعلوا ، حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا . وأمر بما سواه من القرآن ، في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق(٣)

قال ابن شهاب الزهري فأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت ، سمع زيد بن ثابت فقال ، فقدت آية من الاحزاب حين نسخنا المصحف ، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا

---

(١) هذا العنوان من وضع المطبعة لامن وضع المؤلف

(٢) أي اذا اختلفتم في رسم كتابته فاكتبوه بالرسم الذي يوافق لغة قريش ولهجتها من نحو همز وغيره فانه نزل بها لانها لغة الرسول (ص) وافصح لغات العرب وانما اقرأ جبريل النبي (ص) بغيرها من لغات العرب ولهجاتهم رخصة ليسهل عليهم ترتيله بغير تكلف يشغل عن تدبره (٣) حكمة ذلك ان مصحف حفصة هو الذي نسخت عنه المصاحف الرسمية التي تحروا في جمعها ونسخها فيخشى من اباحة وجود غيرها ان يكون في بعضها غلط او ان تكون سببا للكذب والاختلاف

الله عليه) فألحقناها في سورتها بالمصحف . وهذا أيضا من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه

فان الشيخين سبقاه الى حفظ القرآن أن يذهب منه شيء. وهو جمع الناس على قراءة واحدة لئلا يختلفوا في القرآن ، ووافقه على ذلك جميع الصحابة . وانما روي عن عبد الله ابن مسعود شيء من التغضب بسبب انه لم يكن ممن كتب المصاحف ، وأمر أصحابه بغل مصاحفهم لما أمر عثمان بحرق ما عدا المصحف الامام . ثم رجع ابن مسعود الى الوفاق . حتى قال علي بن أبي طالب : لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا . فاتفق الائمة الاربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي على أن ذلك من مصالح الدين . وهم الخلفاء الذين قال رسول الله ﷺ « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي » وكان السبب في هذا حذيفة ابن اليمان رضى الله عنه . فانه لما كان غازيا في فتح أرمينية وأذربيجان وكان قد اجتمع هناك أهل الشام والعراق ، وجعل حذيفة يسمع منهم قراءات على حروف شتى ، ورأى منهم اختلافا وافتراقا ، فلما رجع الى عثمان أعلمه ، وقال لعثمان أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى

وذلك ان اليهود والنصارى مختلفون فيما بأيديهم من الكتب . فاليهود بأيديهم نسخة من التوراة والسامرة يخالفونهم في الفاظ كثيرة ومعاني أيضا ، وليس في توراة السامرة حروف الهمزة ، ولا حرف الهاء ولا الياء ، والنصارى أيضا بأيديهم توراة يسمونها العتيقة وهي مخالفة لنسختي اليهود والسامرة .

واما الاناجيل التي بأيدي النصارى فأربعة : انجيل مرقس ، وانجيل لوقا ، وانجيل متى ، وانجيل يوحنا ، وهي مختلفة أيضا اختلافا كثيرا . وهذه الاناجيل الاربعة كل منها لطيف الحجم . منها ما هو قريب من أربع عشرة ورقة بخط متوسط . ومنها ما هو اكثر من ذلك ، إما بالنصف أو الضعف . ومضمونها سيرة عيسى عليه السلام ، وأيامه ، وأحكامه ، وكلامه ، ومعه شيء قليل مما يدعون أنه كلام الله ، وهي مع هذا مختلفة كما قلنا . وكذلك التوراة مع ما فيها من التحريف والتبديل ، ثم هما منسوخان بعد ذلك بهذه الشريعة المحمدية المطهرة

فلما قال حذيفة لعثمان ذلك أفزعه ، وأرسل الى حفصة أم المؤمنين أن ترسل اليه

بالصحف التي عندها مما جمعه الشيخان ليكتب ذلك في مصحف واحد، وينفذه الى الآفاق ويجمع الناس على القراءة به وترك ماسواه، ففعلت حفصة. وأمر عثمان هؤلاء الاربعة، وهم زيد بن ثابت الانصاري، أحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ وعبد الله بن الزبير ابن العوام القرشي الاسدي، أحد فقهاء الصحابة ونجبائهم علما وعملا، وأصلا وفضلا. وسعيد بن العاص بن أمية القرشي الاموي وكان كريما جوادا ممدحا، وكان أشبه الناس لهجة برسول الله ﷺ وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي

فجلس هؤلاء النفر الاربعة يكتبون بالقرآن نسخا. واذا اختلفوا في موضع الكتابة على أي لغة رجعوا الى عثمان، كما اختلفوا في التابوت، أيكتبونه بالتاء أو الهاء؟ فقال زيد ابن ثابت إنما هو التابوه، وقال الثلاثة القرشيون انما هو التابوت، فتراجعوا الى عثمان فقال اكتبوه بلغة قريش فان القرآن نزل بلغتهم. وكأن عثمان رضى الله عنه والله أعلم رتب السور في المصحف، وقدم السبع الطول وثنى بالمئين (١)

ولهذا روى ابن جرير وأبو داود والترمذي والنسائي، من حديث غير واحد من الائمة الكبار، عن عوف الاعرابي، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس قال: قلت لعثمان ابن عفان ما حملكم على أن عمدتم الى الانفال، وهي من المثاني، والى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطول، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول «ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»

وكانت الانفال من أول ما نزلت بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وحسبت انها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يتبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فوضعتها في السبع الطول.

ففهم من هذا الحديث أن ترتيب الآيات في السور أمر توقيفي متلقى عن النبي ﷺ

---

(١) انما كان الترتيب توقيفياً على العرضة الاخيرة كما في الصحاح

وأما ترتيب السور فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه (١) ولهذا ليس لأحد أن يقرأ القرآن الا مرتباً آياته . فان نكسه أخطأ خطأ كثيراً . وأما ترتيب السور فمستحب اقتداء بعثمان رضى الله عنه . والاولى اذا قرأ أن يقرأ متواليا ، كما قرأ عليه السلام في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين ، وتارة بسبح وهل أتاك حديث الغاشية . فان فرق جاز ، كما صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في العيد بقاف واقتربت الساعة ، رواه مسلم عن أبي قتادة

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة (الم) السجدة وهل أتى على الانسان . وان قدم بعض السور على بعض جاز أيضاء

---

(١) هذا خطأ لا يصح في جميع السور بل هو باطل واعتمده بعضهم فى هاتين السورتين عملا بهذه الرواية وهو مردود أيضا وقد انتقدته في تفسير المنار بقولي بعد نقله عن الالوسي مانصه :

وأقول إن جواب عثمان لابن عباس (رضي الله عنهم) هو كما رواه أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وابن حبان والحاكم : كان رسول الله ﷺ ينزل عليه السور ذوات العدد فكان اذا نزل عليه الشيء دعا من كان يكتب يقول « ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا » وكانت الانفال من أوائل مانزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله (ص) ولم يبين لنا أنها منها . فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتهما في السبع الطول اه

ولاجل هذه الرواية ذهب البيهقي إلى أن ترتيب جميع السور توقيفي عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا الانفال وبراءة ووافقه السيوطي. ويرد عليه أنه لا يعقل أن يرتب النبي صلى الله عليه وسلم جميع السور إلا الانفال وبراءة ، وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يتلو القرآن كله في رمضان على جبريل عليه السلام مرة واحدة من كل عام فلما كان العام الذي توفي فيه عارضه القرآن مرتين، فأين كان يضع هاتين السورتين في قراءته ؟ التحقيق أن وضعهما في موضعهما توقيفي وإن فات عثمان أو نسيه ولولا ذلك لعارضه الجمهور أو ناقشوه فيه عند كتابة القرآن كما روي عن ابن عباس بعد سنين من جمعه ونشره فى الافطار

وهذا الحديث قال الترمذي حسن لا نعرفه إلا من حديث عوف (بن أبي جميلة) عن يزيد الفارسي عن ابن عباس إه ويزيد الفارسي هذا غير مشهور اختلفوا فيه هل هو يزيد بن هرمز أو غيره والصحيح انه غيره روى عن ابن عباس وحكى عن عبد الله بن زياد وكان كاتبه وعن الحجاج بن يوسف في امر المصاحف . وسئل عنه يحيي بن معين فلم يعرفه، وقال ابو حاتم لا بأس به. اه ملخصاً من تهذيب التهذيب ، فمثل هذا الرجل لا يصح أن تكون روايته التي انفرد بها مما يؤخذ به في ترتيب القرآن المتواتر

فقد روي حذيفة أن رسول الله ﷺ قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران اخرجه مسلم وقرأ عمر في الفجر بسورة النحل ثم بيوسف

ثم ان عثمان رضي الله عنه رد الصحف الى حفصة رضي الله عنها فلم تزل عندها حتى أرسل اليها مروان بن الحكم يطلبها فلم تعطه حتى ماتت، فأخذها من عبد الله بن عمر فحرقها لئلا يكون فيها شيء يخالف المصاحف الأئمة(١) التي نفذها عثمان الى الآفاق، مصحفا الى مكة، ومصحفا الى البصرة، وآخر الى الكوفة، وآخر الى الشام، وآخر الى اليمن، وآخر الى البحرين، وترك عند أهل المدينة مصحفا. رواه أبو بكر بن أبي داود عن أبي حاتم السجستاني، سمعه يقوله. وصحح القرطبي أنه إنما نفذ الى الآفاق أربعة مصاحف - وهذا غريب - وأمر بما عدا ذلك من مصاحف الناس أن يحرق لئلا تختلف قراءات الناس في الآفاق. وقد وافقه الصحابة في عصره على ذلك ولم ينكره أحد منهم. وانما نقم عليه ذلك الرهط الذين تمالؤا عليه وقتلوه - قاتلهم الله - وذلك في جملة ما أنكروا مما لا أصل له. وأما سادات المسلمين من الصحابة ومن نشأ في عصرهم ذلك من التابعين فكلهم وافقوه

قال أبو داود الطيالسي وابن مهدي وغندر عن شعبة عن علقمة بن مرثد عن رجل عن سويد بن غفلة قال علي حين حرق عثمان المصاحف لو لم يصنعه هو لصنعته. وقال أبو بكر بن أبي داود ثنا احمد بن سنان ثنا عبد الرحمن ثنا شعبة عن أبي اسحاق عن مصعب ابن سعد بن أبي وقاص قال أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك أو قال لم ينكر ذلك منهم أحد، وهذا اسناد صحيح. وقال أيضا حدثنا إسحاق بن ابراهيم الصواف ثنا يحيى بن كثير ثنا ثابت بن عمارة الحنفي قال سمعت غنيم بن قيس المازني قال قرأت القرآن على الحرفين جميعا، والله ما يسرني أن عثمان لم يكتب المصحف وأنه ولد

---

(١) الاولى بل المتعين أن يقال لئلا يدعي أحد بعد ذلك أن فيها مايخالف هذه المصاحف فانها كانت صحفاً منثورة يظهر أنها لم تكن قوية بشكل واحد وقياس واحد فتتخذ مصحفاً إماما يصلح للبقاء كالمصاحف التي نسخت لهذا الغرض وجعلت رسمية بالاجماع. وقد نقلت صحف الاخبار العامة أن أحدها وهو الذي كان محفوظاً عند قياصرة الروسية وهبه خلفهم الشيوعيون لامير بخارى بعد ان أخذوا صورة منه بالآلة الشمسية (الفوتوغرافية) ويقال ان الاصل فقد فلم يصل الى الامير

لكل مسلم كلما أصبح غلام فأصبح له مثل ماله. قال قلنا له يا أبا العنبر لم؟ قال لو لم يكتب عثمان المصحف لطفق الناس يقرءون الشعر . وحدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن عبد الله حدثني عمران بن حدير عن أبي مجلز قال لولا أن عثمان كتب القرآن لألفيت الناس يقرءون الشعر . وحدثنا احمد بن سنان سمعت ابن مهدي يقول خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لابي بكر ولا لعمر : صبره نفسه حتى قتل مظلوما . وجمعه الناس على المصحف

وأما عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقد قال اسرائيل عن أبي اسحاق عن خمير بن مالك قال لما أمر بالمصاحف يعني بتحريقها ساء ذلك عبد الله بن مسعود وقال : من استطاع منكم أن يغلّ مصحفا فليغلل فانه من غل شيئا جاء بما غل يوم القيامة ثم قال عبد الله لقد قرأت القرآن من في رسول الله ﷺ سبعين سورة وزيد صبي أفأترك ما أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال أبو بكر ثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن النضر ثنا سعيد بن سليمان ثنا ابن شهاب عن الاعمش عن أبي وائل قال خطبنا ابن مسعود على المنبر فقال : من يغلل يأت بما غل يوم القيامة، غلوا مصاحفكم، وكيف تأمروني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت وقد قرأت القرآن من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة(١) وإن زيد بن ثابت ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان والله مانزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل ، وما أحد أعلم بكتاب الله مني ، وما أنا بخيركم، ولو أعلم مكانا تبلغه الابل أعلم بكتاب الله مني لأتيته . قال أبو وائل فلما نزل عن المنبر جلست في الحلق فما أحد ينكر ماقال . أصل هذا مخرج في الصحيحين وعندهما : ولقد علم أصحاب محمد ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله

وقول أبي وائل فما أحد ينكر ماقال يعني من فضله وحفظه وعلمه والله أعلم . وأما أمره بغل المصاحف وكتمانها فقد أنكره عليه غير واحد . قال الاعمش عن ابراهيم عن علقمة قال قدمت الشام فلقيت أبا الدرداء فقال كنا نعد عبد الله جبانا فما باله يواثب الامراء؟

وقال أبو بكر بن أبي داود : باب رضى عبد الله بن مسعود بجمع عثمان المصاحف بعد

---

(١) الغلول السرقة من الغنائم مراده ان حفظ هذا العدد من السور في مكة وفي أوائل الهجرة قبل ان يرشد زيد ويكتب القرآن والا فهو قد كان يحفظ القرآن كله وكتبه ويجوز أن يكون أصله سبعين مرة

ذلك: حدثنا عبد الله بن سعيد ومحمد بن عثمان العجلي قالا ثنا أبو أسامة حدثني زهير حدثني الوليد بن قيس عن عثمان بن حسان العامري عن فلفلة الجعفي قال فزعت فيمن فزع الى عبد الله في المصاحف فدخلنا عليه فقال رجل من القوم إنا لم نأتك زائرين ولكنا جئنا حين راعنا هذا الخبر ، فقال إن القرآن انزل على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف - أو حروف - وإن الكتاب قبلكم كان ينزل أو نزل من باب واحد على حرف واحد. وهذا الذي استدل به أبو بكر رحمه الله على رجوع ابن مسعود فيه نظر من جهة أنه لا يظهر من هذا اللفظ رجوع عما كان يذهب اليه والله أعلم

وقال أبو بكر أيضا حدثني عمي ثنا أبو رجاء أنا اسرائيل بن أبي اسحاق عن مصعب ابن سعد قال قام عثمان فخطب الناس فقال : أيها الناس عهد نبيكم منذ ثلاث عشرة وانتم تمترون في القرآن وتقولون قراءة أبيّ وقراءة عبد الله ، يقول الرجل والله ما يقيم قراءتك وأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به (١) فكان الرجل يجيء بالورقة والاديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك شيء كثير ، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلا رجلا فناشدهم : لسمعت (٢) رسول الله ﷺ وهو أملاه عليك ؟ فيقول نعم فلما فرغ من ذلك عثمان قال من أكتب الناس ؟ قالوا كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت ، قال فأي الناس أعرب ؟ قالوا سعيد بن العاص ، قال عثمان فليمل سعيد وليكتب زيد . فكتب زيد مصاحف ففرقها في الناس فسمعت بعض اصحاب رسول الله ﷺ يقولون قد أحسن ، اسناد صحيح

وقال ايضا ثنا اسحاق بن ابراهيم بن زيد ثنا أبو بكر بن هشام بن حسان عن محمد ابن سيرين عن كثير بن افلح قال : لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلا من قريش والانصار فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت ، قال فبعثوا الى الربعة التي في بيت عمر فجيء بها قال وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا اذا تدارءوا في شيء أخروه قال محمد فقلت لكثير وكان فيهم فيمن يكتب : هل تدرون لم كانوا يؤخرونه ؟ قال لا قال محمد فظننت ظنا إنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الاخيرة فيكتبونها على قوله. صحيح أيضا (قلت) الربعة هي الكتب المجتمعة وكانت عند حفصة رضي الله عنها ، فلما جمعها عثمان رضي

(١) أي ماوجد معه شيء منه الا جاء به (٢) أي تقسم انك سمعت الخ

الله عنه في المصحف ردها اليها ولم يحرقها في جملة ماحرقه مما سواها لانها هي بعينها الذي كتبه وإنما رتبه (١) ثم إنه كان قدعاهدها على أن يردها اليها فما زالت عندها حتى ماتت ، ثم أخذها مروان بن الحكم فحرقها وتأول في ذلك ماتأول عثمان كما رواه أبو بكر بن أبي داود : حدثنا محمد بن عوف ثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهري اخبرني سالم بن عبد الله ان مروان كان يرسل الي حفصة يسألها عن الصحف التي كتب معها القرآن فتأبى حفصة ان تعطيه إياها قال سالم فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها ارسل مروان بالعزيمة الى عبدالله ابن عمر ليرسلن اليه بتلك الصحف فأرسل بها اليه عبد الله بن عمر فأمر بها مروان فشققت

وقال مروان إنما فعلت هذا لان مافيها قد كتب وحفظ بالمصحف فخشيت ان طال بالناس زمان ان يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب او يقول إنه قد كان شيء منها لم يكتب (٢) اسناد صحيح

واما مارواه الزهري عن خارجة عن ابيه في شأن آية الاحزاب والحاقهم اياها في سورتها فذكره لهذا بعد جمع عثمان فيه نظر وانما هذا كان حال جمع الصديق الصحف كما جاء مصرحا به في غير هذه الرواية عن الزهري عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت، والدليل على ذلك انه قال فالحقناها في سورتها من المصحف وليست هذه الآية ملحقة في الحاشية في المصاحف العثمانية .

فهذه الافعال من اكبر القربات التي بادر اليها الائمة الراشدون ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ، حفظا على الناس القرآن وجمعاه لئلا يذهب منه شيء ، وعثمان رضي الله عنه جمع قراءات الناس على مصحف واحد ووضعه على العرضة الاخيرة التي عارض بها جبريل رسول الله ﷺ في آخر رمضان من عمره عليه السلام فانه عارضه به عامئذ مرتين ولهذا قال رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته لما مرض «وما ارى ذلك إلا لاقتراب اجلي» اخرجاه في الصحيحين

وقد روي ان عليا رضي الله عنه اراد ان يجمع القرآن بعد رسول الله ﷺ مرتبا بحسب نزوله أولا فأولا كما رواه ابن ابي داود رحمه الله حيث قال ثنا محمد بن اسماعيل

---

(١) الصواب أنه جمعها في مصاحف متينة تجلد وتبقى وأما ترتيبها فقد كان توقيفياً كله على العرضة الاخيرة تراه في رواية الصحيحين هنا وما سبق من استثناء الانفال والتوبة ضعيف كما سبق

(٢) هذا هو الحق المعقول فالمراد من اتلافها سد ذريعة التقول والتشكيك كما قلنا

الاحمسى ثنا ابن فضيل عن اشعث عن محمد بن سيرين قال لما توفي النبي ﷺ اقسم علي ان لا يرتدي برداء الا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل فارسل اليه ابو بكر رضى الله عنه بعد ايام أكرهت اماري يا ابا الحسن ؟ فقال لا والله الا انى اقسمت ان لا ارتدي برداء الا لجمعة ، فبايعه ثم رجع. هكذا رواه وفيه انقطاع

ثم قال لم يذكر المصحف احد الا اشعث وهو لين الحديث وانما رووا : حتى أجمع القرآن . يعني أُتم حفظه فانه يقال الذي يجمع (١) القرآن قد جمع القرآن (قلت) وهذا الذي قاله أبو بكر أظهر والله أعلم فان عليا لم ينقل عنه مصحف على ما قيل ولا غير ذلك (٢) ولكن قد توجد مصاحف على الوضع العثماني يقال انها بخط علي رضي الله عنه وفي ذلك نظر فان في بعضها «كتبه علي بن أبو طالب» (٣) وهذا لحن من الكلام وعلي رضي الله عنه من أبعد الناس عن ذلك فانه كما هو المشهور عنه هو أول من وضع علم النحو فيما رواه عنه الاسود ظالم بن عمرو الدؤلي وأنه قسم الكلام الى اسم وفعل وحرف وذكر أشياء أخر تممها أبو الاسود بعده ثم أخذ الناس عن أبي الاسود فوسعوه ووضحوه وصار علما مستقلا

وأما المصاحف العثمانية الأئمة فاشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله ، وقد كان قديما بمدينة طبرية ثم نقل منها الى دمشق في حدود ثماني عشرة وخمسمائة ، وقد رأيته كتابا عزيزا جليلا عظيما ضخما بخط حسن مبين قوي بحبر محكم في رق أظنه من جلود الابل والله أعلم ، زاده الله تشريفا وتعظيما وتكريما

فأما عثمان رضي الله عنه فما يعرف أنه كتب بخطه هذه المصاحف وانما كتبها زيد ابن ثابت في أيامه وغيره فنسبت الى عثمان لانها بأمره واشارته ثم قرئت على الصحابة بين يدي عثمان ثم نفذت الى الآفاق رضى الله عنه

وقد قال ابو بكر بن أبي داود ثنا علي بن حرب الطائي ثنا قريش بن انس ثنا سليمان

---

(١) لعل الاصل للذي يحفظ (٢) هذه الاشاعات من وضع الروافض المفترين ومن غلاتهم من زعم أن في مصحفه عليه السلام زيادات وخلافا وان المهدي سيظهره ، وهي أكاذيب تتضمن مطاعن شديدة في علي وآل بيته من كتمان ما أنزل الله واستحقاق لعن الله للكاتمين ما أنزل الله برأ الله آل بيت رسوله من مفترياتهم ولعن الله مفتريها (٣) هذا الغلط يدل على أن الكاتب له أعجمي فالظاهر أنه من زنادقة الفرس كما رآه في حاشية أخرى

التيمي عن أبى نضرة عن أبى سعيد مولى بني اسيد قال لما دخل المصريون على عثمان ضربوه بالسيف على يده فوقعت على (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فمد يده وقال والله انها لأول يد خطت المفصل . وقال أيضا ثنا ابو الطاهر ثنا ابن وهب قال سألت مالكا عن مصحف عثمان فقال لي ذهب ، يحتمل انه سأله عن المصحف الذي كتبه بيده (١) ويحتمل ان يكون سأله عن المصحف الذي تركه في المدينة والله اعلم .

(قلت) وقد كانت الكتابة في العرب قليلة جداً، وإنما اول ما تعلموا ذلك ماذكره هشام بن محمد بن السائب الكلبي وغيره ان بشر بن عبد الملك اخا اكيدر دومة تعلم الخط من الانبار ، ثم قدم مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية اخت ابي سفيان صخر بن حرب بن امية ، فعلمه حرب بن امية وابنه سفيان ، وتعلمه عمر بن الخطاب من حرب بن امية ، وتعلمه معاوية من عمه سفيان بن حرب ، وقيل ان اول من تعلمه من الانبار قوم من طيء من قرية هناك يقال لها بقة ، ثم هذبوه ونشروه في جزيرة العرب فتعلمه الناس ولهذا قال ابو بكر بن ابى داود ثنا عبد الله بن محمد الزهري ثنا سفيان عن مجاهد عن الشعبي قال سألنا المهاجرين من اين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا من اهل الانبار

(قلت) والذي كان يغلب على زمان السلف الكتابة المتكوفة ثم هذبها أبو علي بن مقلة الوزير وصار له في ذلك نهج واسلوب في الكتابة ، ثم قربها علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب وسلك الناس وراءه ، وطريقته في ذلك واضحة جيدة . والغرض ان الكتابة لما كانت في ذلك الزمان لم تحكم جيداً وقع في كتابة المصاحف اختلاف في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى وصنف الناس في ذلك . واعتنى بذلك الامام الكبير ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه فضائل القرآن ، والحافظ أبو بكر بن أبى داود رحمه الله فبوبا على ذلك وذكرا قطعة صالحة هي من صناعة القرآن ليست مقصدنا ههنا ولهذا نص الامام مالك على أنه لا توضع المصاحف إلا على وضع كتابة الامام .

ورخص غيره في ذلك . واختلفوا في الشكل والنقط ، فمن مرخص ومن مانع

فأما كتابة السور وآياتها والتعشير والاجزاء والاحزاب فكثير في مصاحف زماننا . والاولى اتباع السلف الصالح . ثم قال البخاري

---

(١) أي كتبه لنفسه فان المصاحف التي كتبتها الجماعة وقرئت على علماء الصحابة قد وزعت على الامصار

ذكر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم (١)

وأورد فيه من حديث الزهري ، عن ابن السباق عن زيد بن ثابت أن أبا بكر الصديق قال له : وكنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ وذكر نحو ما تقدم في جمعه القرآن وقد تقدم ، وأورد حديث زيد بن ثابت في نزول (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر) ولم يذكر البخاري احدا من الكتاب في هذا الباب سوى زيد بن ثابت ، وهذا عجب ، وكأنه لم يقع له حديث يورده سوى هذا والله أعلم . وموضع هذا في كتاب السيرة عند ذكر كتابه عليه الصلاة والسلام

ثم قال البخاري رحمه الله (أنزل القرآن على سبعة أحرف) حدثنا سعيد بن عفير ثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال حدثني عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عباس حدثه أن رسول الله ﷺ قال « أقرأني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف » وقد رواه أيضا في بدء الخلق ، ومسلم من حديث يونس ومسلم أيضا عن معمر كلاهما عن الزهري بنحوه ورواه ابن جرير من حديث الزهري به ، ثم قال الزهري بلغني أن تلك السبعة الاحرف انما هي في الامر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا في حرام وهذا مبسوط في الحديث الذى رواه الامام أبو عبيد القاسم بن سلام حيث قال حدثنا يزيد ويحي بن سعيد كلاهما عن حميد الطويل عن أنس بن مالك عن أبي بن كعب قال : ماحك في صدري شيء منذ أسلمت إلا أنني قرأت آية وقرأها

(١) كتاب جمع كاتب والذي في نسخ البخاري (باب كاتب النبي (ص) ويعني به زيد بن ثابت . قال الحافظ ابن حجر في الفتح قال ابن كثير : ترجم كتاب النبي (ص) ولم يذكر سوى حديث زيد بن ثابت .... الخ ثم قال الحافظ إنه لم يقف عليه في شيء من نسخ البخاري إلا بلفظ كاتب وهو مطابق لحديث الباب اه يعنى ان البخاري قصد بهذا الباب ذكر زيد بن ثابت وحده «لانه كان اكثر مايكتب والكثرة تعاطيه الكتابة أطلق عليه اسم (الكاتب) بلام العهد» يريد ان ابن كثير استشكل ذكره زيداً وحده لانه أي ابن كثير نقل ترجمة الباب بالجمع كتاب وهو ما لم يعرف في نسخ الصحيح . وذكر الحافظ كتاب الوحي بمكة والمدينة ومنه قوله: وممن كتب له في الجملة الخلفاء الاربعة والزبير بن العوام وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية وحنظلة بن الربيع الاسدي ومعيقيب بن أبي فاطمة وعبد الله بن الارقم الزهري وشرحبيل بن حسنة وعبد الله بن رواحة في آخرين اه

آخر غير قراءتي فقلت أقرأنيها رسول الله ﷺ فقال أقرأنيها رسول الله ﷺ فأتينا رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله أقرأتني آية كذا وكذا؟ قال «نعم» وقال الآخر أليس تقرئني آية كذا وكذا؟ قال «نعم» فقال «ان جبريل وميكائيل أتياني فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري فقال جبريل اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل استزده حتى بلغ سبعة أحرف وكل حرف كاف شاف»

وقد رواه النسائي من حديث يزيد - وهو ابن هارون - ويحيى بن سعيد القطان كلاهما عن حميد الطويل عن أنس عن أبي بن كعب بنحوه. وكذا رواه ابن أبي عدي ومحمود بن ميمون الزعفراني ويحيى بن أيوب كلهم عن حميد به

وقال ابن جرير ثنا محمد بن مرزوق ثنا ابو الوليد ثنا حماد بن سلمة عن حميد عن أنس عن عبادة بن الصامت عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «أنزل القرآن على سبعة أحرف» فأدخل بينهما عبادة بن الصامت

وقال الامام احمد بن حنبل رحمه الله ثنا يحيى بن سعيد عن اسماعيل بن أبي خالد حدثني عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب قال: كنت في المسجد فدخل رجل فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فقمنا جميعا فدخلنا على رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل هذا فقرأ سوى قراءة صاحبه، فقال لهما النبي ﷺ «اقرءا - فقرءا فقال - أصبتما» فلما قال لهما النبي ﷺ الذي قال كبر علي ولا اذا كنت في الجاهلية فلما رأى الذي غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا. وكأنما أنظر إلى الله فرقا، فقال «يا أبي إن الله أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت اليه أن هون على أمتي، فأرسل إلي أن اقرأه على حرفين فرددت اليه ان هون على امتي، فأرسل الي ان اقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة مسألة تسألنيها - قال - قلت اللهم اغفر لأمتى، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب الي فيه الخلق حتى ابراهيم عليه السلام» وهكذا رواه مسلم من حديث اسماعيل بن ابي خالد به

وقال ابن جرير حدثنا ابو كريب ثنا محمد بن فضيل عن اسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن أبيه عن جده عن ابي بن كعب قال: قال

رسول الله ﷺ « ان الله أمرني ان اقرأ القرآن على حرف واحد فقلت خفف عن أمتي، فقال اقرأه على حرفين فقلت رب خفف عن أمتي، فأمرني ان اقرأه على سبعة أحرف من سبعة ابواب الجنة، كلها شاف كاف »

وقال ابن جرير حدثني يونس عن ابن وهب اخبرني هشام بن سعد عن عبيد الله بن عمر عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن ابي بن كعب انه قال: سمعت رجلا يقرأ في سورة النحل قراءة تخالف قراءتي ثم سمعت آخر يقرؤها بخلاف ذلك فانطلقت بهما الى رسول الله ﷺ فقلت إني سمعت هذين يقرآن في سورة النحل فسألت من اقرأهما؟ فقالا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت لأذهبن بكما الى رسول الله ﷺ إذ خالفتما ما اقرأني رسول الله، فقال رسول الله ﷺ لأحدهما « اقرأ - فقرأ فقال - أحسنت - ثم قال للآخر - اقرأ - فقرأ فقال - أحسنت » قال ابي فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمر وجهي، فعرف ذلك رسول الله ﷺ في وجهي فضرب بيده في صدري ثم قال « اللهم أخسيء الشيطان عنه ، يا أبي اتاني آت من ربي فقال: إن الله يأمرك إن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت رب خفف عن أمتي، ثم اتاني الثانية فقال ان الله يأمرك ان تقرأ القرآن على حرفين، فقلت رب خفف عن امتي، ثم اتاني الثالثة فقال مثل ذلك وقلت مثل ذلك، ثم اتاني الرابعة فقال ان الله يأمرك ان تقرا القرآن على سبعة احرف ولك بكل ردة مسألة - فقال - يارب اللهم اغفر لأمتي يارب اغفر لأمتي واختبأت الثالثة شفاعة لامتي يوم القيامة » اسناد صحيح (قلت) وهذا الشك الذى حصل لابي في تلك الساعة هو والله أعلم السبب الذي لاجله قرأ عليه رسول الله ﷺ قراءة اعلام وابلاغ ودواء لما كان حصل له سورة (لم يكن) الى آخرها لاشتمالها على قوله تعالى (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة) وهذا نظير تلاوته سورة الفتح حين أنزلت مرجعه من الحديبية على عمر بن الخطاب وذلك لما كان تقدم له من الاسئلة لرسول الله ﷺ ولأبى بكر الصديق، وفيها قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين)

وقال ابن جرير ثنا محمد بن مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن ابي ليلى عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ كان عند اضاه بني غفار فأتاه جبريل

فقال ان الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف قال « أسأل الله معافاته ومغفرته فان أمتي لا تطيق ذلك » قال ثم أتاه الثانية فقال ان الله يامرك ان تقرئ أمتك القرآن على حرفين قال « أسأل الله معافاته ومغفرته ان أمتي لا تطيق ذلك » ثم جاءه الثالثة فقال ان الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف قال « اسأل الله معافاته ومغفرته إن أمتي لا تطيق ذلك » ثم جاءه الرابعة فقال ان الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا . وأخرجه مسلم وابو داود والنسائي من رواية شعبة به

وفي لفظ لأبي داود عن ابي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « اني أقرئت القرآن فقيل لي على حرف أو حرفين؟ فقال الملك الذي معي قل على حرفين فقيل لي على حرفين أو ثلاثة؟ فقال الملك الذي معي قل على ثلاثة حتى بلغ سبعة احرف ثم قل ليس منها الا شاف كاف ان قلت سميعا عليما عزيزاً حكيما مالم تخلط آية عذاب برحمة او آية رحمة بعذاب » وقد روى ثابت بن قاسم نحواً من هذا عن ابي هريرة عن النبي ﷺ ومن كلام ابن مسعود نحو ذلك

وقال الامام احمد حدثنا حسين بن علي الجعفي عن زائدة عن عاصم عن زر عن أبي قال لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المرا فقال رسول الله ﷺ لجبريل « إني بعثت الى أمة أميين ، فيهم الشيخ العاسي والعجوز الكبيرة والغلام ، فقال مرهم فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف » واخرجه الترمذي من حديث عاصم بن ابي النجود عن زر عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي جبريل عند احجار المرا فذكر الحديث والله أعلم وهكذا رواه الامام احمد عن خالد عن حماد عن عاصم عن زر عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لقيت جبريل عند أحجار المرا فقلت ياجبريل اني ارسلت إلى امة امية ، الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ العاسي الذي لم يقرأ كتابا قط ، فقال ان القرآن أنزل على سبعة احرف » وقال احمد ايضا ثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن ابراهيم بن مهاجر عن ربعي بن خراش ، قال حدثني من لم يكذبني - حذيفة - قال لقي النبي ﷺ جبريل عند احجار المرا فقال ان امتك يقرءون القرآن على سبعة احرف ، فمن قرأ منهم فليقرأ كما علم ولا يرجع عنه . وقال عبد الرحمن ان من امتك الضعيف فمن قرأ على حرف فلا يتحول عنه الى غيره رغبة عنه . هذا اسناد صحيح ولم يخرجوه

(حديث آخر) في معناه عن سليمان بن صرد ، قال ابن جرير ثنا اسماعيل بن موسى السدي ثنا شريك عن ابى اسحاق عن سليمان بن صرد يرفعه قال « اتاني ملكان فقال احدهما اقرأ ، قال على كم ؟ قال على حرف ، قال زده حتى انتهى الى سبعة احرف »

ورواه النسائي في اليوم والليلة عن عبد الرحمن بن محمد بن سلام عن اسحاق الأزرق عن العوام بن حوشب عن ابي اسحاق عن سليمان بن صرد قال اتى ابيّ بن كعب رسول الله ﷺ برجلين اختلفا في القراءة فذكر الحديث، وهكذا رواه احمد بن منيع عن يزيد بن هارون عن العوام عن ابى اسحاق عن سليمان بن صرد عن أبيّ انه أتى النبي ﷺ برجلين فذكره

وقال ابن جرير ثنا ابو كريب ثنا يحيي بن آدم ثنا اسرائيل عن ابي اسحاق عن فلان العبدي - قال ابن جرير ذهب عني اسمه - عن سليمان بن صرد عن ابيّ بن كعب، قال رحت الى المسجد فسمعت رجلا يقرأ ، فقلت من أقرأك ؟ قال رسول الله ﷺ فانطلقت به الى رسول الله ﷺ فقلت استقرىء هذا ، قال فقرأ فقال « احسنت » قال قلت انك اقرأتني كذا وكذا فقال « وانت قد احسنت قد احسنت قد احسنت » قال فضرب بيده على صدري ثم قال « اللهم اذهب عن ابيّ الشك » قال ففضت عرقا ، وامتلأ جوفي فرقا، قال: ثم قال « ان الملكين أتياني ، فقال احدهما اقرأ القرآن على حرف ، وقال الآخر زده ، قال قلت زدني فقال اقرأه على حرفين حتى بلغ سبعة احرف اقرأه على سبعة احرف »

وقد رواه ابو عبيد عن حجاج عن اسرائيل عن ابي اسحاق عن ستير العبدي عن سليمان بن صرد ، عن ابى عن النبي ﷺ بنحو ذلك. ورواه ابو داود عن الوليد الطيالسى عن همام عن قتادة عن يحيى بن يعمر عن سليمان بن صرد عن ابيّ بن كعب بنحوه. فهذا الحديث محفوظ من حيث الجملة عن ابيّ بن كعب ، والظاهر ان سليمان بن صرد الخزاعي شاهد ذلك والله اعلم.

(حديث آخر عن أبي بكرة) قال الامام أحمد ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن حماد ابن سلمة عن علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه عن النبي ﷺ قال « أتاني جبريل وميكائيل عليهما السلام فقال جبريل اقرأ القرآن على حرف واحد فقال ميكائيل استزده قال اقرأ القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف مالم تختم آية رحمة بآية عذاب أو

آية عذاب برحمة » وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زيد بن الحباب عن حماد ابن سلمة به وزاد في آخره « كقولك هلم وتعال »

(حديث آخر عن سمرة) قال الامام أحمد ثنا بهز وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة أنا قتادة عن الحسن عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال « انزل القرآن على سبعة أحرف » اسناد صحيح ولم يخرجوه

(حديث آخر عن أبي هريرة) قال الامام احمد ثنا أنس بن عياض حدثني أبو حازم عن أبي سلمة لا أعلمه إلا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نزل القرآن على سبعة أحرف، مراء في القرآن كفر — ثلاث مرات — فما علمتم منه فاعملوا، وما جهلتم منه فردوه الى عالمه » ورواه النسائي عن قتيبة عن أبي ضمرة أنس بن عياض به

(حديث آخر عن أم أيوب) قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عبيد الله - هو ابن أبي يزيد - عن أبيه عن أم أيوب - يعني امرأة أبي أيوب - الانصارية أن رسول الله ﷺ قال « أنزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت أجزأك » وهذا اسناد صحيح ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة

(حديث آخر عن أبي جهم) قال أبو عبيد: ثنا اسماعيل بن جعفر عن يزيد بن خصيفة عن مسلم بن سعيد مولى الحضرمي - وقال غيره عن بسر بن سعيد - عن أبي جهم الانصاري أن رجلين اختلفا في آية من القرآن كلاهما يزعم أنه تلقاها من رسول الله ﷺ فمشيا جميعا حتى أتيا رسول الله ﷺ فذكر أبو جهم أن رسول الله ﷺ قال « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فلا تماروا فان مراءً فيه كفر » وهكذا رواه أبو عبيد على الشك، وقد رواه الامام أحمد على الصواب فقال حدثنا أبو سلمة الخزاعي ثنا سليمان بن بلال حدثني يزيد بن خصيفة أخبرني بسر بن سعيد حدثني أبو جهم أن رجلين اختلفا في آية من القرآن قال هذا تلقيتها من رسول الله ﷺ وقال هذا تلقيتها من رسول الله ﷺ فسألا النبي ﷺ فقال « القرآن يقرأ على سبعة أحرف فلا تماروا في القرآن، فان مراءً في القرآن كفر » وهذا إسناد صحيح ايضا ولم يخرجوه

ثم قال أبو عبيد: ثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يزيد بن الهاد عن محمد بن ابراهيم

عن بسر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص أن رجلا قرأ آية من القرآن فقال عمرو - يعني ابن العاص - إنما هي كذا وكذا بغير ما قرأ الرجل فقال الرجل هكذا اقرأنيها رسول الله ﷺ فخرجا إلى رسول الله ﷺ حتى أتياه فذكرا ذلك له فقال رسول الله ﷺ «إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فأي ذلك قرأتم أصبتم، فلا تماروا في القرآن فان مراءً فيه كفر» ورواه الامام أحمد عن أبي سلمة الخزاعي عن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد عن بسر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص به بنحوه وفيه «فان المراء فيه كفر إنه الكفر به» وهذا أيضا جيد

(حديث آخر عن ابن مسعود) قال ابن جرير ثنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب أخبرني حيوة بن شريح عن عقيل بن خالد عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال «كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف. زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بامثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا آمنا به، كل من عند ربنا» ثم رواه عن أبي كريب عن المحاربي عن ضمرة بن حبيب عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن مسعود من كلامه وهو أشبه والله أعلم

(فصل) قال أبو عبيد قد تواترت هذه الاحاديث كلها على الأحرف السبعة إلا ما حدثني عفان عن حماد بن سلمة عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «نزل القرآن على سبعة أحرف» قال أبو عبيد ولا نرى المحفوظ إلا السبعة لانها المشهورة، وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه وهذا شيء غير موجود، ولكنه عندنا أنه نزل سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة والثاني بلغة اخرى سوى الاولى والثالث بلغة اخرى سواهما كذلك الى السبعة وبعض الاحياء أسعد بها واكثر حظا فيها من بعض وذلك بين في أحاديث تترى

قال وقد روى الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس قال : نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن، قال أبو عبيد والعجز هم بنو أسعد بن بكر وخيثم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف وهم علياء هوازن الذين قال أبو عمرو بن العلاء أفصح العرب علياء هوازن وسفلى تميم يعني بني دارم، ولهذا قال عمر لا يملي في مصاحفنا إلا غلمان قريش أو ثقيف قال ابن جرير واللغتان الآخرتان قريش وخزاعة رواه قتادة عن ابن عباس ولكن لم يلقه

قال أبو عبيد ثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة عن ابن عباس أنه كان يسئل عن القرآن فينشد فيه الشعر قال أبو عبيد يعني انه كان يستشهد به على التفسير، وحدثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد أو مجاهد عن ابن عباس في قوله (والليل وما وسق) قال وما جمع وأنشد

* قد اتسقن لو يجدن سائقا *

حدثنا هشيم أنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (فاذاهم بالساهرة) قال الارض قال وقال ابن عباس قال أمية بن أبى الصلت (١)

* عندهم لحم بحر ولحم ساهرة *

حدثنا يحى بن سعيد عن سفيان عن ابراهيم بن مهاجر عن ابن عباس قال : كنت لا أدري ما فاطر السموات والارض؟ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها، أنا ابتدأتها، اسناد جيد أيضا

وقال الامام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله بعدما أورد طرفا مما تقدم: وصح وثبت ان الذي نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجمع إذ كان معلوما ان ألسنتها ولغاتها اكثر من سبع بما يعجز عن احصائه . ثم قل وما برهانك على ماقلته دون ان يكون معناه ماقاله مخالفوك من انه نزل بأمر وزجر وترغيب وترهيب وقصص ومثل ونحو ذلك من الاقوال فقد علمت قائل ذلك عن سلف الامة وخيار الائمة ؟ قيل له ان الذين قالوا ذلك لم يدعوا ان تأويل الاخبار التي تقدم ذكرها هو مازعمت انهم قالوه في الأحرف

(١) الشاهد الذي هنا ليس مصراعا موزونا. وفي لسان العرب انه فسر الساهرة بالارض وأنشد
وفيها لحم ساهرة وبحر * وما فاهو به أبداً مقم

السبعة التي نزل بها القرآن دون غيره فيكون ذلك لقولنا مخالفا ، وانما اخبروا ان القرآن نزل على سبعة احرف يعنون بذلك انه نزل على سبعة اوجه، والذي قالوا من ذلك كما قالوا وقد روينا بمثل الذي قالوا من ذلك عن رسول الله ﷺ وعن جماعة من الصحابة من انه نزل من سبعة ابواب الجنة كما تقدم . يعني كما تقدم في رواية ابي بن كعب وعبد الله بن مسعود ان القرآن نزل من سبعة ابواب الجنة

قال ابن جرير : والابواب السبعة من الجنة هي المعاني التي فيها من الامر والنهي، والترغيب والترهيب ، والقصص والمثل، التي اذا عمل بها العامل وانتهى الى حدودها المنتهي استوجب به الجنة ، ثم بسط القول في هذا بما حاصله ان الشارع رخص للأمة التلاوة على سبعة احرف ،

ثم لما رأى الامام امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه اختلاف الناس في القراءة ، وخاف من تفرق كلمتهم ، جمعهم على حرف واحد وهو هـذا المصحف الامام . قال واستوسقت له الامة على ذلك ، بل أطاعت ورأت أن فيما فعـله الرشـد والهداية، وتركت القراءة بالأحرف الستة ، التي عزم عليها امامها العادل في تركها طاعة منها له، ونظراً منها لانفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها ، حتى درست من الامة معرفتها، وانعفت آثارها، فلا سبيل اليوم لأحد إلى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها - إلى أن قال : فان قال من ضعفت معرفته وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله ﷺ وأمرهم بقراءتها ؟ قيل ان أمره اياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وانما كان أمر إباحة ورخصة ، لان القراءة بها لو كانت فرضا عليهم لوجب أن يكون العمل(١) بكل حرف من تلك الاحرف السبعة عند من تقوم بنقله الحجة ، ويقطع خبره العـذر ويزيل الشك من قراءة الامة . وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين - إلى أن قال - فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف ونصبه وجره ، وتسكين حرف وتحريكه ، ونقل حرف الى آخر مع اتفاق الصورة ، فمن معنى قول النبي ﷺ « أمرت أن اقرأ القرآن على سبعة أحرف » بمعزل ، لأن المراء في مثل هذا ليس بكفر في قول أحد من علماء الامة . وقد أوجب ﷺ بالمراء في الاحرف السبعة الكفر كما تقدم (٢)

(١) في نسخة طبعة الخشاب لنفسيره : العلم (٢) اختصر هذا الجواب وأورده بالمعنى لا بلفظه

﴿ الحديث الثاني ﴾

قال البخاري رحمه الله ثنا سعيد بن عفير ثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القاري حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة النبي (ص) فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله (ص) فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال أقرأنيها رسول الله (ص) فقلت كذبت فان رسول الله (ص) قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده الى رسول الله (ص) فقلت إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله (ص) « اقرأ ياهشام » فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال (ص) « كذلك أنزلت » ثم قال « اقرأ ياعمر » فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله (ص) « كذلك أنزلت ، ان القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ماتيسر منه »

وقد رواه الامام احمد والبخاري أيضا ومسلم وابو داود والنسائي والترمذي من طرق عن الزهري ، ورواه الامام احمد أيضا عن ابن مهدي عن مالك عن الزهري عن عروة عن عبد الرحمن بن عبد (القاري) عن عمر فذكر الحديث بنحوه

وقد قال الامام أحمد ثنا عبد الصمد ثنا حرب بن ثابت ثنا اسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أبيه عن جده قال: قرأ رجل عند عمر فغير عليه ، فقال قرأت على رسول الله (ص) فلم يغير علي ، قال فاجتمعا عند النبي (ص) فقرأ الرجل على النبي (ص) فقال له « قد أحسنت » قال فكأن عمر وجد من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ « ياعمر ان القرآن كله صواب مالم تجعل عذاب مغفرة ، ومغفرة عذاب » (١) وهذا اسناد حسن . وحرب بن ثابت هذا يكنى بأبي ثابت لانعرف أحدا جرحه

اقوال العلماء في معنى السبعة الاحرف (٢)

وقد اختلف العلماء في معنى هذه السبعة الأحرف وما أريد منها على أقوال ، قال ابو عبد الله محمد بن ابى بكر بن فرح الانصاري القرطبي المالكي في مقدمات تفسيره : وقد

(١) كذا في الاصل (٢) العنوان ليس من الاصل

اختلف العلماء في المراد بالاحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولا ذكرها ابو حاتم محمد بن حبان البستي ونحن نذكر منها خمسة أقوال. قلت ثم سردها القرطبي وحاصلها ماأنا مورده ملخصا

(فالاول) وهو قول أكثر أهل العلم منهم سفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب وابو جعفر محمد بن جرير والطحاوى أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو أقبل وتعال وهلم. وقال الطحاوي وأبين ماذكر في ذلك حديث ابى بكرة قال جاء جبريل الى رسول الله ﷺ فقال اقرأ على حرف، فقال ميكائيل استزده، فقال اقرأ على حرفين، فقال ميكائيل استزده، حتى بلغ سبعة أحرف فقال اقرأ فكل كاف شاف إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة نحو هلم وتعال وأقبل واذهب وأسرع وعجل.

وروى ورقاء عن ابى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن ابي بن كعب انه كان يقرأ (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم) : للذين آمنوا أمهلونا، للذين آمنوا أخرونا، للذين آمنوا ارقبونا، وكان يقرأ (كلما أضاء لهم مشوا فيه) : مروا فيه، سعوا فيه(١) قال الطحاوي وغيره وانما كان ذلك رخصة أن يقرأ الناس القرآن على سبع لغات وذلك لما كان يتعسر على كثير من الناس التلاوة على لغة قريش وقراءة رسول الله (ص) لعدم علمهم بالكتابة والضبط واتقان الحفظ، وقد ادعى الطحاوى والقاضي الباقلانى والشيخ ابو عمر بن عبد البر أن ذلك كان رخصة في أول الامر ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الحفظ وكثرة الضبط وتعلم الكتابة،

(قلت) وقال بعضهم انما كان الذى جمعهم على قراءة واحدة أمير المؤمنين عثمان بن عفان أحد الخلفاء الراشدين المهديين المأمور باتباعهم، وانما جمعهم عليها لما رأى من اختلافهم في القراءة المفضية الى تفرق الامة وتكفير بعضهم بعضا، فرتب لهم المصاحف الائمة على العرضة الاخيرة التي عارض بها جبريل رسول الله ﷺ في آخر رمضان كان من عمره عليه السلام وعزم عليهم أن لا يقرءوا بغيرها، وأن لا يتعاطوا الرخصة التي كانت لهم فيها سعة، ولكنها أدت الى الفرقة والاختلاف، كما ألزم عمر بن الخطاب الناس بالطلاق الثلاث المجموعة حتى تتابعوا فيها وأكثروا منها قال فلو أنا أمضيناه عليهم، وأمضاه عليهم، وكذلك كان ينهى عن المتعة

(١) ويرى بعض العلماء ان بعضهم كان يقول مثل هذا تفسيراً فظنه بعض الرواة قرآنا

في أشهر الحج لئلا تقطع زيارة البيت في غير أشهر الحج ، وقد كان ابوموسى يبيح التمتع فترك فتياه اتباعا لأمير المؤمنين ، وسمعا وطاعة للائمة المهديين

(القول الثاني) أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، وليس المراد أن جميعه يقرأ على سبعة أحرف ولكن بعضه على حرف وبعضه على حرف آخر : قال الخطابي وقد يقرأ بعضه بالسبع لغات كما في قوله (وعبد الطاغوت — ويرتع ويلعب) قال القرطبي ذهب الى هذا القول أبو عبيد واختاره ابن عطية ، قال أبو عبيد : وبعض اللغات أسعد به من بعض ، وقال القاضي الباقلاني : ومعنى قول عثمان إنه نزل بلسان قريش أي معظمه ، ولم يقم دليل على أن جميعه بلغة قريش كله ، قال الله تعالى (قرآنا عربيا) ولم يقل قرشيا ، قال واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولا واحدا ، يعني حجازها ويمنها ، وكذا قال الشيخ أبو عمر ابن عبد البر ، قال لان لغة غير قريش موجودة في صحيح القراآت كتحقيق الهمزات فان قريشا لا تهمز ، وقال ابن عطية قال ابن عباس ما كنت أدري معنى (فاطر السموات والارض) حتى سمعت أعرابيا يقول لبئر ابتدأ حفرها : أنا فطرتها

(القول الثالث) ان لغات القرآن السبع منحصرة في مضر على اختلاف قبائلها خاصة لقول عثمان ان القرآن نزل بلغة قريش ، وقريش هم بنو النضر بن الحارث على الصحيح من أقوال أهل النسب ، كما ينطق به الحديث في سنن ابن ماجه وغيره

(القول الرابع) وحكاه الباقلاني عن بعض العلماء أن وجوه القراءات ترجع الى سبعة أشياء . منها مالا تتغير حركته ولا تتغير صورته ولا معناه ، مثل (ويضيقُ صدري ويضيقَ[١]) ومنها ما لا تتغير صورته ويختلف معناه ، مثل (فقالوا ربنا باعدْ - وباعدَ[٢] بين أسفارنا) وقد يكون الاختلاف في الصورة والمعنى بالحرف ، مثل ننشزها وننشرها[٣] أو بالكلمة مع بقاء المعنى مثل (كالعهن المنفوش - أو - كالصوف المنفوش[٤]) أو باختلاف الكلمة واختلاف

---

(١) ويضيق بالرفع قراء الجمهور وبالنصب قراءة يعقوب على أنه عطف على « يكذبون » قبله

(٢) باعد بصيغة الطلب والدعاء قراءة الجمهور ، وباعد بالفعل الماضي قراءة يعقوب . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام (بعد) من التبعيد والكلمة فى المصحف بغير الف فتحتمل القراءتين المشهورتين

(٣) الاولى بالزاي والثانية بالراء وهما قراءتان سبعيتان

(٤) العهن هو الصوف مطلقاً أو المصبوغ والقراءة به غير متواترة والارجح فى مثلها أنها تفسير

المعاني مثل(وطلح منضود - وطلع منضود (١)) أو بالتقدم والتأخر : مثل (وجاءت سكرة الموت بالحق - أو - سكرة الحق بالموت (٢)) أو بالزيادة مثل (تسع وتسعون نعجة - أنثى (٣) - وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين - فإن الله من بعد اكراههن لهن غفور رحيم)

(القول الخامس) أن المراد بالاحرف السبعة معاني القرآن ، وهي أمر، ونهي ، ووعد، ووعيد ، وقصص ، ومجادلة ، وأمثال ، قال ابن عطية وهذا ضعيف ، لان هذه لا تسمى حروفا وأيضا فالاجماع أن التوسعة لم تقع في تحليل حلال ، ولا في تغيير شيء من المعاني ، وقد أورد القاضي الباقلاني في هذا حديثا ، ثم قال : وليست هذه هي التي أجاز لهم القراءة بها

﴿ فصل ﴾

قال القرطبي : قال كثير من علمائنا كالداووني وابن أبي صفرة وغيرهما : هذه القراآت السبع ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها وانما هي راجعة الى حرف واحد من السبعة وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف ، ذكره ابن النحاس وغيره ، قال القرطبي وقد سوغ كل واحد من القراء السبعة قراءة الآخر وأجازها . وإنما اختار القراءة المنسوبة اليه لانه رآها أحسن وأولى عنده ، قال وقد أجمع المسلمون في هذه الامصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الائمة فيما رووه ورأوه من القراآت ، وكتبوا في ذلك مصنفات ، واستمر الاجماع على الصواب ، وحصل ما وعد الله من حفظه الكتاب . قال البخاري رحمه الله:

تأليف القرآن (٤)

حدثنا ابراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال وأخبرني (٥) يوسف ابن ماهك قال اني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها عراقي فقال أي الكفن خير؟

(١) قراءة (طلع) بالعين شاذة لا يثبت بها القرآن وتخالف رسم المصحف الامام (٢) الثانية شاذة فهي كالتي قبلها (٣) زيادة انثى شاذة فهي تفسير لبيان الواقع فان النعجة انثى الضأن ويقال مثله في المثلين بعده (٤) حذف لفظ باب كعادته (٥) في البخاري « وأخبرني » قال الحافظ في الفتح : كذا عندهم (أي رواة البخاري) وما عرفت ماذا عطف عليه ثم رأيت الواو ساقطة في رواية النسفي وكذا ما وقفت عليه من طرق هذا الحديث اهـ يعني أنها ذكرت عند سائر الرواة سهواً

قالت ويحك مايضرك ؟ قال ياأم المؤمنين أريني مصحفك ، فقالت لم ؟ قال لعلي أؤلف القرآن عليه فانه يقرأ غير مؤلف ،قالت وما يضرك أيه قرأت قبل؟ انما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى اذا ثاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل اول شيء نزل لاتشربوا الخمر لقالوا لاندع الخمر أبداً ، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لاندع الزنا أبداً . لقد نزل بمكة على محمد ﷺ واني لجارية ألعب (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وما نزلت سورة البقرة والنساء الا وأنا عنده قال فأخرجت له المصحف فأملت عليه آي السور

والمراد من التأليف ههنا (١) ترتيب سوره ، وهذا العراقي سأل أولا عن أي الكفن خير أو أفضل فأخبرته عائشة رضى الله عنها ان هذا مما لا ينبغي أن يعتنى بالسؤال عنه ولا القصد له ولا الاستعداد ، فان في هذا تكلفا لا طائل تحته ، وكانوا في ذلك الزمان يصفون أهل العراق بالتعنت في الاسئلة ، كما سأل بعضهم عبد الله بن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب فقال ابن عمر انظروا الى أهل العراق يسألون عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ !! ولهذا لم تبالغ معه عائشة رضى الله عنها في الكلام لئلا يظن أن ذلك أمر مهم ، والا فقد روى أحمد وأهل السنن من حديث سمرة وابن عباس عن رسول الله ﷺ قال « البسوا من ثيابكم البياض وكفنوا فيها موتاكم فانها أطهر وأطيب » وصححه الترمذي من الوجهين ، وفي الصحيحين عن عائشة انها قالت كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة ، وهذا محرر في باب الكفن من كتاب الجنائز . ثم سألها عن ترتيب القرآن ، فانتقل الى سؤال كبير وأخبرها أنه يقرأ غير مؤلف أي مرتب السور ، وكان هذا قبل أن يبعث أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه الى الآفاق بالمصاحف الأئمة المؤلفة على هذا الترتيب المشهور اليوم وقبل الالزام به والله أعلم ، ولهذا اخبرته انه لايضرك بأي سوره بدأت وان اول سورة نزلت فيها ذكر الجنة والنار وهذه ان لم تكن (اقرأ) فقد يحتمل انها أرادت اسم جنس لسور المفصل التي فيها الوعد والوعيد (٢)

---

(١) هذا كلام المؤلف ابن كثير في بيان معنى رواية البخاري هذه

(٢) الاولى ان يكون مرادها سورة المدثر فانها أول سورة أنزلت بالامر بالتبليغ وفيها ذكر الجنة والنار وانما كان نزل قبلها خمس آيات من سورة العلق لاكلها وليس فيها أمر بالتبليغ

ثم لما انقاد الناس الى التصديق أمروا ونهوا بالتدريج اولا فأولا، وهذا من حكمة الله ورحمته، ومعنى هذا الكلام ان هذه السورة أو السور التي فيها ذكر الجنة والنار ليست البداءة بها في أوائل المصاحف مع انها من أول ما نزلت، وهذه البقرة والنساء من أوائل ما في المصحف وقد نزلت عليه في المدينة وأنا عنده

فأما ترتيب الآيات في السور فليس في ذلك رخصة بل هو أمر توقيفي عن رسول الله ﷺ كما تقدم تقرير ذلك، ولهذا لم ترخص له في ذلك بل اخرجت له مصحفها أملت عليه آي السور والله اعلم، وقول عائشة لا يضرك بأي سوره بدأت يدل على أنه لو قدم بعض السور أو أخر(١) كما دل عليه حديث حذيفة وهو في الصحيح أنه عليه السلام قرأ في قيام الليل البقرة ثم النساء ثم آل عمران

وقد حكى القرطبي عن أبي بكر بن الانباري في كتاب الرد انه قال: فمن أخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن افسد نظم الآيات، وغير الحروف والآيات، وكان مستنده اتباع مصحف عثمان رضي الله عنه فانه مرتب على هذا النحو المشهور

والظاهر ان ترتيب السور منه ما هو راجع الى رأي عثمان رضي الله عنه وذلك ظاهر في سؤال ابن عباس له عن ترك البسملة في أول براءة وذكره الانفال من الطول، والحديث في الترمذي وغيره باسناد جيد قوي (٢)

وقد ذكرنا عن علي انه كان قد عزم على ترتيب القرآن بحسب نزوله(٣) ولهذا حكى القاضي الباقلاني أن أول مصحفه كان (اقرأ باسم ربك الاكرم) وأول مصحف ابن مسعود (مالك يوم الدين) ثم البقرة ثم النساء على ترتيب مختلف، وأول مصحف أبيّ (الحمد لله) ثم النساء ثم آل عمران ثم الانعام ثم المائدة ثم كذا على اختلاف شديد (٤)

---

(١) كذا في الاصل وقد سقط منه جواب لو والمراد أنه لو قدم أو أخر في الصلاة لا يكره

(٢) الصواب ما قدمنا في حاشية أخرى (ص ١٨) من انه لا يحتج به ولا سيما في مثل موضوعه وان ترتيب السور توقيفي في المصحف ولكنه لا يجب في الصلاة

(٣) ان صح هذا وما أراه يصح عنه فالمراد به ترتيب السور بعد تمام كل منها من مكي ومدني لا الآيات قبل اتمام سورها

(٤) المراد من قوليه في أول مصحف ابن مسعود وابي واحد وهو سورة الفاتحة فذكر كل راو آية

ثم قال القاضي ويحتمل أن ترتيب السور في المصحف على ماهو عليه اليوم من اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم وكذا ذكر مكي في تفسير سورة براءة ، قال : فأما ترتيب الآيات والبسملة في الاوائل فهو من النبي ﷺ . وقال ابن وهب في طائفة : سمعت سليمان بن بلال يقول سئل ربيعة لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة ؟ فقال قدمتا والف القرآن على علم ممن ألفه ، وقد اجمعوا على العلم بذلك فهذا مما ينتهى اليه ولا يسئل عنه ، قال ابن وهب وسمعت مالكا يقول إنما الف القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ قال أبو الحسن بن بطال انا نجد تأليف سوره في الرسم والخط خاصة ولا نعلم أن أحداً قال إن ترتيب ذلك واجب في الصلاة وفي القرآن ودرسه وانه لا يحل لأحد أن يتلقن الكهف قبل البقرة ولا الحج بعد الكهف ، ألا ترى الى قول عائشة لا يضرك أيه قرأت قبل ؟ وقد كان النبي ﷺ يقرأ في الصلاة السورة في ركعة ثم يقرأ في الركعة الاخرى بغير السورة التي تليها ، قال : وأما ماروي عن ابن مسعود وابن عمر انهما كرها أن يقرأ القرآن منكوسا وقالا انما ذلك منكوس القلب ، فانما عنيا بذلك من يقرأ السورة منكوسة فيبتدىء بآخرها الى أولها فان ذلك حرام محظور (١)

(ثم قال البخاري) : ثنا آدم عن شعبة عن أبي اسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد قال سمعت ابن مسعود يقول في بني اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبياء إنهن من العتاق الاول وهن من تلادي .

انفرد باخراجه البخاري ، والمراد منه ذكر ترتيب هذه السور في مصحف ابن مسعود كالمصاحف العثمانية ، وقوله من العتاق الاول أي من قديم مانزل ، وقوله وهن من تلادي

منها والا كان قولا باطلا بدليل الاجماع على أن الفاتحة هي التي ابتدؤا بها جميع المصاحف وهو المراد من اسمها ، واما اختلافهم في ترتيب السور في مصاحفهم الشخصية فقد يكون بعض الروايات فيه من الدسائس ، وقد يكون سببه ان بعضهم يكمل عنده جمع سورة مما كانت متفرقة فيه من عظام الاكتاف واللخاف وغيرها قبل كمال سورة أخرى يعلم أنها نزلت قبلها فيقدمها كتقديم أبي لآل عمران المدنية بالاجماع على الانعام المكية بالاجماع (١) ومثله قراءة الختمة منكوسة وانما تقرأ بترتيب المصحف لمن يريد قراءته كله وفرق بينه وبين قراءة بعضه في الصلاة أو للوعظ فانه يتخير فيه

أي من قديم ماقنيت وحفظت ، والتالد في لغتهم قديم المال والمتاع ، والطارف حديثه وجديده ، والله أعلم

حدثنا أبو الوليد ثنا شعبة أنا ابو اسحاق سمع البراء بن عازب رضي الله عنه يقول : تعلمت (سبح اسم ربك الأعلى) قبل أن يقدم النبي ﷺ وهذا متفق عليه وهو قطعة من حديث الهجرة . والمراد منه أن (سبح اسم ربك الأعلى) سورة مكية نزلت قبل الهجرة والله أعلم

(ثم قال) ثنا عبدان عن أبي حمزة عن الاعمش عن شقيق قال قال عبد الله : لقد علمت النظائر (١) التي كان النبي ﷺ يقرؤهن اثنين اثنين في كل ركعة فقام عبد الله ودخل معه علقمة وخرج علقمة فسألناه فقال عشرون سورة من اول المفصل على تأليف ابن مسعود ، آخرهن من الحواميم حم الدخان وعم يتساءلون (٢)

هذا التأليف الذي عن ابن مسعود غريب مخالف لتأليف عثمان رضى الله عنه ، فان المفصل في مصحف عثمان رضى الله عنه من سورة الحجرات الى آخره وسورة الدخان لا تدخل فيه بوجه ، والدليل على ذلك مارواه الامام احمد ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى ، عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي عن جده أوس بن حذيفة قال كنت في الوفد الذين أتوا النبي ﷺ فذكر حديثا فيه ان النبي ﷺ كان سمر معهم بعد العشاء فمكث عنا ليلة لم يأتنا حتى طال ذلك علينا بعد العشاء ، قال قلنا ما أمكثك عنا يارسول الله ؟ قال « طرأ علي حزب من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه » قال فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا ، قال قلنا كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة سورة وثلاث عشرة سورة ، وحزب المفصل من (ق) حتى يختم . ورواه ابو داود وابن ماجه من حديث عبد الله ابن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي به وهذا إسناد حسن

---

(١) وفي رواية لعلمت . والمراد بالنظائر السور المتشابهة في معانيها كالحواميم والمفصل

(٢) هذه رواية أبي ذر للصحيح وسقط من غيرها ذكر حم الدخان وعم يتساءلون

فصل

فاما نقط المصحف وشكله فيقال ان أول من أمر به عبد الملك بن مروان فتصدى لذلك الحجاج وهو بواسط ، فأمر الحسن البصري ويحي بن يعمر ففعلا ذلك ، ويقال ان أول من نقط المصحف أبو الاسود الدؤلي، وذكروا أنه كان لمحمد بن سيرين مصحف قد نقطه له يحي بن يعمر والله أعلم

وأما كتابة الاعشار على الحواشي ، فينسب الى الحجاج أيضا وقيل بل أول من فعله المأمون ، وحكى أبو عمرو الدانى عن ابن مسعود أنه كره التعشير في المصحف وكان يحكه وكره مجاهد ذلك أيضا وقال مالك لا بأس به بالحبر، فاما بالالوان المصبغة فلا. وأكره تعداد آي السور في أولها في المصاحف الامهات فأما مايتعلم فيه الغلمان فلا أرى به بأسا(١) وقال قتادة بدأوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا

وقال يحى بن كثير أول ما أحدثوا النقط وقال هو نور له ثم أحدثوا النقط عند آخر الآي ثم أحدثوا الفواتح والخواتم، ورأى ابراهيم النخعي فاتحة سورة كذا فأمر بمحوها وقال : قال ابن مسعود لا تخلطوا بكتاب الله ما ليس فيه . قال ابو عمرو الداني : ثم قد أطبق المسلمون في ذلك في سائر الآفاق على جواز ذلك في الامهات وغيرها .

﴿ معارضة جبريل النبي ﷺ القرآن ﴾ (٢)

ثم قال البخاري رحمه الله : كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ ، قال مسروق عن فاطمة عن عائشة أسر الي رسول الله ﷺ « إن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وإنه عارضني العام مرتين ، ولا أراه الا حضر أجلي » هكذا ذكره معلقا ، وقد اسنده في

---

(١) ومثل هذا قوله بوجوب اتباع رسم الصحابة في المصاحف التي تكتب للتلاوة واباحة الرسم المستحدث في مصاحف التعليم فقط لتسهيله . وغرضه أن مصاحف التلاوة يجب ان تكون كالمصحف الامام الذي أجمع عليه الصحابة حفظا للأصل . وكلامه هنا يدل على أن التابعين ومن بعدهم أثبتوا عدد الآيات بالارقام في مصاحفهم لانها لا تقتضي اشتباهاً في اللفظ ولا في المعنى، ووضعها في كتب التفسير أولى لانه يساعد على المراجعة والفهم (٢) في البخاري : باب كان جبريل الخ فترك المصنف كلمة باب كعادته

مواضع أخر، ثم قال ثنا يحيى بن قزعة ثنا ابراهيم بن سعد عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وأجود مايكون في رمضان، لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فاذا لقيه جبريل كان اجود بالخير من الريح المرسلة (وهذا الحديث متفق عليه وقد تقدم الكلام عليه في أول الصحيح وما فيه من الحكم والفوائد والله أعلم)

ثم قال ثنا خالد بن يزيد ثنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبى هريرة قال كان يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض، فيه وكان يعتكف كل عام عشراً فاعتكف عشرين في العام الذي قبض

ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من غير وجه عن ابى بكر — وهو ابن عياش — عن أبى حصين واسمه عثمان بن عاصم به، والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة مقابلته على ما أوحاه اليه عن الله تعالى ليبقى مابقي ويذهب مانسخ توكيدا واستثباتا وحفظا. ولهذا عرضه في السنة الاخيرة من عمره عليه السلام على جبريل مرتين وعارضه به جبريل كذلك ولهذا فهم عليه السلام اقتراب أجله

وعثمان رضي الله عنه جمع المصحف الامام على العرضة الاخيرة رضي الله عنه وأرضاه، وخص بذلك رمضان من بين الشهور لان ابتداء الايحاء كان فيه. ولهذا يستحب دراسة القرآن وتكراره فيه، ومن ثم كثر اجتهاد الائمة في تلاوة القرآن، كما تقدم ذكرنا لذلك

﴿ القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ﴾(١)

حدثنا حفص بن عمر ثنا شعبة عن عمرو عن ابراهيم عن مسروق ذكر عبد الله بن عمرو عبد الله بن مسعود فقال لا أزال احبه سمعت النبي (ص) يقول « خذوا القرآن من أربعة عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب رضي الله عنهم

وقد اخرجه البخارى في المناقب في غير موضع ومسلم والنسائي من حديث الاعمش عن ابى وائل عن مسروق به، فهؤلاء أربعة: اثنان من المهاجرين الاولين عبد الله بن مسعود

(١) الذي في صحيح البخاري: باب القراء من اصحاب النبي (ص)

وسالم مولى ابى حذيفة، وقد كان سالم هذا من سادات المسلمين وكان يؤم الناس قبل مقدم النبي (ص) المدينة ، واثنان من الانصار معاذ بن جبل وأبي بن كعب وهما سيدان كبيران رضي الله عنهم أجمعين

ثم قال: حدثنا عمر بن حفص ثنا ابى ثنا الاعمش ثنا شقيق بن سلمة قال خطبنا عبدالله فقال: والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة(١) والله لقد علم أصحاب النبي (ص) أني من اعلمهم بكتاب الله وما انا بخيرهم. قال شقيق فجلست في الحلق أسمع مايقولون فما سمعت رادا يقول غير ذلك

حدثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة قال كنا بحمص فقرأ ابن مسعود سورة يوسف ، فقال رجل ماهكذا أنزلت، فقال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) فقال «أحسنت» ووجد منه ريح الخمر فقال أتجتريء أن تكذب بكتاب الله وتشرب الخمر؟ فجلده الحد .

حدثنا عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الاعمش ثنا مسلم عن مسروق قال قال عبدالله : والذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت ؟ ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت ؟ ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت اليه .

وهذا كله حق وصدق (٣) وهو من اخبار الرجل عما يعلم من نفسه مما قد يجهله غيره فيجوز ذلك للحاجة كما قال تعالى إخباراً عن يوسف لما قال لصاحب مصر (اجعلني على خزائن الارض إني حفيظ عليم) ويكفيه مدحا وثناء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « استقرئوا القرآن من أربعة » فبدأ به . وقال أبو عبيد ثنا مصعب بن المقدام عن سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم « من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » وهكذا رواه الامام أحمد عن أبي معاوية عن الاعمش به مطولا وفيه قصة ، وأخرجه الترمذي والنسائي من حديث أبي معاوية به

(١) قال الحافظ في شرحه من الفتح: زاد عاصم عن بدر عن عبد الله: وأخذت بقية المصحف عن اصحابه

(٢) وفي رواية مسلم : والله لقد أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها فبينما أنا أكلمه إذ وجدت منه ريح الخمر الخ (٣) قوله وهذا الخ من كلام ابن كثير لا البخاري

وصححه الدارقطني وقد ذكرته في مسند عمر، وفي مسند الامام احمد أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد » وابن أم عبد هو عبدالله بن مسعود كان يعرف بذلك،

ثم قال البخاري : ثنا حفص بن عمر ثنا همام ثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك : من جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه ؟ قال أربعة كلهم من الانصار أبي بن كعب ومعاذ ابن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد، ورواه مسلم من حديث همام . ثم قال البخاري تابعه الفضل عن حسين بن واقد عن ثمامة عن أنس بن مالك ح-ثنا معلى بن أسد ثنا عبد الله ابن المثنى ثنا ثابت وثمامة عن أنس بن مالك قال : مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد قال ونحن ورثناه

فهذا الحديث ظاهره أنه لم يجمع القرآن من الصحابة سوى هؤلاء الاربعة فقط وليس هذا هكذا بل الذي لا يشك فيه أنه جمعه غير واحد من المهاجرين أيضا ولعل مراده لم يجمع القرآن من الانصار ولهذا ذكر الاربعة من الانصار وهم أبي بن كعب في الرواية الاولى المتفق عليها وفي الثانية من افراد البخاري أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد وكلهم مشهورون، إلا أبا زيد هذا فانه غير معروف إلا في هذا الحديث، وقد اختلف في اسمه فقال الواقدي اسمه قيس بن السكن بن قيس بن ذعورا بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، وقال ابن نمير اسمه سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية من الأوس، وقيل هما اثنان جمعا القرآن حكاه ابو عمر بن عبدالبر وهذا بعيد ، وقول الواقدي أصح لانه خزرجي لأن أنسا قال نحن ورثناه وهم من الخزرج وفي بعض الالفاظ : وكان أحد عمومتي ، وقال قتادة عن أنس قال : افتخر الحيان الأوس والخزرج فقالت الأوس منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر، ومنا الذى حمته الدبْر عاصم ابن ثابت ، ومنا الذى اهتز لموته العرش سعد بن معاذ ، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت، فقالت الخزرج منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد. فهذا كله يدل على صحة قول الواقدي، وقد شهد ابو زيد هذا بدراً فيما ذكره غير واحد ، وقال موسى بن عقبة عن

الزهري: قتل ابو زيد قيس بن السكن يوم جسر أبى عبيد على رأس خمس عشرة سنة من الهجرة.

والدليل على أن من المهاجرين من جمع القرآن أن الصديق رضي الله عنه قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه إماما على المهاجرين والانصار مع أنه قال «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله» فلولا انه كان أقرأهم لكتاب الله لما قدمه عليهم. هذا مضمون ماقرره الشيخ ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعرى، وهذا التقرير لا يُدفع ولا يشك فيه، وقد جمع الحافظ بن السمعاني في ذلك جزءاً، وقد بسطت تقرير ذلك في مسند الشيخين رضى الله عنهما.

ومنهم عثمان بن عفان قد قرأه في ركعة كما سنذكره، وعلي بن أبى طالب يقال انه جمعه على ترتيب ما أنزل وقد قدمنا هذا.

ومنهم عبد الله بن مسعود وقد تقدم عنه أنه قال: ما من آية من كتاب الله إلا وأنا اعلم أين نزلت وفيم أنزلت، ولو علمت أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه المطي لذهبت اليه

ومنهم سالم مولى أبى حذيفة كان من السادات النجباء، والائمة النقباء، وقد قتل يوم اليمامة شهيداً.

ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن عم الرسول وترجمان القرآن، قد تقدم عن مجاهد انه قال عرضت القرآن على ابن عباس مرتين أقفه عند كل آية وأسأله عنها.

ومنهم عبد الله بن عمرو كما رواه النسائي وابن ماجه من حديث بن جريج عن عبد الله ابن أبي مليكة، عن يحيى بن حكيم بن صفوان، عن عبد الله بن عمرو قال: جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «اقرأه في شهر» وذكر تمام الحديث (١).

(١) الحصر المذكور خطأ قطعاً يجوز من أحد الرواة ولكنهم عنوا بالتماس وجه لصحته تبعاً لصحة سنده وقد استوفى الحافظ ابن حجر في الفتح ماقاله المحققون من الاجوبة عن قول أنس قال بعد إيراد الاحتمالات مانصه: «وقد أجاب القاضي أبو بكر الباقلاني وغيره عن حديث أنس هذا باجوبة (أحدها) أنه لا مفهوم له فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه (ثانيها) المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراآت التي نزل بها الا أولئك (ثالثها) لم يجمع مانسخ منه بعد تلاوته ومالم ينسخ الا أولئك وهو قريب من الثاني (رابعها) أن المراد بجمعه تلقيه من في رسول الله (ص) لا بواسطة بخلاف غيرهم فيحتمل أن يكون تلقى بعضه بالواسطة (خامسها) أنهم تصدوا لالقائه وتعليمه فاشتهروا به وخفى حال غيرهم عمن عرف حالهم فحصر ذلك فيهم بحسب علمه وليس الامر في نفس الامر كذلك أو يكون السبب في خفائهم أنهم خافوا غائلة الرياء والعجب وأمن ذلك من أظهره (سادسها) المراد بالجمع الكتابة فلا ينفي أن يكون غيرهم

ثم قال البخاري حدثنا صدقة بن الفضل، أنا يحي عن سفيان عن حبيب ابن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال عمر: علي افضانا، وأبيّ اقرؤنا، وإنا لندع من لحن أبيّ. وأبي يقول اخذته من في رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أتركه لشيء، قال الله تعالى (ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها)

جمعه حفظا عن ظهر قلب، وأما هؤلاء فجمعوه كتابة وحفظوه عن ظهر قلب (سابعها) المراد أن أحداً لم يفصح بانه جمعه بمعنى أكمل حفظه في عهد رسول الله (ص) الا أولئك بخلاف غيرهم فلم يفصح بذلك لان احداً منهم لم يكمله الا عند وفاة رسول الله (ص) حين نزلت آخر آية منه فلعل هذه الآية الاخيرة وما أشبهها ما حضرها إلا أولئك الاربعة ممن جمع جميع القرآن قبلها، وان كان قد حضرها من لم يجمع غيرها الجمع البين (ثامنها) أن المراد بجمعه السمع والطاعة له والعمل بموجبه.

وقد أخرج أحمد في الزهد من طريق أبي الزاهد به أن رجلا أتى أبا الدرداء فقال إن ابني جمع القرآن فقال اللهم غفراً انما جمع القرآن من سمع له وأطاع، وفي غالب هذه الاحتمالات تكلف ولا سيما الاخير وقد أومأت قبل هذا إلى احتمال آخر وهو أن المراد اثبات ذلك للخزرج دون الاوس فقط فلا ينفي ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين ومن جاء بعدهم، ويحتمل أن يقال انما اقتصر عليهم أنس لتعلق غرضه بهم ولا يخفى بعده

« والذي يظهر من كثير من الاحاديث أن أبا بكر كان يحفظ القرآن في حياة رسول الله (ص) فقد تقدم في المبعث أنه بنى مسجداً بفناء داره فكان يقرأ فيه القرآن وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذاك وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدة حرص أبي بكر على تلقي القرآن من النبي (ص) وفراغ باله له وهما بمكة وكثرة ملازمة كل منهما للآخر حتى قالت عائشة كما تقدم في الهجرة إنه (ص) كان يأتيهم بكرة وعشية، وقد صحح مسلم حديث يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله وتقدمت الاشارة اليه وتقدم أنه (ص) أمر أبا بكر ان يؤم في مكانه لما مرض فيدل على أنه كان أقرأهم وتقدم عن علي أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي (ص)

« وأخرج النسائي باسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو قال جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ النبي (ص) فقال « اقرأه في شهر » الحديث وأصله في الصحيح وتقدم في الحديث الذي مضى ذكر ابن مسعود وسالم مولى ابي حذيفة وكل هؤلاء من المهاجرين، وقد ذكر أبو عبيد القراء من اصحاب النبي (ص) فعد من المهاجرين الخلفاء الاربعة وطلحة وسعدا وابن مسعود وحذيفة وسالما وأبا هريرة وعبد الله بن السائب والعبادلة، ومن النساء عائشة وحفصة وأم سلمة ولكن بعض هؤلاء انما أكمله بعد النبي (ص) فلا يرد على الحصر المذكور في حديث أنس وعد ابن أبي داود في كتاب الشريعة من المهاجرين أيضا تميم بن أوس الداري وعقبة بن عامر ومن الانصار عبادة بن الصامت ومعاذاً الذي يكنى أبا حليمة ومجمع بن حارثة وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد وغيرهم وصرح بأن بعضهم انما جمعه بعد النبي (ص) وممن جمعه أيضا أبو موسى الاشعري ذكره أبو عمرو الداني وعد بعض المتأخرين من القراء عمرو بن العاص وسعد بن عباد وأم ورقة اه »

وهذا يدل على ان الرجل الكبير قد يقول الشيء يظنه صوابا وهو خطأ في نفس الامر ولهذا قال الامام مالك : ما من أحد الا يؤخذ من قوله ويرد الا قول صاحب هذا القبر. اي فكله مقبول صلوات الله وسلامه عليه . ثم ذكر البخاري فضل فاتحة الكتاب وغيرها وذكرنا في تفسيرها فضل كل سورة عندها ليكون ذلك أنسب . ثم قال

نزول السكينة والملائكة عند القراءة (١)

وقال الليث حدثني زيد بن الهاد عن محمد بن ابراهيم عن أسيد بن الحضير قال : بينا هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت ، فقرأ فجالت الفرس فسكت فسكنت ، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره(٢) رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها(٣) فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال « اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير » قال فأشفقت ان تطأ يحيى وكان منها قريبا فرفعت رأسي وانصرفت اليه فرفعت رأسي الى السماء فاذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها ، قال « وتدري ماذاك ؟ » قال لا ، قال « تلك الملائكة دنت لصوتك ، لو قرأت لأصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى منهم » قال ابن الهاد وحدثني هذا الحديث عبد الله بن خباب عن ابي سعيد الخدرى عن أسيد بن الحضير(٤)

هكذا أورد البخاري هذا الحديث معلقا وفيه انقطاع في الرواية الاولى فان محمد ابن ابراهيم بن الحارث التيمي المدني تابعي صغير لم يدرك أسيدا لانه مات سنة عشرين وصلى عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ثم فيه غرابة من حيث انه قال : وقال الليث حدثني يزيد بن الهاد ، ولم اره بسند متصل عن الليث بذلك الا ماذكره الحافظ ابو القاسم

---

(١) في البخاري باب نزول الخ (٢) أي فلما جر أسيد ابنه يحيي من ذلك المكان وفي رواية أخره (٣) ذكر الحافظ أن فيه اختصاراً أصله كما رواه أبو عبيد : رفع رأسه الى السماء فاذا هو بمثل الظلة فيها امثال المصابيح عرجت الى السماء حتى ما يراها اه وفي صحيح البخاري أشباه لهذا الحذف سببه ان بعض الرواة يختصر الرواية للعلم بما يتركه منها فيقتصر البخاري على لفظه وان لم يفهمه من لم يعرف اصله كاملا وفي بقية هذه الرواية هنا مثل لما حذف منها (٤) جاء في نسخة هذا الكتاب اسم حضير في اول هذا الحديث وآخره محلى بالالف واللام خلافا لما في نسخ البخاري

ابن عساكر في الاطراف ان يحيى بن عبد الله بن بكير رواه عن الليث كذلك

وقد رواه الامام ابو عبيد في فضائل القرآن فقال : وحدثنا عبد الله بن صالح ويحيى ابن بكير عن الليث عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد عن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن اسيد بن حضير فذكر الحديث الى آخره ، ثم قال قال ابن الهاد وحدثني عبد الله بن خباب عن ابي سعيد عن أسيد بن حضير بهذا

وقد رواه النسائي في فضائل القرآن عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن شعيب بن الليث وعن علي بن محمد بن علي عن داود بن منصور كلاهما عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد ابن ابي هلال عن يزيد بن عبد الله - وهو ابن الهاد - عن عبد الله بن خباب عن ابي سعيد عن أسيد به ، ورواه يحيى بن بكير عن الليث كذلك أيضا فجمع بين الاسنادين ، ورواه في المناقب عن احمد بن سعيد الرباطي عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن يزيد بن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد ان أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده الحديث ولم يقل عن أسيد ولكن ظاهره انه عنه والله أعلم

وقال ابو عبيد حدثني عبد الله بن صالح عن الليث عن ابن شهاب عن ابن كعب بن مالك عن أسيد بن حضير انه كان يقرأ على ظهر بيته يقرأ القرآن وهو حسن الصوت . ثم ذكر مثل هذا الحديث أو نحوه

وحدثنا قبيصة عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن ابى ليلى عن أسيد ابن حضير قال: قلت يارسول الله بينا انا اقرأ البارحة بسورة فلما انتهيت الى آخرها سمعت وجبة من خلفي حتى ظننت أن فرسي تطلق فقال رسول الله « اقرأ أبا عتيك » مرتين قال فالتفت فرأيت الى امثال المصابيح مابين السماء والارض فقال رسول الله « اقرأ ابا عتيك » فقال والله مااستطعت ان أمضي فقال « تلك الملائكة تنزلت لقراءة القرآن ، اما انك لو مضيت لرأيت الاعاجيب»

وقال ابو داود الطيالسي ثنا شعبه عن ابى اسحاق سمع البراء يقول : بينما رجل يقرأ سورة الكهف ليلة إذ رأى دابته تركض - او قال فرسه يركض - فنظر فاذا مثل الضبابة او مثل الغمامة ، فذكر ذلك لرسول الله فقال « تلك السكينة تنزلت للقرآن - او - تنزلت

على القرآن » وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة

والظاهر ان هذا هو أسيد بن الحضير رضي الله عنه فهذا مما يتعلق بصناعة الاسناد وهذا من أغرب تعليقات البخاري رحمه الله ثم سياقه ظاهر فيما ترجم عليه من نزول السكينة والملائكة عند القراءة ، وقد اتفق نحو هذا الذي وقع لأسيد بن الحضير لثابت بن قيس بن شماس كما قال ابو عبيد ثنا عباد بن عباد عن جرير بن حازم عن عمه جرير بن يزيد ان أشياخ أهل المدينة حدثوه ان رسول الله قيل له ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة نزهر مصابيح قال « فلعله قرأ سورة البقرة » قال فسئل ثابت ، فقال قرأت سورة البقرة

وفي الحديث المشهور الصحيح « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا تنزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مسلم عن أبي هريرة ولهذا قال الله تعالى (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) جاء في بعض التفاسير أن الملائكة تشهده

وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيعرج اليه الذين نزلوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون »

﴿ من قال لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين ﴾(١)

حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا سفيان عن عبد العزيز بن رُفيع قال دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس فقال له شداد بن معقل أترك النبي ﷺ من شيء؟ قال ما ترك إلا ما بين الدفتين. قال ودخلنا على محمد بن الحنفية فسألناه فقال ما ترك إلا ما بين الدفتين

تفرد به البخاري ومعناه أنه عليه السلام ما ترك مالا ولا شيئا يورث عنه كما قال عمرو بن الحارث أخو جويرية ما ترك رسول الله ﷺ دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا وفي حديث أبي الدرداء « إن الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن اخذه اخذه بحظ وافر » ولهذا قال ابن عباس وإنما ترك ما بين الدفتين يعني القرآن ، والسنة مفسرة له

(١) في صحيح البخاري زيادة باب كما تقدم في نظائره . والدفتان بالتشديد اللوحان والمراد ما بين جانبي المصحف

ومبينة وموضحة أي تابعة له والمقصود الاعظم كتاب الله تعالي كما قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا) الآية

فالانبياء عليهم السلام لم يخلقوا للدنيا يجمعونها ويورثونها وانما خلقوا للآخرة يدعون اليها ويرغبون فيها، ولهذا قال رسول الله ﷺ « ماتركنا فهو صدقة » وكان أول من أظهر هذه المحاسن من هذا الوجه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما سئل ميراث رسول الله ﷺ فاخبر عنه بذلك ووافقه على نقله عنه عليه السلام غير واحد من الصحابة منهم عمر وعثمان وعلي والعباس وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وأبو هريرة وعائشة وغيرهم وهذا ابن عباس يقوله أيضا عنه عليه السلام رضي الله عنهم أجمعين

فضل القرآن على سائر الكلام (١)

حدثنا هدبة بن خالد أبو خالد ثنا همّام ثنا قتادة ثنا أنس بن مالك عن أبى موسى رضى الله عنهما عن النبي ﷺ « مثل الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب، والذى لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها. ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها» وهكذا رواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة من طرق عن قتادة به، ووجه مناسبة الباب لهذا الحديث أن طيب الرائحة دار مع القرآن وجودا وعدما فدل على شرفه على ماسواه من الكلام الصادر من البر والفاجر

(ثم قال) ثنا مسدد ثنا يحي عن سفيان حدثني عبد الله بن دينار قال سمعت ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال « انما أجلكم في أجل من خلا من الامم كمابين صلاة العصر ومغرب الشمس، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، فقال من يعمل لي من نصف النهار الى العصر؟ فعملت النصارى، ثم انتم تعملون من العصر الى المغرب بقيراطين قيراطين، قالوا نحن اكثر عملا وأقل عطاء قال هل ظلمتكم من حقكم شيئا؟ قالوا لا، قال فذلك فضلي أوتيه من شئت »
تفرد به من هذا الوجه ومناسبته للترجمة أن هذه الامة مع قصر مدتها فضلت الامم

---

(١) في أصل صحيح البخاري زيادة باب كما تقدم في أمثاله وانما نعيد ذكره لتنبيه الجمهور الى النقل عن البخاري

الماضية مع طول مدتها كما قال تعالى (كنتم خير أمة اخرجت للناس)

وفي المسند والسنن عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها واكرمها على الله »

وإنما فازوا بهذا ببركة الكتاب العظيم القرآن الذى شرفه الله على كل كتاب انزله وجعله مهيمنا عليه وناسخا له وخاتما له، لأن كل الكتب المتقدمة نزلت الى الارض جملة واحدة وهذا القرآن نزل منجما بحسب الوقائع لشدة الاعتناء به وبمن انزل عليه فكل مرة كنزول كتاب من الكتب المتقدمة(١)

واعظم الامم المتقدمة هم اليهود والنصارى فاليهود استعملهم الله من لدن موسى الى زمان عيسى، والنصارى من ثم الى أن بعث محمدا ﷺ ثم استعمل امته الى قيام الساعة وهو المشبه بآخر النهار، واعطى المتقدمين قيراطا قيراطا، واعطى هؤلاء قيراطين قيراطين ضعفي ما اعطى أولئك فقالوا أى ربنا مالنا اكثر عملا وأقل أجراً؟ فقال هل ظلمتكم من اجركم شيئا؟ قالوا لا قال فذاك فضلي - أى الزائد على ما اعطيتكم اوتيه من اشاء، كما قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم * لئلا يعلم اهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

الوصاة بكتاب الله (٢)

حدثنا محمد بن يوسف ثنا مالك بن مغول ثنا طلحة هو ابن مصرف سألت عبد الله ابن أبي أوفى : أوصى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال لا قال قلت فكيف كتب على الناس الوصية أمروا بها ولم يوص ؟ قال أوصى بكتاب الله عز وجل ،

---

(١) هذا التعليل لتفضيل القرآن عليها غير ظاهر بل فضله عليها ذاتي له بلفظه واسلوبه ومعانيه وقد كان بهما معجزاً للخلق ومكملا للدين الالهي فيهم وبغير ذلك من خصائصه. وأهل الكتاب لا يسلمون أن التوراة نزلت على موسى جملة واحدة وإنما تلك الوصايا التي كتبها الله له في الالواح ، وأما سائر خطابه له بشأن التبليغ لفرعون وقومه ولبني اسرائيل فكان تدريجيا

(١) أي باب الوصاة وفي نسخة من البخاري الوصية

وقد رواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة إلا أبا داود من طرق عن مالك بن مغول به، وهذا نظير ما تقدم عن ابن عباس أنه ما ترك الا ما بين الدفتين. وذلك ان الناس كتب عليهم الوصية في أموالهم كما قال تعالى (كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين) وأما هو صلى الله عليه وسلم فلم يترك شيئاً يورث عنه، وأما ترك ماله صدقة جارية من بعده فلم يحتج الى وصية في ذلك، ولم يوص الى خليفة يكون بعده على التنصيص لان الامر كان ظاهراً من اشاراته وإيماآته الى الصديق ولهذا لما هم بالوصية الى أبي بكر ثم عدل عن ذلك قال « يأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر » وكان كذلك وانما أوصى الناس باتباع كلام الله (١)

من لم يتغن بالقرآن (٢)

وقول الله تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم)

حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن بن شهاب ، قال اخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن » وقال صاحب له يريد يجهر به فرد من هذا الوجه، ثم رواه عن علي بن عبد الله بن المديني عن سفيان بن عيينة عن الزهري به قال سفيان : تفسيره يستغني به

وقد اخرجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به ، ومعناه ان الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها وذلك انه يجتمع في قراءة الانبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية وذلك هو الغاية في ذلك، وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم كما قالت عائشة رضى الله عنها : سبحان الذي وسع سمعه الاصوات . ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم كما قال تعالى (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه) الآية، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم (٣) ومنهم من فسر الاذن

(١) وأوصى صلى الله عليه وسلم أيضاً بالنساء وبالرقيق وباخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وأن لا يبقى فيها دينان
(٢) حذف منه كلمة باب (٣) المراد بالاذن أي السمع في الحديث سماع الرضاء والقبول ومثله في ذكر الاعتدال من الركوع « سمع الله لمن حمده » وفعله من باب تعب وفرح

ههنا بالامر والاول اولى لقوله « ماأذن الله لشيء ، ماأذن لنبي يتغني بالقرآن » اي يجهر به والأذن الاستماع لدلالة السياق عليه وكما قال تعالى (اذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * واذا الارض مُدت * وألقت مافيها وتخلت * وأذنت لربها وحقت) اي استمعت لربها وحقت اي وحق لها ان تستمع امره وتطيعه ، فالأذن ههنا هو الاستماع . ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجه بسند جيد عن فضالة بن عبيد قال : قال رسول الله ﷺ «لله أشد أذناً الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته »

وقول سفيان بن عيينه ان المراد بالتغني يستغني به ، فان اراد انه يستغنى به عن الدنيا وهو الظاهر من كلامه الذي تابعه عليه ابو عبيد القاسم بن سلام وغيره ، فخلاف الظاهر من مراد الحديث لانه قد فسره بعض رواته بالجهر وهو تحسين القراءة والتحزين بها قال حرملة سمعت ابن عيينة يقول معناه يستغني به فقال لي الشافعي ليس هو هكذا ولو كان هكذا لكان يتغانى ، انما هو يتحزن ويترنم به . قال حرملة وسمعت ابن وهب يقول يترنم به ، وهكذا نقل المزني والربيع عن الشافعي رحمه الله

وعلى هذا فتصدير البخاري الباب بقوله تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) فيه نظر لان هذه الآية الكريمة ذكرت رداً على الذين سألوا آيات تدل على صدقه حيث قال (ويقولون لولا أنزل عليه آيات من ربه؟ فقل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين * أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) الآية، ومعنى ذلك أولم يكفهم آية دالة على صدقك انزالنا القرآن عليك وأنت رجل أمي؟ (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون) أي وقد جئت فيه بخبر الاولين والآخرين فأين هذا من التغني بالقرآن وهو تحسين الصوت به أو الاستغناء به عما عداه من أمور الدنيا؟ فعلى كل تقدير تصدير الباب بهذه الآية فيه نظر (١)

---

(١) التصدير الباب بالآية على التقدير الثاني وجه ظاهر اعتمد عليه شراح البخاري وهو الاستغناء بالقرآن عن غيره باطلاق يدخل فيه كل ما يناسبه، وذكروا من اسباب نزول الآية ما أخرجه الطبري من مجيء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوا من أهل الكتاب فقال النبي (ص) « كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم الا ما جاء به غيره الى غيرهم » فنزلت الآية

فصل

﴿ في إيراد أحاديث في معنى الباب وذكر أحكام التلاوة بالاصوات ﴾

قال أبو عبيد حدثنا عبدالله بن صالح عن قباث بن رزين عن علي بن رباح اللخمي عن عقبة بن عامر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوما ونحن في المسجد نتدارس القرآن قال « تعلموا كتاب الله واقتنوه — قال وحسبت أنه قال — وتغنوا به فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من المخاض من العُقُل »

وحدثنا عبد الله بن صالح عن موسى بن علي عن أبيه عن عقبة عن رسول الله ﷺ مثل ذلك الا أنه قال « واقتنوه وتغنوا به » ولم يشك . وهكذا رواه النسائي في كتاب فضائل القرآن من حديث موسى بن علي عن أبيه به ، ومن حديث عبد الله بن المبارك عن قباث بن رزين عن علي بن رباح عن عقبة، وفي بعض ألفاظه خرج علينا ونحن نقرأ القرآن فسلم علينا وذكر الحديث فيه دلالة على السلام على القارىء

وقال أبو عبيد ثنا أبو اليمان عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي مريم عن المهاجر بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ « ياأهل القرآن لا توسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته آناء الليل والنهار وتغنوه وتقنوه واذكروا مافيه لعلكم تفلحون » وهذا مرسل،ثم قال أبو عبيد : قوله « تغنوه » أي اجعلوه غناءكم من الفقر ولا تعدوا الاقلال معه فقراً وقوله «وتقنوه» يقول اقتنوه كما تقتنوا الاموال اجعلوه مالكم

وقال أبو عبيد حدثني هشام بن عمار عن علي بن حمزة عن الاوزاعي قال حدثني اسماعيل ابن عبيدالله بن أبي المهاجر عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ قال « الله أشد أذانا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته » قال أبو عبيد هذا الحديث بعضهم يزيد في اسناده يقول عن اسماعيل بن عبيدالله عن مولى فضالة عن فضالة. وهكذا رواه ابن ماجه عن راشد بن سعيد بن أبي راشد عن الوليد عن الاوزاعي عن اسماعيل بن عبيد الله عن ميسرة مولى فضالة عن فضالة عن النبي ﷺ « لله أشد أذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته » قال أبو عبيد يعني الاستماع ، وقوله

في الحديث الآخر «ماأذن الله لشيء» أي ما استمع

وقال أبو القاسم البغوي حدثنا محمد بن حميد ثنا سلمة بن الفضل ثنا عبد الله بن عبدالرحمن بن أبي مليكة حدثنا القاسم بن محمد حدثني السائب قال: قال لي سعد يا ابن أخي هل قرأت القرآن؟ قلت نعم، قال غن به فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول «غنوا بالقرآن ليس منا من لم يغن بالقرآن، وابكوا فان لم تقدروا على البكاء فتباكوا»

وقد روى ابو داود من حديث الليث عن عبدالله بن أبي مليكة عن عبد الله بن أبي نهيك عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ «ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا» وفي هذا الحديث كلام طويل يتعلق بسنده ليس هذا موضعه والله أعلم

وقال أبو داود ثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا عبد الجبار بن الورد قال سمعت ابن أبي مليكة يقول قال عبيد الله بن أبي زيد: مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فدخلنا عليه فاذا رجل رث البيت رث الهيئة فانتسبنا له فقال تجار كسبة فسمعته يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» قال فقلت لابن أبي مليكة يا أبا محمد أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال يحسنه ما استطاع. تفرد به أبو داود، فقد فهم من هذا أن السلف رضي الله عنهم انما فهموا من التغني بالقرآن انما هو تحسين الصوت به وتحزينه كما قاله الائمة رحمهم الله

ويدل على ذلك أيضا ما رواه أبو داود حيث قال ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن الاعمش عن طلحة عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال قال رسول الله ﷺ «زينوا القرآن بأصواتكم» وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث شعبة عن طلحة وهذا اسناد جيد. وقد وثق النسائي وابن حبان عبد الرحمن بن عوسجة هذا. ونقل الازدي عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال سألت عنه بالمدينة فلم أرهم يحمدونه

وقال ابو عبيد القاسم بن سلام حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال نهاني أيوب أن أحدث بهذا الحديث «زينوا القرآن بأصواتكم» قال أبو عبيد وانما كره أيوب فيما نرى أن يتأول الناس بهذا الحديث الرخصة من رسول الله ﷺ في الالحان المبتدعة، فلهذا نهاه

أن يحدث به. (قلت) ثم ان شعبة رحمه الله، روى الحديث متوكلا على الله كما روي له، ولو ترك كل حديث يتأوله مبطل لترك من السنة شيء كثير بل قد تطرقوا الى تأويل آيات كثيرة من القرآن وحملوها على غير محاملها الشرعية المرادة وبالله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله

والمراد من تحسين الصوت بالقرآن تطريبه وتحزينه والتخشع به كما رواه الحافظ الكبير تقي بن مخلد رحمه الله حيث قال: ثنا احمد بن ابراهيم عن ابى موسى عن أبيه قال قال لي رسول الله ﷺ ذات يوم «يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة» قلت أما والله لو علمت انك تسمع قراءتي لحبرتها لك تحبيرا.

ورواه مسلم من حديث طلحة به. وزاد «لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود» وسيأتي هذا في بابه حيث يذكره البخارى. والغرض أن أبا موسى قال لو أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيرا فدل على جواز تعاطي ذلك وتكلفه، وقد كان أبو موسى كما قال عليه السلام قد أعطي صوتا حسنا كما سأذكره ان شاء الله مع خشية تامة ورقة أهل اليمن، فدل على أن هذا من الامور الشرعية.

قال أبو عبيد وحدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال: كان عمر إذا رأى أبا موسى قال ذكرنا ربنا يا أبا موسى، فيقرأ عنده

قال أبو عبيد: ثنا سليمان التيمي أو نبئت عنه ثنا أبو عثمان النهدي قال كان أبو موسى يصلي بنا فلو قلت اني لم أسمع صوت صنج قط ولا بربط قط ولا شيئا قط أحسن من صوته. وقال ابن ماجه حدثنا العباس بن عثمان الدمشقي ثنا الوليد بن مسلم حدثني حنظ ابن أبي سفيان أنه سمع عبد الرحمن بن سابط الجمحي يحدث عن عائشة قالت أبطأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال «أين كنت؟» قلت كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد، قالت فقام فقمت معه حتى استمع له ثم التفت إلي فقال «هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا» إسناد جيد.

وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فما سمعت أحداً أحسن صوتا أو قراءة منه ، وفي بعض ألفاظه فلما سمعته قرأ (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟) خلت أن فؤادي قد انصدع (١) وكان جبير لما سمع هذا بعدُ مشركا على دين قومه وانما كان قدم في فداء الاسارى بعد بدر، وناهيك بمن تؤثر قراءته في المشرك المصر على الكفر، فكان هذا سبب هدايته . ولهذا كان أحسن القراآت ما كان عن خشوع من القلب كما قال أبو عبيد ثنا اسماعيل بن ابراهيم عن ليث عن طاوس قال: أحسن الناس صوتا بالقرآن أخشاهم لله. وحدثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه قال: أحسن الناس صوتا بالقرآن أخشاهم لله» وحدثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه ، وعن الحسن بن مسلم عن طاوس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أحسن صوتا بالقرآن ؟ فقال « الذى اذا سمعته رؤيته يخشى الله » (٢)

وقد روى هذا متصلا من وجه آخر فقال ابن ماجه حدثنا بشر بن معاذ الضرير ثنا عبد الله بن جعفر المديني ثنا ابراهيم بن اسماعيل عن مجمع عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان من أحسن الناس صوتا بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله» ولكن عبد الله بن جعفر هذا - وهو والد علي بن المديني - وشيخه ضعيفان والله أعلم

والغرض ان المطلوب شرعا انما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة

فأما الاصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الاوزان والاوضاع الملهية والقانون الموسيقائي فالقرآن ينزه عن هذا ويُجل ويعظم أن يُسلك في أدائه هذا المذهب . وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك كما قال الامام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله حدثنا نعيم بن حماد عن بقية بن الوليد عن حصين بن مالك الفزارى قال سمعت شيخا يكنى أبا محمد يحدث عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله ﷺ « اقرؤا القرآن بلحون العرب

---

(١) في تفسير سورة الطور من البخاري أنه قال: كاد قلبي أن يطير ، وفيه أنه ذكر ثلاث آيات من السورة أولها ماهنا (٢) كذا في الاصل ويوضح معناه الرواية الاخرى بعده

واصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين، وسيجيء قوم من بعدي يرجّعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ، لايجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم» وحدثنا يزيد عن شريك عن أبي اليقظان عثمان بن عمير عن زاذان أبي عمر عن عليم قال: كنا على سطح ومعنا رجل من أصحاب النبي ﷺ قال يزيد لا اعلمه إلا قال عابس الغفارى فرأى الناس يخرجون في الطاعون قال ماهؤلاء ؟ قال يفرون من الطاعون فقال ياطاعون خذني فقالوا أتتمنى الموت وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يتمنين أحدكم الموت » ؟ فقال إني أبادر خصالا سمعت رسول الله (ص) يتخوفهن على أمته ـ بيع الحكم والا (١) بالدم وقطيعة الرحم وقوم يتخذون القرآن مزامير ، يقدمون أحدهم ليس بافقههم ولا افضلهم إلا ليغنيهم به غناء، وذكر خلتين آخرتين

وحدثنا يعقوب بن ابراهيم عن ليث بن أبي سليم عن عثمان بن عمير عن زاذان عن عابس الغفارى عن النبي (ص) مثل ذلك أو نحوه، وحدثنا يعقوب عن ابراهيم عن الاعمش عن رجل عن أنس أنه سمع رجلا يقرأ القرآن بهذه الالحان التي احدث الناس فانكر ذلك ونهى عنه . وهذه طرق حسنة في باب الترهيب (٢)

---

(١) موضع البياض مقطوع من الاصل

(٢) معنى هذه الروايات صحيح ولكن لا يصح سند شيء منها وحسنها المؤلف بتأييد بعضها لبعض على القاعدة عند المحدثين . والمعنى الجامع أن قراءة القرآن بالنغم المحمودة شرعا هي ماتكون به القراءة أشد تأثيراً في النفس وخشوعا في القلب واعتباراً في العقل . وان المحظور منها التطريب المتكلف الذي يشغل السامع بلذة الصوت وحسن النظم عن المعنى المراد والخشوع المطلوب،وما من أحد سمع قراءة المجودين أولي الاصوات الحسنة الا وشعر بالتأثير العظيم في قلبه بقراءتهم

والسبب في تأويل التغني بالقرآن وكراهة بعض العلماء له أن الغناء صار شعار أهل اللهو والمسرفين في الشهوات،ولذلك حرم المتشددون من الفقهاء الغناء والمعازف مطلقا مع العلم بأن مزامير نبي الله داود أنزلت لاجل الترنم بها وكانت الطير تحشر وتجتمع لصوته ترجع ترنيمه بتسبيح الله تعالى كما قال تعالى (والطير محشورة كل له أواب) وقد عهد اقبال الطير على سماع المغنين الحسني الصوت كالبلبل والهزار في كل عصر بل نقل علماء الحيوان والتجارب أن بعض الحشرات كالنحل ترقص لسماع الصوت الحسن ، وأن بعضهم رأى حية ترقص عند سماع الغناء. وكان داود عليه السلام يسبح الله ويترنم له بزبوره على آلات الطرب والمعازف الوترية وغيرها، ولا يوجد في كتب أنبياء بني اسرائيل شيء من الصلوات =

وهذا يدل على أنه محذور كبير وهو قراءة القرآن بالألحان التي يسلك بها مذاهب

= والتسبيح للرب والثناء عليه كمزامير داود التي لم يطرأ عليها من التحريف مثل الذي طرأ على غيرها وجاء في آخرها الامر بذلك وإننا كثيراً ما رأينا بعض أدباء النصارى يرغبون في سماع القرآن من القراء المجودين ويعترفون بقوة تأثيره في القلوب ، وفي الصحيح أن المشركين كانوا يؤذون أبا بكر (رض) ويمنعونه من الصلاة في المسجد الحرام ثم حاولوا منعه من رفع صوته بالقرآن في بيته لما رأوا من اقبال الناس ولاسيما النساء والاولاد المدركين عليه وتأثير قراءته في أنفسهم

وقد أدرك بعض علماء الافرنج ماكان لتلاوة رسول الله (ص) للقرآن من التأثير العظيم في جذب العرب الى الاسلام واعترف بأنه كان أشد تأثيراً من جميع معجزات الانبياء في هداية الناس

وإننا لاستيفاء مباحث هذه المسألة التي تم بهافائدة هذا الكتاب نذكر هنا ما أورده الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث من فتح الباري فقد جمع ماقاله جميع العلماء في تأويل التغني في بيتين من نظمه ثم قفى عليهما بخلاصة أقوال أشهر فقهاء المذاهب أما البيتان فهما قوله :

تغن بالقرآن حسن به الصـــوت حزينا جاهرا رنم
واستغن عن كتب الألى طالباً غنى يد والنفس ثم الزم

(ثم قال) وسيأتي ما يتعلق بحسن الصوت بالقرآن في ترجمة مفردة ولا شك أن النفوس تميل الى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم لان للتطريب تأثيرا في رقة القلب وإجراء الدمع وكان بين السلف اختلاف في جواز القرآن بالالحان

أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك، فحكى عبد الوهاب المالكي عن مالك تحريم القراءة بالالحان، وحكاه أبو الطيب الطبري والماوردي وابن حمدان الحنبلي عن جماعة من اهل العلم

وحكى ابن بطال وعياض والقرطبي من المالكية والماوردي والبندنيجي والغزالي من الشافعية وصاحب الذخيرة من الحنفية الكراهة واختاره أبو يعلى وابن عقيل من الحنابلة

وحكى ابن بطال عن جماعة من الصحابة والتابعين الجواز وهو المنصوص للشافعي ونقله الطحاوي عن الحنفية ، وقال الفوراني من الشافعية في الابانة يجوز بل يستحب ومحل هذا الاختلاف إذا لم تختل بشيء من الحروف عن مخرجه فلو تغير قال النووي في التبيان أجمعوا على تحريمه ، ولفظه أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقرآن مالم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فان خرج حتى زاد حرفا أو أخفاه حرم قال واما القراءة بالالحان فقد نص الشافعي في موضع على كراهته وقال في موضع آخر لابأس به فقال اصحابه ليس على اختلاف قولين بل عنى اختلاف حالين فان لم يخرج بالالحان عن المنهج القويم جاز والا حرم

وحكى الماوردي عن الشافعي ان القراءة بالالحان اذا انتهت إلى إخراج بعض الالفاظ عن مخارجها

الغناء ، وقد نص الائمة رحمهم الله على النهي عنه ، فأما ان خرج به الى التمطيط الفاحش الذى يزيد بسببه حرفا أو ينقص حرفا فقد اتفق العلماء على تحريمه والله أعلم

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا محمد بن معمر ثنا روح ثنا عبيد الله بن الاخنس عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » ثم قال ولنا ماذكرناه لانهم اختلفوا على ابن أبي مليكة فيه فرواه عبد الجبار بن الورد عنه عن ابن أبي مليكة عن أبي لبابة ورواه عمرو بن دينار والليث عنه عن ابن أبي نهيك عن سعد، ورواه عسل بن سفيان عنه عن عائشة ورواه نافع مولى ابن عمر عنه عن ابن الزبير

﴿ اغتباط صاحب القرآن ﴾ (١)

حدثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري حدثني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار »

انفرد به البخاري من هذا الوجه واتفقا على اخراجه من رواية سفيان عن الزهري

ثم قال البخاري ثنا علي بن ابراهيم ثنا روح ثنا شعبة عن سليمان قال سمعت ذكوان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لاحسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو

حرم ، وكذا حكى ابن حمدان الحنبلي في الرعاية وقال الغزالي والبندنيجي وصاحب الذخيرة من الحنفية: إن لم يفرط في التمطيط الذي يشوش النظم استحب والا فلا

واغرب الرافعي فحكى عن امالي السرخسي انه لايضر التمطيط مطلقا وحكاه ابن حمدان رواية عن الحنابلة وهذا شذوذ لايعرج عليه، والذي يتحصل من الادلة ان حسن الصوت بالقرآن مطلوب فان لم يكن حسناً فليحسنه ما استطاع كما قال ابن ابي مليكة احد رواة الحديث

وقد اخرج ذلك عنه ابو داود باسناد صحيح ، ومن جملة تحسينه ان تراعى فيه قوانين النغم فان الحسن الصوت يزداد حسنا بذلك، وإن خرج عنها اثر ذلك في حسنه، وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها مالم يخرج عن شرط الاداء المعتبر عند اهل القراءات، فان خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الاداء ولعل هذا مستند من كره القراءة بالانغام لان الغالب على من راعى الانغام ان لا يراعي الاداء فان وجد من يراعيها معاً فلاشك في انه ارجح من غيره لانه يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من حرمة الاداء والله اعلم اهـ (١) في البخاري زيادة باب كما سبق في أمثاله

يتلوه آناء الليل والنهار فسمعه جار له فقال ليتني أوتيت ما أوتي فلان فعملت مثل مايعمل، ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال رجل ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل مايعمل »

ومضمون هذين الحديثين أن صاحب القرآن في غبطة وهي حسن الحال فينبغي أن يكون شديد الاغتباط بما هو فيه، ويستحب تغبيطه بذلك، يقال غبطه يغبطه بالكسر غبطا اذا تمنى مثل ماهو فيه من النعمة، وهذا بخلاف الحسد المذموم، وهو تمني زوال نعمة المحسود عنه سواء حصلت لذلك الحاسد أولا، وهذا مذموم شرعا مهلك، وهو أول معاصي ابليس حين حسد آدم مامنحه الله تعالى من الكرامة والاحترام والاعظام. والحسد الشرعي الممدوح هو تمني حال مثل ذاك الذى هو على حالة سارة، ولهذا قال عليه السلام « لاحسد إلا في اثنتين » فذكر النعمة القاصرة وهو تلاوة القرآن آناء الليل والنهار والنعمة المتعدية وهي انفاق المال بالليل والنهار كما قال تعالى (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور)

وقد روي نحو هذا من وجه آخر فقال عبدالله بن الامام أحمد وجدت في كتاب أبى بخط يده: كتب إلي أبو توبة الربيع بن نافع فكان في كتابه حدثنا الهيثم بن حميد عن زيد بن واقد عن سليم بن موسى عن كثير بن مرة عن يزيد بن الاخنس أن رسول الله (ص) قال « لاتنافس بينكم إلا في اثنتين: رجل أعطاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ويتبع مافيه فيقول رجل لو أن الله أعطانى مثل ما اعطى فلانا فأقوم به كما يقوم به، ورجل اعطاه الله مالا فهو ينفق ويتصدق فيقول رجل لو أن الله أعطانى مثل ما أعطى فلانا فأتصدق به » وقريب من هذا ماقال الامام أحمد: ثنا عبدالله بن نمير ثنا عبادة بن مسلم وحدثنى يونس بن حباب عن سعيد أبى البحترى الطائي عن أبى كبشة قال سمعت رسول الله (ص) يقول « ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه، فاما الثلاث التي اقسم عليهن فانه مانقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم أحد مظلمة فيصبر عليها إلا زاده الله بها عزاً، ولا يفتح عبد باب مسئلة إلا فتح الله له باب فقر — وأما الذى احدثكم حديثا فاحفظوه فانه قال - إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل رحمه ويعلم

فيه حقه - قال - فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو يقول لو كان لي مال عملت بعمل فلان - قال - فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم ، لا يتقي فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقه ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو كان لي مال لفعلت بعمل فلان - قال - هي نيته فوزرهما فيه سواء »

وقال أيضا حدثنا وكيع ثنا الاعمش عن سالم بن أبي الجعد عن أبي كبشة الانماري قال قال رسول الله ﷺ « مثل هذه الامة مثل أربعة نفر : رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل به في ماله ينفقه في حقه ، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل — قال قال رسول الله — فهما في الأجر سواء ، ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط فيه ينفقه في غير حقه ، ورجل لم يؤته الله مالا ولا علما فهو يقول لو كان لي مثل مال هذا عملت فيه مثل الذي يعمل - قال قال رسول الله - فهما في الوزر سواء » اسناد صحيح ولله الحمد والمنة

﴿ خيركم من تعلم القرآن وعلّمه ﴾ (١)

حدثنا حجاج بن منهال ثنا شعبة أخبرني علقمة بن مرثد سمعت سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي (ص) قال « خيركم من تعلم القرآن وعلّمه » وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان رضي الله عنه حتى كان الحجاج ، قال وذلك الذي أقعدني مقعدي هذا .

وقد أخرج الجماعة هذا الحديث سوى مسلم من رواية شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن وهو عبد الله بن حبيب السلمي رحمه الله

وحدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه قال : قال النبي (ص) « ان أفضلكم من تعلم القرآن وعلّمه » وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن سفيان عن علقمة عن أبي عبد الرحمن من

---

(١) في البخاري (باب خيركم) الخ

غير ذكر سعد بن عبيدة، كما رواه شعبة ولم يختلف عليه فيه، وهذا المقام مما حكم لسفيان الثوري فيه على شعبة . وخطأ بندار يحيي بن سعيد في روايته ذلك عن سفيان عن علقمة عن سعد ابن عبيدة عن أبى عبد الرحمن، وقال رواه الجماعة من أصحاب سفيان عنه باسقاط سعد بن عبيدة ورواية سفيان أصح . وفي هذا المقام المتعلق بصناعة الاسناد طول لولا الملالة لذكرناه . وفيما ذكر كفاية وارشاد إلى ما ترك ، والله أعلم

والغرض أنه عليه الصلاة والسلام قال «خيركم من تعلم القرآن وعلّمه» وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل وهم الكمل في أنفسهم المكملين لغيرهم، وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدي ، وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لاينفعون ولا يتركون أحداً ممن أمكنهم أن ينتفع كما قال تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب) وكما قال تعالى (وهم ينهون عنه وينأون عنه) في أصح قولي المفسرين في هذا وهو أنهم ينهون الناس عن اتباع القرآن مع نأيهم وبعدهم عنه أيضاً فجمعوا بين التكذيب والصد كما قال تعالى (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) فهذا شأن شرار الكفار ، كما أن شأن الاخيار الابرار أن يتكمل في نفسه وأن يسعى في تكميل غيره كما قال عليه السلام « خيركم من تعلم القرآن وعلّمه » وكما قال تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) فجمع بين الدعوة إلى الله سواء كان بالاذان أو بغيره من أنواع الدعوة إلى الله تعالى من تعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك مما يبتغى به وجه الله، وعمل هو في نفسه صالحا وقال قولا صالحا أيضاً فلا أحد أحسن حالا من هذا . وقد كان أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي الكوفي أحد أئمة الاسلام ومشايخهم ممن رغب في هذا المقام فقعد يعلم الناس من إمارة عثمان الى أيام الحجاج قالوا وكان مقدار ذلك الذي مكث يعلم فيه القرآن سبعين سنة رحمه الله وأثابه وآتاه ماطلبه ورامه آمين

قال البخاري حدثنا عمرو بن عون ثنا حماد بن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : أتت النبي (ص) امرأة فقالت انها قد وهبت نفسها لله ولرسوله فقال « مالي في النساء من حاجة» فقال رجل زوجنيها ؟ قال « أعطها ثوبا » قال لا أجد قال «أعطها ولو خاتما من حديد» فاعتل له فقال « مامعك من القرآن؟» قال كذا وكذا فقال «قد زوجتكها بما معك من القرآن» وهذا

الحديث متفق على صحة اخراجه من طرق عديدة، والغرض منه الذي قصده البخاري أن هذا الرجل تعلم الذي تعلمه من القرآن وأمره النبي (ص) أن يعلم تلك المرأة ويكون ذلك صداقا لها على ذلك. وهذا فيه نزاع بين العلماء هل يجوز أن يجعل صداقا ؟ أو هل يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ؟ وهل هذا كان خاصاً بذلك الرجل ؟ وما معنى قوله عليه السلام « زوجتكها بما معك من القرآن » أي بسبب مامعك كما قاله أحمد بن حنبل: نكرمك بذلك أو بعوض مامعك، وهذا أقوى لقوله في صحيح مسلم «فعلمها » وهذا هو الذي أراده البخاري ههنا وتحرير باقي الخلاف مذكور في باب النكاح والاجارات وبالله المستعان

﴿ القراءة عن ظهر قلب ﴾ (١)

انما أورد البخاري في هذه الترجمة حديث أبي حازم بن سهل بن سعد الحديث الذي تقدم الآن وفيه أنه عليه السلام قال الرجل « فما معك من القرآن ؟ » قال معي سورة كذا وسورة كذا لسور عدها قال « أتقرأهن عن ظهر قلب ؟ » قال نعم قال « اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن » وهذه الترجمة من البخاري رحمه الله مشعرة بأن قراءة القرآن عن ظهر قلب أفضل والله أعلم . ولكن الذي صرح به كثيرون من العلماء أن قراءة القرآن من المصحف أفضل لانه يشتمل على التلاوة والنظر في المصحف وهو عبادة كما صرح به غير واحد من السلف وكرهوا أن يمضي على الرجل يوم لا ينظر في مصحفه

واستدلوا على أفضلية التلاوة في المصحف بما رواه الامام العلم ابو عبيد رحمه الله في كتابه (فضائل القرآن) حدثنا نعيم بن حماد عن بقية بن الوليد عن معاوية بن يحي عن سليم ابن مسلم عن عبد الله بن عبد الرحمن عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرؤه ظهرا كفضل الفريضة على النافلة » وهذا الاسناد فيه ضعف فان معاوية بن يحي هذا هو الصدفي أو الأطرابلسي وأيا ما كان فهو ضعيف . وقال الثوري عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال أديموا النظر في

(١) في البخاري زيادة كلمة باب كنظائره ولا نعيد التنبيه لهذا بعد فقد صار معلوما باطراد

المصحف . وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس عن عمر أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه . وقال حماد أيضا عن ثابت عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن ابن مسعود أنه كان اذا اجتمع اليه اخوانه نشروا المصحف فقرأ أو فسر لهم . اسناد صحيح ، وقال حماد بن سلمة عن حجاج بن أرطاة عن ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر قال اذا رجع أحدكم من سوقه فلينشر المصحف وليقرأ . وقال الاعمش عن خيثمة دخلت على ابن عمر وهو يقرأ في المصحف فقال هذا جزئي الذي أقرأ به الليلة

فهذه الآثار تدل على أن هذا أمر مطلوب لئلا يعطل المصحف فلا يقرأ منه(١) ولعله قد يقع لبعض الحفظة نسيان فيستذكر منه ، أو تحريف كلمة أو آية أو تقديم أو تأخير فالاستثبات أولى والرجوع الى المصحف أثبت من افواه الرجال .

فأما تلقين القرآن فمن فم الملقن أحسن لان الكتابة لا تدل على الاداء كما أن المشاهد من كثير ممن يحفظ من الكتابة فقط يكثر تصحيفه وغلطه واذا أدى الحال الى هذا منع منه اذا وجد شيخا يوقفه على ألفاظ القرآن . فأما عند العجز عما يلقن فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، فيجوز عند الضرورة مالا يجوز عند الرفاهية ، فاذا قرأ في المصحف والحالة هذه فلا حرج عليه ولو فرض أنه قد يحرف بعض الكلمات عن لفظها على لغته ولفظه ، فقد قال الامام أبو عبيد حدثني هشام بن اسماعيل الدمشقي عن محمد بن شعيب عن الاوزاعي أن رجلا صحبهم في سفر قال فحدثنا حديثا ما أعلمه الا رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان العبد اذا قرأ فحرف أو أخطأ كتبه الملك كما أنزل » وحدثنا حفص بن ابي غياث عن الشيباني عن بكير بن الاخنس قال كان يقال اذا قرأ الاعجمي والذي لا يقيم القرآن كتبه الملك كما أنزل .

وقال بعض العلماء المدار في هذه المسئلة على الخشوع فان كان الخشوع أكثر عند القراءة عن ظهر قلب فهو أفضل وإن كان عند النظر في المصحف أكثر فهو أفضل . فان استويا فالقراءة نظراً أولى لانها أثبت وتمتاز بالنظر الى المصحف . قال الشيخ أبو زكريا النواوى رحمه الله في التبيان : والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل

---

(١) وتدل أيضا على ماكان من كثرة المصاحف عند الصحابة (رض) وهو مايجهله كثير من الناس

تنبيه

إن كان البخاري رحمه الله أراد بذكره حديث سهل الدلالة على ان تلاوة القرآن عن ظهر قلب أفضل منها في المصحف ففيه نظر(١) لانها قضية عين فيحتمل أن ذلك الرجل كان لايحسن الكتابة ويعلم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فلا يدل على أن التلاوة عن ظهر قلب أفضل مطلقا في حق من يحسن ومن لايحسن إذ لو دل على هذا لكان ذكر حال رسول الله وتلاوته عن ظهر قلب ـ لانه أمي لايدري الكتابة ـ أولى من ذكر هذا الحديث بمفرده. الثاني ان سياق الحديث إنما هو لاجل استثبات أنه يحفظ تلك السور عن ظهر قلب ليمكنه تعليمها لزوجته، وليس المراد ههنا ان هذا أفضل من التلاوة نظراً ولا عدمه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ استذكار القرآن وتعاهده ﴾

حدثنا عبد الله بن يوسف انا مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة. إن عاهد عليها أمسكها. وان أطلقها ذهبت»

هكذا رواه مسلم والنسائي من حديث مالك به. وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن ايوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل القرآن اذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار كمثل رجل له إبل فان عقلها حفظها وإن اطلق عقالها ذهبت فكذلك صاحب القرآن» أخرجاه، قاله ابن الجوزي في جامع المسانيد وانما هو من افراد مسلم من حديث عبد الرزاق به

حدثنا محمد بن عرعرة (٢) ثنا شعبة عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال قال النبي

---

(١) هذه الشرطية لا وجه لها فموضوع الحديث الحفظ التام لما معه من القرآن بحيث يستطيع قراءته عن ظهر قلب وليس فيه أدنى إشارة الى تفضيل هذه القراءة على غيرها ولا إلى مقابله. وحفظ القرآن أمر عظيم وله مزايا من أعظمها فائدة تمكن الحافظ من التلاوة في الاوقات والحالات التي لا يتمكن فيها من نظر المصحف أو لا يجده فيها وهي كثيرة (٢) هذا هو الحديث الثاني في الباب عند البخاري. ولولا وضعنا له في أول السطر لظن الكثيرون أنه لعبد الرزاق

صلى الله عليه وسلم «بئس ما لاحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نُسّي، واستذكروا القرآن فانه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم»

تابعه بشر هو ابن محمد السختياني عن ابن المبارك عن شعبة وقد رواه الترمذى عن محمود بن غيلان عن أبي داود الطيالسى عن شعبة به وقال حسن صحيح

وأخرجه النسائي من رواية شعبة وحدثنا عثمان بن جرير عن منصور مثله. وهكذا رواه مسلم عن عثمان وزهير بن حرب واسحاق بن ابراهيم عن جرير به، وستأتي رواية البخاري له عن أبي نعيم عن سفيان الثوري عن منصور به، والنسائي من رواية ابن عيينة عن منصور به فقد رواه هؤلاء عن منصور به مرفوعا في رواية هؤلاء كلهم وقد رواه النسائي عن قتيبة عن حماد بن زيد عن منصور عن أبي وائل عن عبدالله موقوفا وهذا غريب. وفي مسند أبي يعلى «فانما هو نسي» بالتخفيف وتابعه ابن جريج عن عبدة عن شقيق قال سمعت عبد الله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا أسنده مسلم من حديث ابن جريج به. ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث محمد بن جحادة عن عبدة وهو ابن أبي لبابة به

حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو اسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من الابل في عقلها»

وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب محمد بن العلاء وعبدالله بن براد الاشعري كلاهما عن أبي أسامة حماد بن أسامة به

وقال الامام احمد ثنا علي بن اسحاق أنا عبد الله بن المبارك انا موسى بن على سمعت أبي يقول سمعت عقبة بن عامر يقول قال رسول الله (ص) «تعلموا كتاب الله وتعاهدوه وتغنوا به، فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من المخاض في العقل»

ومضمون هذه الاحاديث الترغيب في كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده لئلا يعرضه حافظه للنسيان فان ذلك خطأ كبير نسأل الله العافية منه، فانه قال الامام احمد حدثنا خلف بن الوليد ثنا خالد عن يزيد بن أبى زياد عن عيسى بن فايد عن رجل عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا لا يفكه من ذلك الغل إلا العدل» وهكذا رواه جرير بن عبد الحميد ومحمد

ابن فضيل عن يزيد بن أبي زياد كما رواه خالد بن عبدالله، وقد أخرجه أبو داود عن محمد بن العلاء عن ابن ادريس عن يزيد بن ابي زياد عن عيسى بن فايد عن سعد بن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم بقصة نسيان القرآن ولم يذكر الرجل المبهم، وكذا رواه أبو بكر بن عباس عن يزيد بن أبى زياد، وقد رواه سعيد عن زيد ووهم في اسناده، ورواه وكيع عن اصحابه عن زيد بن عيسى بن فايد عن النبي (ص) رسلا، وقد رواه الامام أحمد في مسند عبادة بن الصامت فقال: ثنا عبدالصمد ثنا عبد العزيز بن مسلم ثنا يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فايد عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله (ص) « مامن أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا لا يفكه منها إلا عدله، وما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه إلا لقي الله يوم القيامة أجذم » وكذا رواه ابو عوانة عن يزيد بن أبي زياد ففيه اختلاف لكن هذا في باب الترهيب مقبول والله أعلم، لا سيما ان كان له شاهد من وجه آخر كما قال أبو عبيد ثنا حجاج عن ابن جريج قال حدثت عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) « عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة والبعرة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أكبر من آية أو سورة من كتاب الله أوتيها رجل فنسيها » قال ابن جريج وحدثت عن سلمان الفارسى قال قال رسول الله (ص) « من أكبر ذنوب توافى به أمتي يوم القيامة سورة من كتاب الله كانت مع احدهم فنسيها » وقد روى ابو داود والترمذي وابو يعلى والبزار وغيرهم من حديث ابن أبي داود عن ابن جريج عن المطلب بن عبدالله بن حنطب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) « عرضت علي اجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا اعظم من سورة من القرآن او آية أوتيها رجل ثم نسيها » قال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وذاكرت به البخارى فاستغربه

وحكى الوالي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي انه انكر سماع المطلب من أنس بن مالك (قات) وقد رواه محمد بن يزيد الادمي عن ابن أبي داود عن ابن جريج عن الزهرى عن أنس عن النبي (ص) به فالله أعلم.

وقد ادخل بعض المفسرين هذا المعنى في قوله تعالى (ومن اعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ؟

قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وهذا الذى قاله هذا وان لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه ، فان الاعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد نعوذ بالله منه ، ولهذا قال عليه السلام « تعاهدوا القرآن » وفي لفظ « استذكروا القرآن فانه اشد تفصيا من صدور الرجال من النعم » التفصي التخلص يقال تفصى فلان من البلية اذا تخلص منها ، ومنه تفصى النوى من التمرة إذا تخلص منها أي ان القران اشد تفلتا من الصدور من النعم إذا ارسلت من غير عقال .

وقال ابو عبيد ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم قال قال عبد الله - يعني ابن مسعود - إني لأميت القارىء ان أراه سمينا نسيا للقرآن . وحديث عبد الله بن المبارك عن عبد العزيز ابن أبي داود قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول ما من احد تعلم القرآن فنسيه إلا بذنب يحدثه لان الله تعالى يقول (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم) وان نسيان القرآن من أعظم المصائب . ولهذا قال اسحاق بن راهويه وغيره يكره للرجل ان عمر عليه اربعون يوما لا يقرأ فيها القرآن كما انه يكره له ان يقرأه في اقل من ثلاثة ايام كما سيأتي هذا حيث يذكره البخاري بعد هذا وكان الاليق ان يتبعه هذا الباب ولكن ذكر بعد هذا قوله

القراءة على الدابة

حدثنا حجاج أنا شعبة انا ابو إياس قال سمعت عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال رأيت رسول الله (ص) يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحلته سورة الفتح ،

وهذا الحديث قد خرجه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن شعبة عن أبي إياس وهو معاوية بن قرة به ، وهذا أيضا له تعلق بما تقدم من تعاهد القرآن وتلاوته سفراً وحضراً ، ولا يكره ذلك عند أكثر العلماء اذا لم يلته القارىء في الطريق ، وقد نقله ابن أبي داود عن أبى الدرداء انه كان يقرأ في الطريق ، وقد روي عن عمر بن عبد العزيز انه أذن في ذلك ، وعن الامام مالك انه كره ذلك كما قال ابن أبي داود حدثنى أبو الربيع أنا ابن وهب قال سألت مالكا عن الرجل يصلي من آخر الليل فخرج الى المسجد وقد بقي من السورة التي كان يقرأ منها شيء فقال ما اعلم القراءة تكون في الطريق ، وقال الشعبي تكره قراءة القرآن في ثلاثة

مواضع في الحمام وفي الحشوش وفي بيت الرحى وهي تدور، وخالفه في القراءة في الحمام كثير من السلف انها لا تكره وهو مذهب مالك والشافعي وابراهيم النخعي وغيرهم، وروى ابن أبي داود عن علي بن أبي طالب انه كره ذلك ونقله ابن المنذر عن أبي وائل شقيق بن سلمة والشعبي والحسن البصري ومكحول وقبيصة بن ذؤيب وهو رواية عن ابراهيم النخعي ويحكى عن أبي حنيفة رحمه الله أن القراءة في الحمام تكره، وأما القراءة في الحش فكراهتها ظاهرة ولو قيل بتحريم ذلك صيانة لشرف القرآن لكان مذهبا. وأما القراءة في بيت الرحى وهي تدور فلئلا لا يعلو غير القرآن عليه والحق يعلو ولا يعلى والله أعلم

تعلم الصبيان القران

حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال ان الذي تدعونه المفصل هو المحكم قال وقال ابن عباس توفي رسول الله (ص) وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم، حدثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا هشيم أنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جمعت المحكم في عهد النبي (ص) فقلت له وما المحكم؟ قال المفصل

انفرد باخراجه البخاري، وفيه دلالة على جواز تعلم الصبيان القرآن لان ابن عباس اخبر عن سنه حين موت رسول الله (ص) وقد كان جمع المفصل وهو من الحجرات كما تقدم ذلك وعمره اذ ذاك عشر سنين

وقد روى البخارى انه قال توفي رسول الله (ص) وأنا مختون وكانوا لا يختنون حتى يحتلم فيحتمل أنه احتلم لعشر سنين جمعا بين هذه الرواية وتلك ويحتمل انه تجوز في هذه الرواية بذكر العشر وترك مازاد عليها من الكسر والله اعلم

وعلى كل تقدير ففيه دلالة على جواز تعليم القرآن في الصبا وهو ظاهر بل قد يكون مستحبا أو واجبا لان الصبي اذا تعلم القران بلغ وهو يعرف ما يصلي به، وحفظه في الصغر أولى من حفظه كبيرا وأشد علوقا بخاطره وأرسخ وأثبت كما هو المعهود من حال الناس وقد استحب بعض السلف أن يترك الصبي في ابتداء عمره قليلا للعب ثم توفر همته على القراءة لئلا يلزم أولا بالقراءة فيملها ويعدل عنها الى اللعب، وكره بعضهم تعليمه القرآن

وهو لا يعقل ما يقال له ولكن يترك حتى اذا عقل وميز علم قليلا قليلا بحسب همته ونهمته وحفظه وجودة ذهنه . واستحب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يلقن خمس آيات خمس آيات رويناه عنه بسند جيد

نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا ؟

وقول الله (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله)

حدثنا الربيع بن يحيي ثنا زائدة ثنا هشام بن عروة عن عائشة قالت لقد سمع النبى (ص) رجلا يقرأ في المسجد فقال « رحمه الله لقد أذكرنى آية كذا وكذا من سورة كذا» انفرد به ، وحدثنا محمد بن عبيد بن ميمون ثنا عيسى بن يونس عن هشام وقال «اسقطتهن من سورة كذا وكذا» انفرد به أيضا، تابعه علي بن مسهر وعبدة عن هشام وقد اسندهما البخاري في موضع آخر ومسلم معه في عبدة .

حدثنا احمد بن أبي رجاء ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سمع رسول الله (ص) رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال « يرحمه الله لقد أذكرنى كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا» ورواه مسلم من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة(١)

---

(١) يستدل الفقهاء بمثل هذا على جواز النسيان على النبي ﷺ ولكن قيدوه إجماعا بما ليس سبيله التبليغ فلا يجوز نسيانه كما لا يجوز كتمانه ونتيجتهما واحدة وان كان حكمهما في الناس مختلفا من حيث يكون النسيان عن غير تقصير أمراً طبيعياً لا يؤاخذ صاحبه عليه . ولكن الله عصم رسله من نسيان ما أمرهم بتبليغه لئلا تبطل به حكمة الرسالة فيه ، والراجح في قوله تعالى (فلا تنسى الا ما شاء الله) ان الاستثناء فيه منقطع لتأكيد النفي بمعنى أن النسيان لما نقرئك إياه ممتنع لا يمكن وقوعه منك بمقتضى الطبع كغيرك ولا في أي حال من الاحوال لكن إذا أراد الله وحده أن ينسيك شيئا فلا راد لمشيئته . وهذا لا يدل على وقوع هذه المشيئة فهو كقوله تعالى حكاية عن خليله ابراهيم (ص) في خطاب قومه المشركين (ولا أخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا) الآية وفي معناه قول الفراء هو للتبرك وليس هنالك شيء استثني . وقيل المراد بالنسيان المنفي العمل به وهو مجاز مستعمل فصيح والنسيان المذكور في الحديث موضوعه شيء كان وقع التبليغ به، والذي أراه أنه كان نسيانا عارضاً بحيث لو قرأ (ص) السورة بعده لقرأها تامة ، وإلا كانت الرواية مردودة وان صح سندها عند البخاري فانه كغيره لم يكن يعلم من حال الرواة الا الظاهر وهو كاف في قبول روايتهم الا إذا عارضها مثل هذا المانع ، وهو قد انفرد برواية هذا الحديث كما رأيت. ونسيان القرآن من الكبائر لما ورد فيه

(الحديث الثاني) حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن منصور عن أبي وائل عن عبدالله رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت كيت وكيت بل هو نسي»

ورواه مسلم والنسائى من حديث منصور به وقد تقدم . وفي مسند أبي يعلى «إنما هو نسي» بالتخفيف هذا لفظه . وفي هذا الحديث والذى قبله دليل على أن حصول النسيان للشخص ليس بنقص له اذا كان بعد الاجتهاد والحرص

وفي حديث ابن مسعود ادب في التعبير عن حصول ذلك فلا يقول نسيت كذا فان النسيان ليس من فعل العبد ، وقد تصدر عنه اسبابه من التناسي والتغافل والتهاون المفضي الى ذلك، فاما النسيان نفسه فليس بفعله، ولهذا قال بل هو نسي مبني لما لم يسم فاعله، وأدب أيضا في ترك اضافة ذلك الى الله تعالى وقد اسند النسيان الى العبد في قوله تعالى (واذكر ربك اذا نسيت) وهو والله اعلم من باب المجاز السائغ بذكر المسبب وارادة السبب لان النسيان انما يكون عن سبب قد يكون ذنبا كما تقدم عن الضحاك بن مزاحم فأمر الله تعالى بذكره ليذهب الشيطان عن القلب كما يذهب عند النداء بالاذان، والحسنة تذهب السيئة ، فاذا زال السبب للنسيان انزاح فحصل الذكر للشيء بسبب ذكر الله تعالى والله أعلم

﴿ من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا ﴾

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الاعمش حدثني ابراهيم عن علقمة وعبد الرحمن ابن يزيد عن أبي مسعود الانصاري قال : قال رسول الله (ص) « الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه »

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة من حديث عبد الرحمن بن يزيد وصاحبا الصحيح والنسائي وابن ماجه من حديث علقمة كلاهما عن أبي مسعود عتبة بن عمرو الانصاري البدري

﴿الحديث الثاني﴾ مارواه من حديث الزهري عن عروة عن المسور وعبد الرحمن بن عبد القاري كلاهما عن عمر قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ (سورة الفرقان) وذكر الحديث بطوله كما تقدم وكما سيأتي (١)

(١) قوله: وذكر الحديث الخ من كلام المؤلف يعني وذكر البخاري الحديث بطوله

﴿الحديث الثالث﴾ مارواه من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة سمع رسول الله (ص) قارئا يقرأ من الليل في المسجد فقال «رحمه الله أذكرنى كذا وكذا آية كنت أسقطتهن من سورة كذا وكذا»

وهكذا في الصحيحين عن ابن مسعود أنه كان يرمي الجمرة من الوادي ويقول هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة.

وكره بعض السلف ذلك ولم يروا أن يقال إلا السورة التي يذكر فيها كذا وكذا كما جاء وتقدم من رواية يزيد الفارسي عن ابن عباس عن عثمان أنه قال اذا نزل من القرآن شيء يقول رسول الله (ص) «اجعلوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا» ولا شك أن هذا أحوط وأولى، ولكن قد صحت الاحاديث بالرخصة في الآخر وعليه عمل الناس اليوم في ترجمة السور في مصاحفهم وبالله التوفيق

﴿الترتيل في القراءة﴾

وقوله عز وجل (ورتل القرآن ترتيلا - وقوله - وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث) وما يكره أن يهذ كهذّ الشعر. (يفرق فيها) يفصّل، قال ابن عباس (فرقناه) فصلناه.

حدثنا أبو النعمان ثنا مهدي بن ميمون ثنا واصل عن أبي وائل عن عبد الله قال غدونا على عبد الله فقال رجل قرأت المفصل البارحة فقال هذا كهذّ الشعر انا قد سمعنا القراءة وإني لأحفظ القرناء اللاتي كان يقرأ بهن النبي (ص) ثماني عشرة سورة من المفصل وسورتين من آل حم(١)

ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن مهدى بن ميمون عن واصل وهو ابن حبان الأحدب عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود به

وقال الامام أحمد ثنا قتيبة ثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن زياد بن نعيم عن مسلم ابن مخراق عن عائشة أنه ذكر لها أن ناساً يقرءون القرآن في الليل مرة أو مرتين، فقالت أولئك قرأوا ولم يقرأوا: كنت أقوم مع النبي (ص) ليلة التمام فكان يقرأ سورة البقرة

(١) ورسمها بعضهم هنا «حاميم» ويعني بالسورتين المضافتين الى المفصل هنا الدخان والتي تليها ويقال انها كانت كذلك في مصحف ابن مسعود والحديث تقدم

وآل عمران والنساء فلا يمر بآية فيها تخوف إلا دعا الله واستعاذ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب اليه .

﴿ الحديث الثانى ﴾ ثنا قتيبة ثنا جرير عن موسى بن أبى عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) كان رسول الله (ص) اذا نزل جبريل بالوحي كان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه ،

وذكر تمام الحديث كما سيأتي وهو متفق عليه، وفيه وفي الذى قبله دليل على استحباب ترتيل القراءة والترسل فيها من غير هذرمة ولا بسرعة مفرطة بل بتأمل وتفكر قال الله تعالى (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدّبروا آياته وليتذكر أولو الالباب)

وقال الامام أحمد ثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن النبي (ص) قال « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرؤها »

وقال أبو عبيد ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال : قرأ علقمة على عبد الله فكأنه عجل فقال عبد الله فداك أبى وأمي ، رتل فانه زين القرآن. قال وكان علقمة حسن الصوت بالقرآن . وحدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن أيوب عن أبى حمزة قال قلت لابن عباس إني سريع القراءة واني أقرأ القرآن في ثلاث ، فقال لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدّبرها وأرتلها أحب إلى من أن أقرأ كما تقول . وحدثنا حجاج عن شعبة وحماد بن سلمة عن أبى حمزة عن ابن عباس نحو ذلك إلا أن في حديث حماد أحب إلي من أن اقرأ القرآن أجمع هذرمة

ثم قال البخارى رحمه الله

﴿ مد القراءة ﴾

حدثنا مسلم بن ابراهيم ثنا جرير بن حازم الازدى ثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي (ص) فقال كان يمد مداً . وهكذا رواه أهل السنن من حديث جرير بن حازم به حدثنا عمرو بن عاصم ثنا همام عن قتادة قال سئل أنس بن مالك كيف كان قراءة النبي (ص) ؟

فقال كانت مداً ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد ببسم الله(١) ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم انفرد به البخارى من هذا الوجه. وفي معناه الحديث الذى رواه الامام أبو عبيد ثنا احمد ابن عثمان عن عبد الله بن المبارك عن الليث بن سعد عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم سلمة أنها نعتت قراءة رسول الله (ص) مفسرة حرفا حرفا . وهكذا رواه الامام أحمد ابن حنبل عن يحيي بن اسحاق وأبو داود عن يزيد بن خالد الرملي والترمذى والنسائي كلاهما عن قتيبة كلهم عن الليث بن سعد به وقال الترمذى حسن صحيح

ثم قال أبو عبيد وحدثنا يحيي بن سعيد الاموي عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ام سلمة قالت كان رسول الله (ص) يقطع قراءته (بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) وهكذا رواه ابو داود من حديث ابن جريج وقال الترمذى غريب وليس اسناده بمتصل يعني ان عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة لم يسمعه من ام سلمة إنما رواه عن يعلى بن مملك كما تقدم والله تعالى اعلم

الترجيع

حدثنا آدم بن ابي اياس حدثنا شعبة حدثنا ابو إياس قال سمعت عبد الله بن مغفل قال رأيت النبي (ص) وهو على ناقته او جمله تسير به وهو يقرأ سورة الفتح او من سورة الفتح قراءة لينة وهو يرجع . وقد تقدم هذا الحديث في القراءة على الدابة وأنه من المتفق عليه ،وفيه ان ذلك كان يوم الفتح . واما الترجيع فهو الترديد في الصوت كما جاء ايضاً في البخارى انه جعل يقول ااا وكأن ذلك صدر من حركة الدابة تحته فدل على جواز التلاوة عليه وإن افضى إلى ذلك . ولا يكون ذلك من باب الزيادة في الحروف بل ذلك مغتفر للحاجة كما يصلي على الدابة حيث توجهت به مع امكان تأخير ذلك والصلاة الى القبلة والله اعلم

حسن الصوت بالقراءة

حدثنا محمد بن خلف ابو بكر حدثنا يحيي الحماني ثنا يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى ان رسول الله (ص) قال « يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»

(١) أي لام لفظ الجلالة والمد في أسماء البسملة هو الذي يسميه القراء المد الطبيعي الذي لا يتحقق حرف المد بدونه وحروف المد هي الالف والواو والياء الساكنة

وهكذا رواه الترمذي عن موسى بن عبد الرحمن الكندى عن أبي يحي الحماني واسمه عبد الحميد بن عبد الرحمن وقال حسن صحيح. وقد رواه مسلم من حديث طلحة بن يحي بن طلحة عن ابي بردة عن ابى موسى وفيه قصة، وقد تقدم الكلام على تحسين الصوت عند قول البخارى من لم يتغن بالقرآن وذكرت هناك احكاما أغنى عن إعادتها ههنا والله تعالى أعلم

﴿من أحب أن يسمع القراءة من غيره﴾

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال: قال لي النبي (ص) «اقرأ علي القرآن» قلت أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال «انى أحب ان أسمعه من غيرى»

وقد رواه الجماعة الا ابن ماجه من طرق عن الاعمش، وله طرق يطول بسطها، وقد تقدم فيما رواه مسلم من حديث طلحة بن يحي بن طلحة عن أبي بردة عن أبي موسى ان رسول الله (ص) قال له «يا أبا موسى لو رأيتني وانا أستمع لقراءتك البارحة» فقال أما والله لو أعلم انك تستمع قراءتي لحبرتها لك تحبيراً. وقال الزهري عن ابي سلمة كان عمر اذا رأى أبا موسى قال: ذكرنا ربنا يا أبا موسى، فيقرأ عنده، وقال ابو عثمان النهدى كان أبو موسى يصلي بنا فلو قلت انى لم أسمع صوت صنج قط ولا بربط قط ولا شيئا قط احسن من صوته.

﴿قول المقرىء للقارىء حسبك﴾

حدثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال قال لي رسول الله (ص) «اقرأ علي - فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك انزل؟ قال - «نعم» فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت الى هذه الآية (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) قال «حسبك الان» فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان، اخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من رواية الاعمش به، ووجه الدلالة ظاهر وكذا الحديث الآخر «اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فاذا اختلفتم فقوموا»

﴿ في كم يقرأ القرآن ؟ ﴾

وقول الله تعالى (فاقرءوا ماتيسر منه)

حدثنا علي حدثنا سفيان قال قال لي ابن شبرمة نظرت كم يكفي الرجل من القرآن ؟ فلم أجد سورة أقل من ثلاث آيات، فقلت لا ينبغي لأحد أن يقرأ أقل من ثلاث آيات. قال سفيان (١) أخبرنا منصور عن ابراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد أخبره علقمة عن أبي مسعود فلقيته (٢) وهو يطوف بالبيت فذكر النبي ﷺ أن «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»

وقد تقدم أن هذا الحديث متفق عليه وقد جمع البخاري فيما بين عبد الرحمن بن يزيد وعلقمة عن أبي مسعود وهو صحيح لان عبد الرحمن سمعه أولا من علقمة ثم لقي أبا مسعود وهو يطوف فسمعه منه وعلي هذا هو ابن المديني وشيخه سفيان بن عيينة وما قاله عبد الله ابن الكوفة فقيه الكوفة في زمانه استنباط حسن

وقد جاء في حديث في السنن « لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وثلاث آيات » ولكن هذا الحديث أعني حديث أبي مسعود أصح وأشهر وأخص ولكن وجه مناسبته للترجمة التي ذكرها البخاري فيه نظر . والله أعلم (٣) والحديث الثاني أظهر في المناسبة وهو قوله

حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا أبو عوانة عن مغيرة عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال: انكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته فيسألها عن بعلها فتقول : نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشا ولم يفتش لنا كنفا (٤) منذ أتيناه . فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ

---

(١) هذا لفظ رواية أبي ذر للبخاري وفيها اختصار وسائر الروايات : قال علي حدثنا سفيان الخ

(٢) في نسخة البخاري التي شرح عليها الحافظ والقسطلاني : ولقيته الخ يعني أن عبد الرحمن كان سمع هذا الحديث من علقمة بن قيس عن أبي مسعود البدري (رض) ثم لقي أبا مسعود وهو يطوف فاخبره به

(٣) قال الحافظ في الرد على المؤلف في قوله هذا : وقد خفيت مناسبة حديث أبي مسعود بالترجمة على ابن كثير والذي يظهر انها من جهة أن الآية المترجم بها تناسب ما استدل به ابن عيينة من حديث أبي مسعود، والجامع بينهما أن كلا من الآية والحديث يدل على الاكتفاء بخلاف ماقال ابن شبرمة اه .

يقول محمد رشيد رضا صاحب هذه التعليقات يريد البخاري أن آية المزمل ترد على ابن شبرمة في قوله لاينبغي لاحد أن يقرأ أقل من ثلاث آيات يعني في الصلاة أو في قيام الليل، وكذا حديث أبي مسعود المرفوع الصريح في الاكتفاء بآيتين وهما آخر سورة البقرة

(٤) وفي رواية ولم يغش من الغشيان . وهو كناية عن عدم مضاجعتها والكنف الستر والجانب

فقال « الفني به » فلقيته بعد فقال « كيف تصوم ؟ » قال كل يوم قال « كيف تختم ؟ » قال كل ليلة ، قال « صم كل شهر ثلاثة ، واقرأ القرآن في كل شهر » قال قلت إني أطيق أكثر من ذلك قال « صم ثلاثة أيام في الجمعة » قلت أطيق أكثر من ذلك قال « أفطر يومين وصم يوما » قلت أطيق أكثر من ذلك قال « صم أفضل الصوم صوم داود صيام يوم وافطار يوم ، واقرأ في كل سبع ليال مرة » فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ وذلك اني كبرت وضعفت ، فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار والذي يقرأ يعرضه بالنهار ليكون أخف عليه بالليل ، واذا أراد أن يتقوى أفطر أياما وأحصى وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئا فارق عليه النبي ﷺ وقال بعضهم في ثلاث وفي خمس واكثرهم على سبع

وقد رواه في الصوم والنسائي أيضا عن بندار عن غندر عن شعبة عن مغيرة ، والنسائي من حديث حصين كلاهما عن مجاهد به

ثم روى البخاري ومسلم وأبو داود من حديث يحيي بن أبي كثير عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي هريرة عن أبي سلمة قال وأحسبني سمعت أنا من أبي سلمة عن عبد الله بن عمرو قال قال النبي ﷺ « اقرأ القرآن في شهر » قلت إني أجد قوة قال « فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك » فهذا السياق ظاهره يقتضي المنع من قراءة القرآن في أقل من سبع ، وهكذا الحديث الذي رواه أبو عبيد : ثنا حجاج وعمر بن طارق ويحيي بن بكير كلهم عن ابن لهيعة عن حبان بن واسع عن أبيه عن قيس بن صعصعة أنه قال للنبي ﷺ يا رسول الله في كم أقرأ القرآن ؟ قال « في كل خمس عشرة » قال إني أجدني أقوى من ذلك قال « ففي كل جمعة »

وحدثنا حجاج عن شعبة عن محمد بن ذكوان رجل من أهل الكوفة قال سمعت عبد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود يقول كان عبد الله بن مسعود يقرأ القرآن في غير رمضان من الجمعة الى الجمعة . وعن حجاج عن شعبة عن أيوب سمعت أبا قلابة عن أبي المهلب قال كان أبي بن كعب يختم القرآن في كل ثمان وكان تميم الداري يختمه في كل سبع وحدثنا هشيم عن الاعمش عن ابراهيم قال كان الاسود يختم القرآن في كل ست وكان علقمة يختمه في كل خمس ، فلو تركنا ومجرد هذا لكان الامر في ذلك جليا ، ولكن دلت أحاديث أخر على جواز قراءته فيما دون ذلك كما رواه الامام أحمد في مسنده حدثنا حسن ثنا

ابن لهيعة حدثنا حبان بن واسع عن أبيه عن سعد بن المنذر الانصاري انه قال يارسول الله أقرأ القرآن في ثلاث ؟ قال « نعم » قال فكان يقرؤه حتى توفي . وهذا اسناد جيد قوي حسن فان حسن بن موسى الاشيب ثقة متفق على جلالته روى له الجماعة وابن لهيعة ، إنما يخشى من تدليسه أو سوء حفظه، وقد صرح ههنا بالسماع، وهو من أئمة العلماء بالديار المصرية في زمانه، وشيخه حبان بن واسع بن حبان وأبوه كلاهما من رجال مسلم والصحابي لم يخرج له أحد من أهل الكتب الستة وهذا على شرط كثير منهم والله أعلم .

وقد رواه أبو عبيد رحمه الله عن ابن بكير عن ابن لهيعة عن حبان بن واسع عن أبيه عن سعد بن المنذر الانصاري انه قال يارسول الله أقرأ القرآن في ثلاث ؟ قال « نعم ان استطعت» قال فكان يقرؤه كذلك حتى توفي

﴿حديث آخر﴾ قال أبو عبيد ثنا يزيد عن همام عن قتادة عن يزيد بن عبدالله بن الشخير عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « لاتفقه في قراءة في أقل من ثلاث» وهكذا أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربعة من حديث قتادة به وقال الترمذي حسن صحيح

﴿حديث آخر﴾ قال أبو عبيد ثنا يوسف بن العرف عن الطيب بن سلمان قال حدثتنا عمرة بنت عبد الرحمن أنها سمعت عائشة تقول: كان رسول الله ﷺ لا يختم القرآن في أقل من ثلاث. هذا حديث غريب جداً وفيه ضعف فان الطيب بن سلمان هذا بصري ضعفه الدارقطني وليس هو بذاك المشهور والله أعلم

وقد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن في أقل من ثلاث كما هو مذهب أبي عبيد واسحاق بن راهويه وغيرهما من الخلف أيضا

قال أبو عبيد ثنا يزيد عن هشام بن حسان عن حفصة عن أبي العالية عن معاذ بن جبل انه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث ، صحيح

وحدثنا يزيد عن سفيان عن علي بن بذيمة عن أبي عبيدة قال عبدالله: من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز وحدثنا حجاج عن شعبة عن علي بن بذيمة عن أبي عبيدة عن عبد الله مثله ، وحدثنا حجاج عن شعبة عن محمد بن ذكوان عن عبدالله بن مسعود عن أبيه انه كان يقرأ القرآن في رمضان في ثلاث . اسناد صحيح

فصل

وقد ترخص جماعات من السلف في تلاوة القرآن في أقل من ذلك منهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال أبو عبيد رحمه الله حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن خصيفة عن السائب ابن يزيد أن رجلا سأل عبد الرحمن بن عثمان التيمي عن صلاة طلحة بن عبيد الله فقال ان شئت اخبرتك عن صلاة عثمان رضي الله عنه فقال نعم قال: قلت لأُغلبن الليلة على الحجر فقمت فلما قمت اذا أنا برجل مقنع يزحمني فنظرت فاذا عثمان بن عفان رضي الله عنه فتأخرت عنه فصلى فاذا هو يسجد سجود القرآن حتى اذا قلت هذه هوادي الفجر أوتر بركعة لم يصل غيرها. وهذا اسناد صحيح ثم قال: ثنا هشيم أنا منصور عن ابن سيرين قال قالت نائلة بنت الفرافصة الكلبية حيث دخلوا على عثمان ليقتلوه: ان تقتلوه أو تدعوه فقد كان يحيي الليل كله بركعة يجمع فيها القرآن. وهذا حسن

وقال أيضا حدثنا أبو معاوية عن عاصم بن سليمان عن ابن سيرين أن تميما الداري قرأ القرآن في ركعة. حدثنا حجاج عن شعبة عن حماد عن سعيد بن جبير أنه قال قرأت القرآن في ركعة في البيت، يعني الكعبة.

وحدثنا جرير عن منصور عن ابراهيم عن علقمة أنه قرأ القرآن في ليلة: طاف بالبيت أسبوعا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمئين، ثم طاف أسبوعا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمثاني، ثم طاف بالبيت أسبوعا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بقية القرآن. وهذه كلها أسانيد صحيحة.

ومن اغرب ماههنا مارواه أبو عبيد رحمه الله حدثنا سعيد بن عفير عن بكر بن مضر أن سليم بن عِتْر التجيبي كان يقرأ القرآن في ليلة ثلاث مرات ويجامع ثلاث مرات، قال فلما مات قالت امرأته رحمك الله إن كنت لترضي ربك وترضي أهلك، قالوا وكيف ذلك؟ قالت كان يقوم من الليل فيختم بالقرآن ثم يلم بأهله، ثم يغتسل ويعود فيقرأ حتى يختم ثم يلم بأهله، ثم يغتسل ويعود فيقرأ حتى يختم، ثم يلم بأهله ثم يغتسل ويخرج إلى صلاة الصبح.

قلت كان سليم بن عِتر تابعيا جليلا ثقة نبيلا وكان قاضيا بمصر أيام معاوية وقاصها، قال

أبو حاتم روى عن أبي الدرداء وعنه ابن زحر ثم قال حدثني محمد بن عوز عن أبي صالح كاتب الليث حدثني حرملة بن عمران عن كعب بن علقمة قال كان سليم بن عتر من خير التابعين - وذكره ابن يونس في تاريخ مصر ، وقد روى ابن أبي داود عن مجاهد أنه كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء ، وعن منصور قال كان علي الازدي يختم فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان(١) وعن ابراهيم بن سعد قال كان أبي يحتبي فما يحل حبوته حتى يختم القرآن.

قلت وروي عن منصور بن زاذان أنه كان يختم فيما بين الظهر والعصر ويختم أخرى فيما بين المغرب والعشاء وكانوا يؤخرونها قليلا ، وعن الامام الشافعي رحمه الله أنه كان يختم في اليوم والليلة من شهر رمضان ختمتين وفي غيره ختمة. وعن أبي عبد الله البخاري صاحب الصحيح أنه كان يختم في الليلة ويومها من رمضان ختمة .

ومن غريب هذا وبديعه ماذكره الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي قال سمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يقول كان ابن الكاتب يختم بالنهار اربع ختمات، وبالليل أربع ختمات وهذا نادر جداً، فهذا وأمثاله من الصحيح عن السلف محمول إما على أنه ما بلغهم في ذلك حديث مما تقدم أو أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يقرءونه مع هذه السرعة والله سبحانه وتعالى أعلم

قال الشيخ أبو زكريا النواوي في كتابه (البيان)(٢) بعد ذكر طرف مما تقدم : والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الاشخاص فمن كان له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم مايقرؤه وكذا من كان مشغولا بنشر العلم وغيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لايحصل بسببه اخلال بما

---

(١) هذا محمول على أنه كان يقرأ آخر القرآن في هذا الوقت فيتم به ما بدأه في عامة يومه وليلته السابقة ، فمن المعلوم بالضرورة أن ما بين المغرب والعشاء لا يكفي لقراءة ربع ختمة الا بالهذرمة المنهي عنها لمنافاتها التدبر كما تقدم في موضعه . الا أن تكون القراءة روحية لا لسانية وللصوفية غرائب يتناقلونها في هذه الكرامات الروحية حتى ذكر الشعراني عن بعضهم قراءة القرآن مئات الالوف وألوف الالوف : وناهيك بخرافاته وأكثر ما تيسر لكاتب هذه التعليقات في أيام الفراغ أنه كان يقرأ في بعض أيام رمضان ختمة كاملة والذي تربينا عليه منذ سن التمييز أننا كنا نتدارس القرآن مع كبير أهل بيتنا السيد أحمد أبو الكمال عم والدي فنقرأ معه كل يوم من أيام رمضان نصف ختمة كل واحد منا يقرأ ربع حزب بالتجويد المعتدل (٢) كذا وتقدم في مبحث القراءة في المصحف أنه التبيان

هو مرصد له ، وان لم يكن من هؤلاء فليستكثر ما امكنه من غير خروج الى حد الملل والهذرمة . ثم قال البخاري رحمه الله

﴿ البكاء عند قراءة القرآن ﴾

وأورد فيه من رواية الاعمش عن ابراهيم بن عبيدة عن عبدالله - هو ابن مسعود - قال قال رسول الله ﷺ « اقرأ علي » قلت أقرأ عليك وعليك انزل ؟ قال « إني اشتهي أن أسمعه من غيري » قال فقرأت النساء حتى اذا بلغت (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ؟) قال لي « كف أو أمسك » فاذا عيناه تذرفان وهذا من المتفق عليه كما تقدم وكما سيأتي ان شاء الله

﴿ من راءى بقراءة القرآن أو تأكّل به أو فخر به ﴾

حدثنا محمد بن كثير أنا سفيان ثنا الاعمش عن خيثمة عن سويد بن غفلة عن علي رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول « يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الاسنان سفهاء الاحلام يقولون من خير قول البرية ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرميّة ، لا يجاوز ايمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فان قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة » وقد روى في موضعين آخرين ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن الاعمش به

حدثنا عبدالله بن يوسف ثنا مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وعملكم مع عملهم ، ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة ، ينظر في النصل فلا يرى شيئا ، وينظر في القِدح فلا يرى شيئا ، وينظر في الريش فلا يرى شيئا ، ويتمارى في الفُوق » ورواه في موضع آخر ومسلم أيضا والنسائي من طرق عن الزهري عن أبي سلمة به وابن ماجه من رواية محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة به

حدثنا مسدد بن مسرهد حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبي موسى رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به

كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذي لايقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لايقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر - أو خبيث - وريحها مر »

ورواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة من طرق عن قتادة به

ومضمون هذه الاحاديث التحذير من المراءاة بتلاوة القرآن التي هي من أعظم القُرَب كما جاء في الحديث « واعلم انك لن تتقرب الى الله بأعظم مما خرج منه » يعني القرآن . والمذكورون في حديث علي وأبي سعيدهم الخوارج وهم الذين لايجاوز ايمانهم حناجرهم وقد قال في الرواية الاخرى « يحقر أحدكم قراءته مع قراءتهم وصلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم » ومع هذا أمر بقتلهم لانهم مراءون في أعمالهم في نفس الامر وإن كان بعضهم قد لايقصدذلك إلا انهم أسسوا أعمالهم على اعتقادغير صالح فكانوا في ذلك كالمذمومين في قوله (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوانٍ خيرٌ أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ؟ والله لايهدي القوم الظالمين) وقد اختلف العلماء في تكفير الخوارج وتفسيقهم ورد رواياتهم كما سيأتي تفصيله في موضعه ان شاء الله تعالى .

والمنافق المشبه بالريحانة التي لها ريح ظاهر وطعمها مر هو المرائي بتلاوته كما قال تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) ثم قال البخاري

اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم

حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضيل عارم(١) ثنا حماد بن زيد عن أبي عمران الجوني عن جندب ابن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « اقرءوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم فاذا اختلفتم فقوموا عنه » حدثنا عمرو بن علي بن بحر الفلاس ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا سلام بن أبي مطيع عن أبي عمران الجوني عن جندب قال قال رسول الله ﷺ اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه

(١) كذا في النسخة وفي نسخة ابن حجر والقسطلاني وغيرهما ذكر أبي النعمان بكنيته فقط واسمه محمد بن الفضل السدوسي ويلقب بعارم ولم يكن عارما . وابن كثير يكثر فيما ينقله من صحيح البخاري في هذا الكتاب من مثل هذه الزيادة للايضاح ويحتمل أن يكون لبعضها رواية عنه

قلوبكم فاذا اختلفتم فقوموا » تابعه الحارث بن عبيد وسعيد بن زيد عن أبي عمران ولم يرفعه حماد بن سلمة وأبان . وقال غندر عن شعبة عن أبي عمران قال سمعت جندبا قوله(١) وقال ابن عون عن أبي عمران عن عبدالله بن الصامت عن عمر قوله ، وجندب أكثر وأصح

وقد رواه في موضع آخر ومسلم كلاهما عن اسحاق بن منصور عن عبدالصمد عن همام عن أبي عمران به ، ومسلم أيضاً عن يحيى بن يحيى عن الحارث بن عبيد أبي قدامة عن أبي عمران ورواه مسلم أيضاً عن احمد بن سعيد بن حبان بن هلال عن أبان العطار عن أبي عمران به مرفوعاً ، وقد حكى البخاري أن أبانا وحماد بن سلمة لم يرفعاه فالله أعلم ، ورواه النسائي والطبراني من حديث مسلم بن ابراهيم عن هارون بن موسى الأعور النحوي عن أبي عمران به . ورواه النسائي أيضاً من طرق عن سفيان عن الحجاج بن قرافصة عن أبي عمران به مرفوعا ، وفي رواية عن هارون بن زيد بن أبي الزرقاء عن أبيه عن سفيان عن حجاج عن أبي عمران عن جندب موقوفا . ورواه عن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم عن اسحاق بن الأزرق عن عبد الله بن عون عن أبي عمران عن عبد الله بن الصامت عن عمر قوله . قال أبو بكر بن أبي داود لم يخطيء ابن عون في حديث قط إلا في هذا ، والصواب عن جندب . ورواه الطبراني عن علي بن عبد العزيز عن مسلم بن ابراهيم وسعيد ابن منصور قالا : ثنا الحارث بن عبيد عن أبي عمران عن جندب مرفوعا .

فهذا ماتيسر من ذكر طرق هذا الحديث على سبيل الاختصار . والصحيح منها ما أرشد اليه شيخ هذه الصناعة أبو عبدالله البخاري من الأكثر والأصح أنه عن جندب ابن عبد الله مرفوعا إلى رسول الله ﷺ

ومعنى الحديث أنه عليه السلام أرشد وحض أمته على تلاوة القرآن إذا كانت القلوب مجتمعة على تلاوته متفكرة متدبرة له لا في حال شغلها وملالها فانه لا يحصل المقصود من التلاوة بذلك كما ثبت في الحديث أنه قال عليه السلام « اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يَمل حتى تملوا » وقال « أحب الأعمال إلى الله مادام عليه صاحبه ـ وفي اللفظ الآخر ـ أحب الاعمال الى الله أدومها وإن قل »

---

(١) قوله : قوله يعني به حديث وقع أنه من قوله غير مرفوع الى النبي (ص)

ثم قال البخاري: ثنا سليمان بن حرب ثنا شعبة عن عبدالملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة عن عبدالله - هو ابن مسعود - أنه سمع رجلا يقرأ آية سمع من النبي صلى الله عليه وسلم خلافها، فأخذت بيده فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال «كلاكما محسن فاقرآ — أكبر علمي قال — فان من قبلكم اختلفوا فيه فأهلكهم الله عز وجل»(١)

وأخرجه النسائي من رواية شعبة به. وهذا في معنى الحديث الذى تقدمه وأنه ينهى عن الاختلاف في القراءة والمنازعة في ذلك والمراء فيه كما تقدم في النهى عن ذلك والله أعلم.

وقريب من هـذا مارواه عبد الله بن الامام أحمد في مسند أبيه ثنا أبو محمد سعيد ابن محمد الجرمي ثنا يحيى بن سعيد الأموي عن الاعمش عن عاصم عن زر بن حبيش قال قال عبد الله بن مسعود: تمارينا في سورة من القرآن فقلنا خمس وثلاثون آية، ست وثلاثون آية، قال فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فوجدنا عليا يناجيه فقلنا له اختلفنا في القراءة فاحمر وجه رسول الله ﷺ فقال علي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تقرءوا كما علمتم. وهذا(٢) آخر ما أورده البخاري رحمه الله في كتاب فضائل القرآن ولله الحمد والمنة

كتاب الجامع لأحاديث شتى

تتعلق بتلاوة القرآن وفضائله وفضل أهله

(فصـل) قال أحمد ثنا معاوية بن هشام ثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد قال قال نبي الله ﷺ «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ وارق واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه»

وقال أحمد ثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثني بشير بن أبي عمرو الخولاني أن الوليد بن قيس التجيبي حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يكون خلفٌ من بعد الستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات

(١) الذي في نسخ البخاري «فان من كان قبلكم اختلفوا فأهلكهم» أي فأهلكهم الله. كما قال القسطلاني أو المعنى فأهلكهم الاختلاف. قال الحافظ في شرحه من الفتح: وفي رواية المستملي «فأهلكوا» بضم أوله ولم يذكر ما أورد ابن كثير هنا (٢) أي هذا الباب الذي وضعنا الحاشية الاولى هنا لآخر كلمة منه

فسوف يلقون غياً ، ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يعدو تراقيهم ، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر » قال بشير فقلت للوليد ماهؤلاء الثلاثة ؟ قال المنافق كافر به ، والفاجر يتأكل به ، والمؤمن يؤمن به ».

وقال أحمد ثنا حجاج ثنا ليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن أبي الخطاب عن أبي سعيد أنه قال إن رسول الله عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره إلى نخلة فقال « ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس ؟ إن خير الناس رجل عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت ، وإن من شر الناس رجلا فاجراً يقرأ كتاب الله لا يرعوي إلى شيء منه »

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا محمد بن عمر بن هياج الكوفي ثنا الحسين بن عبد الأعلى ثنا محمد بن الحسن الهمداني عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين » وقال رسول الله ﷺ « إن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » ثم قال تفرد به محمد بن الحسن ولم يتابع عليه .

وقال الامام أحمد ثنا أبو عبيدة الحداد حدثني عبد الرحمن بن بديل بن ميسرة حدثني أبي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « إن لله أهلين من الناس » قيل من هم يارسول الله ؟ قال « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته »

وقال أبو القاسم الطبراني ثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار ثنا خالد بن خداش ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لهم . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا محمد بن عباد المكي ثنا حاتم بن اسماعيل عن شريك عن الاعمش عن زيد بن أبان عن الحسن عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه »

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا سلمة بن شبيب ثنا عبد الرزاق ثنا عبد الله بن المحرر عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن » ابن المحرر ضعيف

وقال الامام أحمد حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا بكر بن سوادة عن وفاء الخولاني عن أنس بن مالك قال بينما نحن نفر فينا العربي والعجمى والاسود والابيض إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال « أنتم في خير تقرءون كتاب الله وفيكم رسول الله وسيأتي على الناس زمان يثقفونه كما يثقف القدح يتعجلون أجورهم ولا يتأجلونها »

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا يوسف بن موسى ثنا عبد الله بن الجهم ثنا عمرو بن أبي قيس عن عبد ربه بن عبد الله عن عمر بن نبهان عن الحسن عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره ».

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا أبو عبيدة حدثني يزيد الرقاشي عن أنس قال قعد أبو موسى في بيت واجتمع اليه ناس فأنشأ يقرأ عليهم القرآن قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يارسول الله ألا أعجبك من أبي موسى انه قعد في بيت واجتمع اليه ناس فأنشأ فقرأ عليهم القرآن قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتستطيع أن تقعدني حيث لا يراني منهم أحد؟ » قال نعم قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقعده الرجل حيث لا يراه منهم أحد فسمع قراءة أبي موسى فقال « إنه ليقرأ على مزمار من مزامير داود عليه السلام » هذا حديث غريب ويزيد الرقاشي ضعيف

وقال الامام احمد حدثنا مصعب بن سلام ثنا جعفر هو ابن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله ، وإن أفضل الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » ثم يرفع صوته وتحمر وجنتاه ويشتد غضبه إذا ذكر الساعة كأنه منذر جيش قال ثم يقول « أتتكم الساعة بعثت أنا والساعة هكذا - وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى - صبحتكم الساعة ومستكم ، من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فاليّ وعليّ » .

وقال الامام أحمد ثنا عبدالوهاب - يعني ابن عطاء - أنا أسامة بن زيد الليثي عن محمد ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله ﷺ المسجد فاذا قوم يقرءون

القرآن قال « اقرءوا القرآن وابتغوا به الله عز وجل من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه »

وقال أحمد أيضاً ثنا خلف بن الوليد ثنا خالد عن حميد الأعرج عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن وفينا العجمي والاعرابي قال فاستمع قال فقال « اقرءوا فكل حسن وسيأتي قوم يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه »

وقال أبو بكر البزار ثنا أبو كريب محمد بن العلاء ثنا عبدالله بن الاجلح عن الاعمش عن المعلى الكندي عن عبد الله بن مسعود قال : إن هذا القرآن شافع مشفع من اتبعه قاده الى الجنة ومن تركه أو أعرض عنه — أو كلمة نحوها — دحّ (١) في قفاه الى النار. وحدثنا أبو كريب ثنا عبد الله بن الاجلح عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه.

وقال الحافظ أبو يعلى : ثنا أحمد بن عبد العزيز بن مروان أبو صخر حدثني بكير ابن يونس عن موسى بن علي عن أبيه عن يحي بن كثير (٢) اليمامي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ ألف آية كتب له قنطاراً ، والقنطار مائة رطل والرطل ثنتا عشرة أوقية والأوقية ستة دنانير والدينار أربعة وعشرون قيراطا والقيراط مثل أحد ، ومن قرأ ثلاثمائة قال الله لملائكته نصب عبدي كي أشهدكم يا ملائكتي اني قد غفرت له ، ومن بلغه عن الله فضيلة فعمل بها إيماناً به ورجاء ثوابه أعطاه الله ذلك وإن لم يكن ذلك كذلك »

وقال أحمد ثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ان الرجل ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » قال البزار لا نعلمه يروى عن ابن عباس الا من هذا الوجه

وقال الطبراني ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثني أبي قال وجدت في كتاب أبي بخطه عن عمران بن أبي عمران عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله

---

(١) الدح والدع الدفع بعنف (٢) في تقريب التهذيب أنه يحى بن أبي كثير

ﷺ قال « من اتبع كتاب الله هداه الله من الضلالة ووقاه سوء الحساب يوم القيامة وذلك أن الله عز وجل يقول (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) »

وقال الطبراني ثنا يحي بن عثمان بن صالح ثنا أبي ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « ان أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزن به »

وقال أيضا حدثنا أبو يزيد القراطيسي ثنا نعيم بن حماد ثنا عبد الله بن سليمان عن سعيد أبي سعد البقال عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ « أحسنوا الاصوات بالقرآن » وروى أيضا بسنده الى الضحاك عن ابن عباس مرفوعا « أشراف أمتي حملة القرآن »

وقال الطبراني ثنا معاذ بن المثنى ثنا ابراهيم بن أبي سويد الذارع ثنا صالح المري عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس قال سأل رجل رسول الله ﷺ فقال أي الاعمال احب الى الله ؟ فقال « الحالُّ المرتحل - قال يارسول الله ما الحال المرتحل ؟ قال - صاحب القرآن يضرب في أوله حتى يبلغ آخره وفي آخره حتى يبلغ أوله »

﴿ ذكر الدعاء المأثور لتحفظ القرآن وطرد النسيان ﴾

قال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير ثنا الحسين بن اسحاق التُّسْتَري ثنا هشام ابن عمار ثنا محمد بن ابراهيم القرشي حدثني أبو صالح وعكرمة عن ابن عباس قال : قال علي بن أبي طالب يارسول الله القرآن يتفلت من صدري ، فقال النبي ﷺ « أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع من علمته ؟ - قال نعم بأبي أنت وأمي قال - صلِّ ليلة الجمعة أربع ركعات تقرأ في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب ويس ، وفي الثانية بفاتحة الكتاب وبحم الدخان ، وفي الثالثة بفاتحة الكتاب وبحم تنزيل السجدة ، وفي الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصَّل ، فاذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأثن عليه وصل على النبيين واستغفر للمؤمنين ثم قل اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني ، وارحمني من أن أتكلف مالا يعنيني ، وارزقني حسن النظر فما يرضيك عني ، اللهم بديعَ السموات والارض ذا الجلال والا كرام ، والعزة التي لا ترام ، أسألك ياألله يارحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حب كتابك كما علمتني ، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني ، وأسألك أن تنور بالكتاب بصري ، وتطلق به

لساني، وتفرج به عن قلبي، وتشرح به صدري، وتستعمل به بدني، وتقويني على ذلك وتعينني عليه، فانه لا يعينني على الخير غيرك ولا موفق له إلا أنت، فافعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبعاً تحفظه باذن الله وما أخطأ مؤمناً قط » فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بسبع جمع فأخبره بحفظ القرآن والحديث فقال النبي ﷺ « مؤمن ورب الكعبة، علم أبا الحسن علم أبا الحسن » هذا سياق الطبراني.

وقال أبو عيسى الترمذي في كتاب الدعوات من جامعه: حدثنا احمد بن الحسن ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ثنا الوليد بن مسلم ثنا ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس أنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي بن أبي طالب فقال بأبي أنت وأمي تفلّت هذا القرآن من صدري فما أجدني أقدر عليه فقال له رسول الله ﷺ « يا أبا الحسن أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وتنفع بهن من علمته ويثبت ما تعلمت في صدرك؟ - ، قال أجل يارسول الله فعلمني قال — إذا كانت ليلة الجمعة فان استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر فانها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب، وقال أخي يعقوب لبنيه (سوف أستغفر لكم ربي) يقول حتى تأتي ليلة الجمعة فان لم تستطع فقم في وسطها فان لم تستطع فقم في أولها فصل أربع ركعات تقرأ في الاولى بفاتحة الكتاب وسورة يس، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان، وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل، فاذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء على الله وصل عليّ وأحسن وعلى سائر النبيين، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولاخوانك الذين سبقوك بالايمان، ثم قل في آخر ذلك اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني، وارحمني أن أتكلف مالا يعنيني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني، اللهم بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام، والعزة التي لا ترام، أسألك يا الله يارحمان بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري، وأن تطلق به لساني، وأن تفرج به عن قلبي، وأن تشرح به صدري، وأن تغسل به بدني، فانه لا يعينني على الخير غيرك ولا يؤتيه إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا تجاب باذن الله. والذي بعثني بالحق ما أخطأ

مؤمنا قط » قال ابن عباس فو الله مالبث عليّ إلا خمسا أو سبعا حتى جاء رسول الله ﷺ في ذلك المجلس فقال يارسول الله والله إني كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات أونحوهن فاذا قرأتهن على نفسي تفلتن وأنا أتعلم اليوم أربعين آية أو نحوها فاذا قرأتها على نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني ولقد كنت أسمع الحديث فاذا رددته تفلت وأنا اليوم اسمع الاحاديث فاذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفا. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك « مؤمن ورب الكعبة أبا الحسن » ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم. كذا قال وقد تقدم من غير طريقه. ورواه الحاكم في مستدركه من طريق الوليد ثم قال على شرط الشيخين ولا شك أن سنده من الوليد على شرط الشيخين حيث صرح الوليد بالسماع من ابن جريج فالله أعلم. فانه من البين غرابته بل نكارته (١) والله أعلم

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع ثنا العمري عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ « مثل القرآن مثل الابل المعقلة ان تعاهدها صاحبها أمسكها وان تركها ذهبت » ورواه أيضا عن محمد بن عبيد ويحي بن سعيد عن عبيد الله العمري به، ورواه أيضا عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر مرفوعا بنحوه

وقال البزار ثنا محمد بن معمر ثنا حميد بن حماد بن أبي الحوار ثنا مسعر عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر قال سئل رسول الله أي الناس أحسن قراءة ؟ قال « من سمعته يقرأ رُؤيتَ أنه يخشى الله عز وجل »

قال الامام احمد ثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأها »

وقال أحمد ثنا حسن ثنا ابن لهيعة حدثني حي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله اني اقرأ القرآن فلا أجد قلبي يعقل عليه فقال رسول الله ﷺ « ان قلبك حشي الايمان وان العبد يعطى

(١) بل أسلوبه أسلوب الموضوعات لا أسلوب أفصح البشر محمد (ص) وعلي (رض) ولا أسلوب عصرهما

الايمان قبل القرآن » وبهذا الاسناد ان رجلا جاء بابن له فقال يارسول الله ان ابني يقرأ المصحف بالنهار ويبيت بالليل فقال رسول الله ﷺ « ما تنقم ؟ ان ابنك يظل ذاكراً ويبيت سالما »

وقال احمد ثنا موسى بن داود ثنا ابن لهيعة عن حيي عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله ابن عمرو ان النبي ﷺ قال «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه - قال- فيشفعان»

وقال احمد ثنا حسن ثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول « أكثر منافقي أمتي قراؤها »

وقال احمد ثنا وكيع حدثني همام عن قتادة عن يزيد بن عبد الله بن الشخير عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه» ورواه أيضا عن غندر عن شعبة عن قتادة به وقال الترمذي حسن صحيح .

وقال أبو القاسم الطبراني ثنا محمد بن اسحاق بن راهويه ثنا أبي ثنا عيسى بن يونس ويحي بن أبي حجاج التميمي عن اسماعيل بن رافع عن اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ القرآن فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى اليه ، ومن قرأ القرآن فرأى ان أحداً أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم ماصغر الله وصغر ماعظم الله ، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يسفه فيمن يسفه أو يغضب فيمن يغضب او يحتد فيمن يحتد ولكن يعفو ويصفح لفضل القرآن »

وقال الامام أحمد ثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ثنا عباد بن ميسرة عن الحسن عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة »

وقال البزار حدثنا محمد بن حرب ثنا يحي بن المتوكل ثنا عنبسة بن مهران عن الزهري عن شعبة وأبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مراء في القرآن كفر » ثم قال عنبسة هذا ليس بالقوي وعنده فيه إسناد آخر

وقال الحافظ أبو يعلى ثنا أبو بكر بن أبي ادريس ثنا المقبري عن جده عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ قال «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه»

وقال الطبراني ثنا موسى بن حازم الاصبهاني ثنا محمد بن بكير الحضرمي ثنا اسماعيل ابن عباس عن يحي بن الحارث المذماري عن القاسم أبى عبد الرحمن عن فضالة بن عبيد وتميم الداري عن النبي ﷺ قال «من قرأ عشر آيات في ليلة كتب له قنطار والقنطار خير من الدنيا وما فيها، فاذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل اقرأ وارق بكل آية درجة حتى ينتهي إلى آخر آية معه يقول ربك اقبض فيقول العبد بيده يارب أنت أعلم فيقول بهذه الخلد وبهذه النعيم» آخر فضائل القرآن وبه تم التفسير

للحافظ العلامة الرحلة الجهبذ مفيد الطالبين الشيخ عماد الدين اسماعيل الشهير

بابن كثير كثر الله فوائده، على يد أفقر العباد إلى الله الغني محمد بن

معمر المقرئ البغدادي عفا الله عنه ونفعه بالعلم ووفقه للعمل

به آمين، وحرس الله مجد مالكه آمين — بتاريخ

يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة من سنة تسع وخمسين

وسبعمائة هلالية هجرية صلوات الله وسلامه

على مشرفها والحمد لله أولا وآخراً وباطناً

وظاهراً وصلى الله على سيدنا محمد

النبي الأمي وعلى آله وصحبه

وسلم تسليما كثيرا

﴿ تم طبع الكتاب والحمد لله ﴾



﴿ خاتمة الطبع ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(أما بعد) فقد تم التفسيران بحمد الله وفضله وحسن معونته

فأما تفسير ناصر السنة البغوي فقد طبع عن طبعة مصرية وقوبلت على طبعة هندية ، وقوبل بعضه على بقايا من نسخة خطية فيها تصحيف وتحريف كثير ، وعيب هذا التفسير المشهور كثرة الروايات الاسرائيلية التي لا يصح لها متن ولا سند

وأما تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله فقد شرعنا في طبعه بأمر الامام ولم يكن لدينا أصل له إلا الطبعة المصرية التي طبعت في المطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٣٠٢ هجرية وهي كثيرة الغلط والسقط فكنا نقاسي أشد العناء في تصحيحها بمراجعة كتب الحديث والتفسير ثم استعرنا من خزانة كتب الجامع الازهر النسخة الخطية الوحيدة التي فيها وليست من الاصول الصحيحة التي يعتمد عليها بل هي كثيرة التصحيف والتحريف والسقط

ولما وفقنا الله تعالى للحج الى بيته الحرام في موسم ١٣٤٤ كان مما استفدناه في مكة المكرمة أن اطلعنا على نسخة مخطوطة من هذا التفسير في خزانة الكتب بالحرم المكي الشريف ، وهي من حيث الصحة والتنقيح لا نظير لها في هذا العصر ، فقد كتبت في عصر المؤلف رحمه الله بل قبل وفاته كما هو ثابت ذلك من التاريخ الموجود في أواخر أجزائها ، فان آخر جزء منها وهو مختتم بكتاب (فضائل القرآن) مكتوب في آخره ما نصه « نجز على يد أفقر العباد إلى الله الغني محمد بن أحمد ابن معمر المقري البغدادي عفا الله عنه ونفعه بالعلم ووفقه للعمل به آمين وحرس الله مجد مالكه آمين ، بتاريخ يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وسبعمائة هلالية هجرية ، صلوات الله وسلامه على مشرفها ، والحمد لله أولا وآخراً ، وباطناً وظاهراً وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً » وقد كتب في طرة كل جزء منها بعد كتابة اسم الجزء بالذهب ما نصه : « للشيخ الامام العالم العلامة ، عماد الدين اسماعيل بن كثير أدام الله بركته برسم الخزانة العالية ، المولوية ، الاميرية ، الكبيرية ، العالمية ، العادلية ، العونية ، الغياثية ، المحسنية ، السيفية ، سيف الدنيا والدين أمير يلبغا أعز الله نصره » غير جزء أو جزئين واحد منهما من أول تفسير سورة (سبأ) إلى آخر تفسير سورة (حم السجدة) ولكنه كتب في عصر المؤلف أيضاً ، وقوبل تصحيحا على أصل المؤلف كما هو ثابت في مواضع منه بخط كاتبه ، فقد جاء في آخر سورة (سبأ) منه « وكان الفراغ من كتابتها ليلة السبت وقت السحر التي يسفر صباحها عنه ، وهو ثاني عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع وستين وسبعمائة من الهجرة النبوية » وفي آخر سورة فاطر « وكان الفراغ من كتابتها بخط العبد إلى الله محمد بن بهادر بن عبد الله الشجاعي وقت السحر في ليلة يسفر صباحها

عن نهار الاثنين سابع عشرين شهر ربيع الآخر سنة تسع وستين وسبعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل » ومثله في آخر سورة يس ، وفي آخر سورة الصافات « وكان الفراغ من كتابتها بخط مالكها محمد بن بهادر بن عبد الله الشجاعي غفر الله له نهار الاثنين سادس عشرين جمادى الآخرة سنة تسع وستين وسبعمائة » وفرغ من سورة (ص) في شهر شعبان ، ومن سورة الزمر في شهر رمضان ، ومن سورة المؤمن في شهر شوال . ثم كتب في آخر الجزء « آخر تفسير حم السجدة نفع الله كاتبها العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن بهادر بن عبد الله الشجاعي ببركات ما فيها وبالقرآن العظيم، وذلك في العشر الوسط من ذي القعدة الحرام سنة تسع وستين وسبعمائة بدمشق المحروسة حماها الله » وقد أثبتنا في طرة كل جزء ان وفاة المصنف رحمه الله تعالى كانت في سنة ٧٧٤ وقد كتب في آخر هذا الجزء بالهامش « بلغ مقابلة بأصل المؤلف »

ومما يمتاز به طبعتنا هذه الملحق الختامي المتمم للتفسير وهو (كتاب فضائل القرآن) فقد عثرنا عليه في نهاية الجزء الاخير من نسخة الحرم الشريف التي كتبت لخزانة الامير يلبغا . وهو ليس بموجود في غيرها من النسخ ولا في طبعة بولاق ، فأثبتناه نحن في آخر الكتاب تبعاً للمؤلف وقياما بواجب الامانة في النشر .

ومن قرأه يعلم ان اسمه أوسع معنى من مسماه فانه اشتمل على فضائل القرآن في جملته وعلى تاريخ كتابته في عصر النبي ﷺ وبعده وجمعه في المصاحف ونسخها في خلافة عثمان وارسال نسخ منها الى الامصار الاسلامية الكبرى — وعلى مباحث إنزاله على سبعة أحرف وتلاوته وحفظه وتعليمه وترتيله والتغني به وغير ذلك من الفوائد

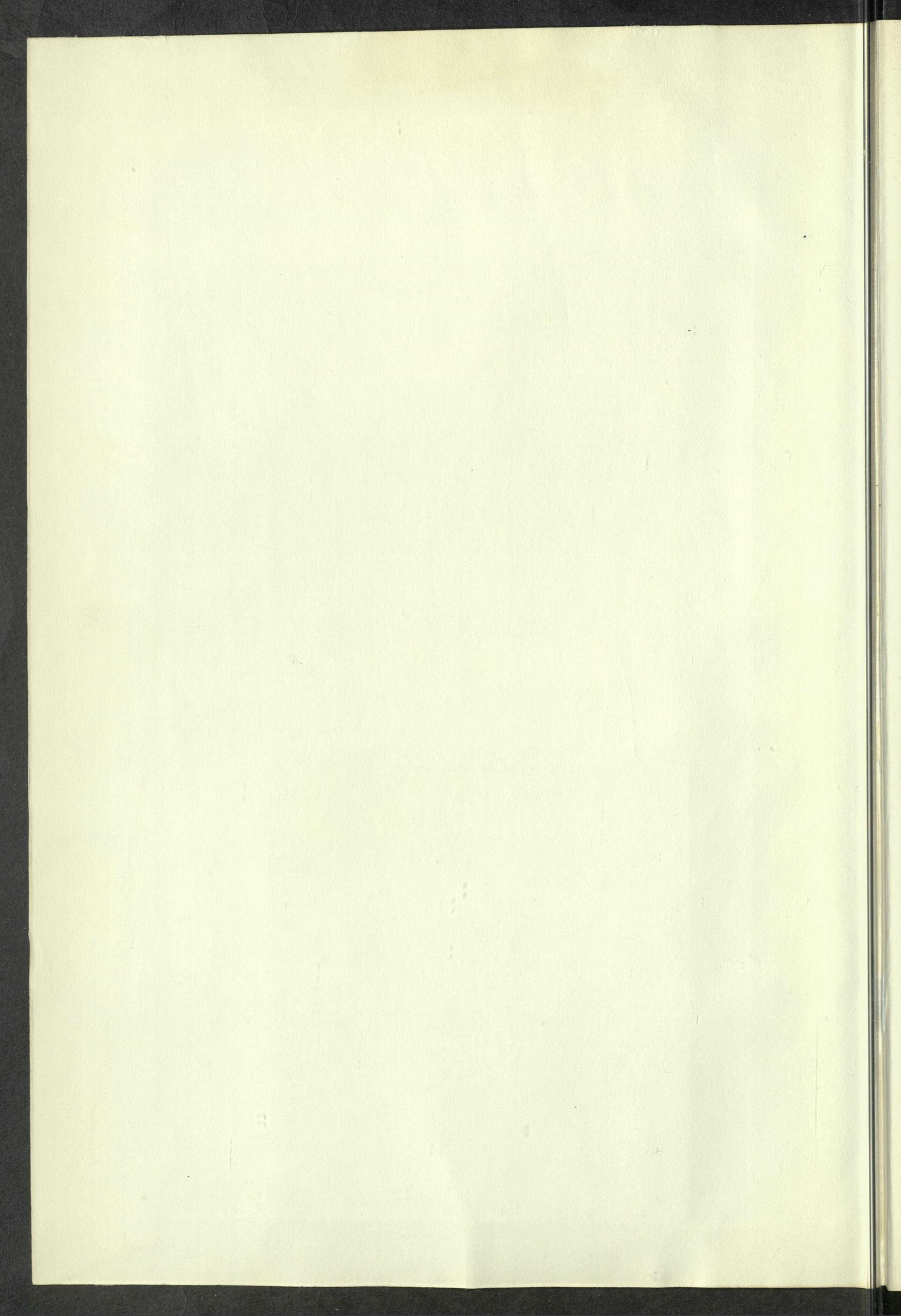
وانما سماه المؤلف (كتاب فضائل القرآن) تبعا للامام البخاري في صحيحه فقد أخذ أبواب جامع البخاري وجعلها عناوين له وقفى عليها بما رواه غيره من الحفاظ في مباحثه ولاسيما الامام أبي عبيد القاسم بن سلام البغدادي الفقيه اللغوي المتفنن الذي هو من أقران الشافعي وأحمد وطبقتهم ومعاصريهم

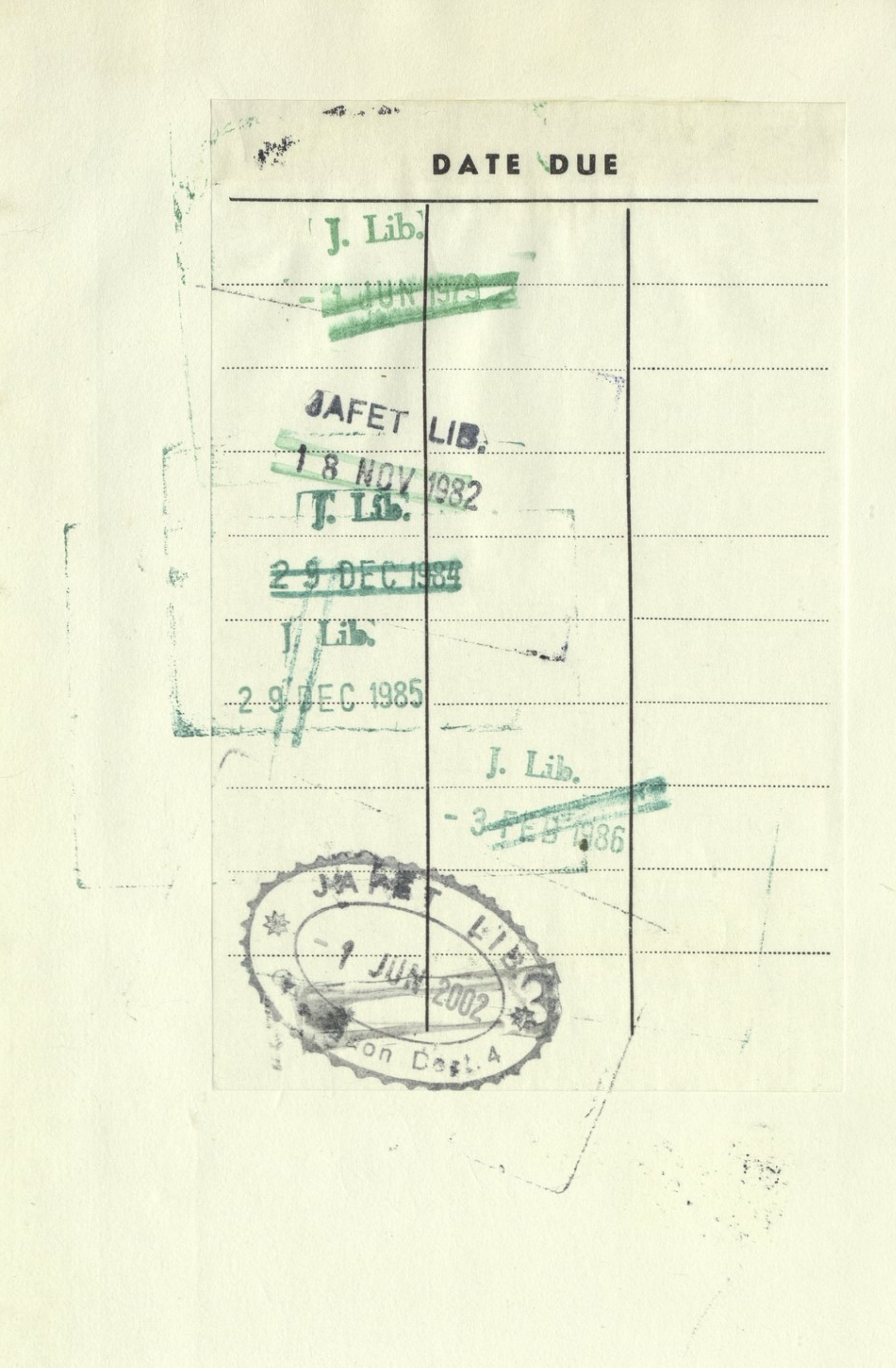
وقد رأينا أن هذا الكتاب على بسطه للمباحث يحتاج الى تعليق عليه في بعض المسائل لازالة إيهام أو دحض شبهة أو دعم حجة أو تكملة بحث أو تفرقة بين كلام البخاري وكلام المصنف مما يخفى على غير العالم المحدث فوضعت له ذلك . وكنت قد تركت التعليق على هذا التفسير وغيره لثلاثة أسباب (أحدها) قلة ما يشكل منه مع وجود نسخة الحرم الصحيحة (ثانيها) إلحاح جلالة الملك عبد العزيز بالاسراع في طبعه لتعجيل استفادة الناس منه (ثالثها) المرض الطويل الذي اقتضى منعي من كل عمل مدة بضعة أشهر تراكمت علي بعدها الاعمال من حاضر ومتأخر

وينبغي أن ننوه في هذه الخاتمة بما كان للامام عبد العزيز آل سعود من الفضل المأثور والسعي المحمود المشكور ، لنشر هذا الكتاب العظيم الجليل النفع ، وكذا غيره من الكتب الدينية التي تنفع المسلمين في معاشهم ومعادهم ، فالمرجو من قارئه أن يدعو له ولنا بالخير . أدام الله توفيقه ، ونفع المسلمين به، والحمد لله وحده أولا وآخراً وباطناً وظاهراً م

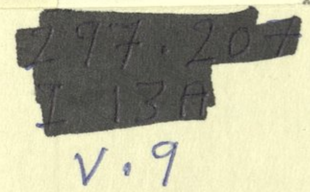
صاحب المنار ومطبعته

وكتب في شوال سنة ١٣٤٧ محمد رشيد رضا




DATE DUE
J. Lib.
- 1 JUN 1979
JAFET LIB.
18 NOV 1982
J. Lib.
29 DEC 1984
J. Lib.
29 DEC 1985
J. Lib.
- 3 FEB 1986
JAFET LIB.
-1 JUN 2002


ابن كثير ،أبو الفداء اسماعيل بن عمر
... تفسير الحافظ ابن كثير... ويليه معا
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01009250


V.9

